سيرة الإمام



سليم الجابي

ماجستير في علم الأديان المقارن

سيرة الإمام

سيرة الإمام

2006-2007

عنوان المؤلف
دمشق - سورية
ص ب 5425
هاتف +963 11 2710925

- تجدون كل المعلومات المتعلقة بسلسلة مؤلفات المفكر سليم الجابي على العنوان الإلكتروني التالي على شبكة الإنترنت :

http://www.saleemaljabi.com

- يتلقى المؤلف برحابة صدر كل الإنتقادات و الأراء و الاستفسارات على البريد الإلكتروني :

saleem@saleemaljabi.com

السلسلة العامة

سيرة الإمام

سليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن

صدر للمؤلف

- السلسلة العامة:

القراءة المعاصرة تحت المجهر
نظرية جذور الأخلاق
القضاء والقدر حقيقة كونية ثابتة
النظرية القرآنية حول خلق العالم
الرأي في المرأة والحرية والتراث
فن الإختزال القرآني (المقطعات القرآنية)
هل مات المسيح على الصليب ؟
الله جل جلاله (وصاله وعرفانه وطرق التقرب منه سبحانه)
نشوء الإنسان وتطوره
منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره
خصائص القرآن الكريم المعجزة

- سلسلة باب العبادات:

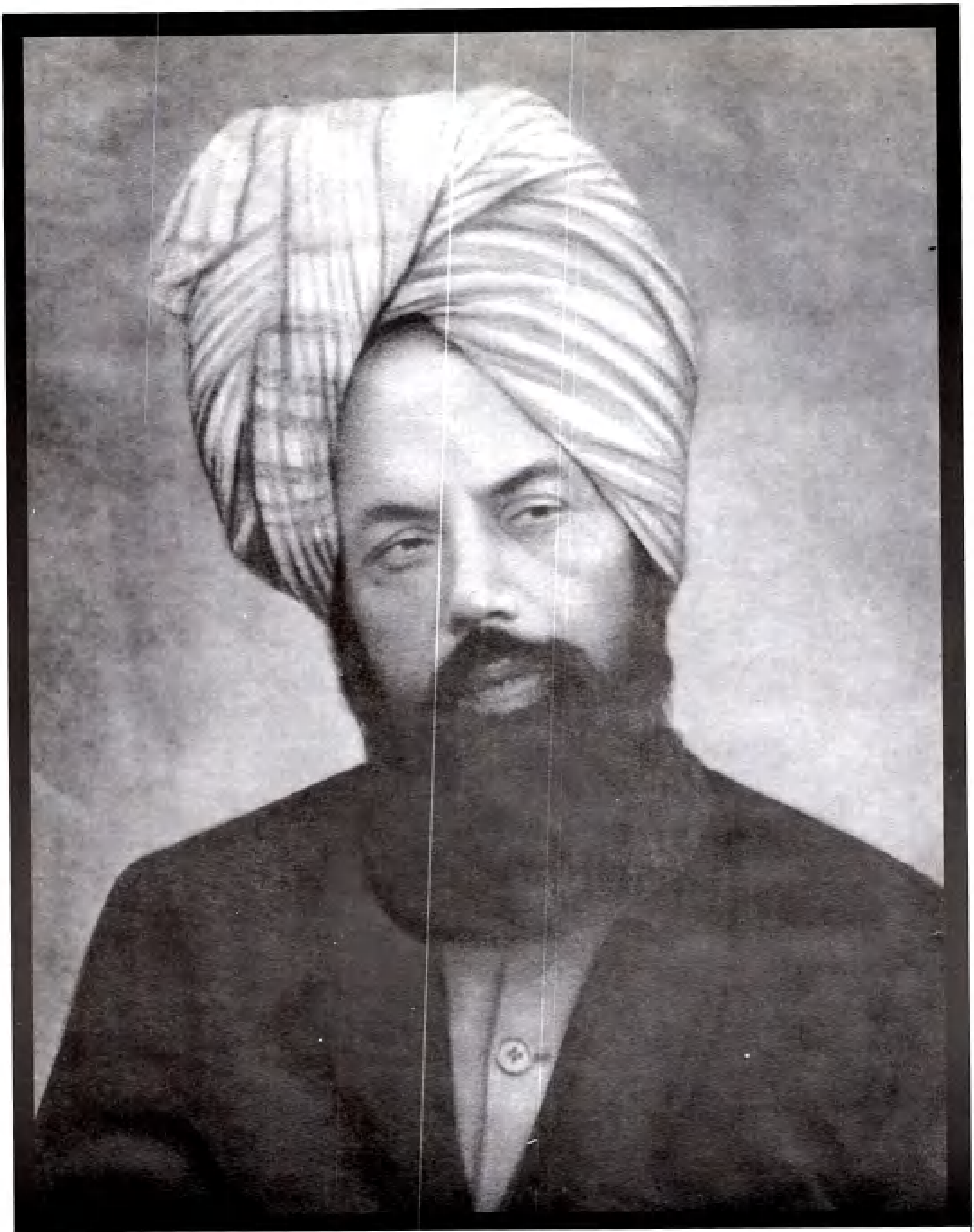
الصوم في الإسلام
فريضة الصلاة الاسلامية وأداتها الاعلامية

- سلسلة باب التفسير

في ظلال دلالات سورة الكهف
في ظلال دلالات سورة الإسراء
في ظلال دلالات سورة هود

- سلسلة تصحيح أفكار ومعتقدات

مثنى وثلاث ورباع
الجن حقيقة أم خيال؟
هل كان محمد (ص) شهوانياً؟
العقل تعريفه - ماهيته - حدود عمله
نظام الزواج في الإسلام
الإسلام علم السلام والجهاد والقتال
نبوءات قرآنية على سبيل الإصلاح



صورة الإمام حضرة ميرزا غلام أحمد
مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية

مقدّمة الكتاب

كنت كتبت كتابا بعنوان (للإسلام بعثتان) أو (نبوءات على طريق الإصلاح). وقد أثبتّ من خلال المؤلّف المذكور بأنّ القرآن المجيد والحديث النبوي الشريف كانا قد تضمّنا نبوءات عن مستقبل الدين الإسلامي الحنيف. ومن جملة تلك النبوءات أنّه سيأتي على أمّة محمّد رسول اللّه (ص) زمانٌ تتخلّف الأمة الإسلامية فيه عن بقيّة أمم الأرض وتفقد نظام الخلافة الإسلاميّة الذي في بقائه بقاء الإيمان الصحيح وبقاء تقوى اللّه تعالى وعمل الصالحات. ووفق ما وعد اللّه عز وجلّ به هذه الأمة الإسلاميّة في سورة النور بقوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾.. وهي الحقيقة والمطلب الذي افتقده المسلمون المتخلّفون المعاصرون. الذين تفرّقوا شيعاً وكان كلّ حزب منهم بفرقته فرحون. والذين افتقدوا الإيمان الحقيقي والعمل الصالح. وحرموا بذلك أنفسهم من بركات نظام الخلافة الإسلامي. كما أثبتّ في المؤلّف المذكور أيضاً بأنّ اللّه عز وجلّ قد وعد محمّدا رسوله الأمين أنّه تعالى سيتفقد دينه الحنيف في ذاك التاريخ، ويبعث مجدّدا سمّاه (ذو القرنين) وتكون مهمّته تُماثِل مهمّة عيسى ابن مريم الذي بعثه ربّه عز وجلّ بعد موسى بأربعة عشر قرن من الزمان لتجديد ما حدث من انحراف في أمّة موسى عن تعاليم موسى عليه السلام. فمهمة هذا المجدّد هو تجديد الدين الإسلاميّ الحنيف. ومن منطلق أنّه يحدث للأمة الإسلاميّة ما كان قد حدث لأمّة موسى من قبل.

كذلك أثبتُّ في الكتاب المذكور بأنّ هذا المجدّد المُنبأ عن ظهوره في آخر الزمان يوم يصل حال الأمّة الإسلاميّة إلى ما وصلت إليه في زماننا الحاضر الذي مضى على بُعده عن زمن البعثة المحمّديّة ما يقارب الأربعة عشر قرن من الزمان، قد بعثه ربّه عز وجلّ بعد محمّد (ص) بأربعة عشر قرن من الزمان وفي شبه القارة الهنديّة وفي قرية اسمها قاديان بالذات. وأنّ المجدّد المذكور قد أسّس جماعة باسم (الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة) وأنّ عدد أعضائها في ازدياد على الدوام. وأنّ اللّه عز وجلّ قد كتب للجماعة المشار إليها الغلبة في نهاية المطاف ونشر الإسلام على العالم كلّه. وإنّ مضمون مؤلّفي الذي أشرت إليه اقتضى من جانبي القيام بتعريف القارئ على سيرة هذا المجدّد (ذو القرنين) والذي يُدعى ميرزا غلام أحمد ليتعرّف عليه، ومن أجل أن يتحقّق من مصداقيّة ما أثبتّه له في مؤلّفي (للإسلام بعثتان) من حقيقة تتعلّق بمستقبل الدعوة الإسلاميّة وسط هذا السيل الجارف من الفساد وظهور الفساد في البرّ والبحر وفي كلّ مكان. وبسبب ظهور دولة في عالمنا لا تعرف للقوانين الدوليّة أيّ احترام. وتزن كلّ شيء بمعيارين. وتتهدّد كيان كلّ دولة لا تعمل على مشيئتها وتخالف إرادتها وهي التي سمّتها نبوءات الأحاديث الشريفة باسم (**المسيح الدجّال**). ولقد أثبتُّ في المؤلّف المذكور بأنّ آيات سورة الكهف أنبأت عن ظهور هذه الدولة الطاغية المشار إليها. وأنّ الحديث النبويّ الذي أورد لها اسم (المسيح الدجّال) معناه عبارة عن رفقة عظيمة من الشعوب التي ظهرت منها الدولة المفسدة المشار إليها. والتي باتت شعوب الأرض ودولها تئنّ من جبروتها.

وعليه فقد خصّصت هذا الكتاب لتعريف القارئ على سيرة هذا المهدي المعهود ومثيل ابن مريم والذي بعثه ربّه جلّ شأنه في قرية (قاديان) ومصداق جميع ما ورد في القرآن المجيد وفي الحديث النبوي الشريف من أخبار ونبوءات. وقد حاولت الالتزام في كتابي هذا بمراجع تاريخيّة وبنصوص مستقاة من مؤلّفات

المجدّد المشار إليه. وقد حاولت قدر المستطاع عدم تجاوز تلك المراجع التاريخيّة. وأدعو اللّه تعالى أن يعينني على إخراج سيرة المجدّد المذكور بلباسها الحقيقي. وأن يجعلها مؤثّرةً في قلوب الذين يريدون وجه اللّه عز وجلّ وليهديهم إلى الإيمان به وللتشرّف ببيعة خليفته وبعضويّة جماعته. وقد التزمت أمام القارئ ببيان أهمّ الأحداث التي مرّت كلّ عام على ميرزا غلام أحمد خلال إنجازه مهام التجديد الدينيّ الذي بعثه ربّه عز وجلّ لإنجازها. فقسّمت هذا المؤلّف إلى ثلاثة أبواب متعدّدة الفصول. ففي الباب الأول منه ألقيت بادئ ذي بدء الضوء على سيرة طفولة ميرزا غلام أحمد وشبابه. وانتقلت فيه إلى الكلام عن أهمّ كتاب ألّفه حضرته وهو كتاب البراهين الأحمديّة الشهير الذي أحاول أن أترجمه إلى اللّغة العربيّة إن شاء اللّه العزيز. ومن ثمّ أجبت على سؤال وهو: كيف أيقن ميرزا غلام أحمد بأنّه أصبح مجدّدا؟ وأخذت بعد ذلك بإلقاء الضوء على الخطوات التي أقدم عليها حضرته لتلبية نداء ربّه عز وجلّ. وانتهيت من ذلك إلى ذكر تأسيسه جماعته التي سمّاها باسم الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة وبتوجيه من ربّه جلّ شأنه أيضاً. وقد تضمّن هذا الباب الأوّل ستّة فصول. وانتقلت منه إلى الباب الثاني الذي أخذت أُطلع القارئ فيه على أهمّ الأحداث التي واجهت حضرته خلال تأديته مهمّته المتعلّقة بتجديد الدين الإسلامي الحنيف، أولاً بأول وسنة بعد سنة. وقد بلغ عدد فصول هذا الباب الثاني من هذا الكتاب ٢٢ فصلا. وانتقلت من هذا الباب الثاني إلى الباب الثالث من الكتاب. وقد قسّمت هذا الباب الثالث إلى أربعة فصول. تناولت في الفصل الأوّل منها الكلام عن أُسلوب ميرزا غلام أحمد في الكتابة ومدى فصاحته. وتناولت في الفصل الثاني الكلام عن عائلة ميرزا غلام أحمد: زواجه وأولاده وأحوالهم. وعمّا تلقّاه ميرزا غلام أحمد من بشائر بشأن أشخاصهم ومستقبلهم. وأما في الفصل الثالث من هذا الباب الثالث فقد تكلّمت عن أخلاق ميرزا غلام أحمد وعن شمائله العطرة التي شهد بها الألوف من عباد اللّه الأتقياء

الصالحين. وأما في الفصل الرابع الأخير من الباب الثالث، فقد قمتُ بتعريف القارئ على أهمّ المنجزات التي تحقّقت على أيدي هذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام. وأنهيت هذه السيرة بكلمة أخيرة وضّحت فيها أحوال المبايعين لميرزا غلام أحمد وأحوال المخالفين والمنكرين كونه مجدّدا. وقدّمت ما لديّ من تجارب نصحت بها كلّ قارئ لهذا الكتاب. علما بأنّ اللّه عز وجلّ مطّلعٌ على سرائرنا وأخفى. وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

سليم الجابي

الباب الأول

الفصل الأول : سيرة طفولته وشبابه.

الفصل الثاني : مؤلّفه الشهير (البراهين الأحمديّة)

الفصل الثالث : كيف أيقن الميرزا بأنّه أصبح مجدّدا؟

الفصل الرابع : خطواته لتلبية نداء السماء

الفصل الخامس: ما بعد النداء وإلى تأسيس الجماعة

الفصل الأول

سيرة طفولته وشبابه

إنّ القارئ الذي يحاول مطالعة سيرة هذا المجدّد الذي بعثه اللّه جلّ شأنه مصداقا لنبوءات القرآن الكريم، وعلى حسب ما أثبتّ ذلك في مؤلّفي (للإسلام بعثتان)، يتشوّق بادئ ذي بدء لرؤية صورته الضوئيّة من جهة. ولمعرفة ملامحه بأقلام مشاهديه. ومن باب أنّ علم النفس أفادنا بأنّ خفايا صدور الإنسان تترك آثارا على الملامح الخارجيّة لأصحابها. ومن هذا المنطلق فقد صدّرت كتابي هذا بإحدى صور ميرزا غلام أحمد الضوئيّة. وأنقل للقارئ ما كتبه بعض الذين شاهدوه شخصيّا. فقد صوّروه لنا بأنّه كان أسمر اللّون، وأنّ سُمرة لونه كانت جذّابة وضاربة إلى حُمرة نورانيّة. فكانت تُعطي وجهه إشراقا قلّما يفارق وجهه. ولذلك كان يبدو على الدوام مبتسما بشوشا، مُطمئنّا، وبحالة طبيعيّة خالية من ظواهر التكلّف المعتادة. فإن نظر الناظر إلى هذا الإمام المجدّد وقد وقف مرتديا ثيابه التي اعتاد أن يلتحفها. فيبدو للناظر مُتناسق القوام، لا هو بالطويل ولا هو بالقصير، وقد غطى رأسه عمامة عربيّة على رأسه، ومِعطفاً طويلاً إلى تحت رُكبتيه، وعصا بيده اليمنى التي اعتاد حملها حين يسير. فإن هو رفع عمامته عن رأسه ليمسح عرق جبينه. يبدو شعره أسودا لامعا كأنّه يقطر ماء.وذلك مصداق ما ورد وصفُه في الحديث النبويّ الشريف. وكان أبرز ما يلاحظه المرء فيه هو أنّ حضرة المجدّد كان إذا تكلّم مع أحد من زوّاره أو وقف يحاضر بين أتباعه. فإنّه يمتاز بأنّه لا يحملق في وجه هذا وذاك كما يفعل المحاضرون، بل تراه ينظر إليهم

وكأنّه يغضّ من نظره في حضرتهم، وبوقار ظاهر للعيان على محيّاه. وقد لازمته هذه الوسامة منذ حداثة سنّه. وكان لها أثرٌ ظاهر على كلّ من رآه وهو في سنّ الحداثة. وبدليل أنّه صدف أن حضر يوما مجلس عالم اشتُهر بمكانة روحيّة بين قومه وكان برفقة والده. حيث روى الأستاذ محمد حسن من سكّان بلوجستان الذي كان جالسا في ذاك المجلس. فهو روى أنّ ذاك العالم نادى هذا الطفل، فحضر إلى جانبه. فمسح ذاك العالم على رأسه وقال بصوت جهوريّ سمعه الحاضرون: (إن كان قد قدّر الله تعالى أن يظهر في زماننا هذا نبيٌّ، فإنّ معالم النبوّة ظاهرة على وجه هذا الصبيّ).

ولقد عاش المجدّد ميرزا غلام أحمد قرابة خمس وسبعين عاما، فلم تذهب نضارة وجهه وحيويّته، ولا كلّت عيناه، ولا احتاج إلى نظّارة يضعها على عينيه أثناء القراءة والكتابة. وكان إذا أحاط به أصحابه وهو يعظهم، تراهم يظلّون ساكتين وآذانهم مترنّمة بما يسمعون منه، ومُنصتين وكأنّ على رؤوسهم الطير.

ثمّ إنّ القارئ وبعد أن تتّضح ملامح هذا المجدّد في مخيّلته، يتمنّى أن أعطيه فكرةً عن جوّ البيئة التي نشأ فيها هذا المجدّد وترعرع ووصل إلى ما وصل إليه. فأقول: لقد كانت هناك في منطقة بنجاب الشرقيّة من شبه القارة الهنديّة، وبالتحديد شمال شرق مدينة لاهور المعروفة، وعلى بُعد أكثر من مائة وخمسين ميل منها، وعلى خط العرض المار من مدينة دمشق أيضاً والذي ورد بحقّه في الحديث النبويّ قول محمد رسول الله (ص): (**ينزل على منارة شرقيّ دمشق**) أي ينزل على خط العرض المار من دمشق وإلى جهة الشرق منها. وقد كانت هناك قرية صغيرة واقعة على خطّ العرض المشار إليه واسمها قرية قاديان ولم يتجاوز عدد سكّانها عدّة ألوف. وكان أحد أجداد ميرزا غلام أحمد قاضيا قد تملك أرض تلك القرية وأطلق عليها اسم (بلد الإسلام)، بدافع حبّه للدين الإسلاميّ. وكان العوام يقولون حين يذكرون تلك القرية بأنّها قرية القاضي. لكنّ سكّان

تلك المنطقة استبدلوا حرف الضاد بحرف الدال مع مرور الأيام. فتبدّلت كلمة (قاضي) وهو اسم القرية، بكلمة (كادي) وذلك لصعوبة نُطق سكان تلك المنطقة بحرف الضاد. ومع توالي الأيام حُرِّفت كلمة (كادي) وأصبحت (قاديان). فهذه الحقيقة وردت في مؤلّف عنوانه (ذكرى رؤساء بنجاب: وتحت كلمة قاديان).

وعليه ففي تلك القرية التي أتيت على ذكرها أعلاه، والتي عادوا يسمّونها باسم (قاديان) وفي الرابع عشر من شوّال عام ١٢٥٠ هجري، الموافق ١٣ شباط عام ١٨٣٥م بالتحديد، وُلد هذا المولود فيها، المولود الذي سجّله والده باسم مركّب هو (غلام أحمد)، وتفاؤلا من جانبه أن يكون هذا المولود خادما مخلصا لمحمّد المصطفى الذي من أسمائه (أحمد). علما بأنّ مسلمي الهند اشتُهروا بوضع الأسماء المركّبة. أضف إلى ذلك أنّ قريته قاديان هذه كانت بعيدة عن العمران وعن الحياة المتحضّرة. لذلك كانت حياة أهلها حياة بدائيّة. ولم يكن في قاديان مدارس ليتعلّم فيها أبناؤها. بسبب أنّ تلك القرية كانت تابعة لحكم قبيلة (السيخ) الهنود الذين كانوا حكّاما لا يعرفون للتّعليم وزنا ولا قيمة. وهذا هو السبب في أنّهم لم يهتمّوا ببناء مدارس في تلك القرية ولا في غيرها من القرى من أجل تعليم أبناء تلك القرى التابعة لحكمهم. ولهذا السبب اندفع الأثرياء من المسلمين من سكّان تلك القرى الذين كانوا تحت حكمهم، فاعتادوا تسخير أساتذة لتعليم أبنائهم وعلى نفقتهم الخاصة كيلا يترعرع أبناؤهم ويظلّوا أمّيين. ففي تلك البيئة التي أعطيت القارئ فكرة موجزة عنها قد وُلد ميرزا غلام أحمد (توأما) مع أخت له توفّاها ربّها بعد أيام من ولادتها وبذلك تحقّق من خلال ولادته توأما ما كان قد ذكره المجدّد محي الدين العربي (رضي) في أوائل مؤلّفه (فصوص الحكم) بأنّ ربّه كان قد أخبره بأنّ مهديّ آخر الزمان يلد توأما. والذي حدث يوم ولادة هذا المولود التوأم أنّ قساوسة التبشير المسيحي الذين أتى

بهم الحكم البريطاني إلى الهند لتصير أهلها قاموا بتأسيس أوّل مركز تبشير مسيحيّ للتبشير بالدين المسيحي في مدينة (لُدهيانه) من مقاطعة بنجاب. وبألفاظ أخرى فإنّ المركز المذكور تأسّس في نفس السنة التي ولد فيها هذا المجدّد الذي كان اللّه تعالى صوّره في رَحم أمّه وأعدّه ليصبح (كاسر الصليب) بمعنى القيام بإبطال عقيدة الصليب بالحجّة والبرهان ويتحقّق على يديه عودة مجد الإسلام من جديد.

ولقد عاش هذا المولود وترعرع في أحضان والديه في حداثة سنّه وهو شاب وفي جوٍّ إسلاميّ محافظ على صلاته وصيامه وتلاوة آيات القرآن الكريم. فكان هذا المولود ينصهر بسبب ذلك في بوتقة الإسلام المحيطة به. وهكذا أمضى هذا المولود سنوات طفولته بعيدا عن أطفال السوء. وانشدّ بالتالي إلى ملازمة المسجد بسبب أنّ والده كان يأخذه برفقته إلى المسجد كلّما راح يؤدّي فيه فريضة صلاته. وعلى هذه الصورة تميّز هذا المولود عن الأطفال الذين كانوا في سنّه من هذه الناحية. كما تميّز بأنّه لم يُذكر أنّه كان يندفع إلى اللّهو مع أقرانه من الأطفال، وليلهو مثلهم. لكنّه اشتُهر عنه أنّه كان يميل إلى السباحة في بُركة كبيرة من الماء في قريته قاديان. كما كان يميل إلى التنزّه مشيا على الأقدام وإلى رُكب الخيل التي كان والده يقتنيها في مزرعته. أي أنّ هذا المولود ظلّ يبدو بحالة وطباع عاديّة جدّا وملازما للمساجد. وما اشتُهر عنه أنّه خاصم طفلا أو عاداه، أو تشاجر معه.

فلمّا تجاوز هذا المولود سنّ السادسة من عمره. خصّص له والده معلّما مسلما اسمه (فضل إلهي) ليقوم بتعليمه اللّغة الفارسيّة إلى جانب تعليمه لغته القوميّة. فدأب هذا المعلّم على تعليمه هاتين اللّغتين عدّة سنوات إلى أن قارب سنّه العاشرة. فخصّص له والده معلّما آخر مسلما اسمه (فضل أحمد) ليعلّمه كلّ ما يختصّ باللّغة العربيّة التي هي لغة القرآن المجيد من مبادئ صرف ونحو وغيرها التي هي

من مستلزماتها. فداوم هذا المعلّم على تعليم هذا الصبيّ اللّغة العربيّة عدّة سنوات إلى بلغ سنّ رشده. فأوكل والده إلى معلّم ثالث مهمّة تلقينه مبادئ علمي الحكمة والمنطق وغيرها من العلوم الرائجة وقتئذ في محيطه. وأخذ والده يلقّنه بنفسه ما تعلّمه من علم طبّ شعبيّ كان رائجا في منطقته. ومن باب أنّ والده كان ماهراً فيعلم الطبّ الشعبيّ. والملفت للنظر هو أنّ أساتذة هذا الصبي كان كلّ واحد منهم ينتمي إلى مذهب إسلاميّ يختلف عن مذهب الآخر. فكان أوّل معلّم سنّياً، والثاني كان وهابياً من أهل الحديث. والثالث الأخير كان شيعيّاً. ومن هنا جاء إطّلاع هذا المولود الشاب على مختلف المذاهب الإسلاميّة.

ومن المناسب أن يعلم القارئ بأنّ عادة الزواج المبكّر كانت غالبة على عقول عائلة هذا الشاب. لذلك فرض والده على ابنه ميرزا غلام أحمد التزوّج بابنة عمّه. فرزقه ربّه منها مولودين ذكرين: الأول سمّاه ميرزا سلطان أحمد ولدته زوجته سنة ١٨٥٣. فكبُر وتعلّم بنفس الأسلوب الذي تعلّم به والده. وتوظّف في دوائر الدولة وتنقّل إلى أعلى الرُتب. أما ابنه الثاني واسمه ميرزا فضل أحمد فقد ولدته أمّه سنة ١٨٥٥ ولم يعش طويلا وقد توفّاه اللّه تعالى في سنّ مبكّرة ومن دون أن يترك بعده أبناء يرثونه.

ومن الملاحظ بصورة عامّة في كلّ مكان في شبه القارة الهندية أنّ الشابّ إذا ما تزوّج. خصوصا حين يكون في سنّ مراهقةٍ. فإنّه يميل للبحث عن قضاء أحلى أيّامه في الترفيه عن نفسه وعن زوجته. لكنّ هذا الشابّ ميرزا غلام أحمد الذي زوّجه أبوه في سنّ مبكّرة وفي سنّ المراهقة. لم تبد عليه تلك العلامة التي ذكرتها والتي تظهر عند أمثاله من الشباب. بل الذي بدا عليه هو أنّه ظلّ يداوم على صلواته في المسجد. وزاد على ذلك أنّه مال إلى كثرة مطالعة القرآن المجيد ومطالعة الكتب الدينيّة التي وقفها أصحابها لذاك المسجد الذي كان يصلّي فيه، ولكن بانهماك شديد في مطالعة تلك الكُتب. وحدث ذات مرّة أنّ وجيها من

وجهاء المنطقة زار والد هذا الشاب زائرا. فطلب من والد هذا الشاب أن يُعرّفه إلى أبنائه. فأخذ الوالد ينادي أبناءه واحدا إثر آخر. فحضروا بين يديه، لكنّ ابنه الشاب الذي نتكلّم عنه كان غائبا في المسجد. فقال والده لزائره وهو خجلان: إنّ ابني البكر قد أصبح في هذه الأيّام (حَلِس المسجد) بمعنى أنّه يلازم المسجد في أكثر أوقاته. وهذا ما يدفعني لأفكّر أحيانا لأن أسعى لتعيينه إماما لنفس المسجد أيضاً. لأني لا أراه يصلح للتوظّف في دوائر الدولة وعلى شاكلة بقية أبنائي. وهذه الحقيقة دفعته ليسأل ابنه الشاب هذا في بعض الأحيان عن سبب انهماكه في مطالعة الكتب في المسجد، وذلك خوفا على صحّته. فلم يكن يسمع من ابنه المذكور إجابة تشفي صدره وليقلّل من تخوّفه عليه. وقد كتب حضرته فيما بعد في مؤلّفاته بأنّه كان في تلك الأيام منهمكا في المطالعة إلى درجة كان يشعر معها وكأنّه لا يقضي حياته في هذه الدنيا من كثرة انهماكه في مطالعة كلّ كتاب يعثر عليه. وهنا قد يتساءل القارئ هو أيضاً عن سرّ انكباب هذا الشاب ميرزا غلام أحمد وانهماكه في مطالعة الكتب إلى الحدّ الذي ذكرناه.

وهنا كان لابدّ لي من أن ألفت ذهن القارئ إلى سنّة اللّه تعالى القديمة في حقّ الذين بعثهم الله تعالى ويبعثهم لإصلاح عباده الضّالين. فهو جلّ شأنه كان إذا شاء أن يبعث عبدا من عباده لإصلاح قوم من الأقوام. فإنّه كان يصنعه على عينه، فإذا اكتمل تأهيله إيّاه بعثه إلى القوم الذي أراد إصلاحه. وهي حقيقة باتت معروفة لدى الباحثين في هذا المجال. وعلى سبيل المثال. فإنّ اللّه تعالى ظلّ يبتلي عبده موسى ويؤهله إلى أن قال له أخيرا، وعلى حسب ما ورد في الآيات ٤٠ -٤٢ من سورة طه: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ

جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ۞ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۞ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾

والمعنى هو أنّ اللّه تعالى راح يمنّ على نبيّه موسى أن أشرف جلّ شأنه من وراء ستار على تربية موسى عليه السلام وتطويره من حال إلى حال، إلى أن أوصله إلى مرتبة النبوّة. وبما أنّ اللّه عز وجلّ كان قد أنبأ عن ظهور هذا المجدّد (ذو القرنين) بأنّه حين يبعثه ربّه (يضع الحرب) بمعنى أنّه عندما تقوم البعثة الثانية للإسلام على يديه، ويبدأ بالدعوة إلى الدين الإسلاميّ الحنيف بالحسنى وبوسيلة الحجّة والبرهان. فقد اقتضى ذلك من جانب اللّه تعالى تأهيل هذا المجدّد للقيام بهذه المهمّة السماويّة الجليلة بأن يلهمه من طرف خفيّ لينهمك في مطالعة جميع ما يصل إليه من علوم بشكلٍ مُلفتٍ للأنظار. وليساعده انهماكه في مطالعته للعلوم التي تعاصره على أداء مهمّته. وبالإضافة إلى ما يتلقّاه هذا المبعوث من علم لدنّي من جانب ربّه عز وجل. فهذه حقيقة تاريخيّة أكّدت مصداقيّتها جميع البعثات السماوية. وإنّ تجارب الإنسان الفرديّة تؤكّد هذه الحقيقة ومعادلتها التي دلّت عليها آيات سورة طه والتي أشرنا إليها. ومن باب أنّ اللّه عز وجلّ هو من وراء كلّ ما يحدث في هذا العالم من أمور تبدو في ظاهرها أنّ وراءها واحد أو أكثر من الناس. على حين أنّ المسبّب الحقيقي لتلك الأحداث يكون هو اللّه جلّ جلاله مسبّب الأسباب. وإنّ تجربتي الشخصيّة تؤكّد لي هذه الحقيقة. فقد نشأت في عائلة محافظة. وكان صدري عامرا بحبّ القرآن الكريم وبحبّ محمّد المصطفى الذي أنزل اللّه العزيز هذا القرآن الذي هو هذا الكتاب المقدّس العظيم على فؤاده. لذلك كنت أشعر في أعماق نفسي أنّ من واجبي أن أُحيط علما بعلوم القرآن المجيد لخدمة هذا القرآن الكريم. لذلك كنت أقوم بشراء كلّ كتاب حديث ينزل إلى الأسواق وذلك بكلّ ما كان يعطيني والدي إياه من مال. فعندما حصلت على الشهادة الثانويّة كانت مكتبتي قد اشتملت على أكثر من ثلاثمائة كتاب. واندفعت بعدها لتحصيل العلم الديني. ولولا تلك الأرضيّة العلميّة ما

كنت لأستطيع كتابة عشرات المؤلّفات في أيّامنا هذه. وأشعر الآن بأنّ اللّه تعالى كان من وراء ما أثمر حبّي الخالص لدينه الحنيف ولرسوله الكريم من ثمار. فهو اللّه الحيّ القيّوم ومسبّب الأسباب.

ولا ينبغي أن يظنّ القارئ بأنّ هذا المجدّد كان في شبابه منكبّا على مطالعة كتب مختلف العلوم التي عاصرته، وبحيث لا يقوم بعمل آخر سواه. كلا، بل إنّه كان يقوم بأعمال جانبيّة غير مطالعة الكتب. إذ أنّ والده كان يكلّفه أحيانا بالقيام بمختلف المهمّات المتعلّقة بأمور ملاحقة دعاوى في المحاكم أو السفر لأداء مهمّات أخرى. فكان يطيع والده وما كان يعص له أمرا، وكان يسارع لتنفيذ ما أمره به والده للقيام به، لكنّه كان إذا ما فرغ من قضاء مهمّته المكلّف بها من جانب والده، يعود للانهماك في مطالعاته في المسجد، ولتدبّر آيات القرآن الكريم فيه أيضاً وليس في مكان آخر سواه. وإنّ ظاهرة تقوى اللّه تعالى وإطاعته لوالديه كانت العامل الأهمّ الذي كان يدفع والدته لتحبّه كثيرا ولتهتمّ به وترعاه بشكل خاص من بين أبنائها. ولذلك كانت تفتخر به على الدوام حين يرد ذكره في مجالسها. وهو بدوره كان يبادلها هذه المحبّة والاحترام. وكان يداوم على طلب الدعاء له منها بإلحاح. وتوفّيت والدته عام ١٨٦٨م الأمر الذي صدمه كثيرا. ويروي لنا كلّ الذين صاحبوه بأنّه كلما ورد ذكر أمّه في مناسبة من المناسبات، تراه وقد سالت دموعه على خدّه بشكل مُلفت للأنظار. وقد روى شيخ يعقوب على عرفاني رحمه اللّه بأنّه كان يسير يوما برفقة بعض زملائه مع هذا المجدّد سيرا على الأقدام في نزهة قصيرة. وكان الطريق يمرّ قريبا من قبر والدته عليه السلام. وإذا بهم يرونه يندفع نحو قبر والدته ويرفع يديه بالدعاء لها فترة طويلة، والدموع ملء عينيه. (مؤلّف حياة أحمد، مجلّد أول).

ثمّ إنّ كلّ قارئ راجع الآيات ٦٢ - ٦٤ من سورة يونس تلك التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.. فإنّ هذا القارئ يوقن بأنّ من العلامات المميّزة التي تميّز المؤمن التقيّ الصادق في إيمانه، عن المنافق الذي يتظاهر بتقوى اللّه تعالى ويخفي في صدره شيئا آخر سواه. أنّ هناك علامة تميّز الواحد عن الآخر وهي أنّ المؤمن التقيّ يتلقّى من جانب ربّه عز وجلّ (**البشرى**). وإنّ كلمة البشرى معرّفة بأداة التّعريف فهي تعني لغةً البشارة؛ وهي الخبر الصادق الذي يناله المؤمن بطريق الرؤيا الصالحة وغيرها ويكون مُفرحا. (محيط المحيط). أي أنّ من علامات الإيمان الصادق أنّ صاحبه يكلّمه ربّه من وراء حجاب في الرؤيا الصادقة وفي حالة الكشف الروحيّ. ويشكّل هذا علامة فارقة تؤكّد بأنّ صاحب تلك الرؤى والكشوف سيفوز في حياته فوزا عظيما، ووفق مُعطيات الآيات سالفة الذكر. فانطلاقا من تلك الحقيقة التي ذكرتها، فإنّ هذا الشاب الذي نتكلّم عنه كان يتلقّى في سني شبابه بشارات عظيمة من جانب ربّه عز وجلّ. قد ثبت من خلالها مدى تقواه وصلاحه ولياقته الروحيّة. وكان من المناسب أن أقدّم للقارئ شيئا من تلك البشائر التي كان هذا الشاب يتلقّاها في صباه. ولكنّ هذا لا يتّسع له هذا المقام. وأكتفي بذكر واحدة من تلك البشائر الهامّة التي تلقّاها وهو شاب، والتي تشير بإصبع من نور إلى ما كان اللّه عز وجلّ قد قدّر أن يُحدثه على يديه. وهي رؤيا هامّة صالحة قد شرّفه بها اللّه عز وجلّ. وقد أوردها المذكور في مؤلّفه (مرآة كمالات الإسلام) وذلك على صفحة ٥٤٨/٥٤٩، فهو كتب يقول هناك بلغة عربيّة فصيحة: (**ورأيت ذات ليلة وأنا غلام حديث السنّ كأنّي في بيت نظيف نظيف يُذكرُ فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. فقلت أيّها الناس أين رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم؟ فأشاروا إلى حُجرة، فدخلت مع الداخلين. فبشَّ في وجهي حين وافيتُه. وحيّاني بأحسن ما حيّيتُه. وما أنسى حُسنه وجماله وملاحه وتحنّنه إلى يومي هذا. شغفني حُبّا وجذبني بوجهه الحسين، قال: ما هذا بيمينك يا أحمد؟ فنظرتُ فإذا كتابٌ بيدي اليمنى وخطر بقلبي**

أنّه من مؤلّفاتي. قلت: يا رسول اللّه هذا كتابٌ من مؤلّفاتي قال: ما اسم كتابك؟فنظرت إلى الكتاب مرّة أخرى وأنا كالمتحيّرين فوجدته كتابا كان في مكتبتي واسمه (قُطبي). قلت: يا رسول اللّه اسمه قُطبي. فلمّا أخذه (ص) ومسّته يدُه، فإذا هو ثمرة لطيفة تسرُّ الناظرين فشقّها كما يُشقّ الثمر. فخرج منها عسلٌ مصفّى كماء معين. ورأيت بلّة العسل على يده اليمنى من البنان إلى المرفق يتقاطر منها، وكأنّه يُريني إيّاه ليجعلني من المتعجّبين. ثمّ أُلقي في قلبي أنّ عند أُسكفة البيت (وهي خشبة توضع عند الباب ليوطأ عليها) ميّتٌ قدّر اللّه إحياءه بهذه الثمرة، وقدّر أن يكون النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم من المُحيين. فبينما أنا في ذلك الخيال فإذا الميّتُ جاءني حيّا وهو يسعى. وقام وراء ظهري وفيه ضعف كأنّه من الجائعين. فنظر النبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم إليّ مبتسما. وجعل الثمرة قطعات، وأكل قطعة منها، وآتاني كلّ ما بقي، والعسلُ يجري من القطع كلّها وقال: يا أحمد أعطه قطعة من هذه ليأكل ويتقوّى. فأعطيتهُ، فأخذ يأكل على مقامه كالحريصين. ثمّ رأيت أنّ كرسي النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قد رُفع حتّى قَرُبَ من السّقف ورأيته فإذا وجهه يتلألأ كأنّ الشمس والقمر ذُرّتا عليه. وكنت أنظر إليه وعبَراتي جارية ذوقا ووجداً ثمّ استيقظت وأنا من الباكين). وقد أضاف حضرته يُفسّر لنا ما فهّمه ربّه من هذه الرؤيا الصالحة وأراه ربّه إيّاه. فقال: (فألقى اللّه في قلبي أنّ الميت هو الإسلام. وسيُحييه اللّه على يديّ بفيوض روحانيّة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. وما يُدريكم لعلّ الوقت قريب. فكونوا من المنتظرين. وفي هذه الرؤيا ربّاني رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بيده وكلامه وأنواره وهديّة ثماره. فأنا تلميذه بلا واسطة بيني وبينه وكذلك شأن المحدّثين).. وعُدنا نُدرك من خلال هذا التفهيم الذي نقله حضرته إلينا بأنّ سنوات عمره المقبلة كانت حبلى بما هو في صالح الإسلام والعالم. ولقد كانت المهمّة السماويّة التي أُسندت إليه من ربّه فيما بعد الخمسين من عمره، وحسبما أثبتّ ذلك في مؤلّف (للإسلام بُعثتان) دليل مصداقيّة ما فهّمه ربّه من الرؤيا التي أوردناها.

ولم يكن هذا الشابّ يتلقّى بشارات إلهيّة من جانب ربّه عز وجلّ من مستوى الرؤيا التي أوردتها وحسب. بل كانت تحدث على يديه بعض العجائب المشهود بها تجاه الذين لازموه. وعلى سبيل المثال، فقد حدث أن كان نائما في الطابق الثاني من بيت استضافه أهله فيه، وكان برفقته ما يقارب خمسة عشر صديقا. وكان سقف البيت من أعمدة خشبيّة. وإذ به يسمع في منتصف اللّيل صوتا من جهة السقف الخشبي أشعره بأنّ سقف الغرفة آيلٌ إلى السقوط. فأيقظ كلّ من كان نائما معه في تلك الغرفة، وأطلعهم على ما سمعه وطلب منهم إخلاء تلك الغرفة. فلم يأخذوا بكلامه ولم يعيروه اهتماما ظنّا منهم أنّه كان صوت فأرة أو غيرها. لكنّه سمع بعد قليل من الوقت نفس الصوت، فأيقظهم من جديد، لكنّهم لم يبالوا برجائه للمرّة الثانية. ومن ثم فقد سمع بعد وقت قليل أيضاً نفس صوت صليل الخشب. فأيقظهم وأخرجهم من الغرفة بشيء من الشدّة. فلمّا أصبحوا جميعهم خارج تلك الغرفة، وبعيدا عنها، لحق هو بهم أيضاً، وإذ بسقف الغرفة ينهار، أي أنّه بقي إلى آخر رجل يخرج من الغرفة بداعي أنّه كان يشعر بأنّه كان في حفاظ ربّه جلّ شأنه، وكان معتقدا بأنّ القدرة الإلهيّة ستؤجّل سقوط السقف إلى أن يخرج هو من تلك الغرفة. ونجىّ اللّه تعالى ببركته من الهلاك المحقّق كلّ من كان معه من أصحابه. (كتاب سيرة المهدي). وكان أصحابه يروون تلك القصّة فيما بعد فيما بينهم بكلّ فخر من أنّ اللّه عز وجلّ أنقذهم من موت محقّق بفضل صحبتهم لذاك الشاب الذي خصّصنا مؤلّفنا هذا لكتابة سيرته.

والحقّ أنّ والد هذا الشاب كان يحاول المستحيل ليحوّل ابنه هذا عن مساره الحياتيّ الذي ذكرناه. فسعى لتوظيفه في وظائف لها قيمتها. ونجح ذات مرّة أيضاً في محاولاته تلك. لكنّ هذا الشاب استقال من نفسه وعاود سيرته الأولى وهي ملازمة المسجد والانهماك في المطالعة وأداء فرائضه الدينيّة، والمواظبة عليها. حتّى

أنّ والده قد تلقّى في يوم من الأيام عرضا سخيًا من جانب رئاسة مقاطعة سيالكوت لتعيين هذا الشاب مدير تعليم فيها. فلمّا فاتح الوالد ابنه المذكور بهذا العرض المشار إليه. أجابه بكلّ بساطة: لا أميل يا والدي إلى التوظّف، ويكفيني ثوبان وقليلا من الطعام ليتغذى به جسدي، لإطالة حياتي. ولمّا كان والده في تلك الأيام قد طرأت عليه بعض التحوّلات التي جعلته يتيقّن بأن لا قيمة لهذه الحياة. فإنّه ترك ابنه الشاب وشأنه. ولقد روى والده ما حدث وما سمعه من ابنه لصديق له اسمه غلام نبي وهو يقول له: إنني مسرور ممّا انتهجه ابني هذا في حياته. وإذا شئنا معرفة الحقيقة، فإنّ طريق الحياة الصحيح هو الطريق الذي اختطّه ابني لحياته ويسير عليه في هذه الأيّام.

ومن المعلوم أنّ هذا الشابَ ميرزا غلام أحمد كان قد وقع تحت تأثير مضمون الحديث القدسي القائل: بأنّ هناك سبعة يُظلّهم اللّه تعالى يوم لا ظلّ إلا ظلّه ومنهم شابٌّ نشأ على طاعة اللّه عز وجل. ولقد كان صلاح هذا الشاب وتقواه وما كان يتلقّاه من بشارات ربّه تعالى وما كان يحدث على يديه من خوارق غير عاديّة. فإنّ جميع هذه الأمور وسّعت من دائرة معارفه. وعاد كلّ الذين حوله يُنظرون إليه على أنّه عالمٌ دينيٌّ أيضاً. وفي تلك السنوات وبسبب التبادل التجاري الذي كان دائرا ما بين شبه جزيرة العرب، وما بين شبه القارة الهنديّة. فقد أخذ المذهب الوهّابي يمتدُّ بأفكاره التّقليديّة الجافّة البعيدة عن الروحانيّة إلى الهند وأصبح للمذهب الوهابي أتباع في الهند وخاصّة في منطقة البنجاب. وفي وقت لقي فيها من أهل تلك المنطقة معارضة شديدة. وخلال عام ١٨٦٨م أنهى شاب واسمه محمد حسين البطالوي على أيدي أحد كبار علماء الهند تحصيله الدينيّ. وعاد هذا العالم من هناك إلى بلدته (بطاله)، وهناك ترأس أتباع المذهب الوهابي الذين كان يناديهم أهل تلك المنطقة (أهل الحديث). لتركيز هؤلاء على الموروث من

الأحاديث الواردة في كتب الأحاديث المعروفة. وأسّس هذا العالم المذكور هناك مجلَة أيضاً باسم (مجلَة أهل الحديث).

وحدث في تلك الأيام أنّ الشاب ميرزا غلام أحمد سافر مع والده إلى مدينة (بطالة) لأمر ما. وهناك التقى به شخص أصرّ عليه أن يدخل في مناظرة مع الشيخ (محمّد حسين البطالوي) لإفحامه. وانتشر الخبر بين الناس وحلّ الوقت المعلوم. وحضر غلام أحمد في مواجهة الشيخ البطالوي لتبدأ المناظرة. فاستفسر غلام أحمد من الشيخ البطالوي عن مُعتقده؟ فأجاب الشيخ المذكور: بأنّ القرآن المجيد مقدّم على كلّ شيء. وتأتي بعده في المرتبة أقوال محمّد رسول اللّه (ص). وفي رأيي إنّ أقوال أيّ إنسان كان لا يُعتبر حجّة في مقابل القرآن والحديث. وهنا سارع ميرزا غلام أحمد وقال: إنّ معتقدك هذا معقول ولا اعتراض لي عليه. وعليه فلا ضرورة لإجراء مناظرة فيما بيننا. وما أن نطق هذا الشابّ ميرزا غلام أحمد بهذه الألفاظ، إلا وضجّ الحاضرون الذين كانوا يرجون أن يقوم هذا الشاب بمناظرة مع هذا الشيخ الوهابي وإبطال عقيدته. وبلا أي تروٍّ في الموضوع. وأخذت الصيحات تتعالى من هنا وهناك بأنّ هذا الشاب هُزم. وتقدّم منه الشخص الذي كان قد أصرّ عليه ليناظر الشيخ البطالوي، وقال له لقد سوّدت وجوهنا وخلافا لأملنا بك. لكنّ الشاب غلام أحمد لم يفقد وقاره، ولم يتأثر بما حدث ضدّه. ليقينه بأنّه أبطل تلك المناظرة لوجه اللّه تعالى، وليس خوفا من موضوع المناظرة نفسها. وكيف يُناظر الذي يعتقد نفس ما كان هو يعتقده في هذا المجال. وقد تلقّى في تلك اللّيلة بالذات بشارة من ربّه عز وجلّ. حيث كتب حضرته في مؤلّفه (لُجّة النور) ص ٢ بشأنها يقول: **(إنّي رأيت، في مبشّرة أُريتها، رأيت جماعة من المؤمنين المخلصين والملوك العادلين الصالحين. بعضهم من هذا المُلك الهند، وبعضهم من العرب، وبعضهم من فارس، وبعضهم من بلاد الشام، وبعضهم من أرض الروم، وبعضهم من بلاد لا أعرفها. ثمّ قيل لي من حضرة الغيب: إنّ هؤلاء يصدّقونك ويؤمنون بك ويصلّون عليك**

ويدعون لك وأعطيك وأباركك حتّى يتبرّك الملوك بثيابك وأدخلهم في المُخلَصين. فهذا رأيته في المنام، وألهمته من اللّه العلاّم). فهذه بشارة تلقّاها هذا الشاب غلام أحمد وهو في ريعان عمره، يوم كان لا يعرف هو نفسه بأنّ ربّه سيبعثه مجدّدا لهذه الأمة ومصداقا للنبوءات الأربعة التي أوردتها في مؤلّف (للإسلام بعثتان). وقد أوتي هذه البشارة السماويّة لكونه وقف موقفا مشرّفا من ذاك الشيخ، وغير محاول أن يُظهر نفسه كعالم في مقابله لا يُشقُّ له غُبار. وحافظا لمحمّد رسول اللّه (ص) كرامته الذي قال بشأن مثل تلك المواقف (اختلاف أمّتي رحمة). فميرزا غلام أحمد ما أراد أن يدخل في مناظرة اختلاف فرعيٍّ تزيد الأمّة فُرقةً وتباعُدا.

وبعد تلك الحادثة أخذ هذا الشاب غلام أحمد تتوالى عليه رؤية الرؤى الصالحة والكشوف الروحيّة بشكلٍ متميّز. وأصبح مستجاب الدعاء بشهادات كثير من أصحابه المسلمين وغير المسلمين من الهنود الآريين.

وعندما قلت بأنّ أدعيته أصبحت مُستجابة بحقّ غير المسلمين أيضاً. فقد اعتمدت في قولي هذا على حوادث محدّدة، وبشهادات أناس غير مسلمين. ففي عام ١٨٨١م على سبيل المثال، فقد حدث أن هندوسيّا من سكان منطقة موطن الشاب غلام أحمد قد ابتلي بمرض السلّ، وكان من معارفه. وعولج هذا الهندوسيّ كثيرا لكنّه وصل إلى حالة اليأس منها. فحضر إلى مجلس الشاب غلام أحمد وأخذ يجهش بالبكاء إلى درجة أحرجته، ورقَ لها قلبه. فتوجّه إلى الدعاء والتضرّع على أعتاب ربّه عز وجلّ ليكشف له ما قدّره بحقّ هذا الهندوسي. فتلقّى إلهاما عجيبا وهو ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً﴾. فأطلع هذا الشاب ذاك الهندوسيّ على ما تلقّاه من إلهام بحقّه، وبشّره بأنّ اللّه عز وجلّ سيشفيه من مرضه الذي يئس منه شفائه. وذاع خبر هذا الإلهام بين كثير من الآريين الذين كانوا من سكّان تلك المنطقة، وهم يبدون أقصى علامات التعجّب وعدم الاطمئنان إلى مضمون هذا الإلهام. حتى أنّ الذين كانوا يُعالجون ذاك الهندوسيّ،

سخروا منه هم أيضاً. لكنّه لم يمض على الحادث أسبوع من الزمان، إلا وظهرت علامات شفاء هذا الهندوسي من مرض السلّ الذي يئسوا من شفائه منه. ومن ثمّ شُفي تماما منه. وقد تأثّر الهندوسيّ من ذلك إلى درجة أنّه أرسل وراء أبنائه ليقيموا في قرية قاديان بجوار هذا الشاب للتبرّك به. لكنّ اللّه تعالى لم يشرّفه لسوء حظّه، بقبول الدين الإسلامي الحنيف.

وفي عام ١٨٧٢م تراءى للشاب غلام أحمد (بابا نانك) في منامه. وكان هذا المذكور هو مؤسّس الطائفة المعروفة بطائفة السيخ. أقول تراءى له في منامه، وأظهر له بأنّه كان مسلما، وليس كما يظنّ أعضاء طائفته. فأدهشه ما شاهده في منامه، وقرّر التحقيق في مدى مصداقيّة ذلك. فأرسل من طرفه أحد أصحابه إلى معبد السيخ المدفون فيه مؤسّس طائفتهم. وهو معبد يقدّسونه لتقديسهم المدفون فيه. والموضوع فيه لباس مؤسّس طائفة السيخ نفسه الذي كان يلبسه في المناسبات، وكان موضوعا ضمن عُلبة مُغلقة بمفتاح لا تفتح لأحد من الناس إلاّ من جانب حارس المعبد. فأغوى هذا المبعوث حارس المعبد ليفتح له العلبة ولتصوير ما فيها من لباس بمبلغ معقول. وإذ بالحارس يقبل ويفتح له الصندوق، ويُخرج له عباءة (بابا نانك) فصوّرها شاكرا له معروفه. فلما حمّضوا تلك الصورة تبيّن له أنّ تلك العباءة كان منقوشا عليها سورة الفاتحة وبعضا من آي الذكر الحكيم. الأمر الذي دلّ على مصداقيّة رؤيا الشاب غلام أحمد. وقد ذكر حضرته هذه الحادثة فيما بعد في مؤلّفاته وأدرج تلك الصورة أيضاً. وداعيا طائفة السيخ لقبول الإسلام إن كانوا يحترمون مؤسّس طائفتهم. لكنّ زعماء طائفة السيخ وقفوا من الإسلام، بدلا عن الإيمان به، موقف العداء. ولم يستجيبوا بشيء من التحقيق فيما أعلنه لهم هذا الشاب غلام أحمد.

وفي عام ١٨٧٥م تراءى المجدّد المرحوم عبد القادر الجيلاني لهذا الشاب في منامه هو أيضاً. وحاوره، وأخبره عن وجود تجانسٍ بين فطرة كلٌ واحد منهما.

علما بأنّ المرحوم عبد القادر الجيلاني كان من أعاظم المجدّدين في الأمّة الإسلاميّة. ومن ثمّ ازداد تواتر الرؤى الصالحة والكشوف عليه. حتّى أنّ بعض الرجال الصوفيين توالت عليهم رؤى مبشّرة بحق الشاب غلام أحمد. ومنهم الشيخ عبد الله غزنوي الذي أنبأ من كان حوله من تلاميذه، وقبل وفاته بعدّة أيّام. أي في شباط من عام ١٨٨١م بأنّه (رأى في حالة الكشف في يقظته بأنّ نورا نزل من السماء وحلّ في قرية قاديان، وللأسف فإنّ أولادي سيُحرمون من بركاته) راجع حيات النبي المجلّد الأول صفحة ٨٠. ولقد تحقّق هذا الكشف الروحاني، من حيث أنّ أولاد الغزنوي حُرموا فيما بعد من مبايعة هذا المجدّد ميرزا غلام أحمد الذي بعثه الله عز وجلّ في قرية قاديان والذي تلقّى نور التجلّي الإلهي النازل من السماء للبدء بالبعثة الثانية للإسلام.

ومن المناسب هنا أن أنقل للقارئ نبأ وفاة والد الشاب غلام أحمد في تلك السنوات التي كثُر فيها تلقّيه البشائر الإلهيّة من مختلف أنواعها. فالذي حدث أنّ هذا الشاب كان في مدينة لاهور يُلاحق دعوى قضائيّة كلّفه والده بمتابعتها. وكان ذلك في حزيران عام ١٨٧٦م. وإذ به يرى رؤيا قيل له فيها بأنّ وفاة والده أمست قريبة. فعاد إلى قريته قاديان في اليوم التالي، فوجد أنّ أباه مريض جدّا. فلما شاهده والده خفّف عنه صدمة تلك المفاجأة. وطلب منه أن يذهب فيرتاح من عناء السفر. فاستجاب الابن لطلب والده. وحين اضطجع لينام، تملّكته سنة من النوم وأُلهِمَ خلالها (**والسماء والطارق**) وفهم من هذا الإلهام بأنّ والده سيتوفّاه ربّه عز وجلّ مساء عند غياب الشمس. وأنّ هذا الإلهام يحمل إليه التعازي من جانب ربّه رحمة به بسبب إعزازه إياه. وفي الحقيقة ما إن حلّ المساء إلا وانتقل والده إلى بارئه. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي اليوم الثاني وبعد أن تمّ دفن والده في مقبرة العائلة، تملّك هذا الشاب إحساس بأنّه فقد من كان يُعيله وكان يرأف بحاله في كلّ ما كان هو بحاجة إليه. وكان هذا الإحساس من جانبه إحساسا طبيعيّا

يُحسّ به كلّ إنسان كان عبئا على والده. وفي إحدى ساعات النهار إذ بهذا الشاب يتلقى إلهاما هدأ من روعه ونصّه (**أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟**). ولقد كتب حضرته في مؤلّفه (كتاب البريّة) صفحة ١٦٢ يصف حالة السكون والاطمئنان التي تملّكته بعد تلقّيه ألفاظ الإلهام المذكور. وكيف أنّه أيقن بعد ذلك بأنّ ربّه الذي يكشف وجهه عليه، قد وعده بأن يكون هو جلّ شأنه كفيله الحقيقيّ. وهذا اليقين دفعه ليرسل إلى مدينة (أمرتسر) شخصا ليصنع له خاتما كُتبت عليه نفس ألفاظ الإلهام المذكور الذي تلقّاه بعد وفاة والده وهو (**أليس اللّه بكاف عبده**). وإنّ خاتمه المشار إليه ما يزال يتوارثه خلفاؤه من بعده ويُحلّون به أصابعهم، زينةً وتبرّكا. وبعد وفاة والده تسلّم أخوه الأكبر ميرزا غلام قادر زمام أمور العائلة ولإدارة أملاكها من بعد وفاة والديهما فلم يعترض هذا الشاب على أخيه، ولا طالبه بحصّته في الميراث. وأخذ يُطيع هذا الأخ الأكبر بمثل إطاعته لوالده.

والمهمّ في الأمر هو أن ميرزا غلام أحمد كان متميّزا في حداثة سنّه بالهدوء وعدم مشابهته أقرانه من الأطفال الذين كانوا في سنّه في تصرّفاته وسلوكه اليوميّ. كما كان متميّزا في سني شبابه. فكان مسلما مخلصا لدينه الإسلامي الحنيف. وقائما بأداء فرائضه الدينيّة حقّ قيامها. إلى جانب أنّه كان يتلقّى بشارات من جانب ربّه عز وجلّ، وتظهر على يديه أمور كانت تجذب إليه كلّ من يحيط بها علما. إلى جانب أنّه كان مستجاب الدعاء في نظر مسلمي منطقته وفي نظر غير المسلمين من سكان منطقته. وبسبب أنّهم كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم لحلّ بعض مشاكلهم. فكان يدعو لهم بين يدي ربّه جلّ شأنه، ولا يردّ ربُّه له طلبا. وكان من الوجهة العلميّة قد قطع شوطا بعيدا في موضوع تملّكه من جميع ما عرفه زمانه من علوم. حتّى أنّه كان يكتب مقالات في الصحف والمجلاّت، مُلفتة لأنظار الباحثين والمفكّرين. من حيث أنّ كتاباته اتّصفت بصفة

علميّة بعيدة عن أسلوب التقليد الغالب على عقول المتديّنين وقتئذ. وكانت تغلب في كتاباته مصطلحات علم الحكمة والمنطق التي تعلّمها وطالعها على أيدي أستاذه الذي أوكل والده إليه تدريسه إيّاها. فكان هذا هو حال ميرزا غلام أحمد الذي ظلّ عليه منذ ولادته وإلى سنة تأليفه مؤلّفه المشهور (البراهين الأحمديّة على حقيقة كتاب اللّه القرآن والنبوّة المحمّديّة) وذلك عام ١٨٨٠ميلادي. وللتّعرّف على مضامين مقالاته التي كان يكتبها قبل التاريخ المذكور، كان من المناسب أن أضع القارئ في الجوّ الفكري والعقائدي الذي كان سائدا في شبه القارّة الهنديّة في تلك الأيّام التي بلغ غلام أحمد فيها رُشده، وتمكّن من فهم مُعطيات ما كان يؤدّيه يوميا من فرائض دينه الإسلام، ووفق ما وصل إليه مستواه العلميّ. فلقد سبق لي أن قلت بأنّ شبه القارة الهنديّة كانت تجمع أتباعا لجميع الديانات السماويّة من بوذيّة إلى هندوكيّة إلى كونفوشيوسيّة إلى مسيحيّة كانت مدعومة من الحكم الاستعماري البريطانيّ وبأعداد كبيرة من القساوسة والمبشّرين. وقد اشتهر من بين طوائف الهنود تنظيمان بأسماء (آريه سماج) و(برهمو سماج).

هذا بالإضافة إلى وجود طائفة (السيخ) المعروفة بإرسال كلّ فرد من أعضائها لحاهم ومعتقدين بأنّه لا يجوز قصّ أشعارها. إلى جانب وجود طائفة المسلمين التي كان ينتمي إليها غلام أحمد. والتي كانت تشكّل أقليةً في الهند. هذا وإنّ دخول الإرساليّات المسيحيّة ساحة التبشير بالمسيحيّة في الهند بقصد تنصير الهنود بجميع طوائفهم التي ذكرناها، كان قد أحدث ردّة فعل قد تجلّت لدى جميع طوائف سكّان الهند. إذ انبرى علماء كلّ طائفة للدفاع عن مصداقيّة عقائد طائفته. ليصون أفرادها من أن يصبحوا مسيحيين. لكنّ الشاب ميرزا غلام أحمد لم يكتف بالدفاع عن مصداقيّة عقائد دينه الإسلام الحنيف. بل وتصدّى للإرساليّات المسيحيّة أيضاً يناظر رجالاتها، ويثبت بُطلان ما كانوا

ينشرونه هناك من عقائد، وذلك بسلاح العقل والمنطق والحجج والبراهين الساطعة. وكان في الوقت نفسه يكتب مقالات في الصحف المشهورة والمجلات المعروفة في تلك الأيام. فكان يُثبت من خلالها ما أراد إثباته. فمن هنا اشتَهر هذا الشاب غلام أحمد في جميع أرجاء الهند بسلامة منطقه وقوّة حجّته وبرهانه في جميع المجالات التي تناولها بالبحث والنقد والتجريح. وكان ممّا امتاز به هذا الشابَ إلى جانب ذلك كلّه أنّ قلمه كان يعصر حبًا جمًا للّه ربّه الأحد الواحد الصمد الذي أطلعته عليه تعاليم القرآن المجيد. إلى جانب أنّ قلمه كان يعصر حبًا وولها بمحمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم، وبالقرآن الكريم الذي أنزله ربّه عليه. فكان يدافع عن محمد رسول اللّه وعن القرآن الكريم المُنزل عليه كدفاع العاشق الولهان. وإنّ هذه الحقيقة قد تجلّت فيما كان يكتبه بصورة خاصّة من أشعار وردت بلغات ثلاثة هي الأرديّة والفارسيّة والعربيّة. وقد جُمعت أشعاره في كتاب مستقلّ من قِبل أتباعه أيضاً. هذا بالرغم من أنّ هذا الشاب لم يكن في الأصل شاعرا.

فإلى هنا أكون قد أعطيت القارئ فكرة عامّة غير مطوّلة عن هذا المجدّد حين كان طفلا وحين صار شابا، وعن كيفيّة تعامله مع أهله، ومع معتقدات الطوائف التي كانت تعاصره. وكيف أنّ هذا المجدّد المسلم كان يتلقّى بشارات سماويّة تراوحت ما بين رؤى صالحة كان يراها في منامه. وما بين كشوف روحيّة كانت تعرض له في يقظته. وما بين إلهامات لفظيّة كان يُلهمه إياها ربّه جلّ شأنه، ويُعلنها على الملأ لتكون دليل مصداقيّة ما بشّر به القرآن الكريم أتباعه. وما بين أدعية مستجابة في مختلف المجالات. فكان يحدث معه هذا كلّه على شاكلة ما كان يتلقّاه المجدّدون المسلمون من قبله. أولئك الذين كان اللّه تعالى يبعثهم على رأس كلّ مائة سنة من بعد البعثة المحمّديّة وذلك لتقويم ما اعوجّ من المفاهيم الإسلاميّة، ولإعطاء العقائد والمفاهيم الإسلاميّة وجه الجدّة، وتخليصها

ممّا أتى عليها من انحرافات. والسعي لربط المسلمين المتّقين بربّهم من خلال اعتقادهم باستمرار نزول الوحي الإلهيّ بأنواعه الثلاثة. وهو الموضوع الذي شرحته الآية ٥١ من سورة الشورى، والتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.. فمضمون هذه الآية الكريمة لم يربط الوحي السماوي بالنبوّة. لكنّه ربطه بالبشر ووجوده على سطح هذا الكوكب الأرضي. بمعنى أنّ المؤمن المتّقي الذي يتقرّب من ربّه عز وجلّ يتلقّى بشائر بطرقٍ ثلاثة أوّلها تلقّيه الوحي وهو الإشارة السريعة المباشرة ذات المعاني. وثانيها مشاهدته رؤى صالحة في منامه، وهو المقصود من قوله تعالى من وراء حجاب. والثالث نزول ملاك لتوصيل كلام الله إلى هذا العبد المؤمن التقيّ. وهذا كلّه يعني بألفاظ أخرى باستمرار نزول الوحي غير التشريعيّ بعد إنزال القرآن الكريم على المؤمنين المتّقين من أمّة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أولئك الذين يعملون الصالحات ولا يُشركون بربّهم أحدا.

الفصل الثاني
مؤلّفه الشهير (البراهين الأحمديّة)

وعندما نتكلّم عن المؤلّف المشهور الذي كان قد أصدره ميرزا غلام أحمد عام ١٨٨٠م وبعنوان (البراهين الأحمديّة على حقيقة كتاب اللّه القرآن والنبوّة المحمّديّة). ينبغي أن نُدرك أولاً الدافع الحقيقي الذي دفع ميرزا غلام أحمد لكتابة هذا الكتاب المذكور. والسبب في إعراضه عن كتابة المقالات في الصحف والمجلاّت الرائجة في ذاك التاريخ. فالذي تبيّن من جانبه بشأن هذا السبب الذي دفعه إلى ما ذكرناه، هو أنّ حضرته كان قد لاحظ بأنّ مدى تأثير تلك المقالات كان محدودا بالتأثير الوقتي الذي كانت تُحدثه بين قرّائها. ويزول ذاك التأثير بزوال ذاك العدد المنشور فيه مقاله. إلى جانب أنّ تلك المقالات كانت لا تفي بالمقصود منها. بسبب عدم إمكانية التوسّع في تقديم الأدلة الضرورية هناك. ولمّا كان حضرته لا يهدأ له بال من كثرة ما كانت المراكز التبشيرية المسيحيّة تهاجم الإسلام ليل نهار. فقد مال إلى كتابةكتاب مستقلٍ يدافع فيه عن القرآن الكريم. ويثبت فيه صدق نبوّة محمّد خاتم النبيين (ص). وليصل هذا الكتاب بالتالي إلى أيدي أكبر عدد من المفكّرين. وليصبح هذا الكتاب بين يدي كلّ مسلمٍ الدرع العلميّ الواقي الذي يصونه من التأثّر بما كان المبشّرون المسيحيون يبثّونه في كلّ ما يطالعه من سموم ومغالطات خصوصا وأنّ عدد المثقّفين الهنود في تلك الفترة الزمنيّة كان قليلا، وكان المثقّفون متأثّرين بالثقافة الغربيّة التي تلقّوا علومهم في بلدانها. أضف إلى ذلك أنّ التراث الذي كان بين أيدي أفراد الطائفة المسلمة ما كان يفي في عمليّة صيانة أولئك المثقّفين من تلك الآثار التي كان المثقّفون يواجهونها. وأنقل للقارئ هذا التبرير بقلم ميرزا غلام أحمد نفسه الوارد في مقدّمة كتابه المذكور. فهو قال بلسان عربيٍّ فصيح (أمّـا

بعد من الواضح لطلّاب الحقيقة أنني قصدت من تأليف هذا الكتاب والذي أسميته –البراهين الأحمديّة– التي تُثبتُ صدق كتاب اللّه القرآن، وصدق النبوّة المحمّديّة. هذا الكتاب المشتمل على دلائل صدق الإسلام، وعلى براهين أحقّية القرآن المجيد، وعلى دلائل صدق نبوّة حضرة خاتم الأنبياء (ص) وبوضوح تام. وقد أوردت في هذا الكتاب جميع ما يُفحمُ ويُلزمُ كلّ مُنكرٍ لهذا النبيّ المختار، وهذا الكتاب المقدّس، وهذا الدين المتين، وبأدلّة كاملة، وبالطريق المعقول ممّا لا يُبقي للأعداء بعد يومنا هذا آيّة حيلة وأداة للتصدّي لهذا الدين الإسلاميّ الحنيف)..

ولم يكتف حضرته بهذا التّعليل آنف الذكر. بل وأعلن بعده عن جائزة عشرة آلاف روبّية لكلّ من يُشارك في تقديم أدلّةٍ من كتابه الذي يقدّسه تنقض ما قدّمه حضرته في هذا الكتاب من أدلّةٍ قاطعةٍ تثبت حقّانيّة الفرقان المجيد. فإن عجز عن ذلك فليُقرّ كتابيًا بإقراره بفوز دلائل حضرته القاطعة وقد أحال الفصل في هذا الأمر إلى لجنة مؤلّفة من ثلاثة أعضاء ومقبولة.

وقد كتب مقدّمة لكتابه المذكور قال حضرته في آخر صفحاتها: **(وفي الحقيقة ما دمنا بحاجة للحصول على نجاتنا الأخرويّة إلى عقائد تَثبُت حقيقتُها بالدلائل العقليّة. فيواجهنا هنا سؤال وهو: كيف نُحيط علما بالعقائد الصحيحة، وبآيّة وسيلة كاملة يقينيّة وسهلة نتمكّن من استنباط جميع العقائد وأدلّتها، تلك التي توصلنا إلى مرتبة حقّ اليقين؟ أقول في الإجابة على هذا السؤال: إنّ الوسيلة الكاملة اليقينيّة والسهلة والتي تُغنينا عن المشقّة، وتدفع عنّا الشكوك والشبهات والأخطاء والسهو، فهو القرآن الشريف الذي نحصل عن طريقه على الأصول الصحيحة وأدلّتها العقليّة، وبيقين كاملٍ من العلم. فإن حذفناه من معادلتنا فلا نعثر على آيّة وسيلة أخرى ولا على أيّ كتاب يحقّق لنا هذا اليقين الكامل)..**

ولقد تسبّب هذا الإعلان الذي أعلنه ميرزا غلام أحمد بشأن حقيقة كتابه (البراهين الأحمديّة) في مقدّمة كتابه ضجّةً كبرى بين علماء مختلف الأديان

الموجودة في الهند. فأعلنوا بأنّهم سيردّون على كتابه المذكور. فلمّا وصله إعلانهم، أعلن في الصحف فورا قائلا: **(أقسم عليكم جميعكم ألا تبطئوا في مواجهة كتابي هذا، وأنتم تمثّلون حكمة أفلاطون وفكر أرسطو. وادعوا آلهتكم المصطنعة لمساعدتكم، ولتنظروا لمن تكون الغلبة: الآلهتكم المصطنعة، أم تكون الغلبة لإلهنا الحيّ القيوم!)**. ولكنّ أحدا من أتباع الديانات في الهند لم يتجرّأ على أن يردّ على كتاب (البراهين الأحمديّة)، اللّهمّ إلا شخص اسمه (ليكهرام) وكان من أتباع (آرية سماج) وكان في مدينة (بشاور) فقد نشر كتيّبا باسم (تكذيب البراهين الأحمديّة). وقد ملأه بالسباب والشتائم وأنواع السخرية ليس إلاّ، ومن دون أن يردّ على المضامين التي تضمّنها كتاب البراهين الأحمديّة ولو بدليل واحد. فسخر من ردّه عدد من المفكّرين. وكتبوا مقالات في هذا المجال. بل وعلى العكس من موقف هذا الذي ذكرناه. فلقد قام رجالات بارزون من رجالات الفكر في المجتمع الهندي فنشروا مقالات في مدح كتاب البراهين الأحمديّة، ومعتبرين إيّاه نعمة إلهيّة غير مرتقبة. فمن تلك الشخصيّات الفكرية الشيخ العالم (محمّد حسين البطالوي) الذي كتب في مجلّته (إشاعة السنّة، المجلّد السابع العدد السادس صفحة ١٦٩) يقول فيه: **(في رأيي الشخصي إنّ هذا الكتاب، وبالنظر لأحوال زماننا لم يؤلّف أحدٌ مثله إلى يومنا هذا، وأما بالنسبة للمستقبل، لعلّ اللّه يُحدث بعد ذلك أمرا. هذا وإنه قد ثبت بأنّ مؤلّف هذا الكتاب لم يظهر مثيله في تاريخ الإسلام في مجال نصرة الإسلام والتضحية في سبيله بالمال والقلم واللسان. فإن حمل أحد من الناس ثناءنا هذا على الكتاب المذكور على أنه من قبيل المبالغات الآسيويّة. فليتفضّل ويدلّنا على كتاب مثيل قد قام يردّ على جميع عقائد مختلف الديانات وخاصّة منها (آرية سماج وبرهمو سماج) وغيرهم..)**..

(مجلّة إشاعة السنّة المجلّد السابع العدد السادس صفحة ١٦٩ - ١٧٠).

وكان من مشاهير الصوفيّين الذين كان لهم أتباع في كلّ مكان ويعدّون عشرات الألوف، ومنتشرون في جميع أنحاء الهند، وهو الحاج أحمد جان، فهو

مدح كتاب (البراهين الأحمديّة) أيضاً. وأقتبس للقارئ بعض ما كتبه بحقّه، قال: **(إنّ حجّة الإسلام حضرة ميرزا غلام أحمد دام فيضه وبركاته، وهو رئيس أعظم قرية قاديان ضلع كورداسبور بنجاب، كتب كتاب (البراهين الأحمديّة) بلغة أرديّة سلسة وبخط جميل... وإنّ هذا الكتاب قد اشتمل على ثلاثمائة دليل عقلي ونقلي، يثبت فيه حقّانية دين الإسلام وحقانيّة نبوة محمّد (ص) وحقانيّة القرآن الشريف. وقد ردّ على عقائد المسيحيّة، والآريّة، والإلحاد، والهندوسيّة، والبرهمو سماج وغيرهم من المذاهب الدينيّة المناهضين للإسلام، وبأدلّة قائمة على تحقيق علميّ. وقد أعلن حضرته عن جائزة عشرة آلاف روبيّة لكلّ من ينقض هذه الدلائل أو نصفها أو خمسها... هذا وإنّ هذا القرن الرابع عشر الذي نشأ فيه سيل عظيم من المتمرّدين على الدّين من أتباع كلّ دين، فقد عاد بحاجة إلى مثل كتاب (البراهين الأحمديّة) وبحاجة إلى هذا المجدّد كاتبه، دامت فيوضه، والذي يتصدّى لأعداء الإسلام بالحجّة والبرهان...)**. راجع تأثّرات قاديان للملك فضل حسين صفحة ٦٤ -٦٨) ومن ثمّ فقد توجّه هذا الرجل الصوفيّ الكبير نحو كاتب البراهين الأحمديّة يخاطبه ببيت من شعر معناه إنّ مهمّتنا معالجة المرضى، ولكن أملنا أن تكونوا أنتم المسيح المنتظر ودأب هذا الشيخ الصوفيّ على مخاطبة كلّ زائر يزوره على القول: **(إنّ الشمس بدأت في الشروق، فلم تعُد هناك من حاجة للنجوم، فاذهبوا وبايعوا هذا الكاتب)**.

ومن الشخصيّات الدينيّة المفكّرة الذين مدحوا البراهين الأحمديّة مدير تحرير صحيفة (منشور محمّدي) العالم محمّد شريف البنكلوري. فهو كتب مقالا بعنوان **(جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا) قال فيه: (كان أملنا منذ مدّة من الزمان أن ينهض عالم من علماء الإسلام ليقوم بتأييد الدين وحمايته وذلك من خلال مؤلّف يكتبه ويتناسب مع تطورات أحوال زماننا. وأن يتضمّن براهين عقليّة ونقليّة تثبت مصداقيّة كلام الله عز وجلّ، وصدق نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. ونشكر الله تعالى على ما حقّق لنا من أملنا المشار إليه)**-(منشور محمّدي بنكلور ٢٥ رجب المرجّب عام

١٣٠٠ هجري -). وبعد عدّة أشهر عاد هو نفسه فكتب للمرّة الثانية: **(مع أنّ المديح الذي يستحقّه كتاب البراهين الأحمديّة هو خارج عن حدود استطاعتنا. فالحقّ يُقال بأنّ إقامة الحجّة على أعداء الإسلام مما تضمّنه هذا الكتاب من تحقيق وتدقيق، هو غنيٌّ عن الوصف والتعريف... لكننا لا نتردّد في القول بأنّه كتاب متميّز بدلائله الحقّانيّة القاطعة، وبما أعلنه فيه من إلهامات وكشوف في وجه أعداء الإسلام. فإن شكّ أحد فيها، فباستطاعته أن يصاحب مؤلّف هذا الكتاب ليستفيض هو بنفسه منه وليصل إلى عين اليقين... فهو كتابٌ منقطع النظير من حيث إثباته صدق الإسلام وصدق القرآن وصدق النبوّة المحمّدية... فهو كتاب بالرغم من إعلان كاتبه عن جائزة قدرها عشرة آلاف روبيّة كحافز. وبالرّغم من مضيّ مدّة لا بأس بها قد مضت على نشر إعلانه المذكور، فلم يتمكّن أحدٌ من الردّ عليه).**

- منشور محمّدي ٥ جمادي الآخر عام ١٣٠١هجري -.

والمهمّ في الأمر هو أنّ مؤلّف (البراهين الأحمديّة) الذي أخذ ميرزا غلام أحمد يُصدره على عدّة أجزاء والتي بلغت أخيرا خمسة أجزاء ضخمة. هذا المؤلّف الذي مدحه أشهر الأفاضل من علماء زمانه. ولم يتصدّى له إلا الكاهن (ليكهرام) والذي كان يمثّل طائفة (برهمو سماج) والذي كتب كُتيّبا في الردّ على البراهين الأحمدية، وبعنوان (تكذيب البراهين الأحمديّة) والذي كان مملوء سبابا وشتائم وسخرية من طرف المؤلّف، والخالي من أيّة مناقشة موضوعيّة. والذي انتهى بهلاك الكاهن المذكور. فإنّ كتاب (البراهين الأحمديّة) المذكور الذي بشّرت به الرؤيا العظيمة التي كان ميرزا غلام أحمد قد شاهدها والتي سبق لي أن أوردتها. هو من الأهمّية بمكان من حيث البشارة المتعلّقة به. ومن حيث أنّه أعطى حضرته شهرة واسعة الانتشار بسبب إعلانه عن جائزة عشرة آلاف روبيّة كحافز للردّ عليه. وبسبب تحدّيه جميع الطوائف الدينيّة التي عاصرته في الهند. وتأتي أهمّيته أخيرا من حيث أنّ اللّه عز وجلّ أخذ يخاطب كاتبه ميرزا غلام أحمد بوحي سماويٍ بأنواعه الثلاثة التي نصّت عليها الآية ٥١ من سورة الشورى والتي

سبق لي أن أوردتها من قبل. وذلك بعد أن كان يخاطبه في شبابه بطريق كثرة من رؤى تحمل بشارات وكشوف روحيّة وتشتمل على بشارات ونبوءات.

وعندما قلت (**أخذ ربّه يخاطبه بوحي لفظيٍّ بكثرة**) فإنّ في قولي هذا شيء من المفاجأة للقارئ المسلم الذي اعتقد منذ نشأته بانقطاع نزول الوحي الإلهي من بعد بعثة محمّد خاتم النبييّن (ص). وهو الاعتقاد الذي بثّه أصحاب المذهب الوهّابي الذين ربطوا نزول الوحي السماويّ بالنبوّة وخلافا لمعطيات الآية من سورة الشورى. والذين كذّبوا بسبب اعتقادهم الخاطئ المشار إليه جميع مجدّدي الأمة الإسلاميّة المعروفين. فالوهابيون قالوا بانقطاع نزول الوحي لسدّ باب النبوّة بعد بعثة محمّد خاتم النبييّن (ص). وإنّ هذا الواقع يدفعني لأن أُعطي هذا القارئ معلومة قرآنيّة لعلّها تُنسيه هذا الذي ورثه عن علمائه، وتدفعه لِيُكمل قراءة سيرة هذا المجدّد العظيم.

فإن قام القارئ يطالع مؤلَّفي (**ماذا تعرف عن عقل الإنسان؟**) ومن الصفحة ١٣٤ وإلى الصفحة ١٧٨ فإنّه يعثر على شرح وافٍ دار حول موضوع الوحي وأنواعه وارتباطه بوجود البشر على سطح الكرة الأرضيّة، وعدم ارتباطه بالنبوّة والرسالة. ومع ذلك فإنّي ألخّص له في هذا المقام ما يفيده في هذا المجال. فأقول: اعلم يا عزيزي القارئ بأنّ هذا العقل الذي يميّزك عن الحيوانات الغريزيّة لا يؤدّي وظيفته على وجه اليقين على مستوى الزمن الماضي إلا بمساعدة عامل **الآثار والمخطوطات** ولا يؤدّي وظيفته على وجه اليقين على مستوى الزمن الحاضر إلا بمساعدة عناصر ثلاثة هي **الملاحظة والتجربة والاستنتاج**. ولا يؤدّي وظيفته على وجه اليقين على مستوى الزمن المستقبل إلا بمساعدة عامل الوحي الإلهيّ. فبواسطة الوحي الإلهي يتمكّن المرء من استقراء الأحداث المقبلة في المستقبل وبصورة يقينيّة. وإنّ عامل الوحي السماوي هذا هو الذي يساعد صاحبه على استقراء المستقبل. ويختصّ بوجود عقل المخلوق البشر، حسبما أخبرنا القرآن

المجيد. ولا يختص بالنبوّة والرسالة بشكل خاص. فإن قُلنا بانقطاع الوحي السماوي، وانقطاع مكالمة اللّه مع البشر، فكأننا قلنا بألفاظ أخرى إنّ عقل الإنسان بعد بعثة محمّد خاتم النبيّين أصبح ناقصا لفقدانه مساعدة عامل الوحي الذي يساعده على العمل على صعيد المستقبل، وعلى وجه اليقين. حال أنّ القرآن الكريم قد أنزله اللّه الخالق ليُكمل عقولنا التي ميّزنا بها عن الحيوانات الغريزيّة، وليس ليضعف عملها بعد أن أنزل تعاليم هذا القرآن المجيد. ومن باب أنّ وحي السماء لابدّ منه للتعرّف على أحداث المستقبل على وجه اليقين.

ألا إنّ اللّه عز وجلّ قد قال في الآية ٥١ من سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.. فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الكلام في هذه الآية الكريمة يدور حول مكالمة اللّه تعالى مع البشر بصورة عامّة، ولا يدور حول مكالمة اللّه تعالى مع أنبيائه ورسله الكرام. وتلاحظ كيف أنّ اللّه تعالى قد قسّم طرق كلامه مع البشر إلى ثلاثة أقسام: فالقسم **الأوّل** سمّاه **(وحياً)** ومعناه الإعلام بطريق خفيّ. **والقسم الثاني** سمّاه **(من وراء حجاب)**. وقد قصد تعالى بالحجاب هنا هذا الجسم الذي يحتجز داخلهُ النفس البشريّة. فإذا نام هذا الإنسان وتعطّل عمل حواسه الخمس، فإنّ نفس الإنسان تتحرّر نوعا ما من إسار حواس جسدها وتتلقّى كلام اللّه تعالى من وراء حجاب وبعد أن تحرّرت من قيوده. أي أنّ الرؤى الصالحة الصادقة والتي هي كلام اللّه عز وجلّ يراها المؤمن النائم حين تكون حواسّه الخمس في ثبات عميق. وأمّا القسم **الثالث** من طرق كلام اللّه مع البشر فقد عبّرت عنه الآية من خلال قوله تعالى فيها ﴿يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.. أي تكون ملائكة اللّه تعالى في القسم الثالث المشار إليه هي الواسطة في إبلاغ الكلام الإلهيّ لفلان أو فلان من البشر. وهذا أرقى أقسام الكلام الإلهي مع

البشر، وهو القسم الذي تشرّف به محمّد المصطفى سيّد المرسلين من دون بقيّة أنبياء اللّه الكرام.

والآن إن أنت استعرضت يا عزيزي القارئ طرق كلام اللّه مع أنبيائه ومرسليه قبل البعثة المحمّديّة. فستلاحظ من خلال استقرائك ما هو موجود بين أيدي أهل الكتاب من كتب مقدّسة كالعهد القديم والعهد الجديد. فستعلم من خلال استقرائك للعهدين المقدّسين المذكورين وبما يتعلّق بمكالمة اللّه تعالى مع أنبياء أهل الكتاب، بأنّ اللّه تعالى كان يكلّمهم جميعهم من وراء حجاب. أي كان يكلّمهم عن طريق الرؤى الصالحة التي كانوا يرونها. إلا موسى عليه السلام من بينهم جميعهم فقد استثناه ربّه بألفاظ (**الوصايا العشر**) التي هي عبارة عن عشرة كلمات ليس أكثر. وأما باقي كلام اللّه تعالى مع نبيّه موسى فقد كان بطريق الرؤيا الصالحة. أما بعد إنزال اللّه تعالى تعاليم هذا القرآن المجيد الكاملة والصالحة لكلّ زمان ومكان، ومن دون الكتب السماويّة المقدّسة كلّها. فقد عادت تعاليم القرآن المجيد تشكّل مدرسة روحيّة في حدّ ذاتها. ولذلك فقد عاد اللّه تعالى يتكلّم مع كلّ مؤمن تقيّ تخرّج من هذه المدرسة الروحيّة القرآنيّة، يتكلّم معه بطريق (**الوحي**) أي بطريق إعلامه تعالى هذا المؤمن الصادق في إيمانه بطريق خفيّ. أو يتكلّم معه من وراء حجاب في حالة نومه. فإذا بلغ هذا المؤمن درجة المجدّد في الدين ينفتح عليه حينئذ كلام اللّه تعالى بأقسام طرُقه الثلاثة التي نصّت عليها الآية ٥١ من سورة الشورى. وهذه حقيقة تبيّناها من خلال التراث الذي تركه لنا المجدّدون القدماء الذين بعثهم اللّه جلّ شأنه في القرون الماضية. أما وقد أنبأنا اللّه العزيز في كتابه القرآن المجيد عن بعثة هذا المجدّد مثيل ابن مريم وسمّاه (ذو القرنين) بمعنى أنّه مجدّد قرنين من الزمان. فحريٌّ أن يكلّمه اللّه تعالى بطرق أقسام كلامه الثلاثة التي نصّت عليها الآية ٥١ من سورة الشورى. ومن منطلق كونه مرآة التجلّي المحمّدي. فمن هذا المنطلق لم تعُد للقارئ

من حجّة بعد الذي بيّنته له إذا أخذ يلاحظ بأنّ ميرزا غلام أحمد، وبعد أن قطع سنّ الشباب. وأصبح في سنّ شيخوخته يتلقّى إلهامات من الأنواع الثلاثة التي ذكرتها الآية ٥١ من سورة الشورى. علما بأنّ غلام أحمد بدأ بكتابة (البراهين الأحمديّة) ابتداء من عام ١٨٨٠م، وأنّ ربّه جلّ شأنه قد أصبح يكلّمه بطرق أقسام كلامه الثلاثة، وذلك بسبب عِظم المكانة التي احتلّها ميرزا غلام أحمد عند ربّه عز وجلّ، وبداعي عِظم المهمّة التي أخذ اللّه تعالى يُلقيها على أكتافه عليه السلام.

وعليه فإنّ حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام، وقد أقبل على إنهاء المجلّد الرابع من (البراهين الأحمديّة)، فقد روى لنا بأنّه سمع صوت ربّه يناديه في ليلة ليلاء (**إني أنا ربّك**) وعلى شاكلة ما كان اللّه تعالى قد خاطب به موسى عليه السلام من قبله. وبدأت تظهر عليه بعدها أسرار غيبيّة فوق عقله وتصوّراته. وأدرك وقتها بأنّ ربّ العالمين قد أصبح متوليّا إيّاه وكتابه (البراهين الأحمديّة) ظاهرا وباطنا. لكنّ هذا الإلهام اللّفظي الذي أوردته، كانت قد سبقت سماعه عدّة رؤى مبشّرة رآها حضرته على هذا الطريق. وسأذكرها للقارئ في الوقت المناسب.

والمهمّ في الأمر هو أنّ حضرة ميرزا غلام أحمد قد عاش بعد تلقّيه ذاك النداء من جانب ربّه عز وجلّ، وإعلانه عنه، قد عاش ثلاثا وعشرين سنة، ومن ثمّ توفّاه ربّه عام ١٩٠٨ م عن عمر ناهز خمس وسبعين سنة وذلك بعد أن أكمل مهمّة التجديد التي أوكلها ربّه إليه. وقام خلالها بتأسيس (الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة) التي ما تزال تتعاظم في كلّ مكان من هذا العالم وذلك بفضل اللّه ورحمته ورعايته. وستكون لها الغلبة أخيرا في هذا العالم. فلو كان حضرة الميرزا كاذبا فيما ادّعاه وأعلنه. فقد كان من المستحيل عليه أن يعيش تلك المدّة الطويلة بعد ذاك الإعلان. وكان من المستحيل عليه أن ينجح في مضمار تأسيس جماعته

التي ما تزال تتعاظم عددا في كلّ مكان. وأقول إنّه كان (من المستحيل) عليه أن يفلح في مراده من منطلق أنّ الذي يفتري على اللّه كذبا من المستحيل عليه أن يُفلح في مُراده، ولقول اللّه العزيز في كتابه القرآن الكريم وفي الآية ٢١ من سورة الأنعام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾..

وهل أفلح من قبل مسيلمة الكذّاب وسواه ممّن ادّعوا النبوّة كذبا وبهتانا؟

الفصل الثالث

كيف أيقن الميرزا بأنّه أصبح مجدّدا؟

وبعد أن أطلعت القارئ على سيرة ميرزا غلام أحمد المتعلّقة بسنّ طفولته وبسنّ شبابه وببدئه بكتابة مؤلّفه المشهور (البراهين الأحمديّة على حقيقة كتاب اللّه القرآن والنبوّة المحمّديّة) فإنّ هذا القارئ يتمنّى في حديث نفسه أن أُطلعه على أن كيف أيقن حضرته بأنّ اللّه جلّ شأنه قد جعله مجدّدا، وكيف أيقن حضرته بأنّه أصبح المجدّد الموعود به في نبوءات القرآن الكريم والمتعلّقة بقيام البعثة الثانية للإسلام ومن أنّه هو (**ذو القرنين**) نفسه الذي ذكرته الآيات من سورة الكهف؟ فأقول: إن أنت تذكرت يا عزيزي القارئ كيف أنّه وبعد وفاة والد حضرته عام ١٨٧٦م قد كثر تلقي حضرته الكشوف والمكالمات الإلهيّة. وكيف أنّ ميرزا غلام أحمد أعرض عن كتابة المقالات في الصحف والمجلاّت، لإدراكه بعدم جدواها في تحقيق الخدمة الحقيقيّة للإسلام. وكيف أنّه بدأ يكتب مؤلّفه (البراهين الأحمديّة) عام ١٨٨٠م. وكيف أنّه كان كلّما كتب ملزمة من هذا الكتاب، يُرسل عددا منها إلى أبرز المفكّرين والوجهاء المعروفين في الهند مطالبا إيّاهم أن يطالعوها، فإذا اقتنعوا بأهمّية ما تضمّنته تلك الملزمة من مضامين، أن يُرسلوا إليه قيمة تلك الملزمة على وجه التّقريب، ومعتبرين أنفسهم مشتركين في إخراج هذا الكتاب لاقتنائه عند الفراغ من كتابته. وكيف أنّ حضرة ميرزا غلام أحمد قد عمد إلى هذا الأسلوب الفريد في التعامل بسبب أنّ ما كان بين يديه من مال، فقد كان لا يكفيه للقيام بطباعة مجلّدات كتاب (البراهين الأحمديّة). وهكذا بدأ أولئك الرجال المفكّرون ووجهاء القوم الذين كانت تصلهم تلك الملازم من الكتاب المذكور ينكبّون على مطالعتها بإمعان شديد، وبتأثّر بالغ، ويزدادون تعظيما لها ولكاتبها. ولتلك الخدمة الجليلة التي

كانت تؤدّيها للإسلام. الأمر الذي دفع بعض أصحاب القلم من المفكّرين ليكتبوا مقالات في مديح مؤلّف (البراهين الأحمديّة). وعلى هذه الصورة فقد اتّسعت شهرة حضرة ميرزا غلام أحمد في جميع أرجاء شبه القارة الهندية. وكانت شُهرة يرافقها تعظيم المؤلّف ميرزا غلام أحمد الذي يكتب البراهين الأحمديّة..

وقد حدث في شباط عام ١٨٨١م أنّه كان يوجد هناك في الهند رجلٌ صوفيّ مُلهمٌ اسمه عبد اللّه الغزنوي والذي كان أتباعه منتشرين في مختلف أرجاء الهند بعشرات الألوف. وكان يقطن في مدينة (أمرتسر) من منطقة بنجاب وأصله من سكان أفغانستان. والذي حدث هو أنّ وليّ اللّه عبد اللّه الغزنوي المذكور رحمه اللّه تعالى كان قد أخبر في وقت ما تلميذا كان من أقرب تلاميذه إليه بأنّه رأى نوراً في حالة الكشف الروحيّ ينزل من السماء في قرية قاديان. وأنّه قد فهم من الكشف المذكور بأنّ اللّه عز وجلّ سيكلّف ميرزا غلام أحمد من بعد وفاته بمهمّة عظيمة. والحقيقة أنّه حدث في اللّيلة التي توفّى اللّه تعالى فيها الولي عبد اللّه غزنوي المذكور أنّ ميرزا غلام أحمد رأى في تلك اللّيلة بالذات، وكان مسافرا في مدينة (كورداسبور)، أقول رأى رؤيا أعلمه ربّه عز وجلّ فيها بقرب وفاة الولي عبد اللّه غزنوي. وشعر في الوقت نفسه بانقلاب روحيّ قد أحدثه ربّه في نفسه وفي داخله وقد أتمّ اللّه جلّ شأنه عن طريق ذاك الانقلاب الروحي المشار إليه إصلاح جميع نقائص ميرزا غلام أحمد البشرية.

واستمرّ حضرته بعد ذلك يُكمل مؤلّفه (البراهين الأحمدية) وهو يشعر خلال كتابته إياه بتزايد التأييد الإلهي له فيما يكتبه فيه. وقد هلّ عام ١٨٨٢م فحدث فيه أنّ اللّه تعالى ألقى في قلب ميرزا غلام أحمد بأنّ الملأ الأعلى يختصمون فيمن يليق في نظر ربّهم بحمل لواء إحياء الدين الإسلاميّ الحنيف (راجع الجزء الرابع من البراهين الأحمدية صفحة ٥٠٢). ومن ثمّ وبعد أيّام فقد رأى حضرته فيما يراه النائم في منامه بأنّ جمعا من الناس يبحثون عن الإنسان الذي يليق بمهمّة إحياء

الدّين. وأنّ واحدا من أولئك الناس المجتمعين لتلك المهمّة، دنى من حضرته وأشار إليه وهو يقول: (**هذا رجلٌ يحبُّ رسول اللّه**). وقد فهم حضرة الميرزا من قول الرجل المذكور بأنّ هناك شرط أعظم اشترطه اللّه عز وجلّ لنيل مقام إحياء الدين، هو أن يكون من يتوفّر فيه هذا الشرط وهو كامل المحبّة لمحمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. وفهم من قول الشخص المذكور أيضاً بأنّ ذاك الرجل الذي أشار إلى حضرته، قد كان يقصد من قوله الذي سمعه منه أن (**هذا رجلٌ يحبّ رسول اللّه**) بأنّ هذا الشرط متوفّرٌ في شخص حضرته عليه السلام نفسه. (راجع الجزء الرابع من البراهين الأحمدية صفحة ٥٠٣).

ولم تمض على تلك الرؤيا أيّام قليلة، إلا وتوالت على حضرته رؤى أخرى مبشّرة، وقد أشار حضرته إلى تلك الرؤى فيما بعد في مؤلّفه الذي كتبه بعنوان (مرآة كمالات الإسلام) صفحة ٥٥٠ حيث قال هناك بلغة عربيّة فصيحة: (**كنت ذات ليلة أكتب شيئا، فنمت بين ذلك فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ووجهه كالبدر التامّ. فدنى منّي كأنّه يريد أن يعانقني. فكان من المعانقين. ورأيت أنّ الأنوار قد سطعت من وجهه، ونزلت عليّ. فكنت أراها كالأنوار المحسوسة، حتّى أيقنت أني أدركها بالحسّ، لا ببصر الروح. وما رأيت أنّه (ص) انفصل منّي بعد المعانقة. وما رأيت أنّه كان ذاهباً كالذاهبين**).. ثمّ بعد تلك الأيّام التي رأى فيها تلك الرؤى، أضاف يقول بأنّها فُتحت عليه أبواب الإلهام اللفظيّ من قبل ربّه جلّ شأنه الذي خاطبه وقال: (**يا أحمد بارك اللّه فيك. الرحمن علّم القرآن. لتُنذر قوما ما أُنذرَ آباؤهم. ولتستبين سبيل المجرمين. قل إني أُمرتُ وأنا أوّل المؤمنين. يا عيسى إنّي متوفّيك ورافعك إليّ ومطهّركَ من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. إنّك اليوم لدينا مكين أمين. أنت منّي بمنزلة توحيدي وتفريدي فحان أن تُعان وتُعرفَ بين الناس. ويَعلَمُك اللّه من عنده. تقيم الشريعة وتحيي الدين. إنا جعلناك المسيح ابن مريم.**

والله يعصمك من عنده، ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الناس. الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين. يا أحمد أنت مرادي ومعي. أنت وجيه في حضرتي. اخترتك لنفسي. قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يُحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم وهو أرحم الراحمين)..

فهذه الإلهامات اللفظيّة التي تلقّاها ميرزا غلام أحمد مجتمعةً خلال السنة الثانية من البدء بكتابته (البراهين الأحمديّة). قد حرّكت هذه الإلهامات في نفسه أمرا دفينا كان قد مضى عليه قرابة عشر سنوات. وهو أنّه كان يشعر في قرارة نفسه من خلال مجريات حياته بأنّ اللّه عز وجلّ قد شاء أن يجعله مثيل المسيح ابن مريم. وهذا من منطلق أنّه كان يعتقد في شبابه ما قرأه في التفاسير من أنّ المسيح عيسى ابن مريم هو حيٌّ في السماء. وأنّه سينزل في آخر الزمان إلى الأرض لإحياء أمّة سيّد المرسلين (ص). لكنّ اللّه تعالى نبّهه في تلك الأيّام من شبابه إلى خطأ هذا الاعتقاد الموروث، وإلى أنّ المسيح ابن مريم قد مات. وأنه يوجدُ ما بينه وما بين المسيح ابن مريم تجانسٌ روحيّ. الأمر الذي أشعره في شبابه بأنّ هذه الحقيقة تعني بألفاظ أخرى أنّه هو نفسه الموعود ببعثته في آخر الزمان. لكنّ حضرته أخفى هذا الشعور في نفسه قرابة عشر سنوات، ولم يبُح به لأحد على الإطلاق خشية أن يكون هذا الإحساس من قبيل حديث النفس، والذي لا تكون له حقيقة في الواقع. خصوصا وأنّ ذاك الإحساس كان يخلو من التكليف من جانب ربّه عز وجلّ إيّاه بمهمّة واضحة جليّة لكنّ ميرزا غلام أحمد وبعد أن تلقّى تلك الإلهامات اللّفظيّة التي أسلفت ذكرها. وخاصّة منها (**إنا جعلناك المسيح ابن مريم. والله يعصمك من عنده ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الناس. الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين**).. فقد تيقّن من خلال معطياتها بأنّ شعوره القديم الذي كان قد أخفاه في صدره قرابة عشر سنوات،

ولم يُطلع عليه أحد، كان متضمّنا هذه الحقيقة التي كشفها ربّه عليه من خلال تلك الإلهامات اللفظيةّ التي أوردناها للقارئ من قبل.

كذلك حدث عام ١٨٨٣م أنّ ميرزا غلام أحمد رأى فيما يراه النائم بأنّ أخاه الأكبر ميرزا غلام قادر الذي أصبح يدير أملاك الأسرة من بعد وفاة والده، قد دنى أجلُه. فأطلع أخيه غلام قادر على تلك الرؤيا ليتدبّر أمره. وبالفعل فلم تمض عدّة أسابيع على تلك الرؤيا إلاّ وتوفّى اللّه عز وجلّ أخاه ميرزا غلام قادر. فإنا للّه وإنا إليه راجعون. وأصبح ميرزا غلام أحمد هو وليّ أمور العائلة من بعده. وعندما انتهى ميرزا غلام أحمد عام ١٨٨٤م من إصدار المجلّد الرابع من كتابه (البراهين الأحمديّة). وبعد أن ألهمه ربّه تلك الإلهامات اللفظيّة بمدّة من الزمان. وبينما كانت تتلاطم الأفكار في رأسه حول حقيقة ما تلقّاه منها. إذ به يسمع ما كان قد سمعه موسى عليه السلام وهو في طريق عودته إلى قومه، وحين جعله ربّه مُرسلا إلى قومه، فهو سمع صوتا يناديه من عالم الغيب وقائلا (**إنّي أنا ربّك**). وفهم حضرته من هذا النداء بأنّ من واجبه أن يصدع لأمر ربّه عز وجلّ، وأن يُقدم على تجديد الدين وإحيائه. وفُتحت عليه إثر ذلك الصوت أسرار يعجز العقل عن أن يكون صاحبه على مستوى فهمها، وعلى حسب ما ذكره هو نفسه في مختلف مؤلّفاته. وأيقن حضرة ميرزا غلام أحمد عندها بأنّ عليه أن يصدع بما يؤمر من قبل ربّ العالمين الذي أمسى متولّي أموره ظاهرا وباطنا. وقد توقّف بعد ذلك عن إتمام كتابة المجلّد الخامس الأخير من (البراهين الأحمديّة)، والتفت لتلبية نداء السماء. ومن المناسب أن أنوّه هنا وأقول بأنّها سنحت لحضرته عام١٩٠٥م فرصة كتابة المجلَد الخامس من (البراهين الأحمديّة) المشار إليه.

فكتبه وقتئذ وأنهاه بعد التاريخ المذكور.

الفصل الرابع

خطواته لتلبية نداء السماء

وهنا فقد عاد القارئ يتساءل في حديث نفسه عن الخطوات التي أقدم عليها ميرزا غلام أحمد تلبيةً من جانبه لصوت ربّه عز وجلّ. وهو الصوت الذي اشتملت عليه ألفاظ (**إنّي أنا ربّك**)؟ ومن خلال مراجعة تلك الحقبة من الزمان نعلم بأنّ أوّل وأهمّ خطوة قام بها حضرة ميرزا غلام أحمد تلبية لنداء ربّه عز وجلّ. هو أنّه كتب إعلانا باللّغتين الأرديّة والإنكليزيّة، وطبع منه عشرين ألف نُسخة. وأرسل تلك الإعلانات إلى أبرز ملوك ووزراء وزعماء الأديان في العالم وذلك في أوائل عام ١٨٨٥م. (راجع بركات الدعاء). وقد خاطب في الاشتهار المذكور زعماء مختلف الأديان في الهند وبنجاب خاصّة. فدعاهم جميعهم إلى رؤية ومتابعة إعجاز الدّين الإسلامي وبركاته التي يُظهرها ربّه جلّ شأنه على يديه. وهنا كان من المناسب أن أقتطف للقارئ بعضا ممّا ورد في ذاك الإعلان المشار إليه. فلعلّه يُعطي القارئ فكرة عمّا أقدم حضرته عليه.

فممّا كتبه حضرته في الاشتهار المذكور قوله: (**ولقد علمت أنا مؤلّف (البراهين الأحمديّة) بأنّ اللّه عز وجلّ قد جعلني مجدّد هذا الزمان. وقد جعلني مثيل المسيح ابن مريم للتشابه الروحيّ الكائن ما بيني وبينه. وإنّ هذا كلّه قد حصل لي بسبب متابعتي أسوة حضرة خير البشر وأفضل الرسل محمد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم، وبسبب عملي على تعاليمه. وقد ميّزني ربّي على أكابر أولياء هذه الأمّة الذين مضوا من قبلي. هذا وإنّ نجاة المرء وسعادته وبركته مرتبطة بمتابعة محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم والعمل على تعاليمه. وعلى العكس من ذلك فإنّ مخالفته صلّى اللّه عليه وسلّم توجب الحرمان والبعد عن اللّه عز وجلّ**).. هذا وقد طلب حضرته من جميع الذين خاطبهم في اشتهاره

المذكور أن يكتبوا إليه مستفسرين عن أيّة شُبهة تتملّكهم حول وجود اللّه تعالى، وحول تلقّي البشر المؤمن وحي اللّه عز وجلّ، وحول فضيلة القرآن المجيد، وبيّن بأنّه على استعداد تام للإجابة على تساؤلاتهم وإقناعهم بالحجّة والبرهان. هذا وقد أرفق حضرته رسالة مع ذاك الاشتهار وبعنوان (**إعلان ادّعاء**) وجّهه إلى مختلف زعماء الأديان في الهند وبنجاب. وممّا قاله لهم في إعلان ادّعائه المذكور (**إنّكم إذا حضرتم إلى هنا وأقمتم مدّة سنة، ولم تظهر خلالها أيّة آية سماويّة، فإنّي أتعهّد لكم بإعطائكم راتب مائتي روبيّة عن كلّ شهر أقمتم فيه عندي**).. وقد أقدم على تلك الخطوة التي ذكرناها تأسّيا بسيّده محمّد المصطفى (ص) عندما وقف على الجبل ونادى قومه وأطلعهم بأنّ ربّه عز وجلّ قد جعله رسولا إلى العالمين. لكنّ الذي يؤسف له هو أنّ تلك الخطوة التي خطاها حضرة ميرزا غلام أحمد من خلال إرساله الإعلان المذكور والرسالة المرفقة به إلى زعماء الأديان في الهند، قد تركت أثرا سلبيا في نفوس أولئك الزعماء الذين وجّه حضرته إليهم ذاك الاشتهار. إذ تملّكهم الظنّ بأنّ كاتب (البراهين الأحمديّة) أصبح مغترّا بنفسه، وهذا ما دفعه إلى القيام بما قام به. وتناسوا تلك القيمة العلميّة التي كانوا يُعطونها له ولكتابه البراهين الأحمديّة، والذي كانت تصلهم ملازمه من جانب حضرته ملزمة إثر ملزمة تباعا. وقد أدّى تغلُّب ظنّ السوء هذا على أفكار هؤلاء فلم يستجيبوا لذاك الإعلان. علما بأنّ الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئا. وأنّه كان من واجبهم تلبية نداء حضرته ولو على سبيل تجربة ما دعا إليه ليجرّبوه وقد أثبتوا من خلال موقفهم السلبي الذي وقفوه منه، مشابهتهم لنفس موقف زعماء قريش الذين حين لبّوا نداء محمّد بن عبد اللّه (ص)وهو يناديهم. وإعلانه على الملأ منهم بأنّه أصبح (**رسول اللّه**) فقد أجابه أبو جهل (**تبّاً لك أ لهذا جمعتنا؟**). وعلى هذه الصورة فإنّ الإعلان المشار إليه والرسالة التي رافقته، وإن أفادا الذين تسلّموهما، من حيث أنّهم تبلّغوا صوت السماء وأصبحوا ملزمين أمام ربّهم بمّا

وصلهم من خبر ظهور هذا المجدّد (ذو القرنين) الذي كانت له صفة عالميّة، لكونه أحد مجدّدي دين الإسلام العالميّ. إلا أنّهم قد حَرموا في الوقت نفسه أنفسهم من نعمة الاستجابة لصوت السماء بسبب سوء الظنّ الذي وقعوا فيه. وإثر تلك التطوّرات التي ذكرناها، فقد توقّف ميرزا غلام أحمد عن متابعة كتابه (البراهين الأحمديّة). وتوجّه ليشغل نفسه في الأمر الأهمّ من ذلك، والمتعلّق بالخطوة الثانية التي ينبغي عليه أن يُقدم على القيام بها في تلك الأشهر الأولى من عام ١٨٨٥م، وذلك بعد أن عاد معتقدا في نفسه بأنّ ربّه قد جعله مجدّد دين محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. ولم تكن بالمهمّة السهلة، وسط وجود حشود من الإرساليّات المسيحيّة التبشيريّة التي أصبح لها مراكز هنا وهناك في جميع أرجاء شبه القارّة الهنديّة، والمدعومة من المستعمر البريطاني. إلى جانب وجود تنظيمين بوذيين هما (آرية سماج) و(برهما سماج) التابعين للأكثريّة السكّانية في الهند. إلى جانب وجود المثقّفين المتأثّرين بالثقافة الغربيّة.

وبهذه المناسبة كان من الواجب أن أُطلع القارئ على الضجّة التي حدثت بادئ ذي بدء وسط أقارب ميرزا غلام أحمد الذين سمعوا بادّعائه أنّه مجدّد الدين الإسلامي الحنيف، وبأمر من ربّ العالمين، وإثر لغط ألسنة الناس ضدّه، والذين خافوا حينذاك على سُمعتهم بسبب ادّعاء ابن عمّهم الادّعاء الذي ذكرناه. فوقعوا في نفس ما وقع فيه غيرهم من ظنّ السوء بحضرته عليه السلام. وهنا راح أبناء عمومته أمثال ميرزا إمام الدين، وميرزا نظام الدين، يتهجّمون على حضرته من قريب ومن بعيد. ويصرّون في الوقت نفسه على أن يروا من جانبه آية تُثبت مصداقيّة ما ادّعاه فدعا ربّه لهذا الأمر. فأراه ربّه رؤيا سوء تحقّقت بحقّهم على وقتها، ممّا لا داعي لذكرها في هذا المقام. والمهمّ في الأمر هو أنّ كلّ من كان قد أحسن الظنّ بحضرته من أقاربه، فقد هداهم ربّهم

وآمنوا بما أعلنه قريبهم ميرزا غلام أحمد وادّعاه. ولم يبق في حياته أحدا منهم حيّ وإلى الآن.

والعجيب أنها قد ظهرت في تلك السنة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني من عام ١٨٨٥م في السماء ظاهرة عجيبة أدهشت أكثر الناس. وهو أنّ مجموعة كبيرة من الشهب أخذت تعبر السماء الدنيا. فكانت تضيء السماء وكأنها تشكّل مهرجانا سماويّا. وقد أوحى اللّه تعالى إلى حضرته ما معناه أنّ تلك الظاهرة السماويّة كانت تحدث كلما بعث اللّه نبيّا في أي قوم من عالمنا. وقد كتبت جميع صحف آسيا وأوروبة وأمريكا ويصف محرّروها ظاهرة الشهب تلك متحيّرين ممّا كانوا يرونه منها. (راجع حقيقة الوحي صفحة ٧٠).

وهكذا فقد مضى أوّل عام على تلقّي ميرزا غلام أحمد النداء (**إنّي أنا ربّك**) والذي فهم منه ضرورة أن يصدع بما أمره به ربّه من مهمّة القيام بتجديد الدين وإحيائه. وأنّه قد جعله مثيل المسيح ابن مريم ومصداقا لنبوءات القرآن الكريم. لكنّها كانت قد حدثت في تلك العام حوادث كثيرة عرضت له، وكنّا ذكرنا بعضا منها. وتركنا ذكر بعضها الآخر، ممّا حدثت فيها، توفيرا من جانبنا لوقت القرّاء. والمهمّ في الأمر هو أنّ حضرة الميرزا ما كان يخطو خطوة جديدة بعد تلقّيه تلك الإلهامات إلا بعد الدعاء من اللّه تعالى ومن أجل أن يسدّد اللّه عز وجلّ خُطاه في خدمة الإسلام وإحياء الدين.

وقبل أن نتقدّم خطوة أخرى على طريق ذكر خطوات ميرزا غلام أحمد التي أقدم عليها بعد تكليفه بمهمّة تجديد الدين. أرى من المناسب أن أُعطي القارئ فكرة عن تلك السنوات التي انشغل فيها حضرته بكتابة مؤلّفه المشهور (البراهين الأحمديّة). إذ أنّ ما كان قد تلقّاه حضرته في تلك السنوات من رؤى وكشوف وإلهامات قد مهّدت لتكليفه من قبل ربّه عز وجلّ بمهمّة تجديد الدين الإسلامي الحنيف. فأقول: لقد تلقّى حضرة ميرزا غلام أحمد عام ١٨٨٢م إلهاما

من ربّه عز وجلّ أن (وسّع مكانك) وكان وقتئذ منشغلا بكتابة البراهين الأحمديّة فهو تلقّى هذا الإلهام في وقت ما كان يجتمع عنده أكثر من أشخاص معدودين على أصابع اليد. وفهم حضرته من هذا الإلهام بأنّ مملكة السماء تتّخذ من الأسباب ما يدفع الناس للرجوع إليه بأعدادٍ كبيرة ومن وراء ستار. ولذلك فقد اهتمّ بتهيئة أمكنة استقبال الزوّار وأمكنة منامتهم أيضاً، وأمكنة أدائهم فرائض الصلاة مجتمعين.

كذلك فقد رأى حضرته في نفس العام المذكور كشفا روحيّا وهو أنّه كان يحمل في يده ورقة كُتبت عليها آيات سورة الفاتحة، وبخطّ جميل وجذّاب. وكان لون تلك الورقة أميل إلى ألوان الزهور وبشكل ملفت للأنظار. وكان حضرته كلّما قرأ آية من آيات سورة الفاتحة التي كانت أمام عينيه، تظهر من بين أحرف تلك الآية باقات زهور تُحدث صوتا، وتطير إلى الأعلى في الهواء. وكانت باقات الورد تلك نضرةً جديدة وتفوح منها روائح عطرة، يتعطّر منها فؤاده ودماغه. وقد رافق ذلك كلّه حالة من النشوة الروحيّة، لا تشابهها لذّة دنيويّة. ورافقتها حالة تنفّرٍ من هذه الدنيا وما فيها وبشكل عجيب. وفي الحقيقة فإنّ حضرته ومن بعد رؤيته الكشف الروحيّ المشار إليه فقد تفتّحت عليه من معاني آيات سورة الفاتحة ما يقف الإنسان تجاهها حيرانا مندهشا. ولقد جُمعت تلك المعاني التي انفتحت على حضرته في كتاب بلغت صفحاته ٣٧٥ صفحة وهو مطبوع أيضاً باللّغة الأرديّة.

وقد رأى حضرته في تلك الفترة الزمنيّة بشائر أخرى أعرضت عن ذكرها خشية الإطالة. ويكفي أن أقول بأنّ حضرته أكثر من الأدعية في العام المذكور وبشكل ملحوظ. وقد أخذ ينشر إعلانا إثر إعلان يوضّح فيه ما يراه من رؤى صالحة وكشوف روحيّة وما تحمله من له من بشارات تتعلّق بمستقبل ما كلّفه ربّه به من مهمّات. ومتحدّيا كلّ من يصله إعلانه أن ينتظر تحقّق جميع ما تضمّنه

إعلانه من نبوءات تتعلّق بالمستقبل. وليثبت من خلالها بأنّ اللّه حيّ وقيّوم. ومتحدّيا أتباع بقيّة الديانات إثبات مكالمة ربّهم معهم. وليثبت من خلال ذلك كلّه بأنّ الدين الإسلامي وحده هو الدين الذي يخرّج رجالا ونساء روحانيّين. وأما بقيّة الأديان فقد عادت لا حياة فيها ولا رجاء أن يشابهوا من خلالها ما يأت به الإسلام من ثمار. وإنّ الذي يتتبّع مُجريات تجلّيات اللّه تعالى على ميرزا غلام أحمد خلال تلك السنة وما بعدها. فإنّه يلاحظ بأنّ اللّه تعالى أخذ يبشّره بزواج ثاني من وراء الغيب ولصالح ما يهيّئه للقيام به من مهمّات. ذلك أنّ القارئ الذي تابع ما كتبته حتى الآن، لابدّ وأن يتذكّر بأنّ والد غلام أحمد كان قد زوّجه بقريبة له زواجا مبكّرا، ووفق ما كان رائجا في زمانه من تقاليد. وأنّه وُلد لغلام أحمد من تلك الزوجة ولدان، وقد توفّي الثاني في سنّ مبكرة. وأما الأوّل فقد تابع دراسته وتوظّف أيضاً. ولم تظهر عليه علامات اهتمام بأمور خدمة الدين.

لكنّ اللّه الذي شاء أن يكلّف ميرزا غلام أحمد بإحياء الدين. والذي كان مطّلعا على وضعه العائليّ الذي فرضه والده عليه، ومن دون استشارته في موضوعه. فإنّ اللّه عز وجلّ قدّر أن يزوّج هذا المجدّد زوجة ثانية تُنجب له أولادا يكونون على مستوى المهمة التي سيكلّفه بها. أولادا صالحين بررة يعينونه في أداء مهمّته. فكيف توصّلنا إلى هذه المعلومة الهامّة؟ توصّلنا إليها من خلال ما أخذ اللّه جلّ شأنه يُلهم به ميرزا غلام أحمد من إلهامات تحقّق هذه الغاية التي ذكرناها. وأوّل إلهام تلقّاه حضرته بهذا الخصوص، هو إلهام يشير إلى هذه الحقيقة. فقد ألهمه ربّه (**اشكر نِعمتي رأيت خديجتي**). وذكّره هذا الإلهام بزواج سيّده محمّد المصطفى يوم قدّر اللّه تعالى أن يزوّجه بخديجة بنت خويلد. وكيف أنّ ذاك الزواج كان في صالح دعوة الإسلام. لكنّه لم يتيقّن منه بأنّ ربّه قدّر أن يزوجه بزوجة أخرى غير زوجته. وبعد مدّة تلقّى حضرته إلهاما جديدا وهو (**الحمد للّه الذي جعل لكمُ الصّهر والنسب**). وازداد إثر تلقّيه هذا الإلهام الثاني تعجّبا.

فلم يكن ميرزا غلام أحمد يفكّر في الزواج من زوجة ثانية بشكل من الأشكال. ومضت مدّة أخرى من الزمان، وإذ به يُلهم إلهاما بلغته الأورديّة وترجمته (**إنّا نريد أن نزوّجك بثانية. ونحن نتكفّل بكلّ ما يختص بهذا الزواج. ولا نكلّفك من جرائه بشيء) (راجع التذكرة)**. وأدرك حضرته حينئذ دلالات ما كان قد تلقّاه قبل هذا الإلهام من إلهامات تخصّ هذا الزواج الثاني المقدّر. لصراحة هذا الإلهام الأخير بهذا الشأن. وما عاد يتلقّى شيئًا بعد ذلك بهذا الخصوص، إلا بعد مضيّ أكثر من عامين. وذلك عام ١٨٨٤م. ولذلك أرجئ أنا ذكر ما حدث وقتئذ إلى الوقت الذي أصل فيه إلى ذكر سلسلة أحداث عام ١٨٨٤م المشار إليه.

وأهلّ على ميرزا غلام أحمد عام ١٨٨٣م وبدأ يتلقّى فيه إلهامات تربط ما بين مهمّته الدينيّة التي سيكلّفه ربّه بها وما بين ما كان اللّه عز وجلّ قد أورده في القرآن المجيد من نبوءات. وأنقل للقارئ بعضا من تلك الإلهامات الهامة. فمن تلك الإلهامات، أنّ اللّه عز وجلّ ألهمه قائلا: (**وما كان اللّه ليترُكك حتّى يميز الخبيث من الطيّب**). (راجع التذكرة). واستبشر من خلاله بأنّ اللّه عز وجلّ سيرعى كلّ خطوة يخطوها على طريق كتابة (البراهين الأحمديّة) وخدمة الدين الإسلامي الحنيف. ومن تلك الإلهامات أنّ ربّه ألهمه قائلا: (**إذا جاء نصرُ اللّه والفتح وتمّت كلمة ربّك هذا الذي كنتم به تستعجلون**). (راجع التذكرة). وفهم من خلاله بأنّه سيأتي يومٌ تتكلّل خطواته بالنجاح. ومن تلك الإلهامات: (**ولو كان الإيمان معلّقا بالثريّا لناله**) (راجع التذكرة). وفهم حضرته من هذا الإلهام إشارته إلى نبوءة الآية الثالثة من آيات سورة الجمعة المعروفة أيضاً. وأنّه هو الإنسان المؤمن الذي قصده محمّد رسول اللّه من خلال وضعه يده الشريفة على كتف سلمان الفارسي وهو يقول (لو كان الإيمان معلّقا في الثريّا لناله رجل من هؤلاء). (راجع تفسير ابن كثير عند تفسيره وآخرين منهم). ومن تلك الإلهامات: (**إنّي خلقتُك من**

جوهر عيسى وإنّك وعيسى من جوهر واحد). (راجع التذكرة). وفهم من هذا الإلهام إشارته إلى الآية من سورة الزخرف والتي أنبأ اللّه تعالى من خلالها عن بعثة حضرته، وأنّه هو المقصود منه بأنّه مثيل ابن مريم عليه السلام. وهي الآية التي قال اللّه عز وجلّ فيها ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. ومن ثمّ تلقّى إلهاما ورد فيه (**صلّ على محمّد وآل محمّد سيّد وُلد آدم وخاتم النبيّين**). (راجع التذكرة). وفهم منه حقيقة أنّ التعاليم التي أنزلها ربّنا عز وجلّ على محمّد رسول اللّه قد شكّلت مدرسة روحيّة في حدّ ذاتها. وما عادت البشريّة بعد إنزال القرآن الكريم بحاجة إلى إنزال تعليم سماويٍ جديد. وقد أمضى حضرته بعد تلقّيه الإلهام المذكور ليلة كاملةً وهو يصلّي على سيّده محمّد المصطفى وعلى آله. فلمّا نام شاهد في منامه أنّ مشربيّات زجاجيّة أخذت تدخل على غرفته وهي مملوءة ماء على شكل نور. وسمع صوتا يقول: هذه هي بركات صلواتك على محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم. ومن ثمّ تلقّى إلهاما نصّه (**إنّك على صراط مستقيم فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين**). (راجع التذكرة). وفهم ميرزا غلام أحمد من هذا الإلهام بأنّ ربّه جلّ شأنه يؤكّد عليه أن يستمرّ فيما كان يخطوه من خطوات على طريق إحياء الدين. كذلك تلقّى إلهاما على شكل دعاء وهو (**ربّ اجعلني مباركا حيثما كنت**). (راجع التذكرة). وفهم منه بأنّ ربّه جلّ شأنه قد قدّر له أن يسافر إلى هنا وهناك لخدمة الدين. وأنّ اللّه عز وجلّ قد وعده بالمحافظة عليه حيثما حلّ. وهكذا مضى عام ١٨٨٣م وقد تلقى فيه حضرة ميرزا غلام أحمد عشرات الإلهامات التي كانت تشدّ من عضُده من جهة. وتقوّي إيمانه بما أدركه من معاني ودلالات جميع ما كان قد تلقّاه من جانب ربّه من رؤى وكشوف وإلهامات قد نشرها تباعا في مؤلّفه البراهين الأحمديّة أيضاً. وأصبح مُعتقدا بأنّ اللّه تعالى يبشّره بتأييده وبنصرته إيّاه على هذا الطريق. وأنّ كلّ خطوة كان يخطوها، كان قد قدّر اللّه جلّ شأنه أن يجعلها تُثمرُ ثمرا في صالح

الدعوة الإسلاميّة. علما بأنّ كلّ ما كان يفعله حضرته، هو أنّه كان يطبع إعلانا بعد إعلان. ويذكر في تلك الإعلانات ما فتح اللّه عليه من بشارات وما تلقّاه من بشارات. وكان يُرسل تلك الإعلانات إلى أبرز الشخصيّات الاجتماعيّة والشخصيّات الدينيّة. وليثبت من خلالها بأنّ اللّه الذي أنزل الدين الإسلامي الحنيف هو إله حيٌّ قيّومٌ ومتكلّم. ويتحدّى في الوقت نفسه أن ينهض أيّ إنسان من أتباع الأديان الأخرى ليقدّم في مواجهته شيئا ممّا يتلقّاه من إلهامات ربّانيّة إن كان يتلقّاها حقيقة. وقد نجح حضرته في خطواته تلك نجاحا منقطع النظير. إذ لم يبرز إلى الميدان أحدٌ في مواجهته، ليواجه تحدّيه المذكور. وتوجّهت عن طريق ذلك الأنظار إليه وهي توّاقة أن يُكمِل ميرزا غلام أحمد تأليف كتابه (البراهين الأحمديّة). وهكذا هلّ على ميرزا غلام أحمد عام ١٨٨٤م بعد أن تلقّى جميع ما ذكرناه من إلهامات هامة على طريق تكليفه بمهمّة تجديد الدين وإحيائه. والذي يراجع تلك الفترة من الزمان يلاحظ بأنّ جميع الذين كانت تصلهم ملازم مؤلّف (البراهين الأحمديّة) لم يعترضوا على ما كان ينشره حضرته في مؤلّفه من تلك الرؤى والكشوف والإلهامات التي كانت تعرض له. والتي ثبت فيما بعد بأنّها كانت تمهّد لتكليف حضرته بمهمة تجديد الدين تلك المهمّة التي دأبت حتى الآن على ذكرها. والتي انتهت إلى تلقّي حضرته منها عام ١٨٨٤م الإلهامات التي سبق لي أن ذكرتها، والتي أعقبها سماع نداء ربّه عز وجل وهو يناديه قائلا: (**إني أنا ربّك**). ذلك النداء الذي فهم منه حضرته بأنّ ربّه يؤكّد عليه أن يصدع لأمر ربّه عز وجلّ. وقد قام ميرزا غلام أحمد على إثرها بطبع إعلان من عشرين ألف نسخة وبلغتين أيضاً وقد أعلن فيه بأنّ اللّه تعالى قد بعثه مجدّدا لإحياء الدين الإسلامي. ووفق ما أورده اللّه تعالى في كتابه العزيز من نبوءات متعلّقة به.

الفصل الخامس

ما بعد النداء وإلى تأسيس الجماعة

وبعد أن كتب ميرزا غلام أحمد هذا الإعلان التاريخي بعد تلقّيه نداء ربّه عز وجلّ وليصدع للقيام بما أمره به ربه، تلقّى حضرته من جانب ربّه جلّ شأنه أمرا آخر وهو أنَ عليه أن يتّصف في تعامله مع الناس بأعلى مستويات صفة التواضع، على طريق إصلاح خلق اللّه تعالى. لذلك فقد قرّر أن يُتمّ الحجّة على الناس من خلال ذاك الإعلان الذي أشاعه بلغتين. وأرسله إلى أصحاب السيادة من زعماء التبشير المسيحي وأصحاب السيادة من أتباع (آرية سماج) وغيرهم من زعماء الأمة والأديان. وقد وضّح حضرته بأنّه أقدم على ما أقدم عليه. بعد الدعاء والاستئذان من ربّه عز وجلّ. وقد لقي من جانب ربّه الاستحسان، وألهمه ربّه ما ترجمته: (**إنّ كلّ من يصله إعلانك ويرجع إلى الحقّ يُعتبر ملزما ومغلوبا ولا جواب لديه**). (راجع التذكرة). وفي السادس من شهر نيسان رأى حضرته رؤيا تلقّى فيها إلهاما باللّغة العربيّة وهو (**يدعون لك أبدال الشام وعباد اللّه من العرب**). (راجع التذكرة). علما بأنّ حضرته تلقى هذا الإلهام في وقت لم يكن فيه قد قام بتأسيس جماعته المعروفة، ولا كان قد بايعه أحد من الناس بعد، ولا كانت الشام قد سمعت باسمه. ونشر هذا الإلهام في كتابه البراهين الأحمديّة. وعلّق عليه بأنّ حضرته لا يدري شيئا عن حقيقة ما أنبأ عنه هذا الإلهام المذكور، ولا يدري كيف ومتى سيتحقق. وأنهى تعليقه بقوله: واللّه أعلم بالصواب.

ومضت أشهر وإذ بحضرته يرى في العاشر من تمّوز من نفس العام وهو في حالة الكشف الروحي بأنّه دوّن على ورقة بعض أمور متعلّقة بالقضاء والقدر. ومن ثمّ عرضها على ربّه القادر المطلق ليوقّع عليها. فتمثّل ربّه عز وجلّ على شكل حاكم ذو جلال، وممسكا بقلمٍ غطّه في دواة فيها حبرٌ أحمر. ومن ثمّ نفض

القلم باتّجاهه ووقّع بما تبقّى من حبر كان على رأس القلم. وزالت عنه بالتالي حالة الكشف تلك. وفتح عينيه فلاحظ وجود بعض قطرات الحبر الأحمر على ثيابه. وكان يجلس بجانبه صديق له اسمه عبد اللّه السنّوري، وقد سقطت عدّة قطرات على عمامة عبد اللّه السنوري هو أيضاً من ذاك الحبر الأحمر. وفي الحقيقة فإنّ عبد اللّه المذكور قد شهد بقسمٍ مغلّظ على صحّة تلك الواقعة. واحتفظ بعمامته تلك إلى آخر عمره. ومن ثمّ أوصى المذكور أن تُدفن معه في قبره. وهكذا كان. (راجع سيرة المهدي الجزء الثالث الرواية صفحة ٤٣٦).

ويذكر القارئ بأني كنت ذكرت بأنّ أقرباء ميرزا غلام أحمد كانوا ضجّوا من سماعهم بادّعاء حضرته أنّه المجدّد (ذو القرنين) وضايقوه. وإذ بحضرته يتلقّى إلهاما في السابع من شهر آب من نفس العام وكان مضمونه إلهام سوء بحقّ أقاربه. فأشاع ذاك النبأ بين الناس وبينهم. منذرا فيه أنّ كلّ من يبقى على مخالفته له، سيُنزل ربّه فيه مختلف أنواع العذاب. ومبشّرا فيه كلّ من استجاب له من أقاربه وكفّ عن إيذائه وتاب وأصلح يتوب اللّه عليه ويرحمه. وقد تحقّق ذاك الإلهام بكلّ جلاء على الوقت المذكور فيه. فأهلك اللّه عز وجلّ كلّ من استهزأ بذاك الإلهام. وعادت الأمور بعد ذلك إلى مجاريها فهذه هي بعض أهمّ الإلهامات التي تلقّاها ميرزا غلام أحمد خلال عام ١٨٨٥م وكان قد تلقّى عشرات الإلهامات والكشوف والرؤى غيرها لكني أعرضت عن ذكرها خشية الإطالة على القارئ. وهكذا مضى ذاك العام ولم يؤمر فيه ميرزا غلام أحمد بتأسيس جماعة ولا أمره ربّه عز وجلّ بأخذ البيعة من أحد من الناس.

أحداث عام ١٨٨٦م

سفر هوشياربور

بشارة المصلح الموعود

فلمّا هلّ عليه عام ١٨٨٦م، أمره ربّه عز وجلّ أن يختلي شهرا خارج قاديان. وحدّد له ربّه جلّ شأنه شهر شباط ومدينة (هوشياربور) بالذات. فسافر ميرزا غلام أحمد بتاريخ كانون ثاني عام ١٨٨٦م إلى تلك المدينة واختلى فيها بعيدا عن الناس شهرا عند أحد أصدقائه. وقد طلب هناك من جميع معارفه ألاّ يتّصلوا به إلاّ لأمر جدّ ضروري. فإذا اتّصلوا به، أن يكلّموه باختصار شديد. وفي العشرين من شباط تلقّى حضرته إلهاما ترجمته: (**أُريك آية رحمة استجابة لدعائك. فأنا سمعت كلّ تضرّعاتك ونالت أدعيتك مكان قبول عندي رحمة بك. وجعلت سفرك إلى (هوشياربور) مباركا. لذلك أريك وجه قدرتي ورحمتي وقربك عندي، وتنال إكليل فتح وظفر. أيها المظفّر ! عليك سلام. قال اللّه: هذا لننجّي طلاّب الحياة من الموت، ولنخرج رُقّاد القبور منها. ولتظهر مرتبة شرف الإسلام وكلمة اللّه للنّاس. وليأت الحقّ بجميع بركاته. وليهرب الباطل بجميع مساوئه. وليعلم الناس بأنّي قادر أفعلُ ما أشاء. وليتيقّنوا بأني معك. وليشاهد آيةً جليّةً أولئك الذين لا يؤمنون بوجود اللّه ويكذّبون دين اللّه وكتابه، ويكذّبون رسوله الطاهر محمدا المصطفى (ص)، وليتبيّن سبيل المجرمين. فأبشرك بأني ساعطيك ابنا طاهرا ووجيها، ويكون غلاما زكيّا من صُلبك، ومنه تكون ذرّيتك. فيكون ضيفك ولدا طاهرا جميلا. واسمه بشير الدين إجابة لدعائك، وأوتي روحا مقدّسة، ومطهّرا من الرجس. ويكون أحد أنوار اللّه تعالى. فمبارك الآتي من السماء. والذي يأتي معه فضل. ويكون صاحب عظمة ومال. فهو يأتي إلى الدنيا، ويشفي بنفسه المسيحي وببركة روح الحقّ الذي معه الضالّين من أمراضهم. هو كلمة اللّه. لأنّ رحمة اللّه وغيرته أرسلته ممسوحا بكلمة التمجيد.**

ويكون ذكيّا وفهيما جدّا. وحليم القلب. ومملوء بالعلوم الظاهريّة والباطنيّة. ويجعل الثلاثة أربعة "علما بأنّي ما فهمت معنى هذه الفقرة الأخيرة" يوم الاثنين، مبارك يوم الاثنين. ابن عزيز، مكرّم وعالم، مظهر الأوّل والآخر مظهرُ الحقّ والعلا، كأنّ الله نزل من السماء، والذي يكون نزوله مباركا جدّا، ومظهرا للجلال الإلهي، نور آتٍ نور، عطّره الله بعطره، سنؤيّده بروحنا، ونتوّج رأسه بظلّ الله. ينمو سريعا ويكون سببا لإطلاق سراح الأسرى، وتبلغ شهرته أقاصي الأرض، فتتبارك منه أقوام. ومن ثمّ تُرفع نقطته النفسية إلى أعلى وكان أمرا مقضيّا).. (راجع إعلان ٢٠شباط ١٨٨٦ الوارد في تبليغ رسالت المجلّد الأوّل).

فلمّا تلقّى ميرزا غلام أحمد هذا الإلهام الإلهي الذي وعده ربّه فيه بأنّه سيرزقه ولدا على مستوى ما ورد في ألفاظ هذا الإلهام من أوصاف، فقد نشر في ٢٢ آذار من عام ١٨٨٦م -أي بعد تلقيّه إياه بأيّام -إعلانا أعلن فيه بأنّ اللّه عز وجلّ سيرزقه خلال تسعة أعوام الابن الذي بشّره به هذا الإلهام آنف الذكر. وأقتطف للقارئ ممّا ذكره في الإعلان المذكور، قال: **(إنّ هذا الإلهام لا يعدّ نبوءة وحسب. بل هو آية سماويّة عظيمةٌ شاء ربّنا جلّ شأنه أن يُظهر من خلالها عظمة صدق محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم وهو النبيّ الكريم الرؤوف الرحيم. وهي آية أعظم من آية إحياء الأموات. ذلك أنّ إحياء النفس معناه إعادة الحياة فقط إلى الميّت بواسطة الدعاء. وبقاء الميت حيّا بضع دقائق أو ساعات، وعلى حسب ما ورد في التراث المنقول. ومن ثمّ عودة هذا إلى حالة الموت. ومفارقته لأعزّائه وأحبّائه، ومن دون فائدة تُذكر. لكنّ اللّه عز وجلّ وببركة الدعاء على أعتابه، فقد بشّرني بفضله وإحسانه وببركة سيّدي محمّد خاتم النبيّين (ص) بأنّه قد قبل أدعيتي ووعدني بإرسال روح تنتشر بركاتها الظاهرة والباطنة على جميع أنحاء الأرض. وهذه البشارة هي أسمى وأعلى بكثير من إحياء نفس ولوقت محدود في نظر العقلاء والمتفكّرين)**.. وبعد ذلك تلقّى حضرته إلهاما آخر حدّد تعالى له بأنّ ولادة الابن المشار إليه سيحدث بعد تسعة أعوام. (راجع التذكرة).

وفي الحقيقة فقد رزق اللّه عز وجلّ حضرة ميرزا غلام أحمد ولدا ذكرا بتاريخ ١٢ كانون ثاني عام ١٨٨٩م وضمن المدّة المشار إليها. فكبر هذا الابن وترعرع وتحقّقت فيه جميع الأوصاف التي حملها ذاك الإلهام الربّاني الذي تلقّاه حضرته في مدينة (هوشياربور). واشتهر ذا الإلهام بين أتباع حضرته بأنّه بشارة ظهور المصلح الموعود. وسأوافي القارئ بتفاصيل تلك الأحداث حين أتكلّم عن عائلة هذا المجدّد العظيم (ذو القرنين) الذي تحقّقت بواسطته نبوءات القرآن الكريم بصورة يقينيّة. ويكفي أن يعلم القارئ بأنّ الابن المشار إليه قد استخلفه ربّه خليفة ثاني لوالده وذلك بعد وفاة الخليفة الأول، وذلك في عام ١٩١٤ م ولم يكن قد بلغ عمره الخامسة والعشرين. وتحقّق بظهوره جميع ما تضمّنه الإلهام الربّاني المتعلّق به.

وهكذا أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ حادثٍ حدث مع ميرزا غلام أحمد خلال عام ١٨٨٦م. وهو تلقّيه فيه بشارة المصلح الموعود المتعلّقة بمستقبل الجماعة التي سيؤسّسها اللّه عز وجلّ على يديه ولتصبح قاعدة بناء النشأة الثانية للإسلام. وقد تغاضيت فيه عن ذكر عشرات الرؤى والكشوف والإلهامات التي تلقّاها حضرته في العام المذكور. والمتعلّقة بأمور أقلّ أهمّيّة من نبوءة المصلح الموعود في نظر المحقّقين. وبهذه المناسبة أرى أن أذكّر القارئ بأنّ ميرزا غلام أحمد دأب في هذا العام أيضاً على نشر إعلانات إلى مختلف الجهات المعروفة، وكان يبلّغ من خلالها ما يراه وما يتلقّاه من نبوءات. ويطالب كلّ من يصله إعلانه أن ينتظر تحقّق تلك النبوءة، ليثبت له من خلال تحقّقها مصداقيّة وجود اللّه علاّم الغيوب وصدق كتابه العزيز، ومصداقيّة نبوّة محمّد رسول اللّه سيّد المرسلين وخاتم النبيّين صلّى اللّه عليه وسلّم.

أحداث عام ١٨٨٧م

وهلّ عام ١٨٨٧م وظلّ الحال على ما كان عليه في العام الذي قبله. فكان يرى ميرزا غلام أحمد شيئا في منامه أو في حالة الكشف، ويتعلّق بفلان أو بفلان من أهله أو من أصحابه أو من غيرهم. وكان يُرسل إليهم رسائل يذكر فيها كلّ ما رآه وعاينه وأطلعه ربّه عليه. وكانت تدور الأيام ويتحقّق كلّ ما أخبرهم عنه. وأغض الطرف في هذا المقام عن ذكر ذلك كلّه خشية الإطالة في هذا الكتاب. وإنّ كلّ من يقوم بتدقيق مُجريات أمور هذا العام، يدرك وكأنّ اللّه عز وجلّ كان يصفّي علائق ميرزا غلام أحمد بغيره من الناس لينقله النقلة النوعيّة التي تتعلّق بأصل مهمّته السماويّة التي كلّفه ربّه بها وهي وضع لبنة البعثة الثانية للإسلام.

أحداث عام ١٨٨٨م

عام ١٨٨٨م هو عام الحسم

الإعلانات والمقاصد منها

قيام الجماعة الإسلامية الأحمدية

إعلان أخذ البيعة وتأخير التنفيذ

لدهيانه وأوّل البيعات

شروط البيعة العشرة

حتّى وأنّ اللّه عز وجلّ قد حسم في الأشهر الأولى من هذا العام وهو عام ١٨٨٨م، أقول قد حسم كلّ أمر يتعلّق بأقارب حضرته. أولئك الذين ضجّوا من إعلان حضرته ادّعائه بأنّ ربّه قد جعله مجدّد زمانه. وهم الذين حاولوا مضايقته أكثر من غيرهم من الناس وطبعوا كتابا تبرّؤوا فيه من عقيدة وجود اللّه تعالى نفسه. ومن الاعتقاد بصدق نبوّة محمّد (ص) أيضاً. وسبوه وشتموه وتبرّؤوا منه أمام الناس. وقد تضرّع ميرزا غلام أحمد بين يدي ربّه ليرفع عنه مُصابه بهم.

فأنبأه ربّه عز وجلّ عدّة نبوءات تتعلّق بمصير أولاد عمّه. وكانت تلك النبوءات قد فتحت باب التوبة أيضاً لكلّ من يتوب ويرجع عن مضايقته. وبدأت تتحقّق تلك النبوءات تباعا. ودبّ الخوف في قلوب بعضهم فتابوا ورجعوا إليه. أما الذين لم يعتبروا بما تحقّق من تلك النبوءات، وثابروا على مضايقته، فقد حلّت بهم مآسي انتهت بهم إلى الهلاك. فلمّا استتبّ الأمر لحضرة ميرزا غلام أحمد من جهة أقاربه. وكان قد مرّره ربّه من جميع ما سبق لنا أن ذكرناه حتى الآن، وخلال سنوات مضت، ابتدأت من زمن تلقّيه عام ١٨٨٤م الإلهام الذي نصّبه اللّه جلّ شأنه من خلاله مجدّدا لهذه الأمّة، وما بين تهيئته لتأسيس جماعته وأخذ البيعة من كلّ من ينضمّ إليها. أقول: وبعد أن أكمل اللّه تعالى إعداد شخصيّة ميرزا غلام أحمد لحمل المهمّة المقدّر أن يقوم بها وبعد أن جاء على قدرٍ لأداء تلك المهمّة الأساسيّة من بعثته. فقد تلقّى حضرته في شهر آب بالذات من عام ١٨٨٨م، إلهاما جديدا باللّغة العربيّة هذا نصّه: (**يصلّون عليك صلحاء العرب وأبدال الشام، وتصلّي عليك الأرض والسماء ويحمدك اللّه عن عرشه**). (راجع التذكرة). علما بأنّ حضرته لم يكن قد أسّس جماعته بعد، ولا كان سمع أحدٌ من أهل الشام عنه شيئا.

ومن ثمّ يقول حضرته (**بأنّ اللّه عز وجلّ قد كشف عليه جميع أغوات وأقطاب الأمّة الذين سيؤمنون بي ويطّلعون على عظيم مقامي. كذلك بشّرني ربّي بعد ذلك بأنّ كلّ من يحيط بحالي علما ومن ثمّ يخالفني ويعاديني فإنّه سيكون جهنّميا. ومن ثمّ بشّرني بعد ذلك الوقت بأنّ ابني الذي بشّرني به، وهو بشير الدين محمود، سيكون من أولي العزم ونظيري في الحسن والإحسان وأنّه تعالى يخلق ما يشاء**).

وبعد أن أتيت على ذكر أبرز ما تلقّاه حضرة ميرزا غلام أحمد من رؤى وكشوف وإلهامات خلال سني حياته، وخاصّة منها الإلهامات اللّفظيّة التي بشّره ربّه فيها بأنّه أصبح مجدّد الأمة الإسلاميّة. وكيف أنّ حضرته كان ينشر إعلانا

إثر إعلان لينشر من خلاله ما أطلعه ربّه عليه من تلك البشائر والنبوءات. فقد كان من المناسب أن أبيّن للقارئ الأسباب والمقاصد التي كانت تدفع ميرزا غلام أحمد إلى إعلان ذلك في تلك الإعلانات التي كان يرسلها إلى جميع زعماء الأمة السياسيين والدينيين. إذ أنّ حضرته وضّح في مؤلّفاته الأسباب والمقاصد التي كانت تدفعه لنشر تلك الإعلانات. وقد حصرها حضرته في أربعة أسباب ومقاصد هي:

أولاً - ليطّلع عليها كلّ طالب يقين ومعرفة. ولتدفعه ذلك ليزداد همّة وعملا على تعاليم ربّه عز وجلّ ولتنقشع سحب الظلام من أمام عينيه. وليعلم بأنّ إلهه حيّ قيوم يكلّم عباده الصالحين.

ثانياً - وليوقن طلاب الحقيقة أيضاً بأنّ جميع البركات محدودة في أنوار الإسلام ومحصورة فيه. فلا يوجد الآن دين على وجه البسيطة يحقّق ما يحقّقه العمل على تعاليم الإسلام. ولإلقاء الحجّة على الملحدين الذين لا يعترفون بوجود خالق السماوات والأرض، ويزعمون اختلاق الأنبياء ما أعلنوه وما جاءوهم به من بيّنات من عند أنفسهم.

ثالثاً - ومن دوافع ذكر هذه الكشوف والإلهامات محاولة تقوية إيمان المؤمنين، وتثبيت قلوبهم على الحقّ، وليوقنوا يقينا كاملا بأنّ الإسلام وحده يهدي إلى الصراط المستقيم، وأنّه لا يوجد الآن تحت السماء إلا كتابٌ واحدٌ ونبيٌّ واحدٌ هو محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم الذي هو أفضل النبيّين وخاتم الأنبياء والمُرسلين. وخير الناس أجمعين. وبواسطته يتمكّن المرء من الاتّصال باللّه عز وجلّ، وتنجلي عن عينيه أغشية الظلام ويتلمّس في هذه الحياة الدنيا آثار نجاته الحقيقيّة. وأنّ القرآن الشريف هو وحده المشتمل على كامل الهداية. وأنّه بواسطته يحصل الإنسان على المعارف والعلوم الحقيقيّة. وببشائره تتطهّر الأفئدة ويصحو الإنسان من جهله وغفلته ويصل إلى مرتبة حقّ اليقين.

رابعاً - هذا وإنّ الباعث الرابع الذي يدفعني لنشر وإعلان ما أتلقّاه من كشوف وإلهامات، وأخذ الشهادات على مصداقيّتها من أتباع الأديان الأخرى، ليعود كلّ ذلك يشكّل حجّةً قويّة وقاطعةً في أيدي المسلمين. وليتمكّنوا عن طريقها التغلّب وإفحام الذين يعادون الحقّ من أصحاب القلوب المسودّة المكابرين على الباطل. وليصون ذلك طلاّب الحقّ والأجيال القادمة من سموم الضلالة التي تخيّم في هذه الأيام على العالم. حتى إذا مضى عالم اليوم، انقشع الحجاب وبان وجه تلك الحقائق التي تضمّنها مؤلّفي (البراهين الأحمديّة). فهذه النبوءات ستكون مفيدة في المستقبل إن شاء اللّه تعالى. (حاشية داخل حاشية من البراهين الأحمديّة، وعلى الصفحات: ٥٣٣، ٥٣٦، ٤٦٥، ٤٦٨).

وعلى هذه الصورة فقد تأهّل ميرزا غلام أحمد في نظر ربّه عز وجلّ ليبايعه الناس، وليضع حجر أساس بُنيان البعثة الإسلاميّة الثانية التي أنبأت عنها آيات القرآن المجيد، ووفقا لما بيّنته في مؤلّفي (للإسلام بُعثتان: البعثة المحمديّة والبعثة الأحمديّة والقرآن واحد في كلا البعثتين). وثبت من خلال ذلك كلّه بأنّ هذا القرآن المجيد الذي أنبأ عن ذلك كلّه منذ أربعة عشر قرن من الزمان. هو ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. ألا، وبعد أن مضت السنوات التي أشرت إليها قبل هذا. وبعد أن أتمّ اللّه عز وجلّ تأهيل ميرزا غلام أحمد للقيام بالمهمّة التي كان القرآن الكريم قد أنبأ عنها قبل أربعة عشر قرن من الزمان، وجاء على قدر في نظر ربّه عز وجلّ. أذن اللّه جلّ شأنه لحضرة ميرزا غلام أحمد أن يأخذ البيعة من الناس وليبدأ البعثة الثانية للإسلام. وعلى إثر ذلك فإنّ حضرة ميرزا غلام أحمد نشر إعلانا في الأوّل من كانون الأول من عام ١٨٨٨م نبّه من خلاله إلى ما تلقّاه من جانب ربّه من إذن في أخذ البيعة من الناس. وأورد فيه ما ترجمته: (**أريد في هذه المناسبة أن أقوم بتبليغ**

خلق اللّه عموما، وإخواننا المسلمين خصوصا، بأنّني أُمرت بأن يبايعني طلاّب الحقيقة أولئك الذين يريدون أن يهجروا حياة الغدر والوساخة، ويتعلّموا محبّة المولى ويؤمنوا إيمانا صادقا ويتطهّروا طهارة إيمانيّة. فالذين يجدون في أنفسهم هذا الاستعداد أن يأتوا إليّ لأشاركهم في همومهم ولأخفّف عنهم، وإنّ اللّه تعالى يبارك في أدعيتي لهم وتوجّهاتي نحوهم. على شرط أن يلتزموا بالسير على ما اشترطَه عليهم ربّهم من شروط، وذلك من صميم أفئدتهم. وإنّ أمر اللّه تعالى الذي تلقّيته اليوم وبألفاظ عربيّة، هو هذا: إذا عزمت فتوكّل على اللّه. واصنع الفُلك بأعيننا ووحينا. الذين يبايعونك إنّما يُبايعون اللّه، يد اللّه فوق أيديهم. والسلام على من اتّبع الهدى).. الأول من كانون الأول - المبلّغ غلام أحمد عفي عنه.

وبعد أربعين يوما منه، وبالتحديد في الثاني عشر من شهر كانون الثاني عام ١٨٨٩م، أتبعه بإعلان آخر بعنوان (**تتمّة التبليغ**) ضمّنه شروط البيعة المأمور آخذها من الناس. وقد فرض المجدّد (ذو القرنين) ميرزا غلام أحمد فيه على كلّ من يريد أن يبايعه على اعتباره المجدّد (ذو القرنين) ومثيل ابن مريم، ووفق نبوءات القرآن المجيد، أن يلتزم طوال حياته ببنود عشرةٍ هي خلاصة تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف. فإذا بايعه المرء على هذه البنود العشرة بإخلاص ومن صميم فؤاده، ومعتقدا بأنّ اللّه عز وجلّ هو الذي تدخّل وأرشد في هذا المجال. فإنّ هذا المبايع يصبح عضوا عاملا في جماعته التي سمّاها باسم (**الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة**) وموجّها إيّاه بالتالي إلى أنّ كلمة (الأحمديّة) لا تعني نسبة الجماعة إلى اسمه، ولكنّها تعني الإشارة إلى (البعثة الإسلاميّة الثانية) التي أشارت إليها الآية من سورة الصفّ على لسان عيسى ابن مريم (**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**). وأقدّم إلى القارئ شروط البيعة العشرة المشار إليها، والتي على أساس منها يجدّد المرء إيمانه وليصبح (مسلماً أحمديًا)، وهي:

أولاً - **(أن يتعهّد المبايع من صميم فؤاده أن يجتنب الشرك إلى أن يفارق هذه الحياة الدنيا)**.. فأقول: لو كان حضرة ميرزا غلام أحمد مُعتقدا بإله غير الإله الذي دلّت عليه تعاليم القرآن المجيد. فهل يعقل أن يشترط على المبايع هذا الشرط الذي نصّ عليه البند الأول للبيعة، ولا يكون ميرزا غلام أحمد هو نفسه موحّدا؟ علما بأنّ الذي يطالع مؤلّفات ميرزا غلام أحمد يتلمّس من خلالها كيف أنّ حضرته كان على صلة باللّه صاحب الأسماء الحسنى التي أوردها القرآن الكريم. وكيف أنّ حضرته كان توّاقا بكلّيته ليعرّف جميع بني نوع الإنسان على وجود ربّه عز وجل، وعلى صدق الرسالة المحمّديّة وعلى صدق القرآن الكريم الذي أنزله ربّه عليه.

ثانياً - والشرط الثاني من شروط البيعة هو **(وأن يجتنب الزنا وقول الزور وخيانة الأعين وأن يحترز من جميع أنواع الفسق والفجور والظلم والخيانة، وأن يبتعد عن طرق البغي والفساد، وألاّ يدع ثوائره النفسيّة تتغلّب عليه مهما كان الداعي إليها قويّا وهاما)**.. ولا شكّ أنّ كلّ من يعمل على هذا الشرط الثاني في حياته اليوميّة، يتطهّر من رجس كلّ تعامل مخالف لتعاليم القرآن الكريم. ويصبح لائقا للتقرّب من ربّه عز وجلّ. ومن جذب محبّته تعالى إليه.

ثالثاً - والشرط الثالث من شروط البيعة هو **(وأن يواظب على صلواته الخمس المفروضة عليه بالالتزام نزولا عند أمر اللّه تعالى ورسوله الكريم (ص) وأن يداوم جهد المستطاع على إقامة صلاة التهجّد، والصلاة على النبيّ (ص) وطلب العفو من ربّه على ذنوبه، والمداومة على الاستغفار، وعلى تذكّر نعم ربّه وما منّ به ربّه عليه، وبخلوص قلبه، واتّخاذ حمد ربّه والثناء عليه وردا له)**.. وهذا الشرط الثالث قد حدّد للمبايع ما فرضه عليه كتاب اللّه العزيز من فرائض دينيّة عمليّة، لا يجيز له كتاب اللّه العزيز أن يفرّط ويقصّر في العمل على أيّة فريضة منها. فإن فرّط بواحدة منها يكون ناقص الإيمان.

رابعاً - وأما الشرط الرابع من شروط البيعة فهو (**وأن يبتعد عن إيذاء أيّ إنسان وخاصّة إخوانه المسلمين، لا بهياجه النفسيّ ولا بلسانه ولا بيده ولا عن أيّ طريق آخر**).. وإنّ العمل على هذا البند الرابع يجعل المسلم في حقيقة أمره مسالما ومحبّا لتوطيد الأمن والسلام في العالم.

خامساً - والشرط الخامس هو: (**وأن يكون مخلصا للّه تعالى، وراضيا بقضائه في جميع أحواله: في حالة الترح والفرح والعسر واليسر والضنك والنعم، وأن يكون على استعداد لتقبّل كلّ مذلّة وهوان، وتحمّل كلّ مشقّة وعناء في سبيل ربّه، وأن لا يُعرض عن ربّه عند حلول أيّة مصيبة أو بلية به، بل أن يسعى بلا انقطاع على التقرّب من ربّه عز وجلّ**).. وبهذا الشرط يكون ميرزا غلام أحمد قد غرس في نفوس الذين يبايعونه يقينا كاملا بأنّ كلّ ما يجري في هذا الكون. إنّما يجري بتحريك من قبل اللّه مالك السماوات والأرض. كما يكون قد غرس في نفوس الذين يبايعونه روح التّضحية في سبيل اللّه بعد أن أصبحوا مؤمنين بوجوده. وسعوا للتقرّب منه ولجذب محبّته وللحصول على قربه ورضوانه. وهي الروح التي فقدها هذا الجيل المسلم يقينا.

سادساً - والشرط السادس للبيعة هو: (**وأن يتخلّص من اتّباع جميع الرسوم والعادات الموروثة والأهواء والأماني الكاذبة التي لا أصل لها ولا مرجع حقيقي لها، وأن يتقبّل على نفسه ما يحكم به القرآن المجيد، وبكلّ معنى الكلمة، وأن يتّخذ قول اللّه تعالى وقول رسوله الكريم دستورا ومنهجا لكلّ ما يُقدم عليه من عمل**).. ومن خلال هذا الشرط السادس يكون ميرزا غلام أحمد قد نبّه ذهن كلّ مسلم يسعى للتقدّم والازدهار، إلى أنّ العائق الذي يعيقه على هذا الطريق هو استسلامه في حياته اليوميّة إلى ما ورثه عن مجتمعه من رسوم وعادات موروثة وأماني كاذبة لا أصل لها في تعاليم الإسلام كما يكون قد نبّهه إلى أنّ تقدّمه وازدهاره كامن وراء تطبيقه تعاليم القرآن المجيد مجرّدة عن تلك الرسوم والعادات الموروثة والأهواء

الكاذبة. وبألفاظ أخرى أن يقوم هذا المسلم باتّخاذ قول اللّه وقول رسوله منهجا لكلّ ما يُقدم عليه من قول وعمل.

سابعاً - والشرط السابع هو: **(وأن يطلّق صفات الكبر والزهو طلاقا باتا، وأن يقضي أيّام حياته متواضعا وخاضعا، وأن يقابل الناس بالبشر، وأن يُعاملهم بالحلم وحُسن الخُلُق)**.. ويكون ميرزا غلام أحمد ومن خلال هذا الشرط السابع قد أعاد للمسلم روح تواضعه، والتخلّق بروح تعاليم دينه التي نهته عن سوء الخُلُق الذي يتسبّبُ في تنفير الناس من حوله.

ثامناً - والشرط الثامن هو: **(وأن يكون عزّ الإسلام ومواساته أعزّ عنده من نفسه ومن ماله ومن أولاده ومن كلّ ما هو عزيز عليه)**.. وبهذا الشرط يكون ميرزا غلام أحمد قد أعاد إلى المسلم إحساسه بالمسؤوليّة تجاه دينه، ووفق ما يردّده يوميّا في صلواته حين يقول (قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه ربّ العالمين).. وقد هيّأه حضرته بذلك لتقديم خدمة دينه على خدمة دنياه.

تاسعاً - والشرط التاسع من شروط البيعة هو **(وأن يواسي ويعطف على جميع خلق اللّه تعالى ابتغاء مرضاة ربّه عز وجلّ. وأن يُنفق قدر استطاعته مما رزقه اللّه تعالى من قوى ونعم وذلك في خير أبناء جنسه ونفعهم)**.. ومن خلال هذا الشرط التاسع فقد أعاد ميرزا غلام أحمد للمسلم شعوره الإنساني الذي أفقدته إيّاه مفاهيم موروثة ورّثته إياها التفاسير القديمة التي أودت بهذه الأمّة إلى ما هي عليه من تخلّف وجهلٍ بحقائق القرآن المجيد وانحطاط.

عاشراً - والشرط العاشر والأخير من شروط البيعة هو **(وأن يعقد مع هذا العبد عهد الأخوّة خالصا لوجه اللّه تعالى معاهدا على أن يطيعني في كلّ ما آمره به من المعروف، وأن لا يحيد عنه ولا ينكث عهده هذا حتّى الممات. وأن يكون في هذا العقد على صورة لا تعدلها العلائق الدنيويّة سواء كانت علاقات قرابة أو كانت علاقات صداقة أو كانت علاقات عمل)**.. ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ ميرزا غلام أحمد قد

أعطى للبيعة مفهوم (**عهد الأخوّة وخالصا لوجه اللّه تعالى**) وأنّ (**يد اللّه تعالى فوق أيديه وفوق أيدي الذي يبايعونه**). وبألفاظ آخرى فإنّه يثبت من خلال ذلك أنّ ميرزا غلام أحمد عليه السلام يعمل لصالح الدين الإسلامي الحنيف، ولا يعمل لصالح نفسه. ثم إنّه لم يطالب بإطاعة عمياء من قبل الذي يبايعونه. بل طالبهم أن يبايعوه على إطاعته في كلّ ما هو معروف من كتاب اللّه عز وجلّ، وألا يطيعونه على ما يخالف تعاليم الإسلام الحنيف الذي جاء بها محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم.

وعلى أساس من هذه الشروط العشرة فقد قامت البيعة لميرزا غلام أحمد، والذي كان مسلما تقيّا منذ نعومة أظفاره، ومن أهل اللّه والذي ثبت بشهادة الشهود الذي شاهدوه وتعاملوا معه بأنّ اللّه عز وجلّ كان متولّي أموره طوال حياته. وكان من علامات تقواه البارزة أنّه كان يتلقّى بشارات ربّه بالعشرات بل بالمئات، ما بين رؤى صالحة وما بين كشوف روحيّة وإلهامات ربّانيّة تحمل نبوءات مستقبليّة تحقّقت على رؤوس الأشهاد. وقد ثبت من خلالها بأنّ حضرته عليه السلام كان على صلة بربّه يقينا. فإن كان قارئ كتابي هذا شخصا تقليديّا ومتحجّر العقل وقرأ هذه الشروط العشرة التي أوردتها والتي تمثّل خلاصة تعاليم القرآن المجيد، ومع ذلك يظلّ يُعطي أذنه لكلّ من عادى ويعادي ميرزا غلام أحمد، ومن دون مناقشة لكلّ ما يتلقّاه ويسمعه، فليعلم بأنّ مصيره سيصير إلى جهنّم يقينا. ووفق ما ورد في آخر إلهام تلقّاه حضرته عليه السلام. وإنّ هذا هو رأيي الشخصي أيضاً ووفق حصيلة ما بذلته من تحقيق وجهود مضنية في سبيل معرفة الحقيقة. فقد كنت قد تركت بلدي وسافرت إلى بلاد هذا المجدّد وبقيت هناك ستّ سنوات، وأنا أتفحّص كلّ شيء من زاوية الشك، ومن زاوية كوني عربيّ، وأنّ الذي طالبني بالبيعة هو أعجميّ فتيقّنت صدقه أخيرا. وبايعت خليفته واللّه على ما أقول شهيد.

وهنا يتساءل القارئ في حديث نفسه: ما دام ميرزا غلام أحمد قد أمره ربّه بأخذ البيعة في الأول من كانون الأول من عام ١٨٨٨م. فما هو سبب تأخيره إعلان شروط البيعة إلى ١٢ كانون الثاني من عام ١٨٨٩م أي تأخير إعلانها أكثر من أربعين يوما؟

والحقيقة أنّ هذا السؤال هام، وبدليل أنّ حضرة ميرزا غلام أحمد نفسه راح يبرّر هذا التأخير المشار إليه في إعلان (تتمّة التبليغ). وقد علّله بالأسباب التالية:

أولاً - فقد تذكّر حضرته بأنّ شهرته التي حقّقتها إلهاماته وما اشتملت عليها من أنباء في مختلف المجالات، وطيلة مدّة سنوات مضت، تلك التي كانت تصل تباعا إلى زعماء الأمة السياسيين والدينيين، وتنشرها صحف الهند ومجلاّتها. فإن تلك الشهرة أخافته وصوّرت له بأنّ الذين سيبايعونه سيكونون بأعداد كبيرة، ويكون منهم المخلص ومنهم من يكون قلبه لم يتطهّر من أقسام النفاق. ويحدث معه بالتالي ما حدث في صدر الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة حيث اعتنق الإسلام من كان مخلصا ومن كان منافقا أيضاً. وهذا الخاطر دفعه بعد الإذن له بأخذ البيعة إلى أن يخصّص أيّاما يدعو ربّه عز وجلّ فيها ليصون جماعته من أن ينضمّ إليها منافقون.

ثانياً - كما كان يدعو ربّه جلّ شأنه أن يُلهمه ما ينبغي أن يشترطه على كلّ مبايع من شروط لصالح دعوة الإسلام. وفي الحقيقة فقد تقبّل اللّه عز وجلّ أدعية حضرته، فألهمه ربّه بعد ذلك بتلك البنود العشرة التي سبق لنا أن ذكرناها. إلى جانب أنّه سبحانه قد فهّمه بأنّ دخول بعض المنافقين في جماعته شيء طبيعيّ، لكنّ نوعيّتهم ستختلف عن نوعيّة المنافقين الذين انضمّوا إلى البعثة الإسلاميّة الأولى. وأنه تعالى قد أشار إلى هذه الحقيقة في الآيات الأوائل من سورة البقرة، حيث تكلّم عن قسمين من المنافقين، وفصل بين ذكر كلّ قسم من القسمين المذكورين بحرف العطف (أو) هذا الحرف الذي أورده اللّه تعالى

هناك في ذاك المقام ليفيد الإبهام. أي بمعنى أنّ المتكلّم يعرف الحقيقة ويقصد إبهامها على المخاطب لغرض من الأغراض. فقد ورد ما قبل حرف العطف (أو) وصف المنافقين في صدر الإسلام. وقد ورد ما بعد حرف (أو) وصف المنافقين الذي سيظهرون زمن البعثة الثانية للإسلام. وقد تبيّنت هناك حكمة بليغة تلقائيّا فسّرت ذاك التأخير أيضاً. وهو أنّ نبوءة المصلح الموعود قد تحقّقت بولادة بشير الدين محمود أحمد في ١٢ كانون الثاني عام ١٨٨٩م، هذا الابن الذي أصبح فيما بعد الخليفة الثاني للمجدّد أبيه. وقد تحقّق بواسطته درء الفتنة التي أشارت إليها نبوءة المصلح الموعود وتحقّقت على أيدي اللاهوريّين.

أمّا السؤال أين ومتى بدأ حضرة ميرزا غلام أحمد بأخذ البيعة من الناس؟ فللإجابة على هذا السؤال، ينبغي على القارئ أن يتذكّر أولاً: الإرساليات التبشيرية في مدينة (لدهيانه) وذلك عام ١٨٣٥م. وأن يتذكّر ثانيا - بأنّ حضرة ميرزا غلام أحمد قد ولد هو أيضاً في عام ١٨٣٥م. ثالثا - وأن يتذكّر أني كنت قد أخبرته عن وجود رجلٍ صوفيٍّ مشهور هو الحاج أحمد جان الذي كان يقطن في مدينة (لدهيانه). والذي كان أتباعه يعدّون بعشرات الألوف. وكيف أنّ المذكور كتب مقالا طويلا يمدح فيه مؤلّف (البراهين الأحمديّة) وأنّ ممّا ذكره في مقاله هو أنّ زماننا بحاجة لمثل هذا الكتاب، وإلى أمثال ميرزا غلام أحمد ليهب الصادقين نورا وليقيم الحجّة على الكاذبين. وكيف أنّه دعا أتباعه ليبايعوا ميرزا غلام أحمد أيضاً. لكنّ ميرزا غلام أحمد لم يقبل بيعة أحد منهم، وقال: لم يأذن لي ربّي بأخذ البيعة من أحد حتّى الآن. فإن تذكّرت كلّ هذه الأمور يا عزيزي القارئ. وكنت تعلم بأنّ مهديّ آخر الزمان قد قدّر اللّه جلّ شأنه أن يكون (كاسر الصليب). بمعنى مُبطل عقيدته بالحجّة والبرهان. فإنّ هذه الحقائق جميعها قد دفعت ميرزا غلام أحمد ليبدأ بأخذ البيعة في مدينة (لدهيانة)

التي تأسّس فيها أول مركز للتبشير بالمسيحيّة. ولكونها مدينة ذاك الصوفي المشهور الحاج أحمد جان أيضاً. فماذا فعل حضرته؟

فلقد سافر ميرزا غلام أحمد إلى مدينة (لدهيانه). وحلّ ضيفا على أولاد الصوفي المشهور المرحوم الحاج أحمد جان، وتبيّن فيما بعد بأنّ حضرته أراد أن تكون تلك الدار التي كان صاحبها من أولياء اللّه تعالى مركز أوّل بيعة يأخذها من الناس. ونشر حضرته من هناك إعلانا أخبر فيه بأنّه سيمكث في تلك المدينة ابتداء من الرابع من شهر مايس المذكور، وإلى الخامس والعشرين منه. فمن شاء أن يحضر إلى تلك المدينة (لدهيانه) فليحضر إليها بعد العاشر من الشهر المذكور. أما إذا لم يتمكّن من الحضور إلى المدينة المذكورة ضمن المدّة المشار إليها، فيستطيع الحضور فيما بعد ذاك التاريخ إلى قريته قاديان، فيما إذا أراد الاجتماع به ومبايعته. وهكذا بدأ ميرزا غلام أحمد هناك بأخذ البيعة من الناس. فبايعه جميع أبناء المرحوم الحاج أحمد جان. أولئك الذين تبرّعوا بالغرفة التي تمّت فيها مبايعتهم إياه، أهدوها للجماعة التي أخذت تنشأ على أيدي حضرته، وسمّوها (**بيت البيعة**). وتلك كانت البيعة الأولى التي تحقّقت بتاريخ ٢٣ مايس عام ١٨٨٩م، وقد طلب حضرة ميرزا غلام أحمد أن يُفتح دفترٌ تُسجّل فيه أسماء المبايعين بترتيب زمن بيعتهم. وأن يُذكر كامل عنوان كلّ مبايعٍ إلى جانب اسمه. ولقد تفضّل حضرته فسجّل أسماء أوائل المبايعين بخطّ يده. وترك كتابة الأسماء فيما بعد إلى آخرين ليقوموا بتلك المهمّة. وكان من أوائل المبايعين طبيب مهراجا تلك المنطقة والعربيّ الأصل، الحاج نورالدين بهيروي هذا الذي أصبح بعد وفاة ميرزا غلام أحمد أوّل خليفة له في تاريخ الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة. وكان من أوائل المبايعين إياه أيضاً ذاك الذي سبق لي أن ذكرت حادثته، فبايع هو وعبد اللّه السنّوري أيضاً الذي روى للناس فيما بعد كيف تمّت بيعته لحضرته عليه السلام، وكانت ألفاظ البيعة: (**أتوب اليوم على أيدي أحمد من جميع ذنوبي**

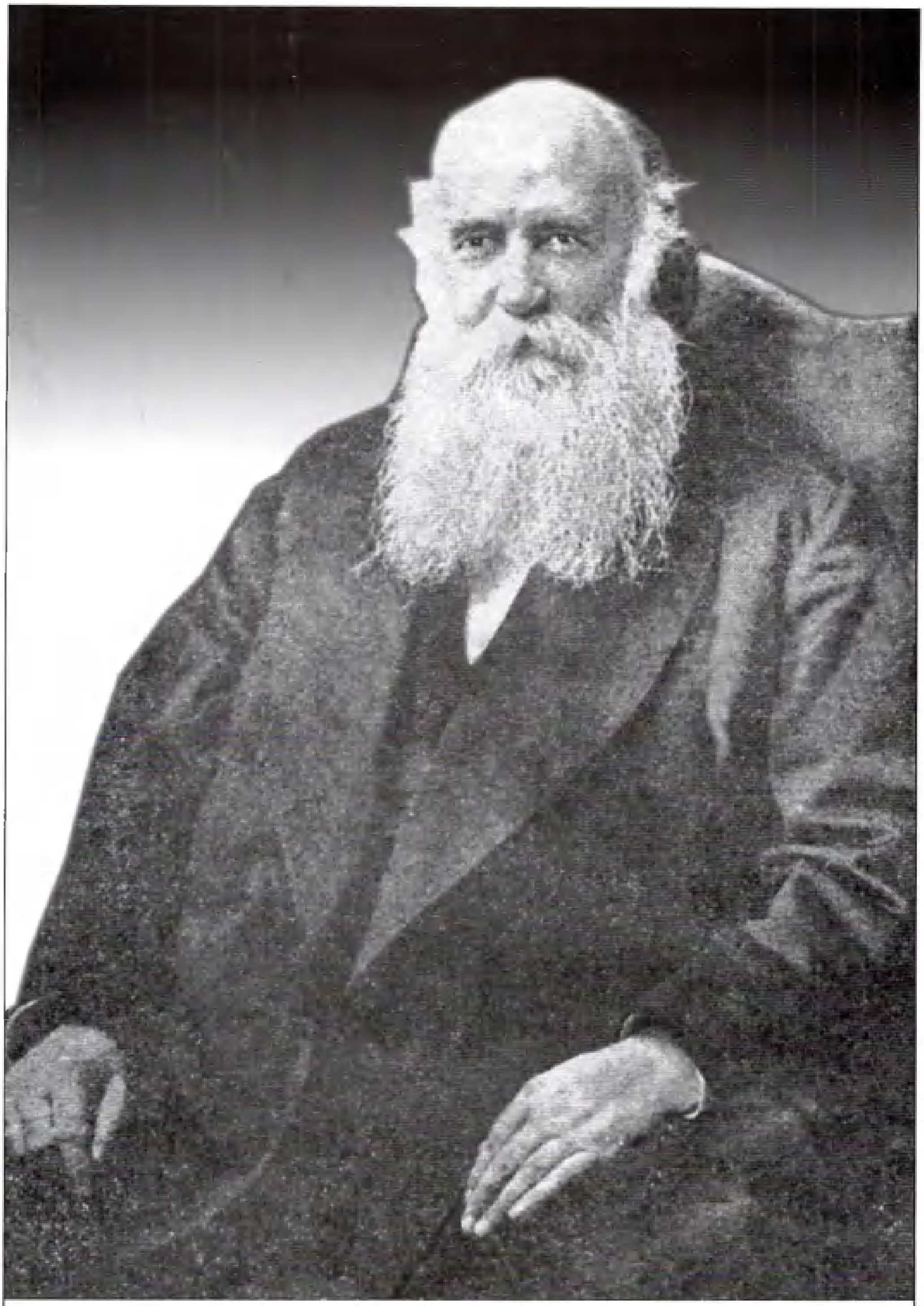
وسيّئات عاداتي التي كنت مبتلياً بها. وأعاهد بكامل إرادتي وخالص قلبي أن أجتنب ارتكاب جميع أنواع الذنوب طوال عمري وإلى آخر يوم من حياتي. وأن أقدّم ديني على راحتي الدنيويّة وعلى جميع ملذّات نفسي. كما أتعهّد بالالتزام حتّى الوسع بالبنود العشرة الواردة في إعلان الثاني عشر من شهر كانون الثاني طالبا العفو عنّي من جانب ربّي جلّ شأنه. أستغفر اللّه ربّي. أستغفر اللّه ربّي. أستغفر اللّه ربّي من كلّ ذنب وأتوب إليه. أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله. ربّي إني ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنبي فإنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت)..

وعلى هذه الصورة، ففي مدينة (لدهيانه) بالذات تلك التي وردت الإشارة إليها في الحديث النبويّ (**يقتل الدجال في مدينة لدّ**) والتي كان قد تأسّس فيها أوّل مركز تبشيري مسيحيّ، فقد تمّت أوائل بيعة بايع الناس فيها المجدّد (ذو القرنين) كاسر الصليب ومثيل ابن مريم ميرزا غلام أحمد عليه السلام. وبذلك يكون اللّه عز وجلّ قد أعاد من خلال مبايعة هذا المجدّد ميرزا غلام أحمد عليه السلام (**نظام الخلافة الإسلاميّة على منهاج النبوّة المحمّدية**) تلك الخلافة التي كان المسلمون قد افتقدوها أواخر الحكم العثماني. ذاك الحكم الذي ما عاد يومئذ يمثّل الخلافة الإسلاميّة بشكل من الأشكال. وقد كتب ميرزا غلام أحمد فيما بعد بأنّ المسلمين الذين لا ينضمّون إلى هذه الخلافة التي أعادها اللّه عز وجلّ بنفسه إلى المسلمين، ومبتدئا بذلك البعثة الإسلاميّة الثانية، فإنّ اللّه عز وجلّ قد أخبره بأنّه لن يمكّن أحدا من خارج هذه الجماعة بعد الآن من إعادة الخلافة الإسلاميّة التي وعد اللّه تعالى بها المؤمنين في هذا القرآن العظيم. وها هو قد مضى على إعلان حضرته المشار إليه أكثر من قرن وربع من الزمان، ومع ذلك فلم يثبت خلاف إعلانه ما يستحقّ الذكر. بل وعلى العكس من ذلك فقد ثبت ما ورد في الحديث النبويّ الشريف بشأن الدجّال: (**وإن منكم إلا ليتّبعنّه**). إذ

أنّ مختلف الأقطار الإسلاميّة عادت في أيامنا هذه مائلة لتطبيق ما يفرضه عليها **(الدجّال)** من أنظمة سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، وراحت معالم الإسلام المعروف تتلاشى من أقطار تلك المجتمعات. وهذا يحدث بالرغم من أنّ التنظيمات الدينيّة في تلك الأقطار الإسلاميّة ما تزال حالمة بإعادة الخلافة الإسلاميّة المفقودة. ومتناسية بأنّ الخلافة الإسلاميّة مرتبطة في حقيقة أمرها بوعد إلهيّ، وغير مرتبطة بجهود تَبذلها تنظيمات دينيّة قد انتحلت صفة المدافع عن الإسلام ومُهملةً مشيئة ربّها الذي اصطفى ميرزا غلام أحمد لتحقيق هذه المهمّة والتي عبّرت عنها آيات القرآن الكريم تلك التي أنبأت عن ظهور **(المسيح الدجّال)** أيام تخلّف المسلمين وانحطاط مجتمعاتهم، كما أنبأت عن باطل عقائد الذين قالوا إنّ اللّه ثالث ثلاثة، وذلك بالحجّة والبرهان وبطريق سلميّ وبعيد عن جميع أنواع ووسائل العنف وسفك دماء الناس الأبرياء باسم الدين.



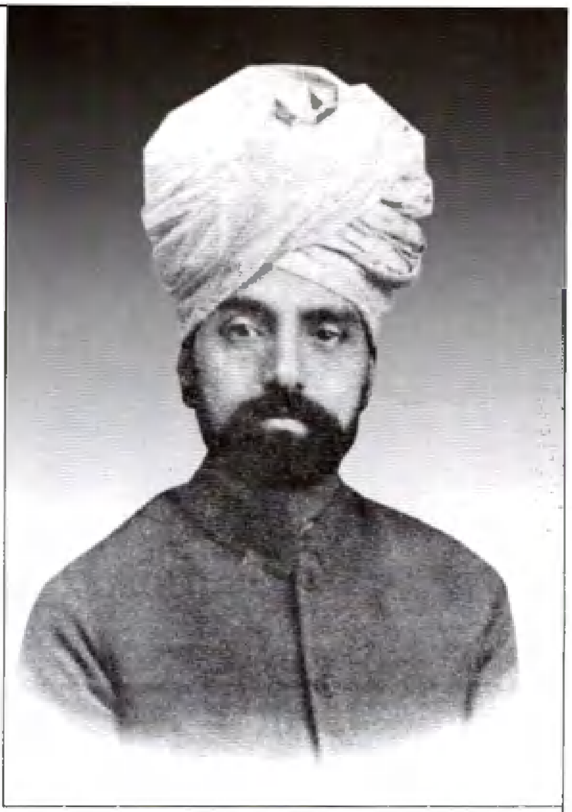
صورة الإمام حضرة ميرزا غلام أحمد
مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية



القسيس د. الكسندر دوئي وهو في صحته الكاملة
عندما تحداه حضرة المسيح الموعود عليه السلام



صورة أولاد حضرة ميرزا غلام أحمد ذكورا وأناثا



حضرة
ميرزا سلطان أحمد



حضرة ميرزا بشير الدين محمود أحمد – حضرة ميرزا بشير أحمد – حضرة ميرزا شريف أحمد
حضرة نواب مباركة بيكم – حضرة ميرزا مبارك أحمد .



حضرة ميرزا بشير الدين محمود أحمد (الخليفة الثاني رحمه الله)



حضرة نواب محمد علي خان



صورة للسيد المسيح
وهو في عمر حوالي 60-65 سنة



وصورة للسيد المسيح
في حوالي عمر 100 سنة

أخذت هذه الصور من موسوعة المعارف البريطانية المنشورة عام 1947 وتعود هذه الصور إلى القرن الثاني الميلادي
تتنافى هذه الصور مع ادعاءات المسيحيين والأناجيل بأن المسيح رفع إلى السماء وهو في سن الثالثة والثلاثين.



حضرة مولانا حكيم نور الدين (الخليفة الأول رحمه الله)



صورة مغارة
وادي قمران



وصورة للأوعية التي وجدت
فيها بعض صحائف الزبور

ويثبت من هذه الصحائف كل ما نسبه القرآن الكريم من عقائد تتعلق بالمسيح الناصري عليه السلام حول نجاته من الصليب وهجرته من فلسطين.



حضرة
خواجة غلام فريد



جنازة ليكهرام الذي تحققت فيه نبوءة ميزا غلام أحمد.



الكابتن دوغلاس وهو الحاكم الذي حكم ببراءة حضرة ميرزا غلام أحمد في قضية اتهامه بمحاولة قتل القسيس د. هنري مارتن كلارك.



حضرة ميرزا غلام أحمد مع مجموعة من أصحابه



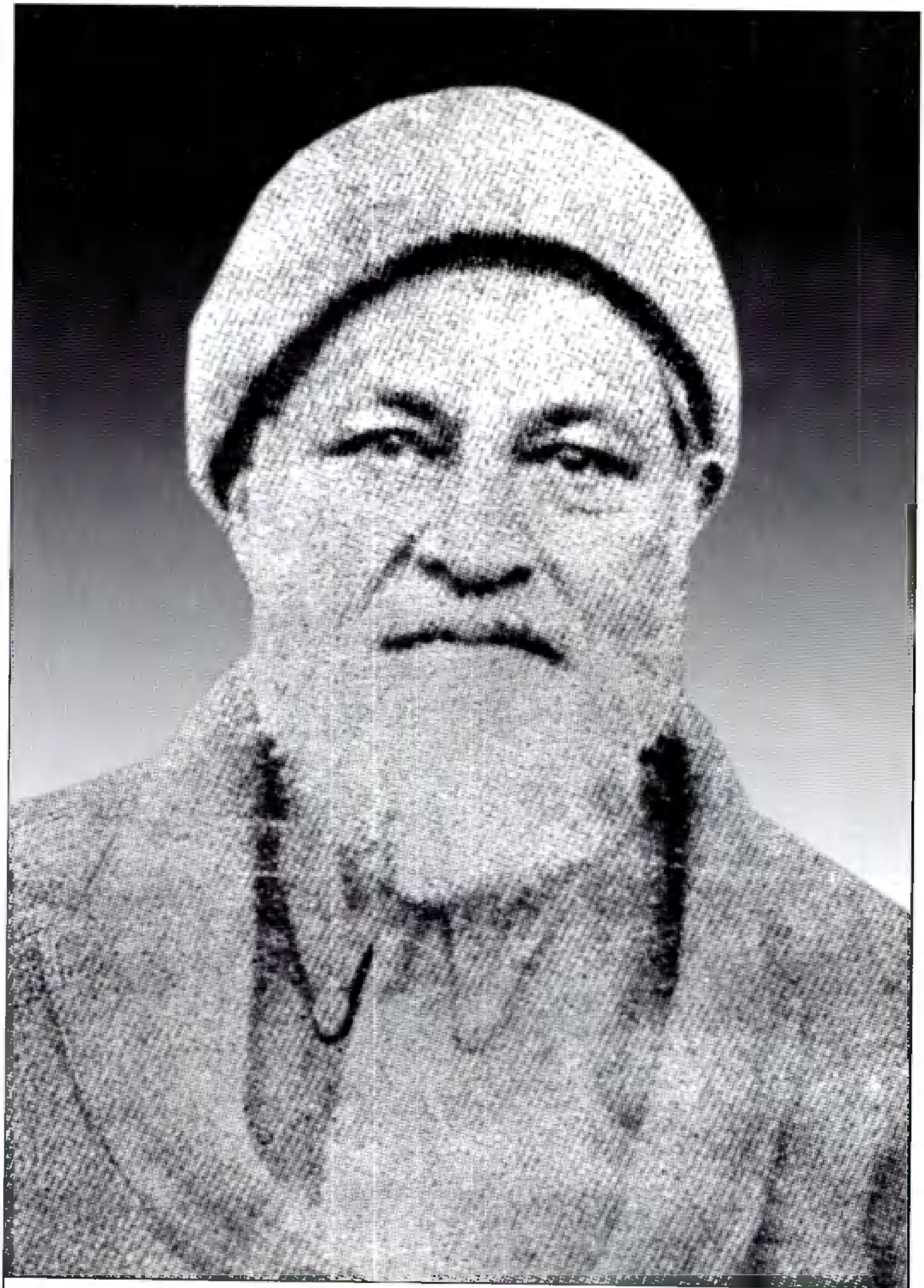
حضرة ميرزا غلام أحمد مع مجموعة من أصحابه



حضرة ميرزا غلام أحمد مع مجموعة من أصحابه



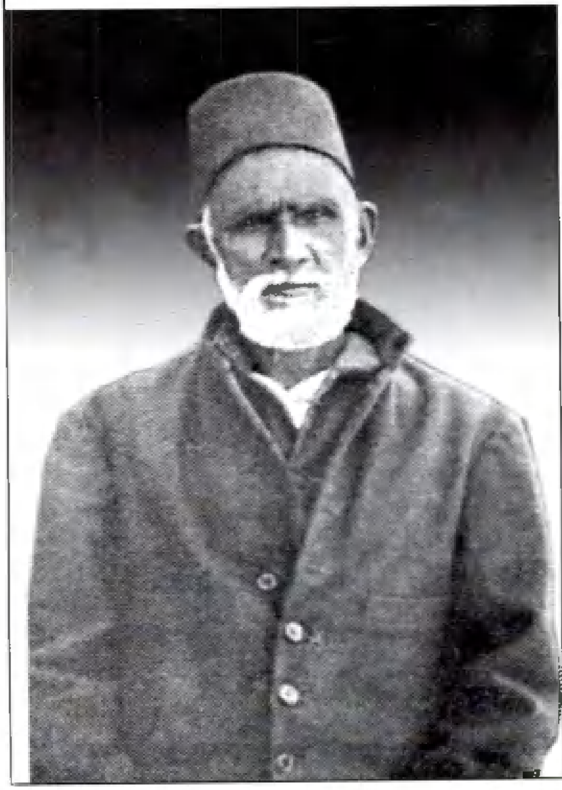
حضرة ميرزا غلام أحمد مع مجموعة من أصحابه



حضرة میر محمد اسماعیل



حضرة
شيخ يعقوب
علي عرفاني الكبير



حضرة
مفتي عمر صادق

لتنظيم الاجتماع السنوي المشار إليه من أجل تحقيق هذه المقاصد والأهداف التي هي في صالح الدعوة الإسلاميّة. خصوصا وأنّه قد ورد في حديث رسول اللّه (ص) بأنّ المهديّ عندما يظهر (**يفيض المال**). والقصد من إفاضة المال إفاضته العلوم الروحيّة ومعارف القرآن المجيد وليس إفاضته المال المادي المعروف.

وينبغي هنا أن نُدرك بأنّ اللّه عز وجلّ ومن خلال التوجيه الذي وجّه به المجدّد ميرزا غلام أحمد لإقامة هذا الاجتماع السنوي، لم يكن سبحانه وتعالى قد أتى بمفردة تنظيميّة واحدةٍ، بل أتى بمفردتين تنظيمتين: فالمفردة التنظيميّة الأولى هي هذا الاجتماع السنويّ. والمفردة التنظيميّة الثانية هي إيجاد دار للضيافة في مركز الجماعة العام، وفي جميع المراكز الفرعيّة التابعة لها. من أجل استقبال ضيوف الرحمن سواء منهم من جاء ليحضر هذا الاجتماع السنوي. وسواء منهم من جاء ليحقّق في صدق الإسلام وصدق الأحمديّة التي تمثّل البعثة الثانية للإسلام في هذا الزمان الذي عاد فيه الإسلام اسما والقرآن رسما، والمساجد عامرة ولكنّها خراب من تقوى اللّه تعالى، ووفق ما أنبأ عنه الحديث النبويّ الشريف. وبذلك تكون الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة قد تخلّقت بأحد أسماء اللّه الحسنى، التي هي صفة كون اللّه تعالى أنّه الكريم. وإلى هنا وبوضع هاتين اللّبنتين من لبنات تنظيم الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة التي أسّسها ميرزا غلام أحمد، وذلك في نهاية عام ١٨٩١م من حياة دعوة هذا المجدّد مثيل ابن مريم عليه السلام. يكون القارئ قد اطّلع بصورة عامة على أهمّ الأحداث التي وردت في سيرة هذا المجدّد وحتّى بداية عام ١٨٩٢م. وعليه أنتقل الآن لأطلعه على مجريات الأحداث التي حدثت ابتداء من هذا العام المذكور.

الفصل السادس

أحداث عام ١٨٩٢م

سفر لاهور ونتائجه

سفر سيالكوت ونتائجه

سفر كبورتهله ونتائجه

سفر جالندهر ونتائجه

سفر لدهيانه ونتائجه

قيام مجلس شورى

وأوّل ما قام به ميرزا غلام أحمد في عام ١٨٩٢م أنّه سافر من قريته قاديان إلى مدينة لاهور بتاريخ العشرين من أوّل شهر منه وهو كانون الثاني. ونزل في دار منشي ميران بخش الواسعة الأرجاء والواقعة في حيّ (جونه مندي) من أحياء مدينة لاهور. وكان مقصده من هذا السفر إلى لاهور أن يحقّق تحدّيه الذي تحدّى به العلماء والمشايخ والصوفييّن والوارد في مؤلّفه (آسماني فيصلة) والذي يعني (الفتح السماوي). وهو أن تعالوا لنحتكم إلى الله عز وجلّ وننظر فيمن يكون المؤيّد منّا من الله الرحمان المنّان؟

فشاع خبر حضور الميرزا هناك في لاهور وفي المنزل الذي أشرنا إليه. فبدأت تتوافد أفواج من كبار وجهاء لاهور وكبار موظّفي الحكوميون ورجال الأمن لزيارته والتعرّف عليه. فوقف ميرزا غلام أحمد خطيبا بتاريخ ٣١ كانون الثاني عام ١٨٩٢م وعلى مسمع ألوف الناس الذين اجتمعوا هناك من مختلف طبقات سكان لاهور. وبحضور عدد كبير من شرطة المدينة الذين جاؤوا لإقامة الأمن أيضاً. فبيّن حضرة الميرزا في خطابه كون الله تعالى قد جعله مجدّدا ومثيل ابن مريم وقدّم أدلّة مصداقيّة ما ادّعاه. ونبّه إلى أنّ المشايخ بدلا من أن يحاوروه ويناقشوه فيما يأتي به من آيات قرآنيّة ، فإنّهم أصدروا فتوى بكفره. وأضاف وقال إنّ من السهل أن يفتي المرء بكفر فلان من الناس. ولكنّ الأصعب هو أن

يثبت هذا المكفّر إيمان نفسه. هذا وإنّ القرآن الكريم قد وضع معايير للتّفريق ما بين المؤمن وما بين الكافر. وعليه فأنا أدعو الذين كفّروني أن يحضروا لنجعل القرآن الكريم حكما فيما بيننا. وبعد أن أنهى خطابه، طلب من أوّل إنسان كان قد بايعه، وهو الحكيم نور الدين بهيروي أن يقف خطيبا ويقول ما عنده أمام هذه الجماهير المحتشدة. فوقف الحكيم نور الدين وخطب وممّا قاله: لقد استمعتم إلى ما ادّعاه ميرزا غلام أحمد وإلى ما قدّمه من دلائل قرآنيّة لإثبات ما ادّعاه، وما أعلنه من بشارات سماويّة تلقّاها من جانب ربّه عز وجل تتعلّق بمستقبل دعوته. فأنا طبيب معروف من وجهاء هذه المدينة ومن مشايخها أيضاً. وقد آتاني ربّي فهم آيات كتابه العزيز. فلقد قمت من قبل بالتفكير فيما ادّعاه حضرته وفي أدلّة مصداقية ما ادّعاه. وتوجّهت بعدها إلى الدعاء بين يدي الله عز وجلّ ليهديني بهذا الخصوص. فوجّه الله تعالى ذهني إلى ما حدث مع جميع من جاؤوا قبله من مجدّدين، وكيف أنّ التاريخ يعيد نفسه. وعليه فأنا أشهد بأنّ ميرزا غلام أحمد على حقّ فيما ادّعاه وأنّ كلّ من يعادي الحقّ الذي أظهره الله تعالى بيننا في شخصه، فهو على باطل، وأنّ الله تعالى سيقهره. فالمؤمن يقبل الحقّ إذا تبيّن له. وأنا تبيّنت هذا الحق فيما ادّعاه حضرته. ثمّ إنّ المؤمن يشتهي لأخيه المؤمن ما يشتهيه لنفسه، ووفق ما أرشدنا به محمد المصطفى (ص). وعليه أدعوكم لقبول هذا الحقّ الذي قبلته. وما علينا إلا البلاغ، والسلام عليكم. فبهذه الألفاظ أنهى خطابه وجلس. وفي تلك الدقائق كان قد كثُر عدد الوافدين لمشاهدة ميرزا غلام أحمد وللاستماع لما يقوله ويُعلنه. وإلى درجة اضطرّ معها صاحب الدار لينقل تلك الجماهير إلى دار صديق تجاور دارهُ دارهَ، وكان صحن الدار فيها أوسع من صحن داره. وفي مقابل ذلك فقد اشتدّ هياج مشايخ لاهور. وأخذوا يحرّضون الناس ضدّ ميرزا غلام أحمد في كلّ مكان. إلى أن تملّكت أحد العامة حميّته لدينه وسيطر عليه غضبه. فما كان منه إلا أن حضر إلى تلك

الدار التي اجتمع فيها الناس لسماع ما يقوله ميرزا غلام أحمد. فدخل عنوةً ووقف يشتم حضرته ويوجّه إليه أقذع الألفاظ. فلم يردّ ميرزا غلام أحمد عليه ووضع طرف عمامته على وجهه وانشغل في الدعاء له. وتعجّب الحاضرون من موقف حضرة الميرزا الذي كان يستمع وكأنّه لا يسمع شيئا. وقد فكّر كثيرون من الحاضرين أن يتصدّوا لذاك الشخص، لكنّهم لم يتجرّؤوا على القيام بتلك الخطوة تأدّبا مع حضرته عليه السلام. ومن ثمّ فلما لاحظ ذاك الشخص أنّ ميرزا غلام أحمد لم يردّ عليه، وما عاد عنده شيء من سلاح السباب والشتائم، سكت وغادر ساحة المنزل.

وهنا نهض صاحب المنزل، وكان وجيها بوذيّا، وقال: لقد قرأنا كثيرا عن سماحة وسعة صدر المسيح الناصري. لكننا شاهدنا الآن بأمّ أعيننا ما هو أعظم مما قرأناه عنه. ومن ثمّ فإنّ ميرزا غلام أحمد طلب من أحد مبايعيه وهو منشي شمس الدين أن يقرأ على مسامع الحاضرين ما كتبه في رسالته (آسماني فيصلة). فوقف هذا وتلاها على الحاضرين. وأنقل للقارئ بعض ما ذكره حضرته في الرسالة المذكورة من بشارات. فقد ذكر فيها رؤيا رآها في منامه حملت له بشارة من جانب ربّه عز وجلّ. فممّا ذكره فيها قال: (**رأيت في المنام في ربيع الثاني عام ١٣٠٩هجري، أني عين الله وتيقّنت أني هو.. وأعني بعين الله رجوع الظلّ إلى أصله وغيبوبته فيه.. فرأيت أنّ روحه أحاط عليّ.... وكنت من الغائبين... وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنا نريد نظاما جديدا، سماء جديدةً، وأرضا جديدةً.. ثمّ انحدرت من الكشف إلى الإلهام فجرى على لساني: (أردت أن أستخلف فخلقت آدم إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وكنّا كذلك خالقين).... وأُلقي في قلبي أنّ هذا الخلق الذي رأيته إشارةً إلى تأييدات سماويّة وأرضيّة وجعل الأسباب موافقة للمطلوب وخلق كلّ فطرة مناسبة مستعدّة للّحاق بالصالحين الطيّبين. وأُلقي في بالي أنّ الله تعالى يُنادي كلّ فطرة صالحة من السماء ويقول كوني على عُدّة لنُصرة عبدي. وارحلوا إليه مسارعين** وبعد أن ذكر حضرته

رؤياه هذه، انبرى ينبّه ويقول: (**ولا نعني بهذه الواقعة كما يُعنى في كتُب أصحاب وحدة الوجود. وما نعني بذلك ما هو مذهب الحلوليين. بل إنّ هذه الواقعة التي رأيتها في منامي توافق حديث النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة تقُريب النوافل عباد اللّه الصالحين من ربّهم عز وجلّ**). وقد أشار بذلك حضرته إلى الحديث النبوي المعروف (ما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُصبحَ يده التي أبطش بها وعينه التي ينظر بها الخ..).. والسؤال الآن: ماذا حدث بعد تلك التطوّرات؟ فالذي حدث هو أنّ أكثر الذين تواجدوا في ذاك المنزل تقدّموا من ميرزا غلام أحمد وبايعوه ووفقا لما كان قد أعلنه في خطابه وقدّم الأدلّة على مصداقيّته. فهذا ما كان قد حدث بتاريخ ٣١ كانون الثاني عام ١٨٩٢م وذلك في مدينة لاهور في الدار التي ذكرناها.

وكان هناك في لاهور شيخ اسمه عبد الحكيم أشاع بأنّ ميرزا غلام أحمد يدعي أنّه نبي حقيقي، وأنّ الشيخ المذكور على استعداد لمناظرته وإثبات أنّه لا نبي حقيقي بعد محمد خاتم النبيّين وكان يستند في زعمه هذا إلى بعض كلمات وردت في مؤلّفات حضرته عليه السلام. فأصدر ميرزا غلام أحمد إعلانا وزّعه في تلك المدينة بتاريخ ٣ شباط ١٨٩٢م أي بعد الاجتماع الذي تكلّمنا عنه بثلاثة أيام. فممّا ورد في الإعلان المذكور قول حضرته: (إنّ جميع ما ورد في مؤلّفاتي (فتح إسلام) و(توضيح المرام) و(إزالة أوهام) من أنّ من معاني (المُحدّث) معنى النبيّ. أو أنّ المحدّثيّة جزء من النبوّة، أو نبوّة ناقصة. فإنّ جميع تلك الألفاظ لم يُقصد بها النبوّة الحقيقيّة. بل قُصد بها معاني لغويّة. وحاشا أن أدّعي نبوّة حقيقيّة. فأنا مؤمن وكما ذكرت في كتابي (إزالة أوهام) صفحة ١٣٧ بأنّ سيدي ومولاي محمد المصطفى صلى اللّه عليه وسلم هو خاتم الأنبياء. وعليه أريد أن أوضّح لإخواني المسلمين الذين أزعجتهم تلك الألفاظ، وشقّ عليهم قراءتها، أن يفهموها بمعنى نصّ عليه الحديث النبويّ الوارد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي

اللّه عنه قال، قال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يُكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمّتي منهم أحد فعمر. (صحيح البخاري الجزء الأول٥٢١. وبهذا التّصحيح الوارد في الإعلان المذكور يكون حضرته قد سدّ باب الإشاعات القائلة بأنّ حضرته ادّعى نبوّة حقيقيّة وخلافا لآية خاتم النبيّين.

وقد علم الشيخ محمد حسين البطالوي بوجود ميرزا غلام أحمد في مدينة لاهور. فما كان منه إلا أن سافر إليها ليحقّق ما كان يقوله في العاصمة دهلي من أنّه هو الذي رفع ميرزا غلام أحمد وهو الذي سيُنزله. ومن عجيب التصرّف الإلهي أنّ اللّه عز وجلّ أوحى إلى ميرزا غلام أحمد بعد سفره من دهلي باللّغة العربيّة (**إنّي مهينٌ من أراد إهانتك، وإني مُعينٌ من أراد إعانتك**) وأشاع هذا الإلهام في منشوراته في تلك الأيام. فالشيخ البطالوي الذي أذلّه اللّه تعالى في مدينة لدهيانة وفي مدينة دهلي جاء إلى لاهور غير مُعتبرٍ بما أصابه من هوان. فلم يتجرّأ على تحدّي حضرته بل ذهب وألقى خطبة في مسجد وزير آباد، ولم يأبه الحاضرون بأقواله. سواء منهم من كان من أتباع المذهب الحنفيّ، وسواء منهم من كانوا من مذهبه من أهل الحديث، بسبب ما كانت قد وصلتهم من أخبار أكّدت لهم بأنّه لم يتمكّن الشيخ البطالوي من منازلة ميرزا غلام أحمد في كلا المدينتين المذكورتين.

وبينما كان ميرزا غلام أحمد في لاهور أتته دعوة من قبل أهل مدينة سيالكوت. فقبل الدعوة، وسافر إلى مدينة سيالكوت في الأسبوع الثاني من شهر شباط ١٨٩٢م ونزل ضيفا على الحكيم مير حسام الدين الذي كان من السبّاقين إلى مبايعة ميرزا غلام أحمد هو وجميع أفراد عائلته. وهكذا كان حضرته معروفا في هذه المدينة ومعزّزا ومكرّما من قبل أهلها وذلك قبل أن يُعلن بأنّه مجدّد هذه الأمة حتّى وبعد إعلانه المذكور أيضاً. وقد بايع كثير من أهل

سيالكوت ميرزا غلام أحمد وتضاعف عدد أفراد جماعته هناك. ولم يجرؤ أيّ شيخ على مواجهة حضرته خلال أيام إقامته في سيالكوت. فلمّا قرّر حضرته مغادرة سيالكوت، جاءه من أخبره بوصول الشيخ محمد حسين البطالوي، وأنّه يريد الدخول معه في مناظرة. فأرسل حضرته جوابه على تلك الدعوة قائلا: قل للشيخ البطالوي أنّه ما الفائدة الآن، وقد أصدرت أنت فتوى بتكفيري وجميع المشايخ الذين وقّعوا معك على فتوى تكفيرك، وما عاد أمامكم جميعكم أيها المشايخ إلا أن تجتمعوا معي في ميدان واحد وللابتهال جميعنا من اللّه تعالى أن يحكم بيننا أيّنا على الحقّ وأيّنا على الباطل، وذلك وفق ما نشرته أنا في الرسالة التي ألّفتها (آسماني فيصلة) أي (حكم السماء). علما بأنّ اللّه تعالى يؤيّدني في كلّ خطوة أخطوها، وعلى هذه الصورة فقد فشل الشيخ البطالوي فيما كان يريد تحقيقه في سيالكوت أيضاً.

وخلال زيارة ميرزا غلام أحمد لمدينة سيالكوت، وردته دعوة من جماعته في مدينة كبورتهله. فقبلها وسافر إلى تلك المدينة. وكانت تأسّست فيها جماعة مخلصة جدّا. وعلم الشيخ محمد حسين البطالوي بوصول حضرته إلى تلك المدينة. فطبع إعلانا بعنوان (بد دعا نامه) أي (دعاء سوء). وأرسله إلى مشايخ مدينة كبورتهله يتحدّى فيه ميرزا غلام أحمد بالدخول في مناظرة معه. فوصلت حضرته نسخة من ذاك الإعلان الذي نشره الشيخ البطالوي. فذكر للذي أوصل تلك النسخة من إعلان البطالوي ما كان قد جرى مع البطالوي في مدينة لدهيانه. وأضاف: فلم يبق بيننا إلا ما دعوناه فيه إلى جعل اللّه تعالى حَكَما فيما بيننا وهي الدعوة التي تضمّنتها رسالتنا (آسماني فيصلة). وهكذا وفي هذه المرّة خاب الشيخ البطالوي ولم يستطع فعل أكثر ممّا فعله. وقد أمضى ميرزا غلام أحمد في مدينة كبورتهله مدّة أسبوعين. ومن ثمّ عزم على السفر إلى مدينة جالندهر لسماعه بأنّ شيوخها لا يتركون فرصة لمعاداته وتقليب الناس ضدّه إلا اغتنموها.

فسافر حضرته من مدينة كبورتهله إلى مدينة جالندهر من أجل أن يُعلن دعواه فيها بنفسه. ويقوم بتربية الذين بايعوه فيها وتوجيههم توجيها صحيحا. وسمع أولئك المشايخ الذين كانوا يُعادونه غيابيا بأنّه وصل إلى مدينتهم. فما كان منهم إلاّ أن تقدّموا بعريضة إلى مدير شرطة جالندهر، وكانت جنسيّته إنكليزيا. أخبروه فيها بأنّ شخصا جاء من قرية قاديان ادعى بأنّه هو المسيح، ويحاول نشر مزاعمه بين الناس في هذه المدينة. فإن لم تمنعوه وتطردوه منها، فمن المحتمل وقوع فتنة وفساد في هذه المدينة. وحين تلقى مدير الشرطة العريضة المذكورة، نهض مصطحبا معه عدد من رجاله، فوصل المكان الذي نزل فيه ميرزا غلام أحمد. وطلب من أصحاب المكان مقابلته. فلما اجتمع به، سأله عن المقصد من حضوره إلى مدينة جالندهر. فوقف حضرته وألقى خطابا شرح فيه حال المسلمين وكيف أنّ ربّه قد جعله مجدّد هذه الأمة لإصلاحها. فلم يستشعر مدير الشرطة في خطاب حضرته وادّعائه الذي تكلّم عنه أيّ خطر على الأمن؛ لذلك قال له أنت حرّ في اختيار المدّة التي تقيم فيها في هذه المدينة. وغادر مدير الشرطة المنزل الذي كان يقيم فيه ميرزا غلام أحمد وهو يتمتم متعجّبا من مضمون تلك العريضة التي تقدّم بها المشايخ ضدّ هذا الإنسان الذي تجلّت في ملامح وجهه وفي الكلام الذي تكلّم به في خطبته كلّ معالم الوقار والمنطق.

فدامت إقامة ميرزا غلام أحمد في مدينة جالندهر ثلاثة عشر يوما وسافر حضرته من هناك إلى مدينة لدهيانه لتوجيه وتربية جماعته هناك. وبقي فيها أياما ألّف خلالها رسالة سمّاها (نشان آسماني) ومعناه (علامة سماويّة). ووضع لتلك الرسالة اسما آخر وهو (شهادة الملهمين) واشتملت رسالته هذه على جميع ما ورد في كتب أولياء الأمة السابقين من ذكر إلهامات وكشوف أولئك الأولياء والتي تؤيّد دعواه وتصدّقها. فلما فرغ من تأليف هذه الرسالة عاد إلى قريته قاديان. فطبعها ونشرها أيضاً. وإنّ كل من يطّلع على تلك الرسالة المشار إليها،

يدهش ممّا جمعته من أقوال أولئك الرجال الأبرار الذين ظهروا في مختلف القرون التي مرّت منها هذه الأمة الإسلاميّة، والتي تدلّ بالبديهة على عدم انقطاع نزول الوحي الإلهي غير التشريعيّ. وتدلّ في الوقت نفسه على صلة أولئك الأبرار بربّهم عز وجلّ. وكيف أنّ اللّه تعالى عالم الغيب قد أخبرهم عن هذا المجدّد الذي يظهر في آخر الزمان. ولما لم أكن بصدد ترجمة الرسالة المذكورة، لذلك أكتفي بأن أنقل للقارئ العزيز نصّ الطلب الذي طلبه حضرته هناك من كلّ أخ مسلم والذي يُعتبر من معتقدات المسلم الأساسيّة. ومضمون هذا الطلب أن يستخير هذا المسلم ربّه بصورة مباشرة، راجيا منه تعالى أن يُطلعه ربّه على حقيقة ومصداقيّة ما ادّعاه ميرزا غلام أحمد من هذه الادّعاءات المعلنة. وعلى اعتبار أنّ طريق المعرفة هذا وصلنا بالتواتر وعن طريق الحديث النبوي المعروف بهذا الخصوص. وجرّبه جميع أتقياء الأمّة من المؤمنين المخلصين. إذ كتب حضرته في رسالته (شهادة الملهمين) يطلب ويقول: (ومن باب تبليغ طلاّب الحقيقة الذين يخشون مؤاخذة ربّهم إيّاهم، والذين لا يريدون إتّباع مشايخ هذا الزمان من دون بيّنة من قبلهم ودليل. لخوفهم من مشايخ آخر الزمان الذين حذّرهم منهم محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. ومن أجل ألا يظلّوا بسبب فتوى هؤلاء في حيرة من أمرهم بشأن ما ادّعاه هذا العبد العاجز. فأنا أدلّ كلّ واحدٍ من هؤلاء الأخوة الأتقياء من طلاّب الحقيقة على طريق استخارة سهلٍ يُطمئنه إن شاء اللّه العزيز إن هو أخذ به وعمل عليه. ويقتضي منه هذا الطريق **[أن يتوب أولاً توبةً نصوحا، ومن ثمّ يُصلّي رُكعتي صلاة نافلة قبل أن يذهب لينام. فيقرأ في الركعة الأولى سورة (يس). وأن يقرأ في الركعة الثانية سورة الإخلاص إحدى وعشرين مرّة. وأن يصلّي بعدها على النبيّ ثلاثمائة مرّة. وأن يستغفر ربّه ثلاثمائة مرّة. ويناجيه قائلا: يا قادر ويا كريم أنت تعلم المخفيّ من الأحوال ولا نعلمها. ولا يخفى عليك تمييز المفتري من الصادق. لذلك أتضرّع بين يديك لتبيّن لي حال هذا الشخص الذي يدّعي بأنّه مثيل ابن مريم والمهديّ ومجدّد هذا الزمان أهو صادق أم أنّه كاذب فيما**

يدّعيه. مقبول عندك أم مردود. فتفضّل لتُظهر عليّ حقيقته بطريق رؤيا أو كشف أو إلهام. حتى إذا كان مردودا عندك، لئلا نضلّ في قبوله ومبايعته. فإن كان مقبولا عندك لئلا نُهلك إن نحن رفضناه وأهنّاه. ونجّنا يا ربّنا من كلّ ابتلاء أنت قادر على أن تبتلينا به اللّهم آمين]وقد اشترط حضرته على هذا المسلم الذي يعمد إلى استخارة ربّه عز وجلّ، أن يداوم على هذه الاستخارة مدّة أسبوعين على أقلّ تقدير. على شرط أن تكون نفس هذا المستخير خالية من كلّ بُغض وعداوة وسوء الظنّ به. بسبب أنّ الذي يدعو لمعرفة حقيقة هذا الإنسان عن طريق الرؤيا في المنام، ويكون حاله مُبغضٌ لهذا الشخص ويعاديه ويسيء الظنّ به، فإنّه يخالط منام هذا المستخير همزات الشيطان بما يتناسب مع ظلمة فؤاده. ويعود بالتالي بعد الاستخارة أسوأ ممّا كان. لذا فمن شاء أن يستخير للحصول على معلومة معيّنة أن يغسل فؤاده أولاً من كلّ بُغض وعناد ومحبّة لمن يستخير بشأنه. ويأتي ربّه طالبا نور الهداية. وفي تلك الحال يفي اللّه عز وجلّ بوعده ويستجيب دعاء هذا العبد. وبعد أن شرح حضرته هذا الشرط الذي اشترطه على كلّ من أراد أن يستخير ربّه جلّ جلاله، أضاف يخاطب طلاب الحقيقة وقال: **فيا طالبي الحقيقة دعوا عنكم النظر إلى ما يفعله هؤلاء المشايخ، وقوموا واستمدّوا هدايتكم من اللّه القدير والهادي المطلق، وانظروا ما ذا يكون. وها أني بلّغتكم بطريق روحاني، والخيار لكم، والسلام على من اتّبع الهدى.]**.

وعلى هذه الصورة فقد حاول ميرزا غلام أحمد إنقاذ الأتقياء من أتباع مشايخ زمانه من تأثير الفتوى التي وقّعوا عليها بصورة جماعيّة، من أجل محاربتهم إيّاه بصورة جماعيّة، وبتحريض من الشيخ محمد حسين البطالوي والشيخ سيد نذير حسين الملقّب شيخ الكل. هذان الشيخان اللّذان هُزما على أيدي حضرته وساءت سمعتهما بين الأتباع. فكان البطالوي يلحق ميرزا غلام أحمد حيثما سافر ليثير جماهير تلك المنطقة ضدّه، ومع ذلك يفشل فيما يسعى إليه. وكان من أثر ما ورد في رسالة (شهادة الملهمين) التي ألّفها ونشرها ميرزا غلام أحمد، ودعا الأتقياء فيها إلى الاستخارة والاستعلام من اللّه عز وجلّ عن حقيقة وصدق ما ادّعاه. أن

عمد كثير من أولئك الأتقياء إلى هذا الطريق الروحاني الذي شقّه لهم حضرته للتخلّص من تأثير مشايخ زمانهم، فرأت أعداد كبيرة منهم رؤى مبشّرة بل وكشوفا روحانيّة أيضاً دفعتهم جميعهم لمطالعة كتب حضرته والإقبال على مبايعته. وإنّ تلك الرؤى والكشوف قد جمعها العالم عبد الرحمان مبشّر وهي مكتوبة بأقلام أصحابها وبتوقيعهم عليها ومقترنة بقسم مغلّظ من جانبهم، أقول قد جمعها العالم المذكور باسم (بشارات رحمانيّة)، وصدرت منه عدّة أجزاء حتى الآن. وقد يساعدني ربّي أن أقوم بترجمة هذا الكتاب المذكور إلى اللّغة العربيّة. ومن أجل أن يُدرك القارئ كيف أنّ اللّه عز وجلّ حين قال في كتابه العزيز ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أنّ وراء القول الربّاني هذا حقيقة يلمسها كلّ مؤمن تقيّ.

وهكذا أثمرت تلك الأسفار التي قام بها ميرزا غلام أحمد إلى المدن التي ذكرناها أثمرت عن مبايعة أعداد كبيرة من سكّان تلك المدن إيّاه، وانضمامهم إلى الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة. وكان من بين أولئك الذين بايعوه رجال لهم مكانتهم العلميّة والروحيّة وأصحاب قلم أيضاً. وأخذ هؤلاء الرجال يهجرون أمكنة سكناهم ويهاجرون إلى قرية قاديان ليجاوروا حضرته وليستفيدوا من نفحاته القدسيّة، وليساعدوه في أداء مهمّته السماويّة. وكان من أولئك الرجال الحكيم نور الدين بهيروي الذي كان طبيب المهراجا الخاص. فاستقال وهاجر إلى قاديان. وقد أصبح فيما بعد من الملهمين أيضاً وكان من أولئك الرجال الأوائل العلامة عبد الكريم السيالكوتي الذي كان عالما وصاحب قلم وله مؤلّفات أيضاً. فقد هجر مدينته سيالكوت أواخر عام ١٨٩٢م وقطن قرية قاديان وأصبح من المقرّبين من حضرة المجدّد الإمام. وكان العالم عبد الكريم يُتقنّ ثلاثة لغات إتقانا جيّدا هم الفارسيّة والعربيّة، إلى جانب لغته الأورديّة. ولذلك كان ميرزا غلام أحمد يقدّمه لإمامة المصلّين في الأوقات التي كان مشغولا فيها بكتابة

مؤلّفاته. ويدفعه ليقرأ على القادمين إلى قرية قاديان ما يطلّع به ميرزا غلام أحمد على الناس من مؤلّفات. وقد بلغ عدد أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة ألوفا كثيرة. وبدليل أنّه على حين كان عدد من حضروا الاجتماع السنويّ الأول ٧٥ فردا فقط. فقد حضر ذاك الاجتماع السنوي الذي عُقد أواخر أيام عام ١٨٩٢م ما يزيد عن العدد الأوّل بأربع مرّات. وابتدأ حضرته بعد الاجتماع المذكور أوّل مجلس شورى إسلاميّ بحث فيه المندوبون أمور الجماعة، والحاجة لشراء مطبعة لطبع مؤلّفات حضرته وإعلاناته وما تحتاجه مسيرة الدعوة في تلك الحقبة من الزمان من منشورات. وقرّروا ما يحتاج ذاك المشروع من تبرّعات ماليّة فرضوا على الأفراد الالتزام بدفعها وتأمينها. وتحدّدت أسماء الذين كُلّفوا بتلك المهمّات. وهكذا انهمك ميرزا غلام أحمد في النصف الثاني من عام ١٨٩٢م في تنظيم جماعاته التي تأسّست في كلّ مكان. واهتمّ بتنظيم وعظهم وخصّص الوعاظ لأداء تلك المهمّة أيضاً. وأثمرت تلك الجهود عمّا ظهر من نتائج في الاجتماع السنويّ الذي أشرنا إليه.

الفصل السابع

أحداث عام ١٨٩٣م

تأليف (مرآة كمالات الإسلام) — سير أحمد خان وموضوع الدعاء
الردّ عليه بكتاب (بركات الدعاء) — المناظرة مع القسيس عبد الله آتهم
مصير القسيس عبد الله آتهم ومن معه — نتائج المناظرة وأثرها على مشايخ تلك المدينة
تلقّي حضرته ٤٠ ألف مادّة عربيّة

وعندما اطمأن ميرزا غلام أحمد إلى سلامة مسيرة دعوته بين المسلمين خاصة. بدأ عام ١٨٩٣م يُكمل تأليف كتابه المشهور الذي كان قد أعلن عن أنّه بصدد كتابته وذلك في العاشر من آب عام ١٨٩٢م واسم هذا الكتاب (مرآة كمالات الإسلام). إلى جانب أنّ حضرته بدأ بالتوجّه لمواجهة المراكز التبشيرية المسيحيّة التي جاء بها الاستعمار البريطاني إلى الهند بغرض تنصير أهلها، ولإلحاق الهند بصورة نهائيّة بالتاج البريطاني. علما بأنّها كانت قد أسفرت جهود تلك الإرساليّات التبشيرية بصورة عمليّة عن تنصير أعداد كبيرة من المسلمين ومن البوذيّين في تلك الفترة من الزمان قبل دخول ميرزا غلام أحمد ميدان التبشير بالإسلام هناك في شبه القارة الهندية.

وقبل الانتقال لإطلاع القارئ على مُجريات أحداث عام ١٨٩٣م، أرى أنّ من المناسب أن أُطلع هذا القارئ على بشارة تلقّاها ميرزا غلام أحمد بشأن عائلته. فقد بشّره ربّه عز وجلّ في التاسع من شهر تشرين الثاني عام ١٨٩٢م بولادة ذكر له وفيه (**يأتيك قمر الأنبياء وأمرُك يتأتّى**)، وقد فهم حضرته من هذا الإلهام بأنّه سيُرزق بولد ذكر يكبر ويصبح عالما دينيّا متميّزا. وأترك الآن ذكر كيفيّة تحقّق تلك النبوءة إلى حين أقوم بتخصيص فصل من هذه السيرة أتكلّم فيه عن زواج حضرته وعن تطوّرات حياته الزوجيّة وعن الدور الذي ساعدت أسرة حضرته

على أداء مهمّة التجديد المكلّف بأدائها أيضاً. وبهذه المناسبة ألفت نظر القارئ إلى أنّ حضرته كان كلّما ألّف كتابا جديدا كان يعمد إلى تضمين ذاك الكتاب ما كان يتلقّاه في تلك الفترة الزمنية التي تستغرقها كتابته من بشارات سماويّة وإلهامات. فأنا لا أذكر هنا في هذه السيرة إلا بعضا من تلك الإلهامات وبما يقتضيه الحدث الذي أتكلّم عنه.

قلت بأنّ ميرزا غلام أحمد انكبّ في مطلع عام ١٨٩٢م على إتمام تأليف كتابه الذي كان قد أعلن عنه سابقا، وهو (مرآة كمالات الإسلام). وقد فرغ من تأليفه وطباعته في شهر شباط من عام ١٨٩٣م وقد تجاوزت عدد صفحات هذا المؤلّف الستمائة صفحة. وقد تضمّن هذا المؤلف على مقدّمة وثلاثة أبواب وخاتمة. وجاءت مضامينه تخاطب مختلف أصحاب الأديان التي تقطن شبه القارة الهنديّة في ذاك التاريخ. ولم ينس ميرزا غلام أحمد أن يخاطب بقيّة أقوام العالم وليبلّغهم ما فضّل الله تعالى عليه من إسناد مهمّات وما فتحه عليه من معارف القرآن الكريم. ولذلك أخذ يخاطب عند الخاتمة الأقوام الأخرى لنفس الغاية وبلغة عربيّة فصيحة وخاصّة منهم الأقطار العربيّة وحاصّة منهم مصر وعلماءها.

فاستهلّ كتابه هذا المسمّى (مرآة كمالات الإسلام) والذي له اسم آخر وهو (دافع الوساوس). أقول بأنّ حضرته استهلّ هذا المؤلّف بلغة عربيّة فصيحة. أقتبس للقارئ بعضا ممّا ورد فيه. فهو قال: (**بسم الله الرحمن الرحيم: يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث. الحمد لله الذي نوّر عيون المؤمنين بمصابيح الإيمان. وأيّد قلوب العارفين بفهم دقائق العرفان. فألهمهم نُكاتا وأسرارا وعلوما ما يُلقّاها إلا من أوحي إليه من الرحمن. وجعلهم شموس الأرض وحُجج الدّين وحرز الأمان..**). واستمرّ يكتب حضرته على هذا النسق البليغ الدلالات، وهو يعطي القارئ فكرةً عمّا تحقّق على أيدي محمدٌ المصطفى (ص) من منجزات. إلى أن كتب يدعو ويقول (**ربّ أحيي الإسلام بجهدي وهمّتي ودعائي وكلامي، وأعد بي سحنته وحبره وسبره، ومزّق كلّ معاند وتجبّره**) وراح بعد

هذا الدعاء يصف ما آل إليه حال المسلمين وغير المسلمين من بُعدٍ عن خالق الكون الحقيقي. وراح يُعطي القارئ فكرة عن حال علماء هذه الأمة وهو يتحسّر عليهم قائلا: (**يا حسرة على العلماء إنّهم بمقابلة الأعداء كالضالع الأعمى في زلج البيداء. ولكن للإسلام والمسلمين كالسباع أو البلاء النازل من السماء. لم يبق فيهم علم وتفقه وتدبّر.. إلا الذين تداركهم لطف الكبرياء وسبقتهم رحمة أرحم الرحماء... أيها العلماء الطاعنون في ديني ببهتان الإلحاد. واللاعنون عليّ بتهمة الارتداد.**). وهنا وضّح حضرته أمرين دفعاه إلى مخاطبة هؤلاء العلماء بهذا الخطاب. فالأول أن يجذب هؤلاء بذكر الرسول المقبول.. وكيف أنّ الأعادي قد أناخوا في ساحتنا، وكيف أنّ زمر القسّيسين أمطروا علينا حجارة من طين الشياطين. فكذّبوا كتاب الله جامع البركات. وراح يحثّهم على التخلّص من مرض التّكفير. وليهتمّوا بردّ ما يوجّه إلى الإسلام من شبهات. والأمر الثاني الذي دفعه إلى مخاطبة العلماء ليكون ذكره إياهم سببا في تحريكه للدعاء لهم وليخرجهم ربّهم من الظلمات إلى النور. فلما فرغ حضرته من هذا الاستهلال، أورد مقدّمة لكتابه (مرآة كمالات الإسلام). وقد عدّد فيها ما ألّفه حتى تلك اللّحظة من مؤلّفات شرح فيها دلائل كونه مجدّد هذا الزمان ومثيل ابن مريم ومصداقا لنبوءات القرآن الكريم وأقوال النبيّ سيّد المرسلين وكيف أنّ مشايخ المسلمين كفّروه بلا تحقيق. فشابهوا بذلك جميع من كذّبوا رسل الله تعالى ومجدّديه، وبدون تقديم حجّة ولا بُرهان. ووضّح كيف أنّ الله عز وجلّ كان قد عالج أحوال كلّ زمان وفق ما يقتضيه ذاك الزمان. وأنّ عصرنا هذا هو بحاجة إلى التحاور وتقديم الحجج والبراهين وليس اللجوء إلى العنف والقتل وسفك الدماء. ونبّه إلى خطر الاعتقاد بحياة المسيح في السماء. ونبّه إلى أنّ المسيح هو رسول إلى بني إسرائيل. والقرآن الكريم صرّح على لسان المسيح ﴿مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

فالمسيح ميّت وقد توفاه اللّه ربّ العالمين الذي خاطب محمدا (ص) قائلا ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وهنا نفت أنظار الباحثين إلى أنّ مدار حملات القسّيسين على الإسلام، يدور حول الاعتقاد بحياة المسيح في السماء. وإنّ اعتقاد المسلم بعقيدتهم هذه يقويّهم ويهدم أركان الإسلام. ويثبت بالتالي جهل المسلمين بحقيقة هذا الدين المسمّى بالإسلام. وهنا حاول حضرته شرح حقيقة التسمية بالإسلام بشرح مستفيض استغرق منه صفحات كثيرة. تشعّب البحث خلالها. ومن ثمّ عاد حضرته إلى بحث حقيقة الإسلام من جديد بأوجه جديدة. وبعد أن استرسل في شرح حقيقة الإسلام. توجّه بخطابه إلى ممثّلي بقيّة الأديان فدعاهم إلى الإسلام. وإلى التعرّف على الإله الحقيقي صاحب الأسماء الحسنى. وبيّن نقاط التحريف التي آلت إليها أديانهم. وكيف أنّهم عادوا بحاجة لإعادة النظر فيما ورثوه. ودعا الملكة فكتوريا إلى اعتناق الإسلام دينا. وعلى هذه الصورة جاءت مقدمة هذا الكتاب على غير العادة مطوّلة. وقد أورد حضرته قصيدتين من نظمه في مدح محمد خير الورى صلّى اللّه عليه وسلم. وأنقل إلى القارئ بعضا من أبياتها تدليلا على عشق ميرزا غلام أحمد لسيّده سيّد المرسلين. وهي

يــا عين فيض اللّه والعرفان ... يسعى إليك الخلق كالظمآن
يا بدرنا يا آيــة الرحمـــــن ... أهدى الهداة وأشجع الشُجعان
هو فخر كلّ مطهّر ومقدّس ... وبه يباهي العسكر الروحاني
واللّه إنّي قد رأيت جمالــه ... بعيون جسمي قاعدا بمكاني
يا ربّ صلّ على نبيّك دائما ... في هذه الدنيا وبعث ثانـــي

فهذه بعض أبيات تلك القصيدة. وقد ذكر حضرته هناك بأنّه حظي بزيارة محمدّ (ص) مرتين. وأنّه شاهد في رؤياه ملاكا يقول له (هذا كتاب مبارك فقوموا للإجلال والإكرام).

وأرى أن أختصر هنا للقارئ ما خاطب به ميرزا غلام أحمد غير المسلمين من مسيحيين وهنود، وآريه سماج، وبرهمو سماج، وفرقة السيك في كتاب (مرآة كمالات الإسلام) ليحيط هذا القارئ علما بالتحدّي الكبير الذي وجّهه ميرزا غلام أحمد في هذا الكتاب نحو أتباع بقيّة الديانات المعروفة. فحضرته قال (**إنّه بالرغم من وجود عشرات الأمور المختلف فيها فيما بيننا، فنحن جميعنا نقول بوجود إله واحد. وأنّ ما في أيدينا من تعاليم أديان سماوية فهي صادرة عنه. وأنّ كلّ من يخالف ما عنده من تلك التعاليم يكون ضالا وبعيدا عنه سبحانه وتعالى. وعليه فإنّه يوجد طريق سهل جدّا للتّمييز ما بين ما هو حقّ وما بين ما هو باطل عندنا جميعنا. خصوصا وأننا نختلف فيما بيننا من منطلق محبّتنا إياه وسعينا للتقرّب منه وجذب محبته. وهذا الطريق هو طريق الدعاء بين يدي هذا الإله الحيّ القيوم، وانتظار مدّة لاستجابة ما دعوناه من أجله. فأنا على استعداد للأخذ بهذه الوسيلة لتكون هي الوسيلة الفاصلة بيننا. إذ أنّ أصحاب كلّ دين منكم يعتقد بأنّ نبيّه كان يدعو ربّه ويستجيب ربّه دعاءه. فتعالوا إلى وسيلة الدعاء التي أتحدّاكم بها لتعلموا بأنّ اللّه جلّ شأنه لن يستجيب لأحد منكم، ولكنّه يستجيب لي من منطلق أنه هو الذي بعثني في هذا الزمان إماما ومجدّدا. ولم يبعثني للمسلمين وحدهم، ولكنّه تعالى قد بعثني إليكم جميعا. وليُظهر الإسلام بواسطة جماعتي على الدين كلّه يقينا**). فلما أشاع حضرته كتابه المذكور الذي دعا فيه إلى العودة إلى هذا المعيار الذي هو استجابة الدعاء، ومن منطلق أنّ جميع الأديان تقول بوجود اللّه الحيّ القيوم، ترك تحدّيه هذا آثاره على مختلف ممثّلي الأديان في الهند. كذلك أثّرت هذه الدعوة على ممثّلي الدين الإسلاميّ بتأثيرات مختلفة. وأحاول إطلاع القارئ هنا على أهمّ مظاهر تلك التأثيرات وأبدأ بالمسلمين الذين باتوا يعتقدون بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعد بعثة محمد (ص). فقد حدث أنّ مؤسّس دار العلوم في مدينة عاليكره جنوب الهند، والذي كان زعيما إسلاميّا وكان اسمه سير سيد أحمد خان فقد سارع إلى كتابة كتاب حول موضوع الدعاء. مُعتبرا الدعاء عبارة عن عبادة

يقطف المسلم ثوابها بعد موته وفي عالم الآخرة بصورة خاصّة. وأنّه لا يُسفر عن الدعاء في هذه الدنيا نزول وحي وغيره استجابة لذاك الدعاء. كما وضّح العالم المذكور بأنّ الوحي الإلهي لا يأتي من خارج الإنسان أصلا، بل ينبع من فؤاده. وعلى هذه الصورة حاول العالم المذكور بهذا المعتقد تزعُّم مختلف طوائف المسلمين. فسارع ميرزا غلام أحمد، وألّف كتابا عنوانه (بركات الدعاء). وقد ردّ فيه على ما أورده سيّد أحمد خان من ادّعاء يخالف تعاليم الإسلام. فناقش حضرته في رسالته هذه أفكار المذكور بنقاش منطقيٍّ وعلميٍّ وموثّقٍ من آيات القرآن العظيم. وممّا قاله حضرته إنّ هذا الزعيم السياسي الدارس خارج الهند والمتأثر بالأفكار الغربيّة قد حطّم من خلال نظريّته هذه العلاقة الكائنة ما بين الخالق والمخلوق. وقدّم حضرته في كتابه المذكور تجاربه الشخصيّة المتعلّقة بما يُسفر عنه الدعاء. وضرب أمثلة من واقع ما جرى من نبوءات سماويّة كان قد صرّح بها في أوقاتها نتيجة للدعاء، ممّا لا مجال لتكذيبه بشكل من الأشكال.

وأما بما يتعلّق بالإرساليّات المسيحيّة في الهند فقد أحاط رجال الإرساليّات المسيحيّة علما بمضمون كتاب (مرآة كمالات الإسلام)، وبما ورد فيه من أدلّة على موت المسيح الناصري خاصّة وما حمله لهم هذا الكتاب من تحدّي على مستوى الدعاء. فهنالك تيقّنوا بأنّها قد ظهرت في الهند حركة إسلاميّة جديدة ستعرقل جهودهم. وأنّ مؤسّس هذه الحركة الإسلاميّة الجديدة يعرض الإسلام بثوبٍ جديدٍ ما سبقه إلى عرضه على تلك الصورة أحد من قبله. وأنّه عاد يشكل خطرا حقيقيًا على المسيحيّة في الهند وفي العالم. فأرسلوا تقارير من مراكزهم المختلفة في الهند إلى مركزهم العام في لندن لتدارك هذا الموضوع، ولاتّخاذ القرارات اللازمة التي هي في صالح ما يسعون إليه. وكان من نتائج تلك التقارير والإزعاج الذي تسبّبه المؤلّف الضخم (مرآة كمالات الإسلام) لأتباع المسيحيّة والذي ألّفه ميرزا غلام أحمد ودعا فيه الملكة فكتوريا إلى الإسلام وقال لها

(أسلمي تسلمي يؤتك اللّه أجرك مرّتين) وهو الكتاب الذي أثبت فيه حضرته موت المسيح الناصري عليه السلام. الأمر الذي اضطرّ القساوسة هناك للإعداد والتخطيط لمجابهة ميرزا غلام أحمد وأفكاره بصورة جدّية. وبناء عليه فقد عقدت مختلف الكنائس في لندن مؤتمرا عاما بعد أشهرٍ من تلك التقارير التي أشرنا إليها ولنفس هذا الغرض. فأظهروا في ذاك المؤتمر المشار إليه انزعاجهم من هذه الحركة الإسلاميّة الجديدة. وممّا ورد في تقرير ذاك المؤتمر: (بدت آثار حركة جديدة تظهر في الإسلام... وطرز جديد في عرض تعاليم الإسلام.. وتخالف ما نعرفه عن دين محمد من أشياء منفّرة.. الأمر الذي يُعطي الإسلام أسلحة هجوميّة.. حتّى وأنّ بعضا من أتباعنا قد مالوا إليه.).. (راجع التقرير الرسمي لمؤتمر القساوسة الصادر عام ١٨٩٤م صفحة ٦٤).

ومن المناسب هنا أن أعطي القارئ فكرةً واضحةً عن السبب المباشر الذي دفع قساوسة المراكز التبشيريّة إلى رفع شكواهم إلى مركزهم في لندن بخصوص حضرة ميرزا غلام أحمد وجماعته الإسلاميّة الناشئة حديثا. فقد حدث أنّ المسيحيين أقاموا مركزا تبشيريا في مدينة جنديالة. وأخذ مبشّروهم يذرعون طرقات تلك المدينة ذهابا وإيابا وهم يبشّرون بالمسيحيّة. فكتب أحد سكان المدينة إلى ميرزا غلام أحمد يشكوا إليه ما يحدث في مدينته، ويرجوه أن يناظر القساوسة باعتبار أنّ ميرزا غلام أحمد اشتهر بتقواه وبواسع علمه وبدفاعه عن الدين الإسلامي الحنيف. فقبل ميرزا غلام أحمد طلبه على الفور. وأختصر ما حدث وأقول: إنّه تعيّن يوم ٢٢ مايس ١٨٩٣م لبدء المناظرة ما بين حضرته، وما بين قساوسة ذاك المركز التبشيري وبرئاسة القسيس عبداللّه آتهم ووُضعت لتلك المناظرة شروط منها أن تكون المناظرة كتابيّة. وأن يقدّم كلّ طرف دلائله من كتابه المقدس وليس من خارجه. وعرض صاحب مطبعة، وكان حاضرا تلك المناظرة عرض أن يطبع كلّ يوم ما يكتبه الطرفان لبيعه لمئات الناس المتجمّعين

كلّ يوم حول مكان المناظرة من أجل أن يطلّعوا على ما يجري فيها. فوافق الطرفان على طلب صاحب المطبعة المشار إليه. ودامت تلك المناظرة عدّة أيام متوالية. وطُبع فيما بعد جميع ما ورد في تلك المناظرة من كتابات في كتاب عنوانه (جنك مقدّس) ومعناه (الحرب المقدسة) وزادت صفحاته على مائتي صفحة. وقد تركت تلك المناظرة آثارا بالغة الأهمّية على صعيد شهرة ميرزا غلام أحمد وإقبال الناس على مبايعته. كما تركت تلك المناظرة آثارها على أصحاب المركز التبشيريّ في جندياله. وعلى مسيرة الحركة التبشيرية المسيحيّة في الهند كلّها. وأحاول في هذا المقام إعطاء القارئ فكرة أوّليّة عما حدث في اليوم الأوّل من المناظرة. وإعطاءه فكرة واضحة أيضاً عن أسلوب ميرزا غلام أحمد في شرح موضوعٍ طرحوه على النقاش، وهو عقيدة ألوهيّة المسيح. ومبيّنا أسلوبه العلمي في النقاش المذكور وخلاصة ما حدث هو أنّ ميرزا غلام أحمد خاطب القسيس عبد اللّه آتهم المكلّف بتمثيل الطرف المسيحي قائلا بأنّنا اجتمعنا لبحث موضوع (ألوهيّة المسيح) التي يطرحها الطرف المسيحي. وقام بتوضيح اعتقاد المسلم بأنّ المسيح ابن مريم كان رسولا من جملة رسل اللّه الكرام وأنّ القرآن الكريم قدّم في الآية ٧٥ من سورة المائدة أدلّةً تُثبت مصداقيّة كون المسيح ابن مريم رسولا. فاللّه جلّ شأنه قال: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.. وأضاف إنّ هذه الآية الكريمة قد صيغت بأسلوب علمي رفيع المستوى وبليغ الدلالة. فقوله تعالى **أولاً** ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ أورد تعالى حرف (إلا) بمعنى (غير) وهو الاستعمال الثاني لهذا الحرف، وليعود النصّ يعني (ما المسيح ابن مريم غير أنّه رسول) وهو معنى ينفي عقيدة ألوهيّة المسيح، ويثبت في الوقت نفسه رسالته. **ثانياً**– وحين قال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فقد أتى تعالى بدليل اصطلح المنطقيّون على

تسميته (**دليلا استقرائيا**) فهو يستدلّ من مقدّمات يقيس عليها، ليثبت ما يريد إثباته. وإنّ هذا الدليل الاستقرائي القياسي يأتي بنتائج قطعيّة ويقينيّة في نظر العلماء. فهو تعالى حين قال ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ قد لفت نظر الباحث إلى أنّ جميع رسل اللّه الذين بعثهم اللّه تعالى قبل المسيح ابن مريم، كان كلّ واحد منهم قد وُلد طفلا من بطن امرأة. فلما كبروا وأصبحوا صالحين لأداء مهمّة سماويّة فقد اصطفاهم ربّهم رسلا إلى عباده. فإن نحن قسنا المسيح ابن مريم بنفس الميزان. فلا يمتاز المسيح عن أولئك الرسل بأيّة ميّزة تُذكر. فقد حملته أمّه مريم في بطنها ووضعته بعد ذلك طفلا رضيعا. وشبّ شيئا فشيئا إلى أن اصطفاه ربّه رسولا على شاكلة ما حدث لجميع من سبقه من رسل اللّه تعالى. فاستثناء أصحاب الكنائس المسيح ابن مريم من بين أولئك الرسل بميّزة توصله إلى حدّ إعطائه صفة ألوهيّة. هو فعل تدحضه معطيات الدليل العلمي الاستقرائي القياسي الذي قدّمته هذه الآية الكريمة. __ثالثاً__ – وقد أضاف اللّه تعالى في هذه الآية دليلا آخر، تضمّنه قول اللّه تعالى ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾. فهذا القول نبّه عقولنا من جهة إلى أنّ أمّ المسيح لم تكن فاجرة، بل كانت تقيّة تعمل على أوامر ربّها. ومن جهة أخرى فقد نبّه عقولنا إلى أنّ كلّ مولود يولد من جنس أمّه. فالكلبة تلد كلبا والمرأة تلد طفلا بشرا. وما دام المسيح قد ولدته (مريم الصدّيقة التقيّة). فهذا يعني بأنّ مريم قد ولدت بشرا، ولم تلد شيئا آخر. __رابعاً__ –وقد قدّم اللّه عز وجلّ في هذه الآية الكريمة دليلا ثالثا من خلال قوله تعالى ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾. أي أنّه تعالى لفت نظر هذا الباحث إلى حقيقة طبيعيّة كونيّة. وهي أنّ جسم هذا الإنسان يتغذّى مما تنتجه هذه الأرض من ثمار وخضار وحبوب ونباتات. وأنّ ما يحمله هذا الجسم من صفات صاحبه، إنّما جاءت صفاته هذه كنتيجة حتميّة لتأثير ما تحمله تلك المآكل التي يتناولها من صفات تتركه في كيانه الخُلُقي. وأنّه ما دام

قد ثبت علميًا بأنّ جسم الإنسان يتبدّل كل ثلاثة أعوام. وأنّ المسيح وأمّه كانا يأكلان الطعام الذي تنتجه هذه الأرض التي كانا عاشا عليها. فهذه الحقيقة الطبيعيّة تعني بألفاظ أخرى أنّ المسيح ابن مريم كان بشرا ولا تخالطه صفات أخرى غير تلك الصفات التي تركتها فيه الأغذية التي تناولها طيلة حياته. ومن خلال هذا الدليل العلميّ الطبيعيّ يكون اللّه تعالى قد نفى عن المسيح كونه إلها، أو ابن إله. ويكون قد أثبت تعالى في الوقت نفسه بأنّ المسيح ابن مريم كان بشرا رسولا يموت إذا قطعوا عنه تناول غذائه اليوميّ. فهذه خلاصة ما طرحه ميرزا غلام أحمد بصورة كتابيّة في مواجهة القسيس عبد اللّه آتهم، وذلك في اليوم الأول من تلك المناظرة المقدّسة التي نتكلّم عنها.

فما هو جواب الطرف المسيحي على هذا الطرح الذي طرحه ميرزا غلام أحمد، والذي استغرق عددا من الصفحات؟ أجاب القسيس عبد اللّه آتهم على هذه الأدلّة العلميّة بصفحة واحدة أنكر من خلالها الأسس العلميّة التي أخذ بها العلماء وهي الملاحظة والتجربة والاستنتاج. وأنّه لا يعترف بهذه الأسس في موضوع ألوهيّة المسيح. ومن جهة أخرى فقد ردّ على ما استدلّ ميرزا غلام أحمد به من الآية ٧٥ من سورة المائدة قائلا بأنّه لا يؤمن أصلا كون هذا القرآن كتابا منزلا من عند اللّه تعالى. ولذلك يرفض جميع ما استدلّ به ميرزا غلام أحمد في مطالعته. وبهذا الردّ يكون قد مضى اليوم الأوّل من تلك المناظرة المقدّسة.

وفي اليوم الثاني وبتاريخ ٢٣ مايس فقد ردّ ميرزا غلام أحمد على النقطة الأولى التي أثارها القسيس عبد اللّه آتهم وبما خلاصته، أنّ إنكار هذا القسيس للأسس التي قام عليها العلم، يكون بذلك قد أنكر جميع هذه العلوم والفنون التي عرفتها البشريّة في زمانه. ويكون قد تبيّن بالتالي سبب ابتعاد مفكّري أوروبة عن رجالات الكنيسة هناك، وعما يطرحه رجال الكنائس من عقائد لا يستسيغها العلم الحديث. وأما ما يتعلّق بالنقطة الثانية التي أثارها القسيس عبد

اللّه آتهم. فقد ردّ حضرته عليه قائلا إنّ حضرته حين استدلّ بالآية القرآنيّة ، لم يستدلّ بها من منطلق كون هذا القسيس يؤمن بالقرآن الكريم. ولكنّه استدلّ بمضمونها المنطقيّ العلميّ. وليثبت بالتالي بأنّ القرآن الكريم الذي نقدّسه هو كتاب كامل وعلميّ مشتملٌ على أدلّة عقليّة وعلميّة قاطعة الدلالة. إلى جانب ما يحمله هذا القرآن الكريم من بركات سماويّة. وهنا فقد طلب حضرته من القسيس عبد اللّه آتهم أن يردّ على تلك الدلائل التي تضمّنتها الآية المذكورة بردود منطقيّة وعلميّة من هذه الأناجيل التي هي بين يديه، وليس بردود من خارجها. فإن عجز هذا القسيس عن فعل ذلك، تبطل عقيدة ألوهيّة المسيح كما يثبت عدم كمال هذه الأناجيل التي بين يديه والتي يعطيها قداسة تفوق حقائقها. وأضاف حضرته وقال موجّها كلامه إلى ذاك القسيس: بأنّك إذا نحتّ أدلّة من جانبك لإثبات عقيدة ألوهيّة المسيح. يكون مثلك كمثل رجلٍ أمسك برجْل ميتٍ ويده وراح يحرّكه. كذلك فقد ردّ على تنكّر القسيس للأسس العلميّة التي هي الملاحظة والتجربة والاستنتاج ردّ عليه بمثال وهو أنّك يا سيادة القسيس إن عيّنت موظّفا ليحفظ صندوق مال كان عندك وطلبت منه يوما أن يفتح صندوقك ويعطيك مبلغا من المال منه. فلما عاد إليك قال: فتحت الصندوق فإذا بالأموال قد تحوّلت إلى ماء أو إلى هواء، فهل أنك تصدّقه؟ فأنت لا تصدّقه بسبب وجود قوانين طبيعيّة تحكم أشياء هذا الكون. وتلك القوانين الطبيعيّة ترفض الادّعاء بتحوّل مال الصندوق إلى ماء أو هواء. ولا ندرك عمل وفعّالية تلك القوانين الطبيعيّة إلا عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج. وعلى هذه الصورة من الحوار فقد دامت تلك المناظرة خمسة عشر يوما. وقد أتى القساوسة خلالها بأناس مقعدين منهم الأخرس ومنهم الأصمّ ومنهم الأعمى. وطلبوا من ميرزا غلام أحمد أن يشفيهم إن كان هو مثيل ابن مريم حقّا. فقال لهم حضرته: أنا لا أومن بما ورد في الأناجيل من تلك المعجزات المتعلّقة بشفاء المسيح لهذه الأمراض

الجسديّة. بل أومن بأنّ أسماء تلك الأمراض وردت على سبيل المجاز، والذي يُقصدُ منها هو شفاء أمراض روحيّة سمّيت بتلك الأسماء. وهذه المعاني التي ذكرتها يؤكّدها القرآن الكريم القائل ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾. وبالمقابل فأنا أطالبكم أن تقوموا أنتم بشفاء هؤلاء المقعدين. لقول المسيح الناصري في هذه الأناجيل التي هي بين أيديكم إنّه إن كان فيكم مثل ذرّة حبّة من خردل من الإيمان فأنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل. وهنا اصفرّت وجوه القساوسة الذين حضروا تلك المناظرة، وأمروا بصرف أولئك الرجال المقعدين من هناك. وأرى أنّه من المناسب إطلاع القارئ على ما جرى في اليوم الأخير من تلك المناظرة التي حاول القساوسة التهرّب من الردّ الصريح على ما واجهوه من طرف حضرته من حججٍ وبراهين قاطعة تنفي ألوهيّة المسيح الناصري. فميرزا غلام أحمد أعلن في اليوم الأخير بأنّ ربّه قد كشف عليه في تلك اللّيلة بعد أن تضرّع كثيرا بين يديه قبل أن يخلد إلى النوم. أنّه سبحانه قد بشّره بأنّ الفريق منكما والذي يتعمّد الكذب ويُعرض عن الإله الحقيقي، ويتّخذ الإنسان العاجز إلها، سيُلقى في هاوية، ويُصاب بذلّة ما بعدها ذلّة، إلا إذا رجع إلى الحقّ. وأما الفريق الذي هو على الحقّ ويؤمن بالإله الحقيقي، فإنّه سينال العزّة وتتفتّح أعين على يديه ليتعرفوا إلى الحقّ. ويسدّد بواسطته عرج آخرين، ويسمع صوته صُمٌّ أيضاً. فكان لهذه النبوءة التي أعلنها ميرزا غلام أحمد على جميع أولئك الذين حضروا اليوم الأخير من المناظرة وقعا شديدا على القساوسة وخاصّة منهم القسيس المناظر عبد اللّه آتهم، الذي كان سبق له أن ألّف كتابا باسم (أندرونه بايبل) سمّى فيه محمّدا (ص) دجالا، واستهزأ فيما كتبه بالإسلام وتعاليمه. فما أن سمع القسيس عبد اللّه آتهم المذكور تلك النبوءة التي أعلنها ميرزا غلام أحمد إلا وشاهده جميع من حضر المجلس أنّه اصفرّ لون

وجهه، ووضع أصابعه على أذنيه وهزّ رأسه وأخرج لسانه وتاب عما ورد في كتابه المذكور. أي أنّه رجع إلى الحقّ في تلك اللّحظات من شدّة وقع ألفاظ النبوءة على أذنيه. ولم تمض تلك الأشهر الخمسة عشرة إلا ومات جميع أولئك القساوسة الذين اشتركوا فيما سمّوه بمناظرة الحرب المقدّسة. ومن جهة أخرى فقد تأثّر أشخاص كثرٌ بما جرى في تلك المناظرة من مواضيع وما طرحه ميرزا غلام أحمد خلالها من أدلّة وبراهين قاطعة لم يعرفها المسلمون من قبل. وأقبلوا على مبايعة ميرزا غلام أحمد هناك في تلك المدينة بشكل لم يسبق له نظير.

وقبل أن أنتقل لأصف حال المشايخ وردود فعلهم إثر تلك المناظرة. أرى من المناسب أن أجيب على سؤال يطرح نفسه، وهو كيف تحقّقت تلك النبوءة التي أنهى بها ميرزا غلام أحمد مناظرة (الحرب المقدّسة) والمتعلّقة بمصير قساوسة ذاك المركز التبشيريّ المسيحيّ، وخاصّة منهم القسيس المناظر عبد اللّه آتهم. فأقول: لقد حدّدت تلك النبوءة مدّة خمسة عشر شهرا بعدد قساوسة المركز التبشيري المذكور. فالذي حدث بعد ذلك أنّ أوّل قسيس مات في الشهر الأول من تلك الأشهر. وقد حاول قسيس آخر في الشهر الثاني مغادرة تلك المدينة ووصل المحطّة وركب القطار. وقد وافته المنيّة وهو في القطار. وهكذا كان لا يمضي شهر إلا وينعى القساوسة قسيسا من بينهم. الأمر الذي أرعب القسيس المناظر عبد اللّه آتهم كثيرا جدّا. فأعرض عن القيام بالاجتماع مع أي إنسان يريد مقابلته، وخاصّة إذا عرف بأنّه مسلم. وأمسى يرى كابوسا كلّ ليلة، فيستيقظ وهو يصيح بكلمات دالّة على الكوابيس التي كانت تنتابه. فلما لاحظ رئيس المركز التبشيريّ حالة الاضطراب التي كانت ظاهرة في تصرّفات القسيس عبد اللّه آتهم، اقترح على من معه أن يسافروا به إلى مدينة (لدهيانة) التي كان قد تأسّس فيها أول مركز تبشيريّ في منطقة بنجاب. فلما وصلوا معه إلى لدهيانه، لم تتحسّن حالة القسيس عبد اللّه آتهم، فنقلوه من هناك إلى مدينة كجرات. ولم

تتبدّل حالته فيها. فسافروا به إلى مدينة (فيروز بور). علما بأنّ هذا القسيس المذكور كان قد بنى لنفسه قصرا في المدينة التي كان يقطن فيها. وكان قد بنى قصره على أحدث ما توصّل إليه العمران يومئذ وأحاط القصر بحدائق غنّاء. وكان يتباهى به ويقول بأنّه يشعر في قصره وكأنّه في الجنّة. والمهمّ هو أنّ القسيس عبد اللّه آتهم راح يصرّح حيثما حلّ بأنّه لا يتّفق مع الذين يوجّهون الإهانات لميرزا غلام أحمد. وأنّه لا يتّفق كلّية مع عموم المسيحيين القائلين بألوهية المسيح. وكان يفعل ذلك لعلّه ينجو ممّا أنبأت عنه نبوءة حضرة الميرزا المذكورة بعد مضي الأشهر الخمسة عشر المحدّدة فيها. وبما أنّ تصرّفات هذا القسيس وتصريحاته كانت تصل إلى مسامع حضرته عليه السلام، فقد نشر في تلك الفترة الأخيرة إعلانا وعد فيه القسيس عبد اللّه آتهم بإعطائه ثلاثة آلاف روبيّة إن هو أقسم وتاب إلى اللّه تعالى عمّا كان يعتقده وصدر عنه. فسكت القسيس ولم يردّ على مضمون ذاك الإعلان. فأصدر حضرته إعلانا آخر رفع فيه المكافأة إلى رقم أربعة آلاف روبيّة. ومع ذلك فلم يأت من جانب القسيس صدى. وهناك أصدر ميرزا غلام أحمد إعلانا جديدا صرّح فيه بأنّه ما دام القسيس عبد اللّه آتهم لم يردّ على إعلاناتي فليعلم بأنّ اللّه تعالى أخبرني بأنّه لن يمض عليه الآن عام إلا ويزول من هذا الوجود. وهكذا مات القسيس عبد اللّه آتهم في ذاك العام شرّ ميتة. وبعد أن تحقّقت نبوءة ميرزا غلام أحمد بحقّ جميع القساوسة الذين باحثوه. وخاصّة منهم الأخير القسيس عبد اللّه آتهم، كتب حضرته يخاطب جميع مخالفيه قائلا: (**إن وُجد منكم من لا يعترف بعظمة هذه النبوءة التي اختتم اللّه عز وجلّ بها (الحرب المقدسة) ظنّا من طرفه بأننا كنّا وراء ما كان يتراءى للقسيس عبد اللّه آتهم من تخيّلات من أنّ أفعى ستلسعه أو أنّ رجلا سيضربه بالسيف أو أنّ كلابا تلاحقه وتطارده، وغيرها من تلك التخيّلات. فليقسم ذاك الشخص بأنّ الحال كان على ما ذُكر،**

وليتظر هل ينجو خلال سنة من قسمه من العذاب الإلهي، علما بأني لا أضع شروطا لهـذا القسم الذي أطالبه به) (راجع رسالة نور أحمد صفحة ٣٢).

وأنتقل الآن لأصف للقارئ ما أسفرت عنه مباحثة (الحرب المقدّسة) من تطوّرات على صعيد مشايخ تلك المدينة الذين جُنّ جنونهم عندما لاحظوا تغلّب ميرزا غلام أحمد على قساوسة ذاك المركز التبشيري المسيحي. فاجتمعوا في تلك المدينة إثر النصر الذي لاحظوا تحقّقه على أيدي حضرته. وهو نصرٌ تجلّى في مبايعة عدد كبيرٍ من الناس على أيدي المجدّد ميرزا غلام أحمد. علما بأنّ وجيه تلك المدينة الذي كان استنجد بميرزا غلام أحمد لمواجهة قساوسة ذاك المركز التبشيريّ وكان اسمه (بانده)، كان قد استنجد بمشايخ مدينته بادئ الأمر. ودفعهم لمباحثة القساوسة. ولكنّ المشايخ خيّبوا أمله، وأخذوا يتهرّبون من تلبية طلبه. الأمر الذي دفع الوجيه (باندا) ليكتب إلى ميرزا غلام أحمد يستنجد به. وكان على أثر ذلك ما ذكرته للقارئ من مناظرة دامت خمسة عشر يوما، وطُبعت باسم (الحرب المقدّسة).

والمهمّ هو أنّ مشايخ تلك المدينة لم يكتفوا بتحريض الناس ضدّ حضرته من منطلق أنّه كافر وساحر. بل وراحوا يعاتبون قساوسة المركز التبشيري ويقولون لهم: كيف تباحثون ميرزا غلام أحمد وهو لا يمثّل الإسلام، فهو في نظرنا كافر وساحر؟ فعلوا هذا ضمن أيام المناظرة الكتابيّة. الأمر الذي اضطرّ القساوسة ليستفسروا من حضرته عن حقيقة فتوى هؤلاء. فردّ عليهم ميرزا غلام أحمد بأنّ طوائف المسيحيّين يكفّر بعضهم بعضا. وأنّ طوائف المسلمين يكفّر بعضهم بعضا أيضاً. فهذه ظاهرة أنتم تعرفونها، فأنتم يكفّركم غيركم من المسيحيّين. وعليه فلا قيمة لهذه الفتوى التي أصدرها هؤلاء المشايخ ضدّي. فأنا مسلم وأدافع عن الإسلام كما تتلمّسون ذلك أيام هذه المباحثة. وبهذه الإجابة تمكّن حضرته

من تهدئة الأمور وإبطال مفعول احتجاج المشايخ المشار إليه. وبالرّغم من ذلك فقد ظلّ مشايخ تلك المدينة يحرّضون سكانها ضدّ حضرته.

فلما انتهت مباحثة (الحرب المقدّسة) التي تكلّمنا عنها، توجّه ميرزا غلام أحمد لمعالجة أمر أولئك المشايخ. فطبع إعلانا خاطب فيه مشايخ تلك المدينة دعاهم فيه إلى إجراء مناظرة فيما بينه وبينهم. وممّا قاله في ذاك الإعلان: (**أما وقد فرغنا من البحث مع المسيحيّين، فقد قرّرت البقاء هنا لثلاثة أيام لمناظرتكم. وإنّ على الشيخ الذي هو على استعداد لمواجهتي والدخول معي في مناظرة ليتقدّم إلى الميدان، وليحدّد هو المقام الذي يريد أن تجري فيه المناظرة. وأنا أفعل ذلك كيلا تستغلّوا مغادرتي لتكذبوا على الناس وتقولوا إنّ الميرزا هرب من الميدان**).. (راجع رسالة نور أحمد صفحة ٣٢ -٣٣). وقد أرعب إعلان حضرته أولئك المشايخ فلم يتقدّم أحدٌ منهم ليناظره أبدا. ولذلك فقد عاد ميرزا غلام أحمد إلى قريته قاديان، وليقوم فيها من جديد بالتأليف والدفاع عن الدين الإسلاميّ الحنيف. وكان من المؤلّفات التي أنجز حضرته كتابتها عام ١٨٩٣م ثمانية كتب هي: (مرآة كمالات الإسلام) و(بركات الدعاء) و(حجّة الإسلام) و(سجائي كا إظهار) ومعناه إظهار الصدق، وكتاب (الحرب المقدسة) وكتاب (تحفة بغداد) جوابا على رسالة تلقّاها حضرته من السيد عبد الرزاق قادري من بغداد. شرح له فيها جميع ما يخصّ ادّعاءه بأنّه مجدّد هذا القرن الذي بعثه اللّه تعالى فيه. وكتاب (كرامات الصادقين) وكتاب (شهادة القرآن). فهذه المؤلّفات الثمانية أنجز تأليفها ميرزا غلام أحمد خلال عام ١٨٩٣. وفي العام المذكور علّم اللّه جلّ جلاله ميرزا غلام أحمد بطريق التعليم اللّدني أربعين ألف مادة من مواد اللّغة العربيّةوبمناسبة أنّ الشيخ محمد حسين البطالوي كان يشيع بين الناس بأنّ لياقة الميرزا في اللّغة العربيّة ضعيفة. فلمّا تلقّى حضرته ما ذكرناه، أخذ حضرته يتحدّى مشايخ وعلماء الهند وعلماء الدول العربيّة لمنازلته في كتابة أيّ موضوع بلغة الضاد. وخصّص عشرات الألوف من

الروبيات لمن ينازله في هذا الميدان. ومن أحداث العام المذكور أنّ عددا من كبار مبايعي ميرزا غلام أحمد بدؤوا بترك مدنهم والهجرة إلى قاديان لمجاورة حضرته وتلقّي العلم على يديه بصورة مباشرة. وقد أصبح أولئك المشار إليهم فيما بعد من أبرز علماء الجماعة الإسلامية الأحمدية. وقد اشتهروا كعلماء بين غير الأحمديين أيضاً. وألّفوا كذلك أعدادا من المؤلّفات ما تزال تشكّل حتى يومنا هذا مراجع للباحثين. فإذا لخّصنا أحداث عام ١٨٩٣م وما أسفرت عنه من نتائج في صالح المجدّد ميرزا غلام أحمد. أمكننا أن نقول بأنّ شهرة ميرزا غلام أحمد قد تجاوزت عام ١٨٩٣م حدود شبه القارة الهنديّة. وأنّ عدد أفراد هذه الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة التي أسسها حضرته تضاعف عشرات المرات فبلغ عددا من الألوف من المبايعين المخلصين. إلى جانب تأليف الكتب التي ذكرناها. وعلى هذا المستوى من التقدّم هلّ العام الذي بعده.

الفصل الثامن

أحداث عام ١٨٩٤م

فمن أهمّ أحداث عام ١٨٩٤م ظهور الخسوف والكسوف في السماء في شهر رمضان المبارك مصداقا للحديث النبوي الوارد في كتاب (الدارقطني) والذي هو علامة كبيرة من علامات زمن ظهور مهديّ آخر الزمان. ومن أهمّ أحداث العام المذكور اكتشاف قبر المسيح الناصري في محلّة خانيار في منطقة سرينكر. ومن أحداث العام المذكور ظهور مؤلّفات جديدة لحضرة الميرزا هي: (نور الحق) ويتألّف من جزئين. وكتاب (حمامة البشرى) الموجّه إلى أهل الحجاز. وكتاب (إتمام الحجّة) باللّغتين العربيّة والأردية. وكتاب (سرّ الخلافة) باللّغتين العربيّة والأردية أيضاً. وكتاب (أنوار الإسلام). وفي العام المذكور أنبأ حضرة الميرزا عن ربّه عز وجلّ أنّ مرض الطاعون سيظهر في الهند، وينتشر ويُهلك أعدادا كثيرة من الناس المخالفين المعادين. وأحاول الآن تناول كلّ حدث من تلك الأحداث التي ذكرناها بشيء من التفصيل. أما ما يتعلّق بظاهرة الخسوف والكسوف. فقد كان ورد في كتاب الأحاديث النبويّة للدارقطني على الصفحة ١٠٠ حديث أنبأ عن علامات زمن ظهور الإمام المهديّ. وكان المشايخ يعيّرون ميرزا غلام أحمد بأنّه لو كان صادقا في ادّعائه بأنّه مهديّ آخر الزمان، لكانت قد تحقّقت تلك العلامة التي أخبر عنها الحديث النبويّ المشار إليه وهو **(إنّ لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض ينخسف القمر لأوّل ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه)**. وإذ بتلك الظاهرة تتحقّق عام ١٨٩٤م والموافق ١٣١١ هجري فشاهدها سكان أوروبة وآسيا وأفريقية. فلما ظهرت تلك الظاهرة الفلكيّة أخذ مشايخ مختلف المناطق في الهند أولئك الذين كانوا يعيّرون حضرة الميرزا بسبب عدم ظهورها، فقد أخذوا يصيحون بالناس في الطرقات بأعلى أصواتهم أن

إياكم أيها الناس أن تظنوا بأنّ ظهورها دليل صدق ميرزا غلام أحمد. وقد تسبّب موقف المشايخ المتضادّ الذي ذكرناه إلى أن يدرك كثيرون بأنّ هؤلاء المشايخ لا يلتزمون بنبوءات محمد رسول اللّه (ص) ولمجرّد تكذيب الميرزا ليس إلا. وكان من نتيجة ذلك أن أقبلت أعداد كبيرة من المسلمين على مبايعة ميرزا غلام أحمد على أنّه مهديّ آخر الزمان.

وأما ما يتعلّق بالحدَث الثاني الهام وهو اكتشاف قبر المسيح ابن مريم الناصري. فإنّ ميرزا غلام أحمد عندما ألّف الجزء الأول من كتابه (نور الحقّ). أورد فيه يقول: **(وإني رأيت عيسى عليه السلام مرارا في المنام ومرارا في الحالة الكشفيّة وقد أكل معي على مائدة واحدة ورأيته مرّة واستفسرته لما وقع قومه فيه. فاستولى عليه الدهش وذكر عظمة اللّه وطفق يسبّح ويقدّس وأشار إلى الأرض وقال إنما أنا ترابيّ وبريء مما يقولون. فرأيته كالمنكسرين المتواضعين)**.. وأما في الجزء الثاني من كتابه (نور الحقّ) فقد أثبت فيه بأنّ سكان أفغانستان وكشمير أصلهم من أسباط بني إسرائيل. وأنّهم كانوا قد هاجروا إلى تلك المناطق بعد قيام ملك العراق بسبيهم من فلسطين. وأنّ حضرته تلقى بشارتين في منامين مختلفين بأنّ مؤلّفه المشار إليه سيكون من أعظم مؤلّفاته. كما تلقّى إلهامين أيضاً بشّره ربّه فيهما **(بأنّ أعداءه سيظلون عاجزين عن نقض ما كتبه في كتابه المشار إليه. وأنّهم كلّهم كالأعمى ولن يأتوا بمثل هذا وأنّهم كانوا في دعاويهم كاذبين)**. وقد أحدث كتابه المذكور آنذاك ضجّة كبيرة في أوساط المسلمين والمسيحيين. ولقد شكّل حضرة الميرزا بعد ذلك لجنةً من جماعته أوكل إليهم السفر إلى سرينكر ليقوموا بمزيد من التحقيق في موضوع هجرة المسيح الناصري إلى تلك المنطقة من الهند. وللمزيد من المعلومات التي تدعم ما أورده في كتابه المذكور. وقد قام أفراد تلك اللّجنة بما كلّفهم به إمامهم. وكتب على أثر ذلك مؤلّفا جديدا اسمه (مسيح هندوستان مين) وترجمته (المسيح في الهند). وقد ضمّنه جميع ما حصل عليه من تحقيقات. ومبيّنا فيه بأنّ

اللّه تعالى أعانه على ذلك بسبب أنّه جلّ شأنه قد جعله (كاسر الصليب) مصداقا للحديث النبويّ الشريف الوارد فيه (يكسر الصليب). وإنّ هذا الكتاب تُرجم إلى اللّغة العربيّة وإنّ كلّ من يطالعه، يحصل على وثائق تاريخيّة وأدلّة قاطعة دالّة على نجاة المسيح ابن مريم الناصري من مكيدة أعدائه اليهود، وهجرته من فلسطين وتبشيره بقيّة أسباط بني إسرائيل الذين كانوا في الشتات.

وكيف أنّه عاش مائة وعشرين سنة وتوفّاه ربّه في منطقة سرينكر ودُفن في محلّة خانيار. وأنّ قبره ما يزال قائما إلى اليوم ومنحوتا على مدخله كلمتين هما (يوز آصف) ومعناهما (يسوع المسيح). وأنّ أهل تلك المنطقة يتداولون فيما بينهم بأنّ هذا قبر نبيٍّ. وقد تضمّن هذا الكتاب أيضاً أدلّة من الأناجيل الحاضرة تثبت بأنّ المسيح قد نجّاه ربّه وأنّه عليه السلام لم يمت على الصليب، وأنّه هاجر لإتمام مهمتّه التبشيريّة المتعلّقة بجميع أسباط بني إسرائيل. فكتاب (المسيح في الهند) كتاب قد قرّظه كبار المؤرّخين والمحقّقين الحياديين. وأما ما يتعلّق بالنبوءة التي أنبأت عن انتشار الطاعون في الهند في المستقبل. فسيأتي الكلام عنها وعن تحقّقها في الوقت المناسب إن شاء اللّه تعالى. فهذه هي خلاصة الأحداث المهمة التي تعرّض لها حضرة الميرزا عام ١٨٩٤م في حياته بعد إعلان دعوته. ولكن ليس معنى هذا أنّها لم تحدث غيرها من أحداث أقلّ منها أهمّيّة.

إذ أنّ مباحثة (الحرب المقدّسة) وما أسفرت عنها من نتائج وخيمة بحقّ الإرساليات التبشيرية، قد أشعلت الساحة الهنديّة على مختلف شرائحها الدينية بنار يقظة وحركة لم تكن قد عرفتها من قبل. إذ وردت أوامر من لندن إلى مختلف المراكز التبشيرية بالتحرّك بسرعة وببذل أموال لقطع الطريق على ميرزا غلام أحمد وجماعته الإسلاميّة الأحمديّة. والتزاما بتلك الأوامر فقد أغدق المبشّرون الأموال على كلّ من ينطوي تحت أجنحتهم وللإعلان بأنّه تنصّر وارتدّ عن الإسلام. وقد تمكّن المبشرون المسيحيون نتيجة لذلك من استقطاب عدد

كبير من مشايخ وعلماء المسلمين. ومن أبرزهم من كان قد اشتهر بأنّه أحد علماء المسلمين، وقد تنصّر وأسمّى نفسه القسيس عماد الدين. وقد كتب مؤلّفا تهجّم فيه على الإسلام وعلى القرآن الكريم وبعنوان (توزين الأقوال). فاستهزأ ضمنه بالقرآن الكريم وفصاحته المنزّلة من الشيطان وليس من روح القدُس. وعلى هذه الصورة فقد حاول القساوسة الإيحاء إلى جماهير الناس بأنّ أكابر مشايخ المسلمين قد اعتنقوا المسيحيّة. وأنّه إن بقي منهم أحد، فهو إما جاهل وإما غير موضوعي. وأكثروا من النشرات المليئة بالسباب والشتائم ضدّ الإسلام ونبيّه وكتابه القرآن الكريم. فكانت هذه الحقيقة وراء إقدام ميرزا غلام أحمد على كتابة مؤلّفه (نور الحق).

ففي هذا المؤلّف ردّ حضرة الميرزا على جميع ما أورده القسيس عماد الدين من مآخذ على القرآن الكريم. ودعا للمقارنة ما بين أجوبته، وما بين ما أورده القسيس عماد الدين في مؤلّفه. ووضع جائزة خمسة آلاف روبيّة لكلّ من يُثبت خلاف ما ردّ به حضرة الميرزا على الكتاب المذكور. حتّى وأنّ ميرزا غلام أحمد طلب من الحكومة القائمة آنذاك، وذلك بتاريخ ١٧ آذار عام ١٨٩٤م التدخّل في الأمر. وإجراء تحكيم بين المؤلّفين المذكورين. فإن رفضت أن تقوم بهذه المهمّة. فعلى الأقلّ أن تمنع نشر كلّ كتاب فيه شتمٌ وتهجّمٌ على كلّ مؤسّس لكلّ دين من الأديان المعروفة في الهند، وبما فيها الإسلام أيضاً. وقد خاطب ميرزا غلام أحمد علماء المسلمين في الكتاب المذكور ودعاهم ليلاحظوا كيف أنّ النصارى قد غلبوا وأنّ أتباع دينهم قد كثروا، وامتدّ سلطانهم إلى مختلف أقطار الأرض، وكيف أنّهم باتوا من كلّ حدبٍ ينسلون. وكيف أنّهم اتّخذوا العبد العاجز إلها. ونحتوا له ابنا. وخاطب مشايخ المسلمين الذين يكفّرونه قائلا: (اخسؤوا خسئا إنّ اللّه غنيٌّ عنكم ولا يعبأ بكم، وسيأتي اللّه تعالى بقوم ينصرون دينه ويُحبّون الصادقين).. وبهذه المناسبة فقد أعلن ميرزا غلام أحمد ما أوحي إليه في تلك

الفترة من الزمان. وهذا هو نصّ ذاك الإيحاء وهو بلسان عربيّ مبين، وهو (**اطّلع الله على همّه وغمّه ولن تجد لسُنّة الله تبديلا. ولا تتعجّلوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. وبعزّتي وجلالي إنّك أنت الأعلى,ونمزّق الأعداء كلّ ممزّق. ومكرُ أولئك هو يبور. إنا نكشف السرّ عن ساقه يومئذ يفرحُ المؤمنون. ثُلّة من الأولين وثُلّة من الآخرين. وهذه تذكرة فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلا**). وقد نشر حضرة الميرزا بتاريخ الخامس من أيلول عام ١٨٩٤م إعلانا ناشد من خلاله أصحاب الضمائر الحيّة من المسلمين التعاون معه.

وعلى هذه الصورة أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ أحداث عام ١٨٩٤م والتي حدثت على أيدي المجدّد ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

وقبل أن أبدأ بالكلام عمّا جرى في عام ١٨٩٥م من أحداث كان عليّ أن أُلفتَ نظر القارئ إلى حقيقة مدهشةٍ وهي أنّه بالرغم من أنّه كان لم تمض تسعة أعوام على ادعاء ميرزا غلام أحمد المهدويّة والمجدّديّة ومماثلة المسيح ابن مريم حتى نهاية عام ١٩٨٤م، إلا وكانت قد صدرت له مؤلّفات كثيرة بلغ تعدادها ثمانية عشر مؤلّفا. أي بمعدّل مؤلّفين كلّ عام. هذا بالرغم من جميع مشاغله والأحداث المهمّة التي مرّ بها. وبالرغم من الجهود التي كان يبذلها لتربية أفراد جماعته من الذين بايعوه على أنّه مجدّد القرن الثالث عشر الذي بعثه ربّه جلّ شأنه على رأسه. وكنت قد ذكرت أسماء تلك المؤلّفات حتى الآن في المقامات المناسبة لها. ولم تكن تلك المؤلّفات قليلة الحجم والأهميّة. بل كان منها مؤلّفات ضخمة هي من الأهميّة بمكان.

الفصل التاسع

أحداث عام ١٨٩٥م

وفي عام ١٨٩٥م فقد فتح اللّه عز وجلّ على حضرة الميرزا مضمونا لم يتطرّق أحد إليه من قبله، وقد كتبه في مؤلّف سماه (أمّ الألسنة). أثبت فيه حضرته بالأدلّة القاطعة العلميّة بأنّ اللّغة العربيّة التي أنزل اللّه تعالى بها القرآن المجيد، هي لغة سماويّة من جهة وأنّ جميع اللّغات المعروفة قد اشتُقّت منها، وعليه فقد عادت لغة الضادّ هي أمّ الألسنة. وأنّ اللّه عز وجلّ علّم آدم أسس وقواعد هذه اللّغة العلميّة لتتطوّر ولتصبح عند بعثة محمد المصطفى (ص) اللّغة المؤهّلة لإنزال القرآن الكريم بها. وقد صدر لحضرة الميرزا في العام المذكور كتاب (منن الرحمان) وكتاب نور القرآن المؤلّف من جزئين اثنين. وكتاب (ست بجن) وقد أثبت حضرة الميرزا فيه وبالتفصيل أنّ مؤسّس فرقة (السيخ) الهندية المعروفة كان شيخ طريقة مسلم صوفيّ. وسآتي على تفصيل ذلك فيما بعد. كذلك صدر لحضرة الميرزا في العام المذكور مؤلّف اسمه (آريه دهرم) أصدره بتاريخ الثاني والعشرين من شهر أيلول من العام نفسه. كشف حضرته من خلاله عمّا تضمّنته عقائد الآريين من مسائل بعيدة عن العلم والعقل والمنطق في مجال تعدّد الزوجات والطلاق وغيرها من عقائدهم. وبهذا المؤلّف تكون مؤلّفات حضرة الميرزا قد زاد عددها عن العشرين كتابا وخلال عشر سنوات فقط. وقد تعجّب عدد كبير من المفكّرين من غزارة مؤلّفات حضرة الميرزا. وقد سأله أحدهم يوما عن سرّ ذلك، فأجاب وقال: إنّني أتلقى علما لدنّيا من لدن ربّي مباشرة. فتتساقط عليّ الأفكار والمعاني، كما يتساقط المطر. وإنّ ما تشتمل عليه مؤلّفاتي هي كلّ ما استطعت جمعه من تلك الأمطار اللّدنّية. ولم يكتف حضرة الميرزا بنشر تلك الإلهامات. بل وإنّه وبعد التطوّرات الخطيرة التي أسفرت عنها مباحثة (الحرب المقدسة). فقد

تقدّم حضرة الميرزا بتاريخ ٢٢ أيلول عام ١٨٩٥م بطلب إلى الحكومة البريطانية، طالبها فيه أن تتدخّل وأن تفرض على الأطراف التي تدخل في مباحثات علنية ومناظرات شرطين رئيسيّين هما:

أولاً – أن يُعلن كلّ فريق كُتُبَ دينه التي يعتمدها هو بنفسه، وأن يتقيّد بها أثناء المباحثة مع الطرف الآخر والمناظرة معه.

ثانياً – وأن لا يتعدّى اعتراض كلّ طرف من المتباحثين نصوص تلك الكتب الدينيّة المُعلن عنها من الطرف المقابل. وقد نشر حضرة الميرزا في نفس تلك المطالبة أسماء الكتب الدينية التي يعتمدها في مباحثاته، وهي (القرآن الكريم)، صحيح البخاري، صحيح مسلم، صحيح الترمذي، ابن ماجه، الموطأ، النسائي، أبو داود، الدارقطني، ووضع ملاحظة وهي أنّه يرفض كلّ حديث ورد في كتب الأحاديث التي ذكرها إذا ثبت أنّ مضمون ذاك الحديث يخالف مُعطيات آيات القرآن الكريم. والظاهر أنّ ميرزا غلام أحمد كان قد تقدّم بهذا الاقتراح المعقول على الحكومة البريطانيّة لتحجيم الفتن الدينيّة في ذاك التاريخ. لكنّ الحكومة البريطانيّة كانت من وراء تلك الإرساليات التبشيرية التي انهزمت على أيدي حضرة الميرزا، لذلك لم تعط ذاك الاقتراح آذانا صاغية بل وكانت تتمنّى أن ينقلب جميع أتباع حكومتها ضدّه. لكنها وبعد عدّة أعوام قد اضطرّت تلك الحكومة لسنّ قانون يعتبر سبّ وشتم مؤسّسي الأديان جرما يعاقب عليه القانون.وكنت قد أشرت إلى أنّ ميرزا غلام أحمد كان قد اعتقد بأنّ (باوا نانك) مؤسّس فرقة (السيك) الهنديّة كان مسلما. وبنى اعتقاده هذا على أساس منامين شاهد في كلّ منام (باوا نانك) يتحدّث معه ويقول له إني مسلم وأشرب من نفس النبع الذي تشرب منه أنت. وقد أراد حضرة الميرزا أن يقدّم الأدلّة التي تثبت مصداقيّة ما شاهده في منامه في ذاك العام وهو عام ١٨٧٢م. لذلك دعا ربّه

عز وجلّ واستخاره. وفي صباح ٣٠ أيلول عام ١٨٩٥م شكّل حضرة الميرزا وفدا من جماعته مؤلّفا من عشرة أفراد هم: ١ـ حكيم نورالدين. ٢ـ سيد محمد أحسن.

٣ـ عبد الكريم سيالكوتي. ٤ـ غلام قادر فصيح. ٥ـ شيخ عبد الرحيم بهائي جي. ٦ـ شيخ رحمة اللّه كجراتي. ٧ـ ميرزا أيوب بيك. ٨ـ مير ناصر نواب. ٩ـ مير محمد إسماعيل. ١٠ـ شيخ حامد علي. وكان هؤلاء من أبرز أتباعه ومن أوائل المبايعين. فأرسلهم حضرته إلى منطقة (باوا نانك) فوصلوها في العاشرة من صباح ذلك اليوم. وتمكّنوا بواسطة جهود بذلها صديق لهم من رؤية العباءة التي كان يرتديها (باوا نانك) رحمه اللّه تعالى والتي كان أحفاده محتفظين بها جيلا بعد جيل ولها قداسة عندهم جميعهم. فكانت تلك العباءة التي يقدسها أفراد طائفة السيك ملفوفة بعشرات المحارم النفيسة التي كان قد أهداها كلّ زائر لمشاهدة تلك العباءة والتبرك بها. لكنّ أحدا من أولئك الزوّار لم يشاهد تلك العباءة نفسها في يوم من الأيام بعينيه شخصيّا. وقد أهدى أفراد البعثة التي أرسلها ميرزا غلام أحمد لحارس تلك العباءة مبلغا محترما من المال، ليسمح لهم بمشاهدة العباءة نفسها. وكان حضرة الميرزا قد أوكل إلى كلّ فرد من أفراد تلك البعثة نقل كلّ ما يلاحظه مكتوبا على أحد قطع تلك العباءة. وقد نفّذوا تعاليم حضرته بدقّة تامّة. فجمعوا بعد عودتهم من هناك ما كتبوه. وإذ بهم أمام النصوص التالية **(لا إله إلا اللّه محمّد رسول اللّه. إنّ الدين عند اللّه الإسلام. أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله. ونصوص سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص وغيرها من النصوص)**..

واستنادا إلى ما أسفرت عنه رحلة الوفد المذكور فقد ألّف ميرزا غلام أحمد كتابا باسم (ست بجن) أدرج فيه صورة لعباءة (باوا نانك) رحمه اللّه تعالى موضحا ما عليها من كتابات، ومُثبتا مصداقيّة ما كان قد شاهده في منامه عام ١٨٧٢م. وعلى هذه الصورة يكون ميرزا غلام أحمد قد تصدّى حتّى تاريخ الكتاب المذكور لجميع أتباع الأديان التي كانت منتشرة في شبه القارة الهنديّة.

وعاد أتباعه يعدّون عشرات الألوف من المبايعين. فعاد معروفا لدى زعماء وعلماء جميع الأديان هناك. وأقبل جميع المفكّرين على مطالعة مؤلّفات حضرة الميرزا بكلّ شوق وشغف. وبذلك يكون حضرته قد أحدث في شبه القارة الهنديّة حركة إعلاميّة ونشاطا دينيا ما كانا قبل أن يُعلن بأنّ اللّه عز وجلّ قد جعله مجدّدا. كذلك نجح حضرة الميرزا في إظهار الإسلام على أنّه دينٌ حيٌّ، وليس كبقيّة الأديان التي باتت لا تُثمر لقاءً مع اللّه خالق هذا الكون. نجح في ذلك من خلال قوّة حججه وأدلّته العلميّة القاطعة والسابقة لزمنه. ومن خلال إعلانه ما كان يتلقّاه من حين إلى آخر بشارات سماويّة عن طريق الرؤى الصالحة والكشوف الروحيّة والإلهامات كانت تحمل أنباء غيبيّة تتحقّق على أوقاتها بشكل مُعجزٍ يجذب الناس لمبايعته والاعتقاد بصدق ما ادّعاه. وعاد جميع علماء أتباع الأديان في الهند يهابون الدخول معه في مناظرات. وعاد همّهم المحافظة على أتباع أديانهم من أن يبايعوا ميرزا غلام أحمد ويصبحوا بالتالي من المسلمين. وبدأ أعداؤه يفكّرون من جهة أخرى بتدبير مؤامرات اغتياله. وسأروي بعضها للقارئ في الوقت المناسب وما حدث من محاولات الاغتيال تلك. وكيف أنّ اللّه عز وجلّ كان يفشلها بشكل معجز وواضح المعالم.

الفصل العاشر

أحداث عام ١٨٩٦م

مطالبة الحكومة البريطانيّة بيوم الجمعة عطلة رسميّة

أسلوب جديد في مقاومة التبشير المسيحي

عام ١٨٩٦م كان عام مخاض وصراع مؤتمر الأديان وفوز خطاب حضرته

استهلّ ميرزا غلام أحمد اليوم الأول من شهر كانون الثاني من عام ١٨٩٦م للقيام بخطوة تاريخيّة أرى من المناسب أن أُطلعَ القارئ عليها، وتتضمّن معلومة تاريخيّة تتعلّق بيوم العطلة الأسبوعيّة. فالإنكليز وقد اجتاحوا الهند وباتوا حكامها المستعمرين. لم يراعوا شعور أصحاب الديانات هناك. بل قرّروا يوم الأحد عطلة رسميّة في دوائر الدولة، وكأنّ المسيحيين هناك يشكّلون أكثريّة السكان، مع أنّهم كانوا أقليّة لا تُذكر. فلما ظهر ميرزا غلام أحمد إلى مسرح الأحداث، وأصبح عدد جماعته كبيرا وأصبح لجماعته مراكز في كلّ مكان. تقدّم إلى السلطات التي كان بيدها سلطة تسيير أمور الدولة، أقول تقدّم بعريضة إلى الحكومة موقّعة من جميع أعضاء جماعته المسلمين ومطالبا في تلك العريضة اعتبار يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعيّة. ومن منطلق أنّ يوم الجمعة هو فريضة دينيّة ينبغي على كلّ مسلم أداءها. فلم تستجب الحكومة البريطانية لمطلب تلك العريضة. فعمد حضرته إلى مناشدة مشايخ وعلماء المسلمين يومئذ ليتعاونوا معه بهذا الخصوص، ومن منطلق أنّ هذه المطالبة تهمّ كلّ مسلمٍ مهما اختلف مذهبه مع مسلم آخر. لكنّ الذي يؤسف له هو أنّ طبقة المشايخ وكان على رأسهم الشيخ محمد حسين البطالوي امتنعوا عن تأييد حضرته في تلك المطالبة متناسين واجبهم الدينيّ. لغلبة حقدهم على حضرته، وسعيا في مكايدتهم إيّاه. وكان

الدافع الذي دفعهم إلى موقفهم المذكور محاولتهم التزلّف للحكومة البريطانيّة. آملين من وراء ذلك أن تساعدهم على محاربتهم ميرزا غلام أحمد. فهذه حقائق تاريخيّة يجهلها جميع الذين يحاربون ميرزا غلام أحمد في أيامنا هذه. ومنساقين في ذلك وراء تلك الأكاذيب التي كان ينشرها ضدّه مشايخ عصره الجامدون أصحاب العقول التقليديّة. أولئك الذين أشاعوا من جهة بأنّ الإنكليز هم الذين أبرزوا ميرزا غلام أحمد إلى الساحة ليفرّقوا بواسطته بين المسمين. مع أنّه كان مدار ادّعائه القيام بإبطال دين الإنكليز بسلاح الحجّة والبرهان. وعلى حسب ما لاحظه القارئ من خلال جميع ما أوردناه إلى الآن. فلم يقف في طريق تنصير الإنكليز لشبه القارة الهندية إلا ميرزا غلام أحمد. هذا البطل المسلم الذي هزم وأبطل مساعي جميع ما بذله القساوسة الذين جاء بهم الإنكليز معه إلى الهند لتنصير جميع أهلها وإلحاقها بمملكتهم. فبهذه الخطوة الأولى افتتح ميرزا غلام أحمد عام ١٨٩٦م. ويستنتج منها بأنّ عدد جماعة الميرزا أمست تعدّ عشرات الألوف في الهند. كما يُستنتج منها بأنّ مشايخ المسلمين في تلك الحقبة من الزمان كانوا خانعين وغير مهتمّين بمصالح الإسلام والمسلمين. وكانوا يتسابقون لكسب ودّ الحكومة البريطانية للحصول على وظائف ومكاسب ماديّة. وبدليل أنّ عددا من المشايخ اعتنقوا المسيحيّة وأخذوا يكتبون كتبا يذمّون فيها تعاليم الإسلام ويتهجّمون على نبي الإسلام، ويرفعون نفس شعارات قساوسة المراكز التبشيرية المتعلّقة بشخصيّة المسيح الناصري. ومنهم شيخ قلب اسمه إلى اسم (القسيس عماد الدين). وجاءت هذه النتائج لصالح المسيحيّة في الهند بسبب أنّ المراكز التبشيرية قد تلقّوا أوامر من قيادتهم في لندن وغيرها من المراكز أن يتجنّبوا المواجهة مع ميرزا غلام أحمد وأفراد جماعته. وأغدقوا عليهم أموالا طائلة لطبع مليارات الأناجيل وتوزيعها في كلّ مكان في الهند مجّانا. ومحاولة جذب

فقراء الهنود إلى المسيحيّة بمختلف الوسائل التي وفّرتها لهم الحكومة البريطانية هناك.

وقد أحسّ ميرزا غلام أحمد بما كان يجري في الخفاء وكيف أنّ نتائجه بدأت تظهر إلى حيّز الوجود. وأدرك بأنّ القساوسة راحوا يوهمون الناس بأنّ جماعة الميرزا قليلة العدد ولذلك فلا حاجة بهم للدخول معهم في مواجهات. وهنا عمد ميرزا غلام أحمد إلى أسلوب جديد لمواجهة التيّار التبشيري المسيحي. فنشر إعلانا بتاريخ ٢٦ كانون أول ١٨٩٦م بعنوان (**بشارة عظيمة نزفّها للسادة القساوسة وهي تفسير إنجيل متّى**). وكان هذا العنوان جذّابا من الناحية الإعلاميّة وقد شدّ الفضوليين لمطالعة ما تضمنه من تلك البشارة. فافتتح حضرته الإعلان المذكور بقوله (**الظاهر أنّ القساوسة ينفقون ملايين الروبيات في موضوع نقد الإسلام وتعاليمه، ومع ذلك فلا يحقّقون النجاح المقصود من خلال ما يفعلونه. بل وتكون مساعيهم محرّكا لظهور أنوار وبركات هذا الكلام المقدّس. وهذه الحقيقة تطرح سؤالا وهو: هل أنّ القساوسة كتبوا تفسيرا لكلّ إنجيل من أناجيلهم يشرحون فيه عظمة تعاليم تلك الأناجيل؟ والجواب على هذا السؤال يدعونا للأسف عليهم. لإهمالهم الإقدام على هذه الخطوة الضرورية**).. وقد راح حضرته يحثّ القساوسة في ذاك الإعلان على كتابة تفسير إنجيل متّى ليقارن كلّ إنسان ما فيه من تعاليم مع تعاليم هذا القرآن العظيم. ويقارن بالتالي أخلاق المسيح الناصري مع ما هو معروف من أخلاق محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم. وراح يعدّد أسماء أبرز القساوسة في هذا الإعلان ويناشدهم أن يلبوا رجاءه، لعلّ مثل ذاك التفسير يخرج الناس من تلك الظلمات التي يعيشونها. وقد دفع هذا الإعلان كثيرين من الناس إلى مطالبة قساوسة المراكز التبشيريّة ليكتبوا تفسيرا لإنجيل متّى. الأمر الذي أحرج القساوسة كثيرا. إذ أنّ هذا ما كان ليجديهم نفعا على طريق محاربة تعاليم القرآن المجيد..

ولم يقف ميرزا غلام أحمد عند حدّ نشر الإعلان الذي ذكرناه. بل وعاد فنشر بتاريخ ١٤ أيلول من عام ١٨٩٦م إعلانا بعدّة صفحات، وبعنوان (**أفضل طريق حسمٍ لجميع قساوسة بنجاب والهند بأكملها**)، وقد استهلّه بقوله (**يعتقد المسيحيون بأنّ كلّ من لا يعتقد بعقيدة التثليث ولا يؤمن بكفّارة المسيح سيكون خالدا في جهنّم. وأنّ عقيدة التوحيد التي حثّ القرآن الكريم أتباعه على اعتناقها على أنّها طريق نجاتهم في هذه الدنيا والآخرة هو طريق غير صحيح في نظر القساوسة**). وبعد أن وضّح حضرته التشويش الذهني الذي يُسفر عنه الحوار حول هاتين المسألتين. وبعد أن أورد ما يدّعيه كلّ طرف من الأطراف المتحاورين من حجج وبراهين. فقد دعا القساوسة لوضع حدّ لهذا الجدال المستمرّ، والعودة إلى اللّه تعالى خالق هذا الكون لحسم هذا الموضوع وكتب يقول: (**إذا خذلني هذا الخالق ولم يؤيّدني ولم يحسم نزاعنا لصالحي. فإنّي أتنازل عن جميع أملاكي للمسيحيّين المنقولة وغير المنقولة والتي لا تقلّ عن عشرة آلاف روبيّة. وأضع عندهم ضمانة لذلك مقدّما مبلغ ثلاثة آلاف روبيّة كغرامة مقدّمة. وإنّي على استعداد لنشر إعلان بخطي الشخصي أعترف فيه بفوز المسيحيين وانهزامي على أيديهم. وأقرّ أيضاً بأني لا أشترط في إقراري هذا أيّ شرط لفظيّ ولا أي شرط معنوي**).. وأضاف حضرته يقول في هذا الإعلان المشار إليه: (**ولأجل تحقيق هذا الحسم الربّاني، فعلى القساوسة _ الدكتور مارتن كلارك، والقسيس عماد الدين، والقسيس ٹھاكرداس، والقسيس حسام الدين، والقسيس صفدر علي وغيره من القساوسة_ أن ينتخبوا من بينهم من يأتي ليقف معي في ساحة عامّة وباتّفاق الطرفين فيدعو كلّ فريق اللّه تعالى ليفصل بيننا. فيُنزل قهره على الفريق الكاذب خلال عام من الزمان. القهر الذي تجلّت به غيرته على جميع الكاذبين والمكذّبين من تلك الأقوام الغابرة أمثال قوم فرعون والنمرود وقوم نوح واليهود**).. وبعد أن دعا ميرزا غلام أحمد جميع القساوسة لتلبية دعوة الحسم هذه. بيّن لهم الدافع الذي دفعه إلى التقدّم بعرضه هذا لحسم الخلاف بينه وبينهم. مبيّنا بأنّ القرآن والأحاديث النبويّة قد أخبرت عن ظهور المسيح الدجّال في

آخر الزمان. وأنّ ربّه عز وجلّ قد أخبره بأنّ هـؤلاء القساوسة وما يدعون إليـه هـم الذين ينطبق عليهم اسم المسيح الدجال المنبأ عنه. وأنّ من جملة مهامـه أن يكسر هذا الصليب الذي يدعون إليه. وشرح أخيرا لهؤلاء القساوسة الدعاء المطلوب من كلّ فريق أن يدعو به أمام الجماهير والذين يمثّل كلّ فريق منهم المسيحيّة والإسلام. وليكن دعاؤنا بالألفاظ التالية:

(**يا إلهنا القادر: إننا الآن فريقان بين يديك. فريق يقول بألوهيّة المسيح ابن مـريم، وأنّ نبيّ الإسلام ليس هو بنبيٍّ صادق. وفريق يقول بأنّ عيسى ابن مريم رسول وعبد اللّـه، وأنّ نبيّ الإسلام صادق وهو الحكمُ ما بين اليهود والنصارى. فمن تراه أنت كاذبا من بين هذين الفريقين، أهلكه خلال عام من الزمان. وليحِل غضبك عليه. وأنّ من واجب كلّ فريق حين يدعو، أن يُعقّب عليه الفريق الآخر بكلمة آمين**).. وأضاف ميرزا غلام أحمد وقال في آخر هذا الإعلان: (**إذا مضى على نشر رسالتي هذه مدّة شهرين، ولم يبرز أحد ممن ذكرهم فيها، وهم يتحجّجون بحجج شيطانيّة، فإنّ ذلك يدمغ جميع قساوسة البنجاب والهند أنفسهم بالكذب. ومن ثمّ فإنّ اللّه تعالى يقتلع الكاذب. وتذكّروا بأنّ اللّه تعالى يفعل هذا يقينا. ومن باب أنّه قد حلّ أجل حلوله. والسلام على من اتّبع الهدى**).. لكنّ القساوسة تجاهلوا مضمون هذا الإعلان تماما. وأثبتوا من خلال موقفهم السلبي هذا بأنّ ميرزا غلام أحمد أصبح بُعبُعا في نظرهم جميعهم، ويحاولون تجنّب مواجهته ما استطاعوا تلبيةً للأوامر التي تلقّوها من قيادتهم في لندن عاصمة مملكتهم. لكنّه كان قد سبق السيف العزَل. فالمفكّرون من جميع الطوائف الدينيّة في الهند كان قد أصبح همّهم الأوّل الإطّلاع على جميع ما أتت به الأديان من تعاليم بصورة موضوعيّة ومن منابعها الأصليّة وليس كما توارثوها. وكنت قد ذكرت بأنّ المسلمين كانوا في الهند أقلّية. وأنّ المسيحييّن كانوا أقليّة نادرة هناك. لذلك فإنّ الحركة الدينيّة التي أثارها ميرزا غلام أحمد لم تحرّك الأقليات الدينية وحدها، بل وحرّكت المفكّرين من الهندوس المتنوّرين أيضاً وبشكل كبير. أولئك الذين

تلقّوا تعليمهم العالي في الجامعات الأوروبيّة، وتشرّبوا مفاهيم النظريّة الداروينيّة السائدة في تلك الأيام. فكانوا في حركة تناقض مع ما توارثوه من معتقدات، ومع ما تلقوه من علوم ونظريّات إلحاديّة. وما كان أولئك يتجرّؤون على مفاتحة أولئك المتعصّبين من أتباع دينهم بما وقعوا فيه من تناقض. الأمر الذي دعا بعض أولئك المفكّرين المتنوّرين من الهنود إلى اقتراح عقد اجتماع دينيٍّ عام في مدينة لاهور عاصمة إقليم بنجاب يخطب فيه ذوو الكفاءة من زعماء الأديان، كلٌّ حسب تعاليم دينه التي يقدّسها. وقد جعلوا هذا الاقتراح بمثابة أداة كشفٍ عن كلّ متوارث عند أصحاب الأديان، وليصبح هذا الذي يقدّمونه مرجعا لكلّ مفكّرٍ ينقد ما أتت به الأديان السماويّة.

وعلى هذه الصورة فقد عاد القارئ يلاحظ بأنّ عام ١٨٩٦م كان عام مخاض وصراع كبير في الهند حدث ما بين جميع أتباع الأديان. ولذلك فقد لاقى هذا الاقتراح المذكور الذي تقدّم به المتنوّرون الهنود صدى طيّبا وترحيبا كبيرا من جميع شرائح المجتمع الهنديّ ومن منطلق أنّ هذا الاجتماع لعلّه يشكّل خاتمة ذاك الصراع الدينيّ الذي تسبّب به ميرزا غلام أحمد من جهة، والذي تسبّبت به المراكز التبشيرية المسيحيّة من جهة أخرى. وعليه فقد تقرّر عقد الاجتماع الدينيّ المشار إليه في أيام عطلة عيد الميلاد عند رأس السنة الميلاديّة، أي بتاريخ ٢٦/٢٧/٢٨/ من شهر كانون الأول عام ١٨٩٦م. وهنا انتخب علماء كلّ دين من يمثّلهم في الاجتماع الديني المذكور. وكان ميرزا غلام أحمد أحد ممثّلي الإسلام، وعلى اعتباره علاّمة في علم الكلام الإسلامي في ذاك الحين. هذا وقد تقرّر وضع خمسة أسئلة رئيسيّة كان من واجب كلّ واحد أن يجيب عليها إجابات موضوعيّة من مُعطيات كتابه الذي يقدّسه، وليس من خارجه. وهذه الأسئلة هي:

أولاً – ما هي حقيقة النفس البشريّة وما هي طرق إصلاحها خلقيا وروحيا؟

ثانياً — ما المقصد من الحياة البشرية، وكيف يمكن تحقيقه؟

ثالثاً — الحياة الأخرويّة وماهيتها.

رابعاً — ما تأثير الأعمال على حياة الإنسان الدنيويّة والأخرويّة؟

خامساً — ما هو العرفان الإلهيّ، وما هو طريق تحصيله؟

وقد عُقد الاجتماع الدينيّ المشار إليه في الوقت المقرّر. وقد تزاحم الذين حضروه ما بين مسلم ومسيحي، وما بين بوذيٍ ومجوسيّ جنبا إلى جنب، وفي صُلح ووئام، وكانت أعناقهم مشرئبّة إلى سماع جميع ما يُلقى من خُطبٍ في تلك الأيام من عيد الميلاد. وكأنّهم جميعهم قد عقدوا فيما بينهم صُلحا، وأرادوا سلاما من وراء ما سيأتي به القول الفصل في الاجتماع الدينيّ المذكور. وقد تجاوز عدد المجتمعين في قاعة الاجتماع بعد انعقاده الثمانية آلاف من أرباب العلم والوجاهة من جميع الملل والمذاهب والبيئات. كلّهم أمراء وعلماء وفقهاء وأطباء وأساتذة وحكّام ومحامون. علما بأنّ نظير الاجتماع الدينيّ المذكور لم يسبق انعقاد مثله من قبله ولا حدث أن انعقد اجتماع ديني على شاكلته من بعده. وهذا يعني بألفاظ أخرى بأنّ اللّه عز وجلّ مسبب الأسباب كان وراء التحريك لانعقاد الاجتماع الدينيّ المذكور. وبدليل أنّ ميرزا غلام أحمد حين كان يكتب إجاباته على الأسئلة الخمسة التي ذكرناها. تلقّى من جانب ربّه عز وجلّ بشارة سماويّة في حالة كشفيّة سيطرت عليه. قال: **(رأيت أنّ يدا من عالم الغيب ضربت مكاني الذي كنت فيه. وفي الوقت الذي مسّت فيه تلك اليد الغيبيّة مكاني، فقد سطع فيه نور ساطع ملأ المكان كلّه. ولاحظت بأنّ ذاك النور قد وقع على يديّ. وإذ برجلٍ واقف بجانبي يصيح بأعلى صوته (اللّه أكبر خربت خيبر). ومن ثمّ انتقلت من حالة الكشف إلى حالة الإلهام وتلقّيت إلهاما يقول (إنّ اللّه معك. إنّ اللّه يقوم أينما قُمت)**. وقد أوّل حضرته ما تلقّاه من بشارة وقال: **(إنّ القصر هو فؤادي الذي هو محلّ تجلّي الأنوار الإلهيّة. وإنّ النور الساطع هو نور المعارف القرآنيّة. وإنّ في كلمة خيبر إشارة إلى المذاهب الفاسدة المختلطة**

بشوائب الشرك والباطل. تلك التي أقامت الإنسان مقام الله تعالى وأنزلت صفات الخالق عن كمالها. وقد أثبت بأنّه بعد نشر هذا الخطاب وإشاعته حقّ إشاعته، يفتضح كذب المذاهب الباطلة، وتأخذ الحقيقة القرآنيّة في الانتشار. فلا تفتأ تنتشر انتشارا مطردا متزايدا يوما فيوما إلى أن تتمّ دائرتها. وقد فهم حضرته من ألفاظ الإلهام الذي تلقّاه إشارته إلى الحماية الإلهيّة التي سترافقه طوال أيام التأليف والإلقاء في مجمع الأديان). وأضاف بعد ذكر هذا التأويل الذي نقلناه، وقال: **(لست أريد أن أكتب الآن أكثر من هذا، وأطلب من الجميع أن يحضروا يوم الاجتماع في لاهور ليسمعوا تلك المعارف القرآنيّة. وإن كان حضورهم في ظاهره يبدو منه إضاعة لأوقاتهم، لكنّه عسى أن يربحوا من ذاك الحضور لصالح إيمانهم وبصيرتهم ما لا يمكن أن يدور في خَلَدهم)**.. علما بأنّ ميرزا غلام أحمد قد نشر ما تلقّاه في هذه البشارة نشره في إعلان صدر بتاريخ ٢١ كانون الأول عام ١٨٩٦م، أي قبل انعقاد مجمع الأديان بأيام. وحين كان ما يزال مُنهمكا في كتابة موضوعه الذي سيلقيه في مجمع الأديان المذكور. وقد نشط أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمدية في توزيع ذلك الإعلان في طول الهند وعرضها. حتى وعلى جدار المركز الذي ستُلقى فيه خطبة حضرته. وليكون ذلك الإعلان الذي تضمّن تلك النبوءة العظيمة دليلا عمليّا على التأييد الإلهي الغيبي الذي كان يحظى به ميرزا غلام أحمد. وهنا يطرح سؤال نفسه، وهو: هل أنّ ميرزا غلام أحمد ألقى خطابه المتضمّن كتابه المشار إليه بنفسه؟ والجواب: لم يكن لدى حضرة المجدّد الوقت الذي يُتلفه هناك في المجمع الديني المذكور. لذلك نلاحظ بأنّ حضرته أوفد أحد أبرز مبايعيه وهو الأستاذ عبد الكريم السيالكوتي ليلقي خطاب حضرته هناك بالنيابة عنه. علما بأنّ اللجنة التي أشرفت على سير جلسات المجمع الديني المذكور كانت مؤلّفة من قاضي محكمة بنجاب، وقاضي محكمة سمال وحاكم الولاية. وبدأ الأستاذ عبد الكريم بإلقاء خطاب حضرته ونيابة عنه. وكان قد تقرّر مدة ساعتين لإلقاء الخطاب المذكور. وخلال إلقائه

الخطاب خيّم الصمت على القاعة بشكل واضح المعالم. وكانت الأعناق مشرئبّةً لسماع كلّ كلمة تخرج من حنجرة الخطيب لبالغ تأثّر المستمعين إليه بما يسمعونه من حقائق القرآن الكريم ومعارفه. والتي لم يسبق لهم أن سمعوها قبل ذاك التاريخ. ومضت الساعتان المقرّرتان ولم ينته الخطاب. فضجّ جميع الحاضرين وطالبوا بصوت واحد: إما إعطاء عبد الكريم مدّة إضافية ليتمّ خطابه. وإما أن يحدّد له وقت آخر في يوم آخر لإتمام الخطاب، وذلك لشدّة تأثّر الحاضرين بمضمون الخطاب. وقد رضخ أعضاء اللجنة المشرفة لطلبهم. ومدّدوا له يوما آخر. وإلى القارئ الأدلّة التي تثبت مصداقيّة ما ذكرناه. وانحصرت تلك الأدلّة فيما ورد في كتاب (تقرير مؤتمر الأديان) الذي ألفه سكرتير المؤتمر نفسه وكان مجوسيا. وممّا نشرته صحف الهند من مديح خطاب ميرزا غلام أحمد وإجاباته العلميّة على الأسئلة الخمسة المطروحة للنقاش. وأكتفي هنا بنقل ما ورد في كتاب سكرتير المؤتمر فهو يعطي فكرة واضحة في هذا المجال. فهو أورد يقول:

(**كانت هناك فُسحة نصف ساعة قبل إلقاء ممثّل الإسلام خطابه ويعني به خطاب ميرزا غلام أحمد. ومع ذلك فلم تفارق أكثريّة المتشوّقين لسماع خطابه مقاعدهم. وإذ بالقاعة يتوافد عليها مستمعون جُدُد وإلى درجة غصّت بهم قاعة الاجتماع على رحب رُقعتها. فتجاوز عدد الحاضرين سبعة أو ثمانية آلاف مستمع. ولم يجد المئات منهم أمكنة ليجلسوا عليها فبقوا واقفين طوال مدّة ذاك الخطاب. وكان من جملة الحاضرين كبار وجهاء القوم ووجهاء بنجاب وعلماء وفضلاء ومحامون وأساتذة جامعات وأطبّاء وموظفون حكوميون وغيرهم من كبار طبقة المجتمع البارزين... ومع أنّ لجنة الاجتماع كانت قد قرّرت لخطاب حضرة الميرزا مدّة ساعتين. فقد مضت الساعتان ولم ينته خطاب حضرته. لذلك لاحظنا بأنّ الأصوات تعالت من هنا وهناك طالبة تمديد مدّة الخطاب إلى الفراغ من إلقائه. ووقف الشيخ مبارك علي الذي كان دوره بعد هذا الخطاب مباشرة، فتنازل لحضرة ميرزا غلام أحمد عن الوقت المخصّص له وعن طيب خاطر منه، من جرّاء تأثّره بمضمون خطاب الميرزا. فشكر أعضاء**

اللّجنة هذا الشيخ عمّا أقدم عليه، وارتفعت أصوات الحاضرين بشكر هذا الشيخ والتهليل والتكبير. واستمرّ خطاب حضرة الميرزا إلى نهايته، وكان الإنصات له وإظهار آيات تقبّلـه ومديحه بنفس المستوى إلى آخر وقت)..

وقد طُبعَ الخطاب المذكور فيما بعد باسم فلسفة تعاليم الإسلام. وقد تَرجم هذا الخطاب إلى اللّغة العربيّة أستاذ علم الأديان في جامعة القدس الأستاذ سيّد زين العابدبن وليّ اللّه شاه باسم (الخطاب الجليل). وأعيد طبعه باسم (فلسفة تعاليم الإسلام). كذلك ترجم آخرون هذا الخطاب إلى عدّة لغات أجنبيّة. وأعجب جميع الذين طالعوه وكتبوا فيه مديحا لا مجال هنا لذكر تلك التعليقات. وقد امتاز هذا الخطاب الذي كان حضرة ميرزا غلام أحمد قد أنبأ عن عظمته من خلال البشائر الإلهيّة التي سبق لنا وأتينا على ذكرها، والتي تحقّقت على أكمل وجه. كذلك امتاز خطاب حضرته بموضوعيته وأسلوبه العلميّ في الطرح والبيان. وقد أتى الخطاب على حقائق وحكمٍ وأسرار فلسفيّة، ما سبقه إلى بيانها أحدٌ بهذه الوضاحة من قبله. وبكلمة مختصرة أقول إنّ خطاب ميرزا غلام أحمد قد صوّر تعاليم الإسلام تصويرا دقيقا وشاملا. وإنّ كلّ قارئ قد طالعه قد شعر بعظمة التأييد الإلهيّ الذي أحاط به وبصاحبه.

وعلى هذه الصورة فقد كان عام ١٨٩٦م عام صراع فكريّ شديد في الهند. وكان في الوقت نفسه عام هزيمة مُنكرة للإرساليات التبشيريّة المسيحيّة التي كان الإنكليز قد أتى بها معه لتنصير سكان الهند وإلحاقها بالتاج البريطاني. وتمثّلت تلك الهزيمة المنكرة في مناظرة (الحرب المقدّسة) التي خاضها ميرزا غلام أحمد مع القساوسة الذين ترأسهم القسيس عبد اللّه آتهم. والذين انتهى بهم المطاف إلى هلاكهم جميعهم وفق ما أنبأ عنه ميرزا غلام أحمد في نهاية المناظرة. وقد عمد حضرته إلى تأليف كتاب بعنوان (أنجام آتهم) وترجمته (عاقبة آتهم). وانتهى من كتابته ونشره في أوائل العام الذي تلاه. وقد تضمّن الكتاب المذكور

بيان حادثة القسيس عبد اللّه آتهم، وإجابات على اعتراضات كلّ من كتب في هذا الموضوع. هذا إلى جانب هذا الخطاب الذي ذكرناه والذي

كان من أهمّ كتب حضرته التي ألّفها. وبذلك زاد عدد مؤلّفات حضرته مؤلّفان.

وهنا سؤال، وهو: ماذا فعل ميرزا غلام أحمد بعد أن فرغ من كتابة خطابه الشهير الذي أتينا على ذكره والذي ألقاه أشهر مبايعيه وهو الأستاذ عبد الكريم في مؤتمر الأديان؟ فهل تفرّغ حضرته لكتابة مؤلّف جديد؟ أم أقدم على فعل شيء آخر؟ والجواب هو أنّ حضرته أراد أن يُكمل ما كان قد بدأه من خلال نشره إعلانا بتاريخ ١٤كانون أول عام ١٨٩٦م وبعدّة صفحات وبعنوان (أفضل طريق حسم لجميع قساوسة بنجاب والهند بأكملها). ذاك الإعلان الذي دعا فيه القساوسة لوضع حدّ لهذا الجدال المستمرّ فيما بينه وبينهم. وهو الإعلان الذي ترك فيه مدّة شهرين لهم للإجابة على عرضه الذي عرضه فيه والذي دعاهم من خلاله للدعاء بين يدي اللّه الخالق بدعاء الفصل الذي سبق لنا أن ذكرناه وجائزة ثلاثة آلاف روبية للفريق الغالب. ذاك الإعلان الذي لم يلق ميرزا غلام أحمد من طرف القساوسة أيّ ردّ عليه.

الفصل الحادي عشر

أحداث عام ١٨٩٧م

دلالة كلمة (ملعون) لغويا والمسيحيّة — دعوة حضرته جميع المشايخ للمباهلة

استكبار الصوفي غلام دستكير وموته بالطاعون

الكاهن ليكهرام الآري وعاقبته بالقتل عام ١٨٩٧

قضيّة الآري كنكا بشن — السفير التركي وما جرى له

عبد الحميد ومؤامرة القسيس هنري مارتن كلارك

يعقوب العرفاني وإصدار جريدة الحكَم

اقتراحات حضرته لدى الحكومة لتهدئة الأحوال

وفي عام ١٨٩٧م أراد ميرزا غلام أحمد متابعة ما سعى إليه في ذاك الإعلان. لذلك لاحظناه وقد نشر في الشهر الذي أتى بعد مؤتمر الأديان. وبتاريخ ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٩٧م إعلانا جديدا يُكمل فيه مسيرة الإعلان السابق، وليُتمّ الحجّة على القساوسة. ورصد فيه جائزة ألف روبية إضافيّة، فطبع من هذا الإعلان الثاني ثمانية آلاف نسخة. وأرسل بالبريد المسجّل نسخة منه إلى كلّ قسيس معروف لديه في تلك الفترة من الزمان. لعلّ قسيسا منهم يتجاوب معه. وأقول بكلّ أسفٍ أنّ أحدا من القساوسة لم يعط ذاك الإعلان المشار إليه أذنا صاغية. ولم يتخاذل ميرزا غلام أحمد بنتيجة ذاك الموقف السلبيّ الذي وقفه منه جميع القساوسة. بل ونشر بتاريخ السادس من آذار ١٨٩٧م إعلانا ثالثا بعنوان **(لعنة اللّهِ وكسرُ الصليب)**. وممّا أورده حضرته فيه أنّه: (من المعلوم أنّ المسيحيين يُجمعون على أنّ المسيح الناصري قد صُلب وأصبح ملعونا من أجلهم. وأنّه بقي في

القبر ملعونا ثلاثة أيام. وأنّ عقيدة كفّارة المسيحيين تدور حول محور لعنة المسيح المشار إليها. فإن سلّمنا بأنّ المسيح أصبح ملعونا على حسب اعتقادهم، فإنّه يرد على الاعتقاد المذكور اعتراض كبير، ينشأ من مفهوم كلمة (لعنة)، وينسف هذا المفهوم عقيدة التثليث، وعقيدة الكفارة ومحو الخطايا. ويثبت بالتالي بسبب ذلك بُطلان جميع مُعتقدات المسيحييّن فإن وُجد من بينكم أيّها القساوسة من يدافع عن تلك المعتقدات التي تدينون بها، فإنّ هذا يقتضي من جانبكم الإسراع للإجابة على اعتراضنا الكبير الذي أشرنا إليه. كيلا ينهار بناء المسيحيّة بأكمله ويُسحق، فلا تبقى بعده عقيدة تثليث ولا عقيدة كفّارة ولا غفران خطايا. وأكون حينئذ وعن طريق هذا الاعتراض قد حقّقت كسر الصليب. وهنا فقد نقل ميرزا غلام أحمد في الإعلان المشار إليه ما أورده صاحب معجم (أقرب الموارد) من معنى لكلمة (لعنة) وهو قوله فيه: (**اللّعن يعني الإبعاد والطرد من الخير. واللّعن من اللّه ومن الخلق له نفس المعنى. ومن أبعده اللّه لم تلحقه رحمته، وخلدَ في العذاب. واللّعين هو الشيطان والممسوخ**).. وبعد أن أورد المعنى المذكور، اعترض وقال: (**اعتراضنا أنّ حقيقة كلمة اللّعنه هي أنّ الملعون تتقطّع جميع علائقه باللّه عز وجلّ. ولا يعود بينه وبين الشيطان من فرق يُذكر. لذلك نسأل القساوسة بكمال الأدب: هل صحيحٌ أنّها أتت على المسيح الناصري من جانب اللّه تعالى جميع أحوال ما تعنيه كلمة لعنه؟ وأنّه وقع تحت غضب اللّه تعالى وطُرد من اللّه ومن الخير؟ فعندي أنّ مثل هذا الشخص هو ملعون في حدّ ذاته. ولا يصحّ أن يكون بارا بل يستحقّ اسم شيطان وعدوا للّه تعالى). وأنهى حضرة الميرزا إعلانه هذا بقوله: (فإن لم تجوّزوا ذلك فاعلموا بأنّ بناء الكفارة التي تنادون به قد هدّم. وهلك دين التثليث وكُسرَ الصليب. فهل في هذه الدنيا أحدٌ يجيبُ على ما ذكرناه؟**). وقد نشر حضرته هذا الإعلان على الصورة التي ذكرناها، ليستثير مشاعر القساوسة الذين لم يلتفتوا للردّ على إعلان ١٤ كانون أول ١٨٩٦م. وسآتي فيما

بعد على ذكر ردود الفعل الشريرة التي بدت من جانب أكبر القساوسة وهو دكتور مارتن كلارك.

وكنت قد نبّهت القارئ إلى أن ميرزا غلام أحمد أكمل تأليف مؤلّفه (أنجام آتهم) ومعناه (عاقبة آتهم) وذلك أوائل عام ١٨٩٧م. وفي الحقيقة فإنّ حضرته خاطب في هذا الكتاب المشايخ الذين كفّروه والذين حاولوا مساندة القسيس عبد الله آتهم في مواجهته. فقد خاطب جميع هؤلاء المشايخ الذين كفّروه واعتبروه كذّابا ومفتريا ودجّالا وجهنّميا، وذلك في كتابه المذكور ودعاهم للدخول معه في مباهله، وأضاف وقال: **(ما دام اعتبرني هؤلاء المشايخ مفتريا، فهناك طريق لفصل هذا الأمر، وهو أن أجمعُ جميعَ ما تلقّيته من إلهامات ربّانية، ومن ثمّ أقسم بأني شرّفني ربّي بهذه المكالمات وأنّه أرسلني مجدّدا على رأس هذا القرن الرابع عشر لأقضي على تلك الفتنة العظمى التي أثارها أعداء الإسلام ضدّ الإسلام. ولهذا سمّاني ربّي عيسى وجعلني مأمورا لكسر الصليب)**. وبعد هذا الذي ذكره أورد حضرته جميع ما تلقّاه من إلهامات في مكان واحد. ومن ثمّ أضاف وقال: **(أ فلا يدعو إلى العجب أن يواصل هذا الكذاب الدجال المفتري الكذب والافتراء على لسان الله تعالى طوال عشرين عاما، ولا يُهلكه هذا الإله القهّار ولا يذلّه... وفي وقت يصرّح فيه القرآن والتوراة بأنّ المفتري على الله تعالى لا يفلح ويُقتل ولا يبقى له من أثر. وقد ورد في الإنجيل بأنّ الله يستأصله إذا لم يكن عمله لله. وأما إذا كان لله تكونوا أنتم من المجرمين. وفي مقابل ذلك ورد في القرآن الشريف: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾**. -سورة المؤمن - ومن ثمّ خاطب ميرزا غلام أحمد المشايخ وأصحاب الطرق الصوفيّة قائلا: **(أيها المشايخ المخالفون، ويا أصحاب الطرق الصوفيّون، لقد عظُمت دائرة خلافنا معكم. ومع أنّ عدد أفراد جماعتي نسبة لعدد أفراد جماعاتكم هي قليلة ولا تكاد تُذكر. فإنّ عليكم أن تتيقّنوا بأنّ جماعتي هي غرسةٌ إلهيّةٌ غرسها الله عز وجلّ بيديه، ولن يُضيعها الله تعالى أبدا. ولن يدعها إلا بعد أن تستكمل نموّها. فالله**

عز وجلّ يسقيها ويحيطها بعنايته سبحانه ويرقّيها ترقيةً عجيبـــة. وأنـــتم لم تقعـــدوا عـــن مناهضتها. فلو كان الإنسان هو الذي غرس هذه الجماعة، لكانت قد اجتُثّت هذه النبتة ولم يبق لها من أثر. فاعلموا بأنّ اللّه تعالى أمرني أن أدعوكم لنتباهل بين يديه من أجل أن يُهلك عدوّ الصدق، وليوقع الذي يستحب الظلمة في ظلمة العذاب. وما ســبق لي أن نويــت أن أتباهل معكم ولا أن أدعو على أحد منكم. وقد سعى عبد الحق غزنوي وثناء أمرتسري إلى جرّي إلى مباهلة لكنّي كنت منذ مدّة ليست بالقصيرة أتحاشاها. وما باهلتهما إلا بعد إصرار الاثنين الشديد عليها. ومع ذلك فلم أدع على أحد بسوء. أما الآن فقد ضايقتموني كـــثيرا والحيتم بكفري وزعمتم بأنيّ دجال وشيطان وكذّاب ومفتري وقرنتم ذكري في إعلانـــاتكم باللّعنة. ونفّرتم أصحاب المجالس مني. ودأبتم على تكفيري وكأنّكم لا تشكّون للحظة بكوني كافرا في نظركم. لذلك قوموا واستعدّوا للمباهله. فأنتم سمعتم بأنّ دعـــواي تقـــوم علـــى دعامتين: الأولى على النصوص القرآنية وعلى ما يتّفق معها من الأحاديث النبويّة. والدعامة الثانية تقوم على ما أتلقّاه من إلهامات ربّانيّة. فأنتم رفضتم النصوص القرآنيّة وما وافقها من أحاديث نبويّة من جهة. وأهملتم كلام اللّه تعالى الذي تلقّيته وكأنّه قشّة لا قيمة لها. وعليه فلم يعد أمامي إلا كلام ربّي الذي يُلهمني إيّاه. لذا أقسم عليكم بهذا الإله الغيّـــور القـــادر الذي لا يرُدّ قسمه مؤمن صادق في إيمانه أن نصفّي حسابنا بناء عليه ونجعله أساس مباهلتنا. فنقرّر اليوم الذي نتباهل فيه. فأجمع جميع ما تلقّيته من إلهامات مكتوبة على ورق في يديّ في اليوم المقرّر وأدعو أن يا إلهي إن كانت هذه الإلهامات المدوّنة في هذه الأوراق التي هـــي في يديّ مفتراة عليك، وتعلم بأني افتريتها عليك، أو أنّها وساوس شيطان وليست إلهامات من جانبك فأهلكني خلال عام من الزمان، أو ابتليني بعذاب من عندك يكون الموت أهون منه، ولا تدعني أنجو منه إلا بالموت الذي يذلّ. ولينجو الناس من فتنتي لأني لا أريـــد أن يُفـــتن الناس ويضلّوا وإنّ موت هذا المفتري خير. لكن يا إلهي العليم الخبيرا إن كنت أنت تعلـــم بأنّ جميع هذه الإلهامات المكتوبة والتي هي في يدي قد خرجت من بين شفتيك، فابتلي هؤلاء الحاضرين بأشدّ العذاب خلال عام من الزمان: فابتلي أحدهم بالعمى، وآخر بالجزام، وآخر

اجعله مفلوجا، وآخر مجنونا، وغيره مصروعا، وآخر وكأنّه قد لسعته أفعى، وأتلف مال من تراه يستحق ماله الإتلاف، وأذلّ من تريد إذلاله. وحين أفرغ من هذا الدعاء أن يقول كلّ فريق منّا: اللّهم آمين. ومن ثمّ يدعو كلّ واحد من الفريق الثاني حضر المباهلة أن يــا إلهنــا العليم الخبير! إنّنا نعتبر هذا المدعوّ غلام أحمد كذّابا ومفتريا وكافرا. فإن كان هذا الشخص في حقيقته كذّاب ومفتري وكافر ولا دين له، وكان ما يحمله مكتوبا بين يديه لم تلهمه إيــاه من جانبك بل هي إلهامات من افترائه. فأحسن على هذه الأمّة وأهلك هذا المفتري خــلال عام من الزمان ليأمن الناس من شرّ فتنته. أما إذا لم يكن مفتريا، وكان صادقا وكانت جميع الكلمات المكتوبة التي يحملها قد خرجت من بين شفتيك، فأهلكنا نحن الذين اعتبرناه كاذبا وكافرا، وأذلّنا خلال عام من الزمان. أو اجعل أحدنا أعمى، وآخر مجذوما، وآخر مفلوجا، وآخر مجنونا وآخر مصروعا، وآخر وكأنّ أفعى قد لسعته، وأتلف مال أحدنا، واجعل آخر منا ذليلا. فإذا ما انتهى الفريق الثاني من الدعاء يقول الجميع: آمين). ومن ثمّ أضاف حضرته وقال: (فإن متُّ أنا خلال عام من تاريخ هذه المباهلة أو ابتلاني ربّي بعذاب لا خلاص منه، فإنّ الناس سينجون من فتنتي، ويذكرونني ملعونا على الدوام... لكن إن لم أمت خلال عام من الزمان، وحفظني ربّي من جميع الآفات، وظهرَت على الذين يخالفونني آثار قهــر اللّــه وغضبه، وابتلى تعالى كلّ واحد منهم بنوع من الابتلاء، فإنّ أثر دعائي بالسوء سيتلألأ بكلّ جلاء، ويُحسم هذا الجدل الدائر ما بيننا. وأقول ثانية بأني لم أدعُ قبل هذا على أحد بدعاء سوء. وصبرت طوال هذه المدّة كلّها. لكني اليوم ألتجئ إلى ربّي ليحسم أمورنا. ومتمسّكا بحبل عزّته ليُهلك الفريق الظالم ويحفظ هذا الدين المتين من فتنة الأشرار. وإني أشترط أمامكم أن يظهر أثر دعاء المباهلة التي نقوم بها في ميدان عام على جميع المشتركين في هذه المباهلــة. أن يمسّهم أثرها خلال عام من الزمان. فإن نجا أحدٌ منهم فإني أعتبر نفسي كاذبــا ســواء أ كانوا ألفا من الرجال أو كانوا ألفان... فاشهدي يا أرض ويا سماء ! أن لعنة اللّه على كــلّ من تصله رسالتي هذه ويتخلّف عن مباهلتي ولا يترك تحقيره إياي وتكفيره إياي والاستهزاء بي في مجالسه. ويا أيّها المؤمنون ! باللّه عليكم أن تقولوا جميعكم اللّهم آمين).. وقد أرسل

ميرزا غلام أحمد إلى كلّ واحد من المشايخ وكلّ واحد من أصحاب الطرق الصوفيّة نسخة مسجّلة بالبريد من هذا الإعلان الذي أتينا على ذكره كي لا يحتجّ أحدٌ منهم ويقول لو علمت بهذا التحدّي لواجهته ولكنت أقدمت على مباهلته على رؤوس الأشهاد. وقد أصاب هؤلاء المشايخ جميعهم بعد استلامهم نُسخ هذا الإعلان ما كان قد أصاب القساوسة المسيحيّين من قبل من وُجوم وصمت، فلم يصدر عن أحدٍ من المشايخ أيّة حركة ولا أيّة إجابة على ما ورد في هذا الإعلان. اللّهم إلا واحدٌ من أصحاب الطرق الصوفيّة، وهو خواجه غلام فريد، الذي كتب إلى ميرزا غلام أحمد يقول: (وصلني إعلانكم الذي تدعوننا فيه إلى المباهله. ومع أنّ شغلي الدائم يجعلني عديم الفرصة، أخاطبك وأقول: اعلم يا أعزّ أحبّائي بأني نظرت إليك منذ الابتداء نظرة تعظيم وصاحب مقام، راجيا من ربّي الثواب. ولم تجر على لساني في يوم من الأيام نحوك إلا كلمات تعظيم وتكريم ومراعاة آداب معك. وأطلعُك بأني لا أشتبه بتقواك وأعترف بأنّك من عباد اللّه الصالحين وأنّ سعيك مشكور عند اللّه يقينا ومأجورا عنده سبحانه وتعالى. وكل ما أرجوه منك الدعاء لي بعاقبة الخير وأنا أدعو لك بدوري بعاقبة الخير، والسلام عليكم). فسُرّ حضرته برسالة هذا الشيخ الصوفيّ، وأدرجها في كتابه (عاقبة آتهم). كذلك وردت رسالة أخرى من جانب شيخ صوفيٍّ اسمه سيّد رشيد الدين صاحب العلم السندي يقول فيها: (لقد رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في عالم الكشف، فسألته وقلت يا رسول اللّه إنّ هذا قد ادّعى بأنّه هو المسيح الموعود فهل هو كاذب مفتري أم هو صادق؟ فأجابني رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بأنّك صادق ومبعوث من قبل اللّه عز وجلّ، لذا فهمت بأنّك على الحقّ. ولم أشكّ بعد ذلك في مأموريّتك، ولا في شأنك وإننا ملتزمون بالعمل على كلّ ما تأمروننا به حتى ولو أمرتنا بالسفر إلى أمريكا لأطعناك. وإنا نضع أنفسنا تحت إمرتك. وستجدنا أوفياء لك إنشاء اللّه تعالى والسلام عليكم).. وقد سار على نهج

هـذا الصـوفي خلفـاؤه مـن بعـده في موضـوع تصـديق مـيرزا غـلام أحمـد. وقـد أورد حضرته ذكـرهم في ضميمة كتـاب (عاقبـة آتهـم). وقـد ردّ الشـيخ الصـوفي غـلام دستكير قصوري على الإعلان المشار إليه ودعيا حضرته للمباهلة والدعاء من اللّه تعالى ليهلك الكاذب في تلك الساحة التي تجري فيها المباهلة. فأجابه حضرته بأنّ محمّدا (ص) قد اسـتنّ طريق المباهلـة حينمـا دعـا وفـد نصـارى نجـران للمباهلـه. فلابدّ وفق ذلك من ترك مدّة عام لإظهار الأثر السماوي. لكنّ الشيخ المذكور لم يأبه لكـلام حضرته وكتب رسـالة ضدّه كتب فيهـا (**تبّاً لـه ولأتباعـه**). والـذي حدث بعد نشـر تلك الرسـالة أنّ الشـيخ المذكور أصـابه مـرض الطـاعون، ومـات بالطاعون خلال أيّام. وتحقّق مـا طلبـه مـن مـيرزا غـلام أحمـد، وهـو أن يُهلك اللّـه تعالى الكـاذب وقت المباهله. فانتشـر خبر موت الشـيخ غـلام دسـتكير المذكـور بالطاعون. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فإلى هنا أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ مُجريات الأحداث التي حـدثت مـا بين ميرزا غلام أحمد من جهة، وما بـين المشـايخ والقساوسـة من جهـة أخـرى. وقـد يظنّ القارئ والحـال هذه بأنّها لم تظهر هنـاك ردود فعلٍ ضدّ ميرزا غـلام أحمد من جانب الهنود الآريّين الذين كـان حضـرة الميرزا قد فنّد عقائد الهنود وبيّن نقائصـها في مؤلّفاته وإعلاناتـه، وفي وقـت كـانوا يشـكّلون فيـه أكثريّـة سـكان الهنـد. لذلك أغتنم هذه المناسـبة لأطلـعَ القـارئ علـى أهـمّ مـا جـرى بـين الهنـود وبـين مـيرزا غلام أحمد من أحداث نشرتها صحف الهند اليوميّة.

ففـي الحقيقـة كـان مـن أشـهر كهنـة الهنـود الآريـين كـاهن اسمـه (بنـدت لكهرام) وكـان مشـهورا بسـلاطة لسـانه وحقـده علـى الإسـلام. وكـان ينظـر إلى المسلمين على أنّهم كانوا قد فتحوا الهند ودخلوهـا مستعمرين لهـا. وإنّ نظرته هـذه قد دفعته ليواجـه مـيرزا غـلام أحمـد الـذي فنّـد عقائـد الآريـين وأثبـت بطلانهـا مـن قبـل، أقـول دفعتـه ليتهجّم علـى حضـرته ويشـنّ عليـه هجومـا غـير متّزنٍ وليهـاجم

محمدا رسول الإسلام بألفاظ نابية جدًا في مقالات عديدة. وقد راح يستهزئ بميرزا غلام أحمد وبإيحاءاته متّهما إيّاه أنّه يختلقها من عنده ليفرض بهذا زعامته على المسلمين. وقد طالب ميرزا غلام أحمد مرارا وتكرارا أن يتنبّأ عمّا يخبّئه المستقبل له إن كان صادقا. ولم يقف هذا الكاهن الآريّ المذكور عند هذا الحدّ من التهجّم على ميرزا غلام أحمد، بل إنّه كتب في أحد مقالاته يتنبّأ هو نفسه عن حضرته قائلا بأنّ ربّه أخبره بأنّ ميرزا غلام أحمد هو رجل كذّابٌ وأنّه سيموت بمرض عُضال خلال ثلاثة أعوام، وأنّ ذرّيته ستلحقه ولن يبق منهم أحدٌ من بعده. فهذا ما نشره الكاهن المذكور في كتاب أصدره بعنوان (تكذيب البراهين الأحمديّة). وقد حدث ذلك كلّه في النصف الثاني من الثمانينات. حتّى وأنّه قدم إلى قاديان للإطّلاع على ما يجري فيها مع نفر من غيره من الزائرين.

وقد تصدّى ميرزا غلام أحمد لهذا الكاهن. ودعا ربّه عز وجلّ أن يردّ عن محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم ما يكتبه هذا الكاهن من ألفاظ بذيئة بحقّه وبحقّ دينه الحنيف. وليثبت بأنّ اللّه جلّ جلاله لا يدافع إلا عن هذا الدين المتين، وأنّه ينظر إلى بقيّة الأديان على أنها أديان باطلة ومنها دين الآريّين الذي يمثّلهم الكاهن بندت ليكهرام. فتلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما باللّغة العربيّة ونصّه (عِجلٌ جسدٌ لهُ خوار — له نصبٌ وعذاب). ونشر حضرته هذا الإلهام الذي تلقّاه بحقّ بندت لكهرام في إعلانٍ نشره بتاريخ ٢٠ شباط عام ١٨٩٣م. وقد استهلّ ميرزا غلام أحمد إعلانه المذكور بأربعة أشعار نظمها باللّغة الفارسيّة وترجمتها بالعربيّة: (**خذ حذرك أيها العدوّ الضال. واحسب لسيف محمّد القاطع ألف حساب، وتعال إلى هذا الطريق الموصل إلى اللّه تعالى والذي تناساه الغافلون. فتعال إلى أبناء محمد الروحانيين لتستعين بهم للسير على هذا الطريق. فيا أيّها المنكر علوّ شأن محمد وأنواره فمع أنّ الكرامة لا اسم لها ولا حيّز، إلا أنّك ستبصرُها على أيدي خدّام محمّد الأبرار**).. مع الملاحظة بأنّ الإعلان الذي نشره ميرزا غلام أحمد كان قد مضت من قبله تلك

السنوات الثلاثة التي حدّدتها نبوءة هذا الكاهن حول موت ميرزا غلام أحمد الذي لم يُصبه تعالى خلالها بأيّ أذى. فبعد مضيّ مدّة نبوءة الكاهن الآريّ المذكور، فقد تلقى بعدها ميرزا غلام أحمد إلهاما نشره في الإعلان المشار إليه. وقد توجّه حضرته بعد نشره الإعلان المذكور طالبا من ربّه عزّ وجلّ أن يحدّد له وقت نزول العذاب بالكاهن ليكهرام. فاستجاب اللّه تعالى دعاءه ونشر حضرته جواب دعائه بحقّ الكاهن في مؤلّفه (الاستفتاء) وقائلا فيه: (إنّ اللّه تعالى أخبرني بأنّ عذابه سينزل بالكاهن ليكهرام خلال ستّة سنوات وذلك ابتداء من تاريخ ٢٠ شباط ١٨٩٣م أي من تاريخ الإعلان الذي تلقّاه حضرته بشأنه. وكان هذا الإلهام الثاني باللّغة العربيّة ونصّه: (يُقضى أمرُه في ستٌ). ومن ثمّ وفي الثاني من شهر نيسان من نفس العام ١٨٩٣م نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا جديدا. وممّا أورده حضرته في الإعلان المذكور أنّه كتب يقول ما ترجمته: (لقد غلب عليّ النوم صباح اليوم بتاريخ ٢ نيسان١٨٩٣م الموافق ١٤ رمضان ١٣١٠هجري فرأيت نفسي جالسا في مكان واسع، ويجلس من حولي بعض أصدقائي. وفي تلك الأثناء ظهر أمامي شخص قويٌّ ذو شكلٍ مهيبٍ لون وجهه مائل إلى الحمرة وكأنّ الدم يريد أن يتدفّق منه. فنظرت إليه فتبيّن لي بأنّه مخلوق جديد صفاته مختلفة عنّا. وكأنّه ليس بإنسان، وإنّما هو من الملائكة الغلاظ الشداد وتهابه أنفسنا. وبينما كنت أحملق فيه سألني قائلا: أين ليكهرام؟ وسألني عن اسم شخص آخر أين هو؟ وحينئذ فهمت بأنّه مأمور من اللّه تعالى لإنزال العذاب بهذين الرجلين. فلما استيقظت، نسيت اسم الشخص الثاني الذي سألني عنه. وقد أورد حضرته ما رآه في مؤلّفه (مرآة كمال الإسلام). ومن ثمّ خاطب ميرزا غلام أحمد في مؤلّفه (بركات الدعاء) المرحوم سيّد أحمد خان في بيتين من الشعر باللّغة الفارسيّة هذه ترجمتهما: **(أيها الرجل الذي تزعم أنّ الدعاء مجرّد فريضة لا أثر له. تعال إليّ لأريك أثر الدعاء واضحا وضوح الشمس. وإياك أن تُنكر قُدرات اللّه عز وجلّ الدقيقة والخافية. فإن**

شئت رؤية أثر الدعاء فتعال وانظر إلى تأثير ما طلبته من ربّي بحق الكاهن ليكهرام وما أسفر عنه).. ومن ثمّ فقد نشر ميرزا غلام أحمد في كتابه (كرامات الصادقين) الذي ألّفه عام ١٨٩٣م شعرا باللّغة العربيّة قال حضرته فيه:

وبشّرني ربّي وقال مبشّرا ستعرفُ يوم العيدِ والعيد أقربُ

وقد أشار حضرته في هذا الشعر إلى الكاهن ليكهرام وإلى عاقبته. إلى ذاك الكاهن الذي كان يتهجّم بلسان سليط في مقالاته على ميرزا غلام أحمد مطالبا إيّاه أن يريه من آيات نبوءاته بحقّه. فقال حضرته: ها أني كتبت نبوءتي عن ليكهرام بألفاظ صريحة وواضحة. فانتظر الآن يا سيّد أحمد خان أن يتحقّق الوجه الآخر. فوصل خبر هذه النبوءة إلى الكاهن ليكهرام، وبدلا من أن يتّعظ ويخاف، فقد أصبح يتمادى في تهجّمه على حضرة الميرزا وعلى محمّد المصطفى وعلى الإسلام أكثر فأكثر كلّما مضت الأيام ودنى أجل انتهاء الأعوام الستّة التي نصّت عليها نبوءة ميرزا غلام أحمد عن مصيره. وكان ينتظر الكاهن ليكهرام ليثبت للناس بأنّ ميرزا غلام أحمد كان قد أطال مدّة النبوءة لأمرٍ يخفيه في نفسه، وليبعد الشبهة عن نفسه. وكان ليكهرام يريد أن يثبت للناس بعد مضيّ تلك السنوات الستّة بأنّ هذا الميرزا كذّاب. ومضت تلك السنوات الستّة بكلّ بُطء وأتت أيام عيد الأضحية، وانتظر المؤمنون تحقّق ما كان قد تضمّنه شعر ميرزا غلام أحمد الذي تنبّأ فيه قائلا: (وبشّرني ربّي وقال مبشّرا ستَعرفُ يوم العيد والعيدُ أقربُ). وهنا يتساءل القارئ عمّا حدث في ذاك العيد؟ فأقول: إنّ ما حدث هو أنّه في الساعة السادسة من اليوم الثاني من عيد الأضحية المشار إليه وفي السادس من شهر آذار عام ١٨٩٧م قُتلَ الزعيم الهندي الشهير بندت ليكهرام. وضجّ جميع سكان الهند الذين كانوا يقطنون في طول الهند وعرضها نتيجة لانتشار خبر وفاة زعيمهم بندت ليكهرام قتلا. وأجمعت جميع صحف الهند وبصراحة تامّة على أنّ ميرزا غلام أحمد هو الذي تآمر على قتل زعيمهم المذكور.

وأخذت ترد ميرزا غلام أحمد رسائل تهديد من كلّ جانب أخفى أصحابها أسماءهم خشية إقامة دعاوى ضدّهم في القضاء الهندي. وأخذت الأحزاب والجمعيّات الهنديّة تُعلن عن جوائز كبيرة لِمَن يُخبرهم عن قاتل بندت لكهرام، ولكن دون جدوى ودون العثور على أثر القاتل. وكان ميرزا غلام أحمد يبتسم حين تصله رسائل تلك التهديدات وأخبار تلك الجوائز المُعلن عنه، ويقول لقد بشّرني ربّي وقال (**والله يعصمك من الناس**) وهي نفس البشارة التي كان سيّدي محمّد المصطفى قد تلقّاها من قبل وتحقّقت بشكل معجز أخرس أعداءه. ولم يكتف الهنود بتهديداتهم تلك، بل أقاموا دعاوى على ميرزا غلام أحمد على أنّه هو الذي دبّر مؤامرة قتل زعيمهم. وألقوا جميع ثِقلِهم في موضوع تلك الدعاوى. وخصّصوا لملاحقة تلك الدعاوى من جانبهم أمهر محاميهم. ودفعوا بالجهات المختصّة لتفتيش منزل ميرزا غلام أحمد نفسه لعلّهم يعثرون فيه على أيّ أثر يدلّهم على قاتل الزعيم بندت ليكهرام كذلك دفعوهم لمداهمة منازل أشهر أتباع ميرزا غلام أحمد في مدن أمرتسر ولاهور لنفس المقصد الذي ذكرناه. وقد تشكّلت لجان مداهمة من جانب أبرز رجال الأمن هناك وقاموا بمداهمات بتاريخ الثامن من شهر آذار. لكنّ تلك المداهمات جميعها لم تُسفر عن نتائج تُذكر يثبت من خلالها صحّة تلك الاتّهامات جميعها الموجّهة إلى ميرزا غلام أحمد والتي هي في صالح أعدائه. فلمّا فشلت جميع دعاوى الآريّين وانتهت الأمور لصالح حضرته. فقد نشر ميرزا غلام أحمد بعد ذلك وبتاريخ ١٥ آذار ١٨٩٧م إعلانا بعنوان (آراء الآريّين حول موت ليكهرام) وإلى القارئ شيئا ممّا كتبه فيه وترجمته: (**إذا لم يزل يراود أحدا منكم شكٌّ في براءتي وما زال يعتقد بأني شريك في قتل بندت ليكهرام وحسبما يظهر ممّا يرد في صحف الهند اليوميّة. فإنّي أقترح عليهم اقتراحا حسنا يحسم كلّ ما يتعلّق بهذه القصّة. وهو أن يأتي أحدهم ليقسم أمامي بأنّه يعتقد بصورة يقينيّة بأني شريك في قتل زعيمهم أو أنني قمت بقتله، وأن يضيف ويقول: إذا كان اتّهامي هذا غير صحيح بحق الميرزا**

فيا أيّها الإله القادر أنزل بي عذابك القاهر خلال عام من الزمان شرط ألاّ يحدث على أيدي إنسان وأن لا يكون لإنسان فيه يدٌ وتدبير. فإن أقسم أحدكم أمامي هذا القسم. ونجّاه الله تعالى من عاقبة هذا القسم فأنا أعتبر نفسي مجرما ومستحقّا حينئذ لتلقّي العقـاب الـذي يستحقّه مجرم بصورة قانونيّة. فإن وُجد من بين الآريّين رجل شجاع فليختر هذا الطريـق الذي فتحته له لإزالة شكوكه).. ولقد خيّم الصمت والوجوم بعد نشر هذا الإعلان على جميع صحف الهند وزعمائها. أللّهم إلا شخص يُدعى كنكا بشن وكان آريّا فقد كاتب حضرته وقائلا ما ترجمته:

(أنا على استعداد لهذا القسم المطلوب. لكنّي أشترط عليك ثلاثة شروط، هي: أولاً أن تقبل تنفيذ حكم الإعدام بك في حالة مضيّ مدّة عام على القسم ونجاتي من عاقبته. ثانياً أن تضع في أمانة الدولة مبلغ عشرة آلاف روبيّة لحسابي. أو في أيّ مصرف مؤتمن يدفع لي هذا المبلغ في حال نجاتي من عاقبة سوء هذا الدعاء. ثالثاً أن تتعهّد بأني إذا قـدمت إلى قريتـك قاديان ألا تقوم بقتلي كما قتلت بندت ليكهرام).. فما إن وصلت رسالة هذا الآريّ لاله كنكابشن عند حضرة الميرزا، إلا ونشر إعلانا بتاريخ ١٦ نيسان ١٨٩٧م كتب إليه فيه موافقته على شروط هذا الآري الثلاثة المذكورة. واشترط عليه أن يُقسم هو بدوره بالألفاظ التالية ما ترجمته:

(أنا فلان بن فلان من قبيلة فلان أسكن المكان الفلاني المنطقة الفلانية أقسم بالله تعالى بأنّ ميرزا غلام أحمد شريك بالضرورة في التآمر على بندت لكهرام وقتله. وأنا على يقين بأنّ تلك النبوءة بخصوصه ليست من جانب الله تعالى، بل اختلقها كوسيلة لتحقيق مقصده. فإن كنت في بياني هذا غير محقّ فيا أيها الإله القادر المطلق أظهر الحقّ بأن تتوفّاني خـلال عـام بسبب لا يمتّ لتدبير أحد من الناس. فإن متّ خلال العام فلتعلم الدنيا كلّها بأنّ موتي هـو دليل ملموس على أنّ نبوءته كانت إلهاما من جانبك، ولم تكن باختلاق من أحـد. وأنّهـا تشكّل دليلا على أنّ الدين الإسلامي هو الدين الحق، وأنّ بقيّة الأديان كأمثال دين الآريّين ودين سناتن دهرم والدين المسيحيّ وغيره من الأديان كلّها أديانٌ باطلة ومحرّفة).. وأضاف

ميرزا غلام أحمد يقول: إنّ من الواجب أن يُنشرَ هذا القسمُ في صحيفة مشهورة ومُعتبرةٍ وأن تأت أنت وتُقسم بهذا القسم في ساحة عامّة في قاديان. فإن أخلفت أنا من جانبي بما وعدت به فلتنزل عليّ لعنة الله تعالى، أو تنزل عليك. وأنّ من واجبي أن أضع بحسابك مبلغ عشرة آلاف روبيَة. وكلّ ما عليك فهو أن تنشر هذا القسم المشار إليه في صحيفة معتبرة ومشهورة، وتنتظر شهرين أكون قد وضعت خلالها في حسابك مبلغ عشرة آلاف روبية. فإن لم أفعل ذلك أكون كاذبا.

والذي حدث قبل نشر هذا الإعلان الأخير بأيام وبتاريخ ١٢ نيسان أنّ لاله كنكابشن نشر مقالا في صحيفة (همدرد هند) التي تصدر في لاهور اشترط فيه على حضرته شرطا رابعا وهو أنّه إذا ثبت نتيجة القسم أنّ حضرة الميرزا كاذبا أن يُشنق وتُسلّم جثّته إليه يفعل بها ما يشاء أن يحرقها أو يلقيها في النهر أو يفعل بها شيئا آخر سواه. وقد أجاب ميرزا غلام أحمد على هذا الشرط في نفس الإعلان الذي نشره بتاريخ ١٦ نيسان ١٨٩٧م الذي ذكرناه، وقال فيه ما ترجمته: (وأنا أقبل هذا الشرط الرابع أيضاً من منطلق بأنّ جسد الكاذب يستحقّ كلّ نوع من أنواع المهانة. وإنّ هذا الشرط الذي اشترطه الآري لاله كنكابشن هو ضروريٌّ جدّا في نظري وورد في الوقت المناسب. علما بأنّه يحقّ لي أن أفعل من جانبي ما أشاء في جسد الكاذب... فإن مات هذا وفق النبوءة فمن حقّنا أن نحصل على جسده ولا نضيعه، بل ونحتفظ به ليدلّ وجوده على تحقّق آية نصرٍ سماويّة وقد نحتفظ به في مكان عام أو يحتفظ به متحف مدينة لاهور. أما وأنّ إيصال هذا الجسد إلينا فهو بحاجة إلى تدبير حسن، فأرى أن من المناسب أن يخصّصَ له الذين تبرّعوا بخمسين أو ستين ألف روبيّة لنصب تذكار يُحيي ذكرى بندت ليكهرام، أن يخصّصوا من ذاك المبلغ، مبلغ عشرة آلاف روبيّة لنقل الجسد المذكور إلينا، وذلك من خلال وضع هذا المبلغ في مصرفٍ حكوميّ، ومقرونا بوصلٍ موقّعٍ منهم بأنّه إذا مات لاله كنكابشن خلال عام ولم يبعثوا بجسده

إلينا، يعود من حقّنا استرداد مبلغ عشرة آلاف روبيّة. وأن يكون هذا الوصل موقّعا بخاتم وتوقيع مدير المصرف المودع فيه هذا المبلغ. والآن يريد القارئ أن يطّلع على ما أجاب به هذا الرجل الآريّ الذي ذكرناه. وفي الحقيقة فإنّ لاله كنكابشن أجاب على حضرة الميرزا قائلا ما ترجمته: **(أنا لست عضوا في منظّمة آريه سماج، لأستحقّ من جانبهم كلّ هذا الاهتمام بمصيري وجمع عشرة آلاف روبيّة لهذا المقصد)**. فنشر ميرزا غلام أحمد إعلانا بتاريخ ٢٧ نيسان ١٨٩٧م أورد فيه ردّا على رسالته وترجمته: (ليس بعسير على منظّمة آريه سماج أن تجمع مبلغ عشرة آلاف روبيّة لمسألة لاله كنكابشن، وذلك لأنّه إن كانوا ما يزالون يعتقدون بأني قاتل ليكهرام ومتيقّنين بأنّ الإلهام والمكالمة الإلهيّة هي مجرّد أكاذيب وأنّ قتله وقع بتدبير من جانبي فإنّهم سيساعدون لاله كنكابشن ليس بعشرة آلاف روبيّة بل وبخمسين ألف روبيّة. وهل أنّ من العسير على آريه سماج جمع المبلغ المذكور؟ فهذه تجارة مجّانيّة وتفيد في الوقت نفسه إطلاع الحكومة على أنّهم قد فعلوا هذا برضائهم وليطووا صفحة هذا الجدل القائم بهذا الخصوص... أما إذا كان قوم آريه سماج يعتبرون بأنّ رأي لاله كنكابشن كاذبا حين اتّهمني بقتل بندت ليكهرام، فلا تعود بي حاجة أن أباري إنسان هو في نظر قومه من الكاذبين).. وقد ختم ميرزا غلام أحمد إعلانه المذكور قائلا ما ترجمته: (إذا لم يقبل لاله كنكابشن شرطي الأخير هذا، فلن أردّ بعد اليوم على رسائله، وليُعتبر إعلاننا هذا هو الإعلان الأخير في هذا الموضوع).

وبعد أن أطلعت القارئ على ما جرى من أحداث هامة ما بين الهنود وما بين ميرزا غلام أحمد في العام الذي نتحدّث عنه وهو عام ١٨٩٧م. يطرح سؤال نفسه، وهو ما تأثير تلك الأحداث الهامة على كلّ مسلم محبٍّ للإسلام، خصوصا وأنّ تلك الأحداث شغلت صحف الهند اليومية الواسعة الانتشار طوال تلك المدّة من العام المذكور؟ وأجيب على هذا السؤال والألم يعتصر نفسي وأقول: إنّ من

المؤسف أنّ المشايخ وخاصّة منهم الشيخ محمد حسين البطالوي قد اغتنم تلك الفرصة للتحريض ضدّ ميرزا غلام أحمد. وأخذ يُشيع بطريق الكتابة في الصحف وعن طريق الوعظ في المساجد بأنّ تلك النبوءة المتعلّقة بمقتل بندت ليكهرام كانت كاذبة. فكان يفعل ذلك في أشدّ اللّحظات خطورة تلك التي أعقبت مقتل ليكهرام. الأمر الذي اضطرّ ميرزا غلام أحمد لينشر إعلانا بتاريخ ١١نيسان ١٨٩٧م ردّ فيه على البطالوي وقال في الإعلان المذكور: (**إن كان الشيخ محمد حسين البطالوي متيقّنا بأنّ النبوءة المتعلّقه ببندت ليكهرام كانت كاذبة، فما هو بحاجة إلى كتابة المقالات بهذا الخصوص. بل نقسم باللّه عليه يأتِ ويقسم في مقابلتي في ساحة عامّة بأنّ هذه النبوءة ليست من طرف اللّه تعالى، ولا هي قد تحقّقت. فإن كانت من طرف اللّـه تعالى وتحقّقت في واقع الأمر، فيا أيها الإله القادر أنزل عليّ عذابك خلال عام من الزمان. فإن فعل الشيخ البطالوي ما طلبته منه، ونجا من عذاب اللّه تعالى خلال عام من الزمان، فإني أعتبر نفسي حينذاك كاذبا وأتوب على يديه، وأحرق جميع ما قمت بتاليفه من كتب حتّى الآن. أما إذا امتنع عن فعل هذا الذي طلبته منه فيكفي أن يعرف المسلمون الحال الذي وصلت إليه حقيقة حال الشيخ البطالوي**).. فلمّا وصل هذا الإعلان عند الشيخ البطالوي، فبدلا أن يسارع إلى تنفيذ ما طلبه منه حضرته. فقد راح يُبدي أعذارا واهية وتنصّل من تنفيذ طلبه المذكور واختار بعدها الصمت وعدم تناول هذا الموضوع في وعظه ومقالاته، وكأنّ شيئا ما لم يحدث في ذاك السياق.

ومن أهمّ أحداث عام ١٨٩٧م أنّ ميرزا غلام أحمد نشر في مؤلّفه (حقيقة الوحي) صفحة ٢١٧ بأن اللّه تعالى بشّره بولادة أنثى وكان نصّ البشارة بألفاظ عربيّة هي (**تنشأ في الحليّة**). وما أن اليوم الثاني من شهر آذار إلا وقد ولدت له زوجته بنتاً سماها (مباركة بيكم)، ومعناه (السيّدة المباركة). وسآتي على شرح ألفاظ تلك البشارة، وعلى ذكر الابنة المذكورة حين الكلام عن زواج حضرته وعمّا آتاه ربّه من ذاك الزواج من أولاد وبنات بررة، إن شاء اللّه العزيز كذلك

كان من أهمَّ أحداث العام المذكور أنّ سفير الإمبراطوريّة العثمانيّة الذي كان مقرّه في مدينة كراتشي واسمه حسين بيك كامي أرسل إلى ميرزا غلام أحمد رسالة موجزة طلب فيها من حضرته السماح له بمقابلته. فبالرّغم من أنّ ميرزا غلام أحمد كان أُلهِمَ من جانب ربّه بأنّ في هذا الشخص نفاق. فلم يرفض طلب السفير المذكور، ووافق على استقباله في قاديان، وهو متحسّبٌ لرؤية وجه النفاق في شخص السفير بعد مواجهته. فحضر هذا السفير بتاريخ ١١ مايس ١٨٩٧م إلى قاديان وطلب من حضرته الاجتماع به على انفراد. فقبل حضرته طلب السفير واجتمع به على انفراد. وكان ممّا جرى من حديث بينه وبينه أنّ السفير التركيّ طلب من حضرته الدعاء للسلطان التركيّ، وطلب من حضرته أن يوافيه بعد ذلك بما يتلقّاه من جانب ربّه من إلهام ونبوءة بهذا الخصوص. فباغته ميرزا غلام أحمد قائلا: (**إنّ أحوال السلطنة التركيّة ليست على ما يرام. وقد سبق لي أن رأيت في حالة الكشف بأنّ حاشية السلطان غير جيّدة لذلك أرى أنّ ذلك لا يبشّر له بخير**).. فلمّا سمع السفير التركيّ كلمات حضرته، امتعض من كلماته تلك. وسافر من قاديان إلى لاهور، وكتب إلى رئيس تحرير جريدة (ناظم الهند) رسالة هاجم فيهاميرزا غلام أحمد. فنشر رئيس تحرير الصحيفة المذكورة رسالة السفير التركي بكامل نصها، وذلك بتاريخ ١٥ مايس ١٨٩٧م. ومن منطلق تلك الأهميّة الكبيرة التي كان يحتلّها سفير الإمبراطورية العثمانية آنذاك في نظر مسلمي الهند تلك التي يعتبرونها دولتهم الحقيقيّة. ونتساءل عن الموقف الذي وقفه ميرزا غلام أحمد تجاه ما نشرته الصحيفة المذكورة؟ أقول: إنّ ما نُشر في تلك الصحيفة دفع ميرزا غلام أحمد إلى نشر إعلان موضوع تلك الحادثة وبتاريخ ٢٤مايس ١٨٩٧م وقد وضّح حضرته في الإعلان المذكور لجمهور الناس حقيقة ما جرى من حوار بينه وبين السفير التركيّ بلا زيادة ولا نقص. ومبيّنا فيه بأنّ الأيام لابدّ أن تُثبت مصداقيّة ما كان ربّه أراه إيّاه في الكشف الروحي بشأن حاشية السلطان التركي. والذي

حدث بعد الذي ذكرناه هو أنّ علاقات السلطنة التركيّة مع جارتها اليونان ساءت وأدّت في نهاية الأمر إلى وقوع حرب بين تركيا واليونان في نفس عام ١٨٩٧م. وقد جمع المسلمون في الهند في فترة تلك الحرب التي ذكرناها تبرّعات لمساعدة الامبراطوريّة العثمانيّة في حربها مع اليونان. وقد سلّموا تلك التبرّعات إلى السفير التركي حسين كامي في كراتشي ليرسلها إلى السلطان التركي. لكنّ السفير التركي المذكور احتفظ بتلك الأموال لنفسه، ولم يبعث بها إلى خزانة السلطان العثماني. وقد وصل خبر ما فعله ذاك السفير التركي بأموال تبرعات مسلمي الهند إلى سليم باشا وكان هذا من أركان حاشية السلطان التركي. فأمر هذا بحجز أملاك السفير المذكور، وبيعها بالمزاد العلني. ومن ثمّ حوّل سليم باشا تلك الأموال إلى السلطان مقابل تلك التبرّعات التي احتفظ بها السفير حسين كامي في كراتشي لنفسه فأمر السلطان حينئذ بفصل السفير حسين كامي من وظيفته، وأرسل سفيرا بدلا منه إليها. وقد ذكر ميرزا غلام أحمد مجريات هذه الأحداث على الصفحة ١٢١ من مؤلّفه (ترياق القلوب). وقد تمّ نشر تلك الأحداث أيضاً في أبرز صحف الهند. وخاصّة منها صحيفة (نيّر آصفي) التي تصدر في مدينة مدراس وذلك بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩٩م. علما بأنّ مُجريات الأحداث التي جرت في السنوات التالية لهذه الحادثة التي ذكر فيها ميرزا غلام أحمد هذا الكشف الروحانيّ المتعلّق بحاشية السلطان التركيّ، فقد جاءت مصدّقةً لمضمون هذا الكشف المشار إليه. إذ ثبت تاريخيًا بأنّ يهود الدوِلما الذين كانوا قد أظهروا أنفسهم بأنّهم أصبحوا مسلمين. قد دخل بعضهم الكليّة الحربيّة في الآستانة وتخرّجوا منها ضبّاطا. ومن ثمّ شكّلوا خفية جمعيّة الاتّحاد والترقّي التي كان من أبرز أعضائها أنور ونيازي وغيرهم من الضباط الذين كانوا في أصلهم يهودا. وإنّ هذه الجمعيّة بالذات هي التي قامت بانقلاب على السلطان التركيّ

فيما بعد في العقد الأول في أوائل القرن العشرين، والتي تسبّبت فيما بعد بانهيار الإمبراطورية العثمانيّة.

وحدثت حادثة أخرى عام ١٨٩٧م وهي أنّ ميرزا غلام أحمد أرسل أحد مبايعيه المخلصين الذي كان اسمه عبد الرحمان إلى أفغانستان لتبليغ أميرها الذي كان يحكمها في ذاك الحين وهو الأمير عبد الرحمان خان. لتبليغه بأنّ اللّه عز وجلّ قد جعل ميرزا غلام أحمد مهديّ هذه الأمة ومثيل ابن مريم عليه السلام. فسافر ذاك التلميذ المبايع إلى أفغانستان. وهناك طلب مقابلة ذاك الوالي المشار إليه. وبدلا من أن تقوم حاشية ذاك الوالي بجمعه به هنالك. وكانوا من المشايخ المتعصّبين جدّا والتقليديّين. فلم يعجبهم مضمون رسالة حضرته وكفّروه من دون أيّ تحقيقٍ فيما ادّعاه. ومن ثمّ فقد أقدموا على قتل ذاك المندوب بعد إصدارهم فتوى بكفره هو أيضاً وبمن أرسله. فعلوا ذلك من دون الرجوع إلى الوالي نفسه. وقد أساءوا بفعلتهم تلك إلى أفغانستان وواليها. وبذلك فقد استمطروا غضب السماء على أمارة أفغانستان من باب أنّهم قتلوا مندوب مصلحٍ سماويٍّ كان قد وعد القرآن الكريم والأحاديث النبويّة بظهوره زمن ظهور المسيح الدجّال ومن الأحداث الهامّة التي مرّت في العام الذي نتكلّم عنه والتي استغلّها ميرزا غلام أحمد لكتابة أحد مؤلّفاته وهو كتاب (تحفة قيصرية) الذي يعني (الهديّة القيصرية) أنّ الإنكليز، وكانوا يحكمون الهند، احتفلوا بعيد ميلاد الملكة فكتوريا الستّين. فاغتنم ميرزا غلام أحمد تلك المناسبة المذكورة، وكتب مؤلّفه (تُحفة قيصريّة) وقد أثبت حضرته فيه بأنّ المسيح الناصري كان عبدا من عباد اللّه تعالى وكان رسولا صادقا. وأثبت في الوقت نفسه خطأ ما هو رائجٌ بين المسيحييّن من اعتقاد بشأنه. وأثبت مصداقيّة الدين الإسلاميّ الحنيف. وأنّ الإسلام هو الدين الحيّ من بين جميع الأديان السماويّة كلّها. فعل ذلك كلّه في المؤلّف المذكور بأسلوب موضوعيٍّ وبأدلّة قاطعة وموضوعيّة. فطبع حضرته

أعدادا كثيرة من مؤلّفه المشار إليه ووزّعها في كلّ مكان مجّانا. وأرسل نسخة منه كهديّة إلى الملكة فكتوريا نفسها، بمناسبة عيدها الستّين. ونُسخة منه إلى الجنرال الذي كان يحكم الهند باسمه أيضاً، والذي كان مركزه في منطقة بنجاب. وقد وصل كتاب حضرته إلى الملكة فكتوريا. فأرسلت إليه كتاب شُكرٍ في وقت كان قد أثبت فيه بُطلان دينها الذي كانت تدين به. وعلى حين أنّ مشايخ أفغانستان كانوا قد فعلوا ما فعلوه بمندوب حضرته الذي جاء يبشّر واليهم ببعثة الموعود الذي وُعد به المسلمون لصالح الإسلام منذ فجر الدعوة الإسلاميّة. فشتّان ما بين تسامح الملكة وما بين تعصّب من يزعمون بأنّهم يمثّلون الإسلام ظلما وبُهتانا.

وحين لاحظ ميرزا غلام أحمد أنّ مشايخ المسلمين والمتصوّفين منهم لم يعتبروا بما حدث ما بين حضرته وما بين الهنود الآريّين الذين أثبت لهم بأنّ دينهم باطل وأنّ الإسلام دين حيّ. فقد نشر إعلانا بتاريخ ١٥ تموز ١٨٩٧م ليتمّ من خلاله الحجّة عليهم جميعهم. وقد لفت حضرته نظر المشايخ والمتصوّفة إلى ضرورة الرجوع إلى اللّه تعالى لحسم هذا النزاع الدائر بينهم. وطالبا من الأتقياء أن يستخيروا اللّه ربّهم مدّة إحدى وعشرين يوما بالمواظبة ليكشف لهم أكان هو كاذبا أو كان صادقا ومن جانب اللّه تعالى؟ وأضاف وقال بأنّه لا يُعقلُ بعد طول أيام الاستخارة ألا يكشف سبحانه على أحد منهم حقيقة كونه تعالى قد بعث حضرته مجدّدا لإحياء دين الإسلام. وأضاف وقال بأنّ في العمل على ما حضّهم على فعله فائدة كبيرة لهم. ومن اليقين أنّ ربّهم إن هم يعملون على ما حضّهم على فعله، فإنّه تعالى سيُلفت أنظارهم على أقلّ تقدير إلى ما وصل إليه حال هذه الأمة وحال هذا الدين المتين. وإلى ضرورة مراجعة ما وصلهم من آثار نبويّة متعلّقة بمهدي آخر الزمان. فيُدركون بأنّهم يكفّرون مهدي آخر الزمان. وقد يُطلعهم اللّه تعالى بواسطة الرؤيا الصادقة أو الكشف الروحي أو الإلهام على حقيقة ما

يجري من حولهم. وبذلك تظهر آياتٌ سماويّة تدفعهم إلى قبول ما قدّره ربّهم طوعا أو كرها. وأنهى حضرته الإعلان المذكور بمخاطبته جميع هؤلاء الذين ذكرناهم وقال: **(فيا أيّها السادة الأعزّاء! توجّهوا بقلوبكم نحو إلهكم عالم الغيب وأُقسم بالله عليكم أن تفعلوا ما طلبته منكم. ولا تردّوه.)..**

وفي تلك الأيّام أصبح كثير من الناس يأتون إلى قاديان ويبايعون ميرزا غلام أحمد بعد أن أدركوا صحّة ما ادّعاه. وقد بات المسجد الذي يصلّي فيه حضرته وأصحابه، واسمه المسجد المبارك، لا يتّسع لصلاة تلك الأعداد الكبيرة من هؤلاء الذين عادت تعجّ بهم قريته قاديان. وقد تلقّى حضرته في تلك الأيّام إلهاما باللّغة العربيّة ونصّه: **وسّع مكانك. يأتون من كلّ فجٍّ عميق** ولهذا السبب فكّر حضرته بتوسيع المسجد عدّة أضعاف. فأعلن عن نيّته تلك في اشتهار بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٩٧م، وطلب من مبايعيه التبرّع لهذا الأمر. فتدفّقت عليه التبرّعات. وتحقّق توسيع المسجد المبارك المشار إليه لأوّل مرة في تاريخه. كذلك فقد كان أبناء الأحمديّين يتعلّمون في مدارس الآريين لعدم وجود مدرسة في قاديان. فكان الأساتذة والطلاّب الآريون يسخرون من الطلاب الأحمديين في شتّى المناسبات. فضجّ أهالي الطلاب واشتكوا إلى ميرزا غلام أحمد حال أبنائهم. فلمّا استلم حضرته هذه الشكوى تأثّر كثيرا وأمر ببناء مدرسة في قاديان لتعليم أبناء الأحمديين. وأعلن حضرته عن رغبته تلك بتاريخ ١٥ أيلول ١٨٩٧م في إعلان طلب فيه من جماعته التبرّع لبناء المدرسة المشار إليها. فبدأت التبرّعات ترد عند حضرته من كلّ مكان في الهند أيضاً. وبدأ تنفيذ مشروع المدرسة المذكورة. وخطب حضرته أيام الاجتماع السنوي حول أهمّية بناء مدرسة أحمديّة لتعليم أبناء الأحمديّين. وانتهت الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة من بناء المدرسة أوائل العام التالي. وأصبح الشيخ المرحوم يعقوب علي عُرفاني أوّل مدير لتلك المدرسة التي سُمّيت (مدرسة تعليم الإسلام).

ومن أهمّ الأحداث التي مرّت عام ١٨٩٧م في حيات ميرزا غلام أحمد، حادثة هامة من المناسب أن أُطلع القارئ عليها، من منطلق أنّ الذي يطّلع على تفاصيلها، تتجسّم أمام عينيه تلك المشابهة الكائنة ما بين حضرته وما بين المسيح الناصري، ويثبت لديه بالتالي صحّة كون ميرزا غلام أحمد مثيل ابن مريم عليه السلام. فأنا كنت ذكرت للقارئ حتى الآن أحداث المناظرة التي سُمّيت (الحرب المقدسة) والتي أسفرت عن موت خمس عشرة قسّيس من أولئك الذين كان قد ترأسهم القسيس عبد الله آتهم. كما كنت ذكرت للقارئ النبوءات التي تحقّقت بمقتل بندت ليكهرام الذي كان زعيم الآريين. فتوالي تلك الأحداث تركت جوًّا مشحونا بالعداء لميرزا غلام أحمد من جانب جميع أتباع الديانات الإسلامية والمسيحيّة والبوذيّة المتعصّبين والتقنيديين. الأمر الذي دفعهم جميعهم للتفكير في موضوع التخلّص من ميرزا غلام أحمد بطريق اغتياله أو بطريق القضاء عليه بصورة من الصور. وخاصّة منهم الدكتور هنري مارتن كلارك الذي كان يترأس المركز التبشيري الذي مات جميع أعضائه الذي كان يترأسهم القسيس عبد الله آتهم. فأعداء ميرزا غلام أحمد فكّروا جميعهم بصورة جدّية في القيام بالتخلّص منه، لاعتقادهم بأنّه ماكر كاذب. ومتناسين بأنّ حضرته كان قد تلقّى إلهاما ونصّه: (**إني مهين من أراد إهانتك، وإني مُعينٌ من أراد إعانتك**) فما هو ذاك الحدث الذي أردت أن أُطلع القارئ عليه، وهو الحدث الذي مثّل حقيقة ما كان يضمره أعداء ميرزا غلام أحمد ضدّه من أولئك الذين أشرت إليهم أعلاه؟

فالذي حدث هو أنّ أحد أقارب شيخ كان يُدعى غازي برهان الدين جهلمي وكان اسمه عبد الحميد الذي كان شابا متسيّبا وعاطلا عن العمل. فإنّ عبد الحميد المذكور كان يتنقّل ما بين كلّ زعيمٍ يعادي ميرزا غلام أحمد ليقدّم نفسه بأنّه يريد اعتناق دينه إن هو أعطاه مبلغا من المال أو أوجد له عملا. حتى أنّ

عبد الحميد المذكور ذهب إلى قاديان وقدّم نفسه إلى ميرزا غلام أحمد على أنّه يريد مبايعته وملازمته. لكنّ الله تعالى ألقى في روع حضرته بأنّ عبد الحميد هذا غير صادق، فلم يقبل بيعته وطلب منه مغادرة قاديان. فغادرها وسافر مباشرة إلى أمرتسر التي كان فيها مركز تبشيري يرأسه القسيس إيتش جي كري. فعرض عبد الحميد على القسيس المذكور أن يتنصّر على يديه وليلازمه. لكنّ القسيس المذكور لم تكن له به من حاجة، فاعتذر إليه ولم يقبله عنده. فترك عبد الحميد هذا القسيس، وحضر عند القسيس الدكتور هنري مارتن كلارك الذي كان يضمر لميرزا غلام أحمد أشدّ البغض والعداء. فعرض عليه نفس ما عرضه على القسيس الآنف الذكر. فوجد هذا القسيس في عبد الحميد ضالّته التي ينشدها لتصبح وسيلة لتنفيذ ما يضمره هذا القسيس لميرزا غلام أحمد من عداء وإذلال وللقضاء عليه. فماذا فعل القسيس الدكتور هنري كلارك؟ الذي فعله هو أنّه أغرى عبد الحميد بمال وفيرٍ، مشترطا عليه أن ينفّذ ما يأمره به. وهو أن يحضر معه ليقدّم شهادة في المحكمة يقول فيها بأنّ ميرزا غلام أحمد قد دفعه لاغتيال الدكتور هنري مارتن كلارك. وبعد أن وافق عبد الحميد على الإدلاء بتلك الشهادة الكاذبة لدى المحكمة، فقد تقدّم الدكتور هنري كلارك بتاريخ الأول من شهر آب ١٨٩٧م بشكوى إلى محكمة قطاع أمرتسر، متّهما ميرزا غلام أحمد بأنّه قد تآمر على قتله عن طريق الشاهد عبد الحميد نفسه. وأنّ هذا الشاب قد حضر ليشهد بصحّة هذا الادّعاء. وقد حلف عبد الحميد اليمين القانونيّة وأدلى بشهادته المطلوبة منه أمام النيابة. وقد أصدرت النيابة في قطاع أمرتسر، واستنادا إلى هذه الشهادة، أمراً بإلقاء القبض على ميرزا غلام أحمد. وأرسلت هذا الأمر المذكور إلى نيابة قطاع كورداسبور الذي تُعتبر قرية قاديان تابعة له. لكنّه سُرعان ما أدركت نيابة أمرتسر عدم اختصاصها في هذه القضيّة. فحوّلت شكوى الدكتور مارتن كلارك إلى قطاع كورداسبور، وفي

الوقت نفسه طالبت نيابة كورداسبور بإعادة إصدار أمر القبض على ميرزا غلام أحمد من جانبها من جديد ، وأنها بعثت بالقضيّة إليها لعدم اختصاصها بموضوع الدعوى. وحينئذ وبعد وصول ملفّ الادّعاء المذكور إلى قاضي قطاع كورداسبور مستر إم دبليو دوجلاس. أصدر هذا الأخير إخطارا إلى ميرزا غلام أحمد للمثول أمام المحكمة ، وذلك لتقرير ما إذا كان الادعاء يقتضي حبسه على ذمّة هذه القضيّة أم إطلاق سراحه. وفي تلك الأيام أشاع الدكتور مارتن كلارك خبر ما ادّعاه على ميرزا غلام أحمد من ادّعاء كاذب بين رجال الدين البوذي وبين المشايخ الذين يعادون حضرته. ومتناسيا بأنّه كان يتآمر على مبعوث من طرف الحضرة الإلهيّة مالك السماوات والأرض العزيز الحكيم. والذي وعد ميرزا غلام أحمد عليه السلام أن يعصمه من الناس ويحفظه ويدافع عنه وراحوا جميعهم ينتظرون رؤية حضرة ميرزا غلام أحمد يمشي مكبّل اليدين بين رجال الشرطة ومُساقا إلى المحكمة في كورداسبور. وقد استجاب ميرزا غلام أحمد لأمر القاضي. فوصل محكمة بتالة بتاريخ ١٠ آي عام ١٨٩٧م. ووصل هناك الدكتور مارتن كلارك أيضاً وأدلى الدكتور أمام المحكمة بادّعائه الذي كان قد ادّعاه سابقا على ميرزا غلام أحمد في مواجهة حضرته. فاستمعت المحكمة إلى شهادة ذاك الشاهد عبد الحميد المدفوع للقيام بتلك الشهادة الكاذبة من قبل القسيس دكتور كلارك. فكان في شهادته ذكر تفصيلات لم تكن مذكورة في شهادته الأولى التي أدلى بها لدى النيابة في بتالة. وقد دفع المسيحيّون عبد الحميد ليطلب من المحكمة الإذن له بالمبيت في دار الدكتور كلارك بسبب أنّه يخشى على حياته خارج تلك الدار. والمهمّ في الأمر هو أنّ إجراءات المحاكمة دامت ثلاثة أيّام. بسبب أنّ الشيخ محمد حسين بطالوي قدّم نفسه هو أيضاً شاهدا ضدّ ميرزا غلام أحمد. وكان الشيخ المذكور متخيّلا بأنّه سيتقدّم بشهادته في المحكمة ويكون ميرزا غلام أحمد في الوقت نفسه موقوفا فيها. لكنّه لاحظ وهو يُدلي

بشهادته بأنّ ميرزا غلام أحمد كان يجلس على كُرسيٍّ في المحكمة. الأمر الذي اضطرّه لمطالبة القاضي بأن يأمر له بكرسيٍّ هو أيضاً ليجلس عليه. فرفض القاضي طلبه وأمره بتقديم شهادته وهو واقف على قدميه. لكنّ الشيخ البطالوي أصرّ على طلبه قائلا بأنّ والده كان يُقدّم له كرسي في المحكمة. فغضب القاضي عليه وقال له أنت تكذب فلا أنت ولا أبوك رحيم بخش كان يُقدّم له كُرسيّ في المحكمة. فأجاب الشيخ البطالوي بأنّ لديه وثائق تُثبت ما يقول. فانتفض القاضي غضبا ونهر الشيخ البطالوي قائلا: لا تُثرثر كثيرا وارجع إلى الوراء وقف على قدميك باحترام. وهناك حاول الشيخ البطالوي اتّهام ميرزا غلام أحمد بعدّة اتّهامات. وأثناء تقديم شهادته طلب محامي ميرزا غلام أحمد، وهو المحامي فضل الدين، طلب من الشيخ محمد حسين البطالوي أن يُبيّنَ نسبه أمام القاضي. فنهض ميرزا غلام أحمد على الفور من على كرسيّه ووضع يده على فم محاميه قائلا: إننّا لا نسمح لك بطرح هذا السؤال. فتركت تلك الأمور التي حدثت في نفس القاضي أثرا طيّبا تجاه حضرته وشكّ بالتالي في جميع ما استمع إليه من شهادات. فلما خرج الشيخ البطالوي من أمام القاضي، إلى الغرفة المجاورة المخصّصة للانتظار. سارع هناك وجلس على أحد الكراسي فيها. فتقدّم منه الخادم الذي لاحظ موقف القاضي منه قبل قليل، فأنهضه من على الكرسيّ. وبسبب هذا خرج الشيخ البطالوي من هناك ودخل غرفة الشرطة وجلس على كرسيٍّ فيها. فأرسل الضابط إليه شرطيّا برتبة عريف أنهضه من على الكرسي الذي جلس عليه وأخرجه خارج الغرفة. فخرج الشيخ البطالوي من هناك وجلس على بساط ممدود خارج المحكمة. فأتى صاحب البساط وسحبه من تحته قائلا :أنت مسلم وتكذب كلّ هذه الأكاذيب. وهكذا أذلّ الله عز وجلّ الشيخ البطالوي أمام عشرات الناس الذين تواجدوا في تلك الأثناء في المحكمة. وثبت من خلال ذلك كلّه مصداقيّة الإلهام الذي كان قد تلقّاه ميرزا غلام أحمد من قبل

وهو (**إني مهين من أراد إهانتك، وإني مُعين مَن أراد إعانتك**). وممّن شهدوا ضدّ ميرزا غلام أحمد في جلسات تلك المحاكمة المحامي بندت رام بهجدت الآريّ. فسأله القاضي ومن دعاك إلى هذه الشهادة؟ فأجاب: إني لم أتقاض أجرةً عن هذه الشهادة. وكلّ ما في الأمر أني توقّعت من وراء شراكتي فيها أنّه لعلّنا نعثر على بصيص من نور خلال مجريات المحاكمة يدلّنا على من قتل زعيمنا بندت ليكهرام. وهنا ليلاحظ القارئ فعل التصرّف الإلهي في مثل هذه القضايا. فالقاضي الكابتن دوكلاس لاحظ تناقضا في إفادة عبد الحميد من جهة. ومن جهة ثانية، فلقد تبيّن له بأنّ الشاهد عبد الحميد يقطن في المركز التبشيري وتحت إشراف المدّعي القسيس الدكتور مارتن كلارك. ولا يقطن في قرية قاديان تحت إشراف ميرزا غلام أحمد. فكيف يصحّ والحال هذه أن يؤثّر عليه حضرة الميرزا ويدفعه لاغتيال المدّعي المذكور؟ وحينئذ أمر القاضي أن يقوم مدير الشرطة بالتحقيق مجدّدا مع عبد الحميد وبدون وجود المدّعي الدكتور مارتن كلارك. فقام مدير الشرطة بتنفيذ ما أشار به عليه القاضي. فكرّر عبد الحميد نفس شهادته الكاذبة أمامه. فقال له مدير الشرطة: لا تُضع أوقاتنا، وقصّ علينا الحقيقة دون كذب. وهنا خرّ عبد الحميد على أقدام مدير الشرطة وأجهش في البكاء، واعترف له بأنّ ما شهد به إنّما لقّنه إيّاه الدكتور مارتن كلارك وبقيّة القساوسة بعد أن وعدوه بمبلغ كبير من المال. وكانوا يكتبون لي على كفّي كلّ ما أنساه حين يطلبون مني إعادة الشهادة، ليساعدني ذلك على تذكّر ما نسيته. وأراه ما هو مكتوب على يديه، ونفى أن يكون ميرزا غلام أحمد قد دفعه لاغتيال الدكتور مارتن كلارك. وأنّ قصّة شهادته هذه لا أساس لها من الصحّة. وهنا قدّم مدير الشرطة هذه الإفادة الأخيرة التي أدلى بها عبد الحميد إلى القاضي الكابتن دوكلاس. وفي تلك الأثناء علم الدكتور كلارك ما جرى. فأرسل شخصا اسمه عبد الغني عند عبد الحميد يقول له إنّ عليك أن تُعيد نفس

شهادتك الأصلية أمام القاضي، كيلا يُدخلونك السجن. فلما عاد مدير الشرطة إلى مكتبه أخبره عبد الحميد بما طلبه منه الدكتور كلارك عن طريق عبد الغني. وأجّل القاضي دوكلاس جلسة النطق بالحكم إلى تاريخ ٢٣ آب١٨٩٧. وكان المشايخ والآريون ممّن يُعادون ميرزا غلام أحمد ينتظرون يوم النطق بالحكم في هذه القضيّة بفارغ الصبر. ومعتقدين بأنّ المحكمة ستُصدر حكما قاسيا على ميرزا غلام أحمد في جلسة الحُكم، ما دام القسيس الدكتور هنري مارتن كلارك وراء هذه القضيّة. وحلّ اليوم المقرّر للنطق بالحكم. وكان الجميع متلهّفين لسماعه. فوقف القاضي الكابتن دوكلاس ونطق بقرار المحكمة مبرّئا ميرزا غلام أحمد من كلّ ما اتّهمه به الدكتور هنري مارتين كلارك. فاصفرّت وجوه جميع من انتظروا هذا القرار. ولم ينتظروا البقاء في صالة المحكمة ولو لدقائق معدودة ليتمّ القاضي كلامه. ومن ثمّ توجّه القاضي بكلامه نحو ميرزا غلام أحمد قائلا: (إنّ من حقّك أن تتقدّم بشكوى إلى المحكمة ضدّ الدكتور هنري مارتن كلارك لمقاضاته في هذا الافتراء الذي افتراه عليك. وحينئذ أجاب ميرزا غلام أحمد بكلّ عزّة وترفّع وكرامة وقال: ليس لديّ رغبة لأن أشتكي على الدكتور كلارك أمام أيّة محكمة أرضيّة، لكنّي أشكوه أمام محكمة السماء. فأنا أشكوه بين يدي القاضي الأعظم الذي يملك هذا الكون.

وبعد أن رويت للقارئ قصّة الشهادة المزوّرة التي دبّرها القسيس الدكتور هنري مارتن كلارك، القسيس الذي كان يترأس المركز التبشيري المسيحي في مدينة بتاله. والتي تدخّلت العناية الإلهيّة فبرّأته منها، مصداق ما كان قد تلقّاه حضرته من وعدٍ إلهي بنجاته منها ومن كيد أعدائه له. أُذكّر هذا القارئ بما كان قد جرى للمسيح ابن مريم الناصري الذي ضغط اليهود على الحاكم الرومانيّ ليصلبه وليميته عليه. وكيف نجّاه ربّه من الموت على الصليب بتدبير من

بيلاطس نفسه الذي خاف من اليهود وبين ما جرى لميرزا غلام أحمد مثيل المسيح ابن مريم الذي كاد القساوسة ضدّه عند هذا القاضي الذي لم يخف من القساوسة وغيرهم، وأعلن براءة ميرزا غلام أحمد من تلك التهمة الباطلة، بجرأة القاضي الشريف العادل، وفي وقت كان هؤلاء القساوسة يدينون بدينه وبعقائده. ويمكن للقارئ تصوّر المهانة الشديدة ونظرات الازدراء التي كانت قد صُبّت على رأس الأب دكتور هنري مارتن كلارك، بعد أن انكشفت مكيدته وفُضحت جريمته. هذا وإنّي تدبّرت الأناجيل الحاضرة، فتبيّنت لي خيوط ذاك التدبير الذي اتّخذه الحاكم الروماني بيلاطس لإنقاذ المسيح من الموت الصليبي الذي أراده له أعداؤه اليهود. وكتبت مؤلّفا باسم (هل مات المسيح على الصليب)؟ أثبتّ فيه معالم ذاك التدبير الذي دبّره الحاكم الروماني بيلاطس المشار إليه لإنقاذ المسيح ابن مريم. فمن الناس من فاجأهم مضمون هذا الكتاب، لرسوخ عقيدة موت المسيح على الصليب في أفئدتهم. أما بما يتعلّق بهذا الحاكم البريطاني الذي تجرّأ فعمل على القانون الذي كان بين يديه من دون النظر إلى غضب رجال الكنيسة عليه من أجل تطبيقه، فقد أراح كلّ باحث عن الحقيقة، وأراحني من كتابة مؤلّف جديد بهذا الخصوص. ويكفي أن أقول بأنّ هذا القاضي البريطاني احتلّ مكانا عظيما في قلوب الذين بايعوا ميرزا غلام أحمد وإلى درجة دفعتهم إلى تتبّع حياة هذا القاضي المذكور. فكان كثير منهم يزورونه بعد أن تقاعد في بلده لندن. وإلى حين وفاته بتاريخ ٢٥ شباط عام ١٩٥٧م عن عمرٍ ناهز ثلاث وتسعين عاما. وكان هذا القاضي كلّما زاره أحد منهم يقول لزائره: إنني تبيّنت عظمة شخصيّة ميرزا غلام أحمد في ذاك التاريخ الغابر من الزمان. لكنّه لم يخطر ببالي وقتئذ ولو للحظة بأنّ جماعة ميرزا غلام أحمد التي أسّسها في حياته ستزداد أعدادها كثيرا وتنتشر فروعها في جميع بقاع العالم كما هو حادث في زماني هذا جهارا.

ومن عجيب التدبير الإلهي أنّ المرحوم يعقوب علي عرفاني الذي أتيت على ذكره من قبل، كان يكتب خلال أيّام المحاكمة التي أتيت على ذكرها، مقالات يصف فيها ما كان يجري من أحداث وأقوال في المحكمة ويرسل بمقالاته إلى الصحف المشهورة لتنشرها. لكنّ عداوة أصحاب الصحف لميرزا غلام أحمد كانت تدفعهم للامتناع عن نشر تلك المقالات. الأمر الذي حرّك في نفس المرحوم يعقوب علي العرفاني إصدار صحيفة باسم (الحَكَم) فابتدأ بإصدارها من مدينة أمرتسر تحت الاسم المذكور في نفس عام ١٨٩٧م. ومن ثمّ فقد نقل مركز إصدارها إلى قرية قاديان في العام التالي لخدمة ما تتطلّبه أمور الجماعة الإسلامية الأحمديّة. وبذلك فقد شكّلت هذه الصحيفة (الحكم) أوّل صحيفة تُصدرها جماعة هذا المجدّد ميرزا غلام أحمد. ونال المرحوم من وراء إصدارها أحسن الدعاء والثواب.

فلمّا ازداد تهجّم الآريين الهنود والقساوسة المسيحيون في صحفهم وكتبهم ومنشوراتهم على تعاليم الإسلام وعلى نبيَ الإسلام محمد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم، وبكلمات بذيئة وجارحة تحت سمع الحكّام الإنكليز المستعمرين الذين كانوا وراء مجيء الإرساليات التبشيرية المسيحيّة إلى الهند لتنصير أهلها. فقد تقدّم ميرزا غلام أحمد خلال شهر أيلول من عام ١٨٩٧م بعريضة موقّعة من ألوف المسلمين إلى حاكم الهند البريطاني، واصفا في تلك العريضة المذكورة بأنّ الباعث على الفتنة والفساد الذي كان يحصل هنا وهناك في أرجاء الهند يرجع سببه إلى الصراع الدينيّ الدائر في البلاد. لذلك يقترح أصحاب هذه العريضة لمعالجة ما يحدث في الهند من فتنة وفساد الاقتراحات التالية: **أولاً** - أن تسنّ الدولة قانونا يسمح لأتباع كلّ دين بشرح محاسن دينهم ويحظُر عليهم في الوقت نفسه التهجّم على معتقدات غيرهم من الأديان. وفي حال سنّ هذا القانون، فلن تتأثر حريّة الاعتقاد بأيٍّ أذى. ولن يحدث تحيُّز من خلاله إلى أيّ طرف من أطراف

هذا الصراع الديني المشار إليه. ولا يحقّ لأتباع أيّ دين حينئذ أن يُزعجهم سنّ هذا القانون. **ثانيا** – فإن لم تتّفق الحكومة مع اقتراحنا هذا، فعلى الأقلّ أن تمنع تهجّم كلّ طرف من أطراف هذا الصراع الدينيّ المشار إليه على الطرف الآخر وأن يكتفوا بنقد ما يريدون نقده من معتقدات بأسلوب موضوعيّ مؤدّب. **ثالثا** – فإن لم توافق الحكومة على الاقتراح الثاني المذكور، فلتأمر ممثّلي كلّ دين أن يسلّموها قائمة بأسماء الكتب التي يعتقدون بها في دينهم. فإذا فرغت الحكومة من هذه الخطوة، فلتسنّ قانونا تحظر فيه على أتباع كلّ دين التهجُّم على الآخرين وبما هو خارج إطار ما قدّموه من كتب يقدّسونها. كيلا يتولّد عن ذلك التطاول بُغضا وعداوة بين الطرفين يتطوّر من سيّء إلى أسوأ مع توالي الأيام. والسؤال هنا: هل أعطت الحكومة أذنا صاغية لهذه العريضة التي قدّمها ميرزا غلام أحمد إلى الحكومة والتي ذكرناها؟

والجواب هو أنّ الحكومة البريطانية لم تُعطِ لما ورد في هذه العريضة التي ذكرناها أيّ أذنٍ صاغية، بسبب أنهم إذا سنّوا قانونا يوافق مُعطياتها، فإنّ باب التبشير بالمسيحيّة سيضيق جدًا. ويُفتح بعده باب شرح تعاليم الإسلام ونشرها على مصراعيه. ومن باب أنّ الكتب التي يقدّسها هؤلاءَ القساوسة لا توازي تعاليمها شيئا في مقابل ما في هذا القرآن الكريم من تعاليم وأحكام وأحاديث نبيّ الإسلام من معارف وعلوم. وبالتالي فقد بقي الصراع الديني والتهجّم على الإسلام ونبيّه سجّالا من قبل مراكز التبشير المسيحي التي كانت منتشرة هنا وهناك في مختلف مدن الهند.

وفي نهاية عام ١٨٩٧م انعقد الاجتماع السنويّ الذي كنت قد أتيت على ذكر اقتراحه وقد ألقى ميرزا غلام أحمد فيه ثلاثة محاضرات. إلى جانب أنّ الحاج نور الدين بهيروي قد ألقى فيه محاضرتين. كما ألقى فيه الأستاذ عبد الكريم

محاضرتين أيضاً. وقد طُبعت جميع تلك المحاضرات وهي التي إذا طالعها القارئ يجدها زاخرةً ببيان حقائق ومعارف كثيرة.

أما ما يخصّ ما تحقّق على أيدي ميرزا غلام أحمد خلال عام ١٨٩٧م من مؤلّفات أُضيفت إلى ما سبق لنا أن ذكرناه من مؤلّفاته. فقد تحقّق في العام المذكور تأليف ستّة مؤلّفات وهي: **أولاً** – كتاب (إشاعت أنجام آتهم)، وقد تضمّن هذا المؤلّف كلّ ما حدث بما يتعلّق بالعاقبة التي آل إليها القسيس عبد اللّه آتهم. **ثانيا** – وكتاب (تصنيف وإشاعت استفتاء). وقد تضمّن النبوءة المتعلّقة بمصير الزعيم الآري بندت ليكهرام وبجميع مُجريات تلك الأحداث التي رافقت تلك النبوءة وإلى حين مقتله. وأرسل حضرة الميرزا نسخة من هذا المؤلّف إلى مشاهير العقلاء والمفكّرين يستفتيهم فيه عن مدى تحقّق تلك النبوءة. وقد وردته قرابة أربعة آلاف رسالة من طرف الذين استلموا نسخة من الكتاب المذكور يسلّمون بتحقّقها. وقد نشر حضرة الميرزا بعض مضامين تلك الرسائل في مؤلّفه (ترياق القلوب). **ثالثا** – واسم المؤلّف الثالث (السراج المنير). وقد تضمّن هذا المؤلّف ٣٧ كرامة تحقّقت على أيدي ميرزا غلام أحمد. وقد عدّدها جميعها في الكتاب المذكور ومقرونة بجميع ما يوثّقها. **رابعا** – وألّف كتابا باسم (تحفة قيصريّة) وهو الكتاب الذي أتيت على ذكره من قبل، وكتبه حضرته بمناسبة عيد ميلاد الملكة فكتوريا. والذي شرح فيه للملكة تعاليم الإسلام ونقائص العقائد المسيحيّة ودعاها فيه إلى اعتناق الإسلام.

خامسا – وألّف حضرته كتابا بعنوان (حجّة اللّه) وباللّغة العربيّة الفصحى. وأتمّ تأليفه خلال شهر فقط. ونشره بتاريخ ٢٦ مايس ١٨٩٧م وخاطب حضرته في هذا الكتاب الشيخ عبد الحق غزنوي والشيخ النجفي بشكل خاص، متحدّيا إياهما أن يكتبا رسالة باللّغة العربيّة خلال شهر إن كان فيهما غيرة وحياء. ولتُعرض رسالتيهما وكتابه على الشيخ عبد اللّه تونكي أو على عالم آخر

مختصّ باللّغة العربيّة، لمطالعة هاتين الرسالتين والقيام بمقارنتهما من حيث اللّغة العربيّة، وليعطي هذا رأيه إن كانت هاتان الرسالتان على مستوى واحد في الفصاحة والبلاغة وطرح الحقائق والمعارف بالمقارنة مع كتاب (حجّة اللّه) أو كان الأمر خلاف ذلك. على أن يقدّم رأيه مؤكّدا بالقسم طالبا من اللّه تعالى أن يُنزل به العذاب خلال شهر إن كان متحيّزا. وأضاف حضرته وقال: إن حدث أن شهد هذا الحكَم ضدّ مؤلّفي فإني على استعداد لحرق مؤلفاتي والتوبة على يديه.

سادسا – والكتاب السادس الذي نشره حضرته في هذا العام كان عنوانه (جواب أسئلة القسيس سراج الدين الأربعة). وقد نشره بتاريخ ٢٢ حزيران ١٨٩٧م ردًا على الأسئلة الأربعة التي طرحها أستاذ من أساتذة المركز التبشيري المسيحي في مدينة لاهور. وعلى هذه الصورة أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ الأحداث التي عرضت عام ١٨٩٧م والمتعلّقة بهذا المجدّد ميرزا غلام أحمد مثيل ابن مريم عليه السلام، والذي كان يُمضي جلّ أوقاته في الدفاع عن الإسلام. وتربية أفراد الجماعة التي أمره ربّه عز وجلّ بإنشائها لتُصبح نواة وحدة إسلاميّة في مُقبل الأيام. ولذلك أنتقل ممّا ذكرته لإعطاء القارئ فكرة عن أهمّ الأحداث التي عرضت لميرزا في العام الذي يليه.

الفصل الثاني عشر

أحداث عام ١٨٩٨م

مطالبة الجباية بضريبة على التبرّعات | إثبات عدم وجود كلمة (سماء) في الأحاديث
الإنباء عن انتشار الطاعون في بنجاب | القانون ٥٣/ب ومنع التشهير بمؤسّسي الأديان
اتهام حضرته بصلته بحاكم أفغانستان | رسالة (كشف الغطاء) وتوعية الحكومة
الدكتور محمد إسماعيل خان واستفتاؤه المشايخ

كان الملاحظ أنّ أعداء ميرزا غلام أحمد من الذين أقاموا عليه دعوى كاذبة وفشلوا فيما أقدموا عليه. أنّهم راحوا يفكّرون في أسلوبٍ آخر جديد لمضايقته وللتخلّص منه. خصوصا بعد ملاحظتهم ازدياد أعداد مبايعيه بصورة مُلفتةٍ للأنظار، وتدفّق التبرّعات المالية عليه الأمر الذي عاد يمكّنه من الاستمرار في تنفيذ مشاريعه الدينيّة. فبدافع من هذا الحسد الذي ذكرناه، فقد سلّطوا عليه جابياً هندوكيّا من جُباة ماليّة مدينة بتاله. فاقام هذا الجابي المالي المشار إليه دعوى قضائيّة على ميرزا غلام أحمد في محكمة بتاله، بأنّها تدخل على ميرزا غلام أحمد أموال طائلة ولا يدفع للمالية أية ضرائب عنها. وكان تقديره بأنّ تلك الضرائب غير المدفوعة قد بلغت حتى تاريخ إقامة الدعوى خمسة آلاف ومائتي روبيّة. وفي تلك الأيام التي أقام المذكور تلك الدعوى على حضرته شاهد ميرزا غلام أحمد في تلك الأيام كشفا روحيّا أخبره ربّه فيه بأنّ هذا الهندي الذي أقام عليه الدعوى سيتبدّل بجابيٍ آخر مسلمٍ. وهذا الثاني سيقف إلى جانبه وتتبدّل الأمور لصالحه. والحقيقة فقد لوحظ في تلك الأيام بأنّ ماليّة تلك المنطقة استبدلت الهنديّ المشار إليه بجابي آخر مسلمٍ فجأةً، واسمه تاج الدين. فحقّق هذا الأخير فيما كان ذاك الهنديّ قد تقدّم به إلى محكمة بتاله، فتبيّن له بأنّ تلك الأموال التي كان ميرزا غلام أحمد يتلقّاها من أتباعه. لم تكن لتزيد في

أملاكه وثروته شيئا. ولكنّه كان يُنفقها في خدمة مصالح دينه. ولذلك فلا ينبغي عليه أن يدفع عنها ضرائب لخزينة الدولة. فتقدّم هذا الجابي المسلم بتاريخ ٣١ آب ١٨٩٨م بتقريره الذي توصّل رأيه إليه إلى محافظ منطقة كورداسبور مستر تي. ديكسن ليفصل في هذه القضيّة من جانبه. فأجاب المحافظ المذكور بأنّه يتّفق مع رأي تقرير الجابي الجديد المشار إليه خصوصا وأنّه ثبت عدم وجود سوء نيّة لميرزا غلام أحمد بتملّك ما يصله من تلك الأموال. وأصدر بالتالي استثناء استثنى من خلاله ميرزا غلام أحمد من دفع مبلغ ٥٢٠٠ روبيّة المطالب بدفعها في الدعوى المقامة عليه. وبهذه الصورة فقد تحقّق صحّة ما أنبأ اللّه تعالى ميرزا غلام أحمد عنه بطريق الكشف الروحي والذي بشّره ربّه فيه بأنّ تطوّرات ستحدث لصالحه. وفشلت بذلك تلك الجهود التي بذلها أعداء ميرزا غلام أحمد للنيل منه بواسطة الدعوى التي أتينا على ذكرها.

وفي نفس عام ١٨٩٨م فقد لاحظ ميرزا غلام أحمد بأنّها كانت تأتيه من جهات عديدة تقارير يشكوا فيها أصحابها من أنّ أزواج بنات لهم أحمديات كانوا قد زوّجوهنّ من مسلمين غير مبايعين، بأنّ هؤلاء يعذّبون بناتهم ويلمزون جانبهن لكونهنّ قد بايعن ميرزا غلام أحمد الذي أفتى المشايخ بكفره. وبعد أن تراكم ما وصل حضرته من شكاوى بهذا الخصوص. وأحسّ بخطر تأثير أولئك الأزواج على أبنائهم في المقبل من الأيام. نشر حضرته منشورا بتاريخ السابع من شهر حزيران عام ١٨٩٨م تكلّم فيه عن هذا الموضوع. وخاطب فيه أتباعه الذين بايعوه على تطبيق تعاليم الإسلام مقترحا عليهم أن يتوقّفوا عن تزويج بناتهم من أفراد غير المبايعين. وأنقل للقارئ بعضا ممّا أورده حضرته في خطابه ومترجما إلى اللّغة العربيّة. قال: **(وبما أنّ اللّه تعالى قد تفضّل على جماعتنا بخالص عنايته، فزاد أعداد أفرادها بشكل ملحوظ قد تجاوز معه عشرات بل مئات الألوف. لذلك، وبقصد تقوية عرى الأخوّة فيما بين أفراد هذه الجماعة. وللمحافظة على صلة القربى بينهم. ولصيانة أبنائهم**

وبناهم من أخطار الزواج من أفراد من خارج هذه الجماعة. وبعد أن وصـل المشـايخ إلى درجة كبيرة من العداوة والبخل والعناد والتعصّب الذي ألقى ويُلقي بآثاره السـيّئة علـى جماعتنا، وإلى درجة عاد من غير الممكن تحمّل تلك الآثار السيّئة. ما لم يتوب هـؤلاء عمّـا يفعلونه ويُقدمون عليه، وينضمّون إلى جماعتنا التي لم تعُد هي بحاجة إليهم وإلى أموالهم ولا إلى وجاهتهم ولا إلى علمهم وفضلهم. وهي أشياء باتت جماعتنا غنيّة بهذه يقينا وبكثرة ظاهرة. فلهذا السبب فلم يعُد أفراد جماعتنا بحاجة ليرتبطوا بهؤلاء الذين يكفّروننا ويلقّبوننا بدجّالين ويبرّئون أنفسهم من هذه الاتّهامات التي ينشرونها بين الناس كذبا وبهتانا). وانتهى حضرته من ذلك كلّه ليقول: (**فتذكّروا بأنّ الأشخاص الذي لا يستطيعون ترك تلك العلاقات مع هؤلاء الذين أشرنا إليهم، فلا يليق بهم الانضمام إلى جماعتنا... وإنّ من واجب المؤمن التقيّ أن يتقيّد بما ذكرنـاه.**).. وما أن وصل هذا المنشور إلى أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة إلا وأخذ أعضاؤها في تنفيذ ما أشار عليهم به حضرته. وباتوا يحذرون بعد ذلك من تزويج بناتهم للشباب الذين لم يبايعوا إمامهم ولم ينضموا إلى جماعته منذ تاريخ وصول المنشور المذكور إليهم. وكان المشايخ في تلك الأيام يحرّضون الناس ويقولون لهم ها كم انظروا كيف أنّ هذا الكافر ميرزا غلام أحمد يُكذّب قول اللّه تعالى بحقّ عيسى ابن مريم ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ ويزعم بأنّ عيسى قد مات. ويكذّب حديث محمد رسول اللّه القائل (كيف أنتم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم؟). وكيف والحال هذه لا يكون كافرا؟

ولمّا كان المشايخ قد دأبوا على تكفير حضرة الميرزا من هذا المنطلق الذي ذكرناه. فقد ألّف حضرته كتابا باسم (البريّة) وقد أشاعه بتاريخ ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٩٨م خاطب فيه هؤلاء المشايخ الذين دأبوا على تضليل الناس بهذا الأسلوب، وممّا قاله فيه مخاطبا إيّاهم وترجمته:

(فإن طالبناكم أيها المشايخ وقلنا ما هو دليلكم الذي يُثبت بأنّ عيسى عليه السلام رُفِعَ إلى السماء بجسمه العنصريّ؟ فلا نراكم تقدّمون من جانبكم أيّة آية ولا أيّ حديث نبويّ.

بل تتناولون لفظ (النزول) الوارد في الحديث المذكور، وتُقرنون لفظ النزول من طرفكم بكلمة (السماء) وتضلّلون بهذه العمليّة الناس وبهذا الأسلوب من الافتراء. وفي وقت لم ترد فيه كلمة النزول من (السماء) في أيّ كتاب حديث مرفوع متّصل. علما بأنّ كلمة (نزول) تستعمل في محاورات العرب للضيف النزيل تأدّباً معه فيسأله مُضيفُه: أين نزلت؟ ولا يقصد بسؤاله هذا حينئذ بأنّ ضيفه هذا قد نزل من السماء. فإن أنتم راجعتم كُتبَ أحاديث جميع الفرق الإسلاميّة، فلن تعثروا فيها جميعها على أيّ حديث صحيح كان أو كان وضعيا قد ورد فيه بأنّ عيسى ابن مريم قد رُفعَ بجسمه العنصريّ إلى السماء. وأنّه نازلٌ في يوم ما من السماء إلى الأرض. فإن عثر شخص ما على مثل هذا الحديث، فأنا على استعداد لمكافأة هذا الشخص بمبلغ عشرين ألف روبيّة نقدا ونتوب على يديه ونحرق أمامه جميع ما كتبناه من مؤلّفات حتى هذا التاريخ).. وقد بعث حضرته هذا المؤلّف إلى عدد كبير من المشايخ. فبدلا من أن يتدبّر أولئك المشايخ الذين استلموا الكتاب المذكور ما فيه وليردّوا على ما أورده فيه حضرته بأسلوب علميّ. فإنّهم كانوا يزدادون غضبا على غضب وغيظا على غيظ من ميرزا غلام أحمد. ويكثرون من تكفيره وتضليل الناس بالأسلوب الذي أوردناه.

وفي السادس من شهر شباط عام ١٨٩٨م شاهد ميرزا غلام أحمد في منامه **(بأنّ ملائكة الله تعالى تزرع في مختلف الأمكنة من منطقة بنجاب أغراساً قصيرةً سوداء لها أشكال مخيفة وفي منتهى البشاعة. فسأل حضرته أولئك الغارسين عن نوع تلك النباتات؟ فأجابوه قائلين إنّها أشجار الطاعون الذي سينتشر قريبا في هذه المنطقة)**.. فنشر ميرزا غلام أحمد في اليوم التالي إعلانا أطلع الناس فيه على ما شاهده في منامه. وخاطب الذين يُصغون إلى الفتاوى الصادرة ضدّه من قبل المشايخ ناصحا إيّاهم بأنّه حين يظهر الطاعون في قراهم وحفاظا على صحّتهم أن تنعقد في الساحات العامة في قراهم مجالس وعظ دينيّ ضدّ عصيانهم لأوامر الله تعالى. وأن يبتعدوا عن السفر

بعد ظهور المرض إلى قرى أخرى غير قراهم كيلا ينقلوا معهم عدوى الطاعون إليها.

فلما وصل الإعلان المذكور إلى أيدي المشايخ الذين يكذّبون ميرزا غلام أحمد ويكفّرونه اعتبروا مضمون هذا الإعلان سببا ليزيد في استهزائهم به. كذلك أخذ أصحاب الصحف اليوميّة يكتبون في صحفهم مقالات يستهزئون فيها بما ورد في إعلان ميرزا غلام أحمد المشار إليه. وقائلين بأنّ ميرزا غلام أحمد يخوّف الناس من الطاعون على حين أنّه هو نفسه قد أصبح طاعونا. ومضى ذاك الشتاء الذي نشر فيه ميرزا غلام أحمد ما رآه في منامه، وما قدّمه للناس من نصائح أسداها لهم إذا ما ظهر هذا الطاعون المنبأ عن ظهوره في قراهم. وجاءت أشهرُ الشتاء الذي جاء بعده وإذ بمرض الطاعون يظهر في قضائي جالندهر وهوشياربور. وانتشر بعدها في ٢٣ أقضية في بنجاب بكثرة وبسرعة أربكت حكومة تلك المنطقة. فلم يعد باستطاعة أعضاء الحكومة تدارك أمر هذا الوباء. وقد مات بمرض الطاعون ووفق الإحصائيات الرسميّة مائتان وستّ عشرة ألف نفس هناك. وأما في قرية قاديان نفسها، فقد تلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما ونصّه (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ. إنّه آوى القرية**). وفهم حضرته منه بأنّ الله تعالى سيحفظ قريته من شرّ مرض الطاعون. لذلك صنّع ميرزا غلام أحمد بسرعة دواءً خاصا لمرضى الطاعون. وقد صنّعه بتأييد من جانب ربّه عز وجلّ وسمّاه (ترياق إلهي) ومعناه **علاج سماويّ**. وقد نشر حضرته إعلانا بتاريخ ٢٣ تموز ١٨٩٨م ذكر فيه التركيب الذي صُنعَ منه هذا الدواء. ومُعلنا بأنّه دواء صنّعه بتوجيه بإلهام ربّه عز وجلّ. كذلك صنّع حضرته مرهما لتُدهن به جراح المرضى وسمّاه باسم (مرهم عيسى) واستند في تصنيعه إلى كتب الطبّ القديمة والمشار فيها إلى أنّ حواريي المسيح قد صنّعوا هذا المرهم لمداواة جروح المسيح. وبعد أن انتشر مرض الطاعون بكثرة في منطقة بنجاب. فقد تلقّى ميرزا غلام

أحمد إلهاما ونصّه (يا مسيح الخلق عَدوانا). وفهم حضرته منه بأنّ كثيرا من الناس سيعودون عن تكذيبهم إياه، وسيقبلون على مبايعته. وقد صدّقت الأيام تأويل حضرته لهذا الإلهام. وبايع بعد ذلك عشرات ألوف الناس ميرزا غلام أحمد وهم يطلبون منه الدعاء ليصونهم ربّهم جلّ شأنه من عدوى الطاعون.

وفي عام ١٨٩٨م أيضاً نشر رجل اعتنق المسيحيّة وكان اسمه أحمد شاه كتابا بعنوان (أمّهات المؤمنين). ذكر فيه زوجات محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بأقذر الألفاظ، ووزّع من الكتاب المذكور ألف نسخة مجانا بين المسلمين. فتقدّم أعضاء جمعيّة حماية الإسلام التي كان مركزها في مدينة لاهور، فتقدّم سكان لاهور بعريضة إلى حكومة منطقة بنجاب طالبوهم فيها ضبط نُسخ الكتاب المشار إليه ومصادرتها. فلمّا وصل خبر هذا الكتاب إلى علم ميرزا غلام أحمد نشر منشورا بتاريخ الرابع من شهر مايس عام ١٨٩٨م أعلن فيه إلهاما تلقّاه وهو (ستذكرون ما أقول لكُم وأفوّض أمري إلى اللّه). وقد ذمّ حضرته في الإعلان المشار إليه تلك الخطوة التي أقدم عليها أعضاء جمعيّة حماية الإسلام. ومتسائلا فيه عن الفائدة التي سيجنونها من مصادرة كتاب كان قد وُزّع منه ألف نسخة بين المسلمين؟ وبيّن لهم بأنّ الأجدر بهم أن يردّوا على الكتاب المذكور وأن يوزّعوا ردّهم عليه بين المسلمين. خصوصا وأنّ المسيحييّن قد نشروا حتى تلك اللّحظة عشرات ألوف الكتب التي تجرح مشاعر المسلمين. ونبّه حضرته في منشوره المذكور هؤلاء الناس إلى أنّ معالجة هذه المسألة تقتضي الردّ أولاً بأوّل على كلّ كتاب يصدر عن مراكز هؤلاء المسيحيين. فإن حظرت الحكومة نشر تلك الردود فمن واجبها أن تحول دون نشر كتب المراكز التبشيرية المسيحيّة التي تجرح مشاعر المسلمين. وقد أرسل حضرته نسخة من منشوره هذا إلى حكومة بنجاب أيضاً. لكنّ حكومة الإنكليز التي كانت تحكم منطقة بنجاب لم تُبالِ بمطالبة عريضة جمعيّة حماية الإسلام، ولا أخذت

بمطالبة المنشور الذي أصدره ميرزا غلام أحمد بعين اعتبارها أيضاً. وكيف تعمل على اقتراحات المسلمين وتحدّ من نشاط مراكز الإرساليات المسيحيّة وهي نفسها التي كانت قد جاءت بها لتنصير سكّان شبه القارة الهنديّة؟ فاستغلّت مراكز التبشير المسيحيّ صمت الحكومة وعدم اتّخاذها أيّ إجراء. وزادت من نشر كتب تجرح مشاعر المسلمين وإلى درجة تسبّبت في هياج الجماهير المسلمة. الأمر الذي اضطر الحكومة فيما بعد إلى سنّ القانون ١٥٣/ب الذي اعتبروا فيه توهين مؤسّسي سائر الأديان السماوية مخالفا للقانون. وهو القانون الذي حضّ من خلاله ميرزا غلام أحمد الحكومة على سنّه في منشوره الذي ذكرناه. وعلى أثر إعلان هذا القانون امتنع بعده الآريون والمسيحيون من الإقدام على نشر كلّ ما يجرح مشاعر المسلمين. وابتدأت بذلك مرحلة جديدة من الصراع الديني كان مجرّداً من مسّ أيّ طرفٍ بمشاعر الأطراف الأخرى من أصحاب مختلف الأديان. وعاد القساوسة ينقدون الإسلام دون تجريح للمشاعر. وعلى هذه الصورة فلو أنّ جمعيّة حماية الإسلام كانت قد استجابت لرأي ميرزا غلام أحمد في الوقت المناسب واكتفت بالردّ على كلّ كتاب ينشره القساوسة ضدّ الإسلام بأسلوب علمي وبموضوعيّة لكانت أتت استجابة طلبهم بهذه النتيجة. وقد ذكرت القانون ١٥٣/ب الذي أصدرته الحكومة إثر هياج المسلمين عليها. والذي حظرت بواسطته توهين مؤسّسي سائر الأديان السماويّة. فقد حدث أنّ نُخبةً من أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة، وبعد أن لاحظوا استمرار الشيخ محمد حسين البطالوي في عداوته لميرزا غلام أحمد وسعيه المستمرّ لإيذائه. نشروا منشورا في تشرين أول عام ١٨٩٨م خاطبوا فيه جمهرة المسلمين أن يدفعوا بالشيخ محمد حسين البطالوي للدخول في مباهلة مع ميرزا غلام أحمد، ومن أجل أن تكون هذه المباهلة حاسمة للنزاع القائم المستمرّ بين الطرفين. وتعهّدوا بدفع ألفين

وخمسمائة روبيّة للشيخ المذكور إن هو فاز في دخول مباهله مع ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

والذي حدث أنّه بدلا من أن يعمل الشيخ المذكور وأتباعه على ما ورد في المنشور الذي ذكرناه. فقد دفع الشيخ البطالوي أحد تلاميذه وهو الشيخ محمد بخش جعفر زتلي ليتصدّى لميرزا غلام أحمد. فنشر هذا الأخير إعلانا بتاريخ ٣١ تشرين أول ١٨٩٨م هاجم فيه حضرة الميرزا بأقذع الألفاظ. كما دفع الشيخ البطالوي تلميذا آخر من تلاميذه وهو الشيخ أبو الحسن تبتي لنشر إعلان آخر على نفس المستوى من الانحطاط في ألفاظه. ووصل خبر هذين الإعلانين إلى علم ميرزا غلام أحمد فلم يأبه لهما. ولكنّه توجّه بالدعاء بين يدي ربّه عز وجلّ، وبكلّ ضراعة ليحسم أمر هذين الشخصين من عنده. فتلقّى من جانب ربّه إلهاما باللّغة العربيّة ونصّه: **(أتعجبُ لأمري جزاء سيئة سيّئةٌ بمثلها، وترهقهم ذلّة، مالهم من الله من عاصم. فاصبر حتّى يأتيَ اللّه بأمره. إنّ اللّه مع الذين اتّقوا والذين هم مُحسنون)**..
وفوجئ حضرته بعد ذلك ومساء اليوم الأخير من شهر تشرين أول ١٨٩٨م بحضور مدير الشرطة ومعه عدد من مرؤوسيه الشرطة، وطلبوا من حضرته تفتيش أمكنة إقامته. بحجّة أنّها وصلتهم أخبار تفيد بأنّك على علاقة بأمير كابل في أفغانستان. وأنّك تُحضّر للانقضاض على الدولة. فنفى ميرزا غلام أحمد أن يكون لهذا الاتّهام من حقيقة. وقال إنّه على العكس من ذلك فإننا دأبنا على التصريح بشكرنا لهذه الحكومة التي نشرت حرّية التعبير الدينيّة والتي حاولت إقامة العدل والإنصاف بين المواطنين. ولهذا فليس من عقيدتنا أن نرفع السيف عليها من أجل نشر تعاليم الدين الإسلاميّ. فنحن ننشر محاسن تعاليم الإسلام، ولسنا بحاجة إلى السيف للدفاع عنه. وهنا وأثناء هذا الحوار آن وقت صلاة العشاء. فاستأذن حضرته مدير الشرطة أن ينتظر حتّى فراغه وجماعته من الصلاة. فأقاموا الصلاة. وصلّى الأستاذ عبد الكريم السيالكوتي إماما

بالمصلّين. وتلا سورة الفاتحة وسورة بعدها بخشوع تام، وإلى درجة أجهش معه جميع المصلّين بالدعاء والبكاء. فتركت تلك الصلاة وما حدث خلالها أثرا بالغا في نفس مدير الشرطة الذي تقابل بعدها مع ميرزا غلام أحمد وقال له: إني أصبحت على يقين الآن بأنك وجماعتك أتقياء ولا يُخشى بعد اليوم من جانبكم شيئا. وأنّ جميع ما وصلنا من أخبار من طرف أعدائكم إنّما هي مجرّد أكاذيب وافتراءات. لهذا لم أعُد بحاجة لتفتيش منزلكم وانكفأ عائدا من حيث أتى. والذي تبيّن بعد ذلك هو أنّ الشيخ محمّد حسين بطالوي كان هو الذي رفع تقريرا إلى الحكومة البريطانيّة قال فيه بأنّ ميرزا غلام أحمد ادّعى المهدويّة. ادّعى هذه العقيدة السائدة لدى المسلمين من أنّ المهدي حين يظهر يقتل الكفّار. وهو يعتبركم من الكفار الذين يستحقّون القتل. وهو يتعاون في ذلك مع أمير أفغانستان. وعليه فستواجهون ما واجهتموه في السودان من قبل حين ظهر هناك رجل زعم بأنّه المهدي، وخضتم معه الحرب، فاحذروه. وكان هذا التقرير الذي كان البطالوي قد رفعه إلى الحكومة البريطانيّة هو الذي دفع تلك الحكومة لإرسال الشرطة لتفتيش منزل ميرزا غلام أحمد. وعلى هذه الصورة انكشفت الحقيقة أمام أعين ميرزا غلام أحمد. فألف حضرته رسالة بعنوان (كشف الغطاء) تقدّم بها إلى الحكومة أطلعها من خلاله على أُصول عائلته من جهة وعلى عقيدته التي يعتنقها في موضوع المهدويّة والمخالفة لعقيدة الشيخ البطالوي. وفنّد بالتالي جميع ما قام ويقوم به الشيخ البطالوي من تضليلٍ للجماهير. وآخر ما قام به هو تضليل الحكومة بمزاعمه الباطلة.

والذي فعله الشيخ البطالوي بعد تلك التطوّرات التي أتينا على ذكرها، أنّه كتب في مجلّة (أهل الحديث) التي يُصدرها شخصيا. أقول إنّه كتب مقالا فيها باللّغة الإنكليزيّة أعلن فيه بأنّه لا يعتقد بمجيء مهديٍّ في هذه الأمة. وأنّه ينظر إلى الأحاديث التي تكلّمت عن ظهور مهديٍّ آخر الزمان على أنّها أحاديث

مشكوك فيها. وقد أطلع الدكتور محمد اسماعيل خان كوريانوي ميرزا غلام أحمد على تلك النسخة التي تضمّنت المقال المشار إليه. واستأذن من حضرة الميرزا أن يأذن له بالقيام باستفتاء عدد من المشايخ المعروفين في هذا المجال. من أجل أن يكشف بواسطته كذب الشيخ البطالوي فيما أورده في مجلّته بخصوص عقيدة المهدويّة. وكتب هذا (إستفتاء) ومضمونه (ما هي فتوى علماء الدين ومفتييّهم في رجل مسلمٍ يرفض بصورة قطعيّةٍ الأحاديث التي أنبأت عن ظهور مهديٍّ موعود به في آخر الزمان ويكون خليفة ظاهرا وباطنا ومن بني فاطمة. هذه العقيدة المُجمع عليها بين أهل السُنّة. والذي يعتبرها مجرّد لغو لا أصل له. والذي يعتقد هذا الاعتقاد الذي هو أقرب إلى الإلحاد والضلال. فهل تعتبرونه أنّه من أهل السنّة ويسير على الصراط المستقيم؟ أو أنّه كذّابا وتاركا لحبل إجماع الأمة؛ ومُلحدا ودجّالا؟ بيّنوا وتؤجروا). وأرّخ هذا بتاريخ ٢٩ تشرين أول عام ١٨٩٨م موافق ١٥ شعبان المبارك عام ١٣١٦ هجري، وبتوقيع السائل المعتصم بالله الأحد ميرزا غلام أحمد عافاه الله وأيّد. ومن ثمّ ذهب الدكتور محمد إسماعيل خان المذكور بهذا الاستفتاء، وعرضه على أشهر الذين أصدروا فتوى كفر بحقّ ميرزا غلام أحمد بتحريض من الشيخ البطالوي، ولكن بحذر شديد فلم يُشعرهم فيه بأنّ المستفتي هو ميرزا علام أحمد نفسه. وكان أولئك العلماء يجهلون ما نشره الشيخ البطالوي في مجلّته باللّغة الإنكليزيّة. وقد حصل الدكتور المشار إليه على الفتاوى التالية بحقّ المُستفتى عنه والذي هو الشيخ البطالوي:

أولاً - فالشيخ عبد الحق غزنوي تلميذ الشيخ عبد الله غزنوي قال في فتواه ما ترجمته: (إنّ من يُنكر هذه العقيدة الثابتة المُجمع عليها لدى أهل السنّة والجماعة يحقّ فيه قول الله وعزّ من قائل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾. قال صلّى الله

عليه وسلّم مَن فارق الجماعة قيدَ شِبرٍ فقد خلعَ ربقة الإسلام عن عُنُقه_رواه أحمد وأبو داود. قال صلّى اللّه عليه وسلّم لاتُجمعُ أمتي على ضلالة، . ويد اللّه على الجماعة ومن شذّ شُذّ في النار - رواه الترمذي. وإنّ جمهور أهل السنّة متّفقين على أنّ المهديّ سيظهر في آخر الزمان ويكون من بني فاطمة وتتحقّق غلبة الدين على يديه. ومن خالف عن ذلك فقد ضلّ وأضلّ. ومن يُضلِل اللّه فما له من سبيل)..

ثانيا - وأما الشيخ عبد الجبار بن عبد اللّه غزنوي فقد أفتى بما ترجمته: (لقد وردت أحاديث متواترة متعلّقة بظهور المهدي ونزول عيسى ابن مريم وخروج الدجّال الأكبر. وأجمع على هذه العقيدة أهل السنّة والجماعة. وإنّ كل من يُكذّب الأحاديث المتواترة هو كافرٌ ومخالفٌ لأهل السنّة ومبتدعٌ وضال ومُضلّ - فقط).

ثالثا - وأما إمام مسجد شاهي في لاهور الشيخ غلام محمد بُكوي فقد أفتى ما ترجمته: (جواب العلماء العظام الصحيح أنّه لا شكّ فيه بأنّ الشخص المذكور ضالّ ومضلّ، وخارج من أهل السنّة)..

رابعا - وقد أفتى المفتي محمد عبد اللّه الأستاذ الجامعي في جامعة لاهور، ورئيس جمعيّة حماية الإسلام والمستشار في جمعيّة فتوى العلماء بالتالي: (إنّ ظهور المهدي عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام قرب يوم القيامة وإقامته العدل والإنصاف أخبرت عنه أحاديث مشهورة ثابتة. وسلّم بها جمهور الأمة. وإنّ إنكار ظهوره فيه صريح الضلالة وانحراف عن مسلك أهل السنّة - الخ).

خامسا - وقال الشيخ عبد العزيز لدهيانوي في فتواه ما ترجمته: (أقول وباللّه التوفيق إنّ من المعلوم أنّ مُنكر ظهور الإمام المهدي الوارد ذكره في الأحاديث والمسلّم بها من قبل الأمة خلفا عن سالف إنّما هي ضلالة وإنّ هذا الإنكار هو من عمل دجّال. فقط)..

سادسا - وأفتى الشيخ أحمد اللّه أمرتسري بما ترجمته: (أنا أتّفق مع إجابة الشيخ عبد الحقّ وإنّه ينبغي اجتناب التعامل مع هذا الإنسان وترك الجلوس في مجالسه).. توقيعه وتمكّن بذلك الدكتور المذكور من الحصول على فتوى كفر بحقّ الشيخ البطالوي على أساس من هذا الاستفتاء من قِبل أكثر من عشرين شيخ من الشيوخ الذين كان الشيخ محمد حسين البطالوي قد وقّعهم من قبل على فتوى بتكفير ميرزا غلام أحمد. وبعد أن جمع الدكتور جميع هذه الفتاوى أتى بها وقدّمها إلى ميرزا غلام أحمد. الأمر الذي دفع حضرته إلى نشر جميع تلك الفتاوى بتاريخ الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٨٩٩م بواسطة منشور نشره على الناس. فلما وصل هذا المنشور إلى أيدي الشيخ محمد حسين البطالوي جُنّ جنونه، واتّصل بهؤلاء الشيوخ محتجّا عليهم واحدا واحدا. فاحتجّ بعضهم بأنه كان يظنّ بأنّه يفتي بحقّ ميرزا غلام أحمد. وقد أجابه بعضهم بأنّه أفتى على قدر هذا النصّ الوارد في هذا الاستفتاء. وهكذا تبيّن لجميع من اطّلعوا على الفتاوى الواردة في الاستفتاء المذكور بأنّ الشيخ البطالوي كان قد كتب ما كتبه باللّغة الإنكليزية كذبا وبهتانا وتزلّفا للحكومة البريطانيّة ليس إلا. وعلى تلك الصورة تحقّق مضمون ما كان قد تلقّاه ميرزا غلام أحمد من إلهام وهو: (أتعجبُ لأمري جزاء سيّئةٍ سيّئةٌ بمثلها وترهقهم ذلّة. ما لهم من اللّه من عاصم فاصبر حتّى يأتي اللّه بأمره إنّ اللّه مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون). وحرفا بحرف. وإنّ ما زاد في سوء سمعة الشيخ البطالوي افتضاح ضعفه في اللّغة العربية إذ أنّه اعترض على فقرة الإلهام الذي أوردناه وهي (أتعجب لأمري)، فالشيخ البطالوي نشر في مجلّته وقال إنّ صلة فعل (تَعْجب) هي حرف الجرّ (من) وليس حرف اللام كما هو وارد في هذا الإلهام المزعوم. وقد ردّ ميرزا غلام أحمد على الاعتراض المذكور بواسطة إعلان نشره بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني عام ١٨٩٨م، وقد بيّن فيه بأنّه يُحتمل ورود صلتي حرف اللام وحرف الجرّ من بعد فعل

التعجّب. وأورد حضرته تأييدا لرأيه بيتَ شعرٍ واردٍ في ديوان الحماسة يقول صاحبه فيه: عجبتُ لِمسراها وأنّى تخلّصت إليَّ وبابُ السجن دوني مُغلقُ ومن خلال هذا الردّ المذكور أُسيئت سُمعة الشيخ البطالوي من جديد.

فهذه هي أهمّ الأحداث التي حدثت في حيات ميرزا غلام أحمد عام ١٨٩٨م والتي كان ربّه عز وجلّ يُنبئه عن وقوعها وعن نتائجها قبل وقوعها بزمن يتناسب مع وقوعها. وأرى أن أُطلع القارئ أيضاً على ما ألّفه ميرزا غلام أحمد من مؤلّفات في العام المذكور. فحضرته ألّف عام ١٨٩٨م ستّة مؤلّفات جديدة وهي:

أولاً - ألّف كتاب (البريّة) ونشره بتاريخ ٢٤كانون الثاني ١٨٩٨م شرح فيها الدعوى التي كان قد أقامها على حضرته القسيس الدكتور هنري مارتن كلارك واتّهمه فيها بالتحريض على القتل. فأورد حضرته فيه تفصيلات ما جرى موثّقة بالأدلّة والبراهين. ووضّح حضرته في هذا الكتاب الأسباب التي دفعت القسيس للإقدام على هذه الخطوة التضليليّة. كذلك وضّح حضرته في هذا الكتاب ما ادّعاه من ادّعاءات مؤكّدة بالدلائل والبراهين القاطعة. وردّ فيه أيضاً على المسيحيّة ردّا منقطع النظير.

ثانيا - وألّف كتابا بعنوان (البلاغ) وتدور مضامينه حول تلك الآثار التي نجمت عن كتاب (أمّهات المؤمنين) الذي نشره المسيحيّون والذي تكلّمنا عنه من قبل. ومبيّنا حضرته في مؤلّفه (البلاغ) بأنّ منهجه في مواجهة أيّ كتاب يطعن بتعاليم الإسلام وما إليها هو الردّ على تلك المطاعن بالحجّة والبرهان، وبأسلوب علميٍّ وموضوعيّ.

ثالثا - وألّف حضرته كتابا بعنوان (ضرورة الإمام) وضّح فيه من يكون إمام الزمان وما هي علاماته؟ وما هي ناحية فوقيّته فيما يراه من رؤى وكشوف وإلهامات تميّزه عن غيره من الروحانيين؟وبحث حضرته في هذا الكتاب العلامات الفارقة للإلهام، كما بحث فيه موضوع البيعة المطلوبة من كلّ مسلمٍ لهذا الإمام.

رابعا - وألّف كتابا سمّاه (نجم الهدى) ونشره بتاريخ ٢٠ تشرين ثاني عام ١٨٩٨م. وكان ألّفه باللّغات: العربيّة والأرديّة والفارسيّة. ومن ثمّ ترجمه الأستاذ خان بهادر أبو الهاشم خان إلى اللّغة الإنكليزيّة. وقد ألقى حضرته الضوء فيه بشكل مبسّط على حقيقة معنى اسمي محمّد وأحمد.

خامسا - وألّف حضرته كتابا خامسا باسم (راز حقيقت) أي سرّ الحقيقة. ونشره بتاريخ ٣٠ تشرين ثاني عام ١٨٩٨م. تكلّم فيه عن حياة عيسى ابن مريم عليه السلام وخاصّة سفره إلى كشمير، واكتشاف قبره في سرينكر محلّ خانيار. كما ضمّنه ألاعيب الشيخ محمد حسين البطالوي

سادسا - وألّف حضرته كتابا باسم (كشف الغطاء) نشره بتاريخ ٢٧ كانون أوّل عام ١٨٩٨م أورد فيه أحوال عائلته ووفاء الذين بايعوه. وقد ردّ فيه على دعايات أعدائه الكاذبة التي كانوا يروّجون لها بين الجماهير. وعلى هذه الصورة أكون قد وضعت القارئ في أهمّ تلك الأحداث التي واجهت ميرزا غلام أحمد عام ١٨٩٨م.

الفصل الثالث عشر

أحداث عام ١٨٩٩م

الاهتمام بتعلّم وتعليم اللّغة العربيّة — استغلاله المسجّلة للتبشير بالإسلام

مطالبته الحكومة بعقد مؤتمر مصالحة وحسم كتابه (المسيح في الهند)

وإثبات هجرة المسيح من فلسطين إلى أفغانستان زمنها إلى كشمير

وفي عام ١٨٩٩م توجّه ميرزا غلام أحمد لتعليم أفراد جماعته اللّغة العربيّة. وقد حضّر بنفسه بعض الدروس لتعليمهم هذه اللّغة. وبدأ يُدرّسها كلّ من يحضر إلى قاديان من أفراد الجماعة صغارا وكبارا وفي أوقات خاصّة معيّنة. وبذلك زرع في نفوس جماعته ضرورة أن يُحيطوا علما بهذه اللّغة التي أنزل اللّه عز وجلّ بها كتابه القرآن المجيد. وعلى هذا الأساس فهو قد وضع اللّبنة الأولى في هذا البناء. وترك المهمّة فيما بعد إلى أساتذة مختصّين من أفراد جماعته ليقيموا مدارس تُعلّم اللّغة العربيّة. وأوصى حضرته أن تؤسّس مدارس لتعليم هذه اللّغة الشريفة حيثما انتشرت جماعته داخل الهند وخارجها. وفي هذا العام بدأ ميرزا غلام أحمد يتّخذ إجراءات لإعادة الحياة للتبشير بالإسلام بالحجّة والبرهان. وتجلّت خطوته هذه في أنّ أحد وجهاء جماعته وهو الأستاذ محمد علي خان من ماليركوتله قد اشترى أوّل نوع من أنواع المسجّلات التي اختُرعت في تلك الأيام، والتي كان لها قُرصٌ يُسجّل الإنسان عليه ما يشاء وبأصوات تخرج من بوق كبير برفقتها. ومن ثمّ أحضرها إلى قاديان. فسجّل عليها الأستاذ عبد الكريم السيالكوتي الآيات الأخيرة من سورة الأنبياء. وجاءوا بهذه المسجّلة فأحضروها عند ميرزا غلام أحمد وأسمعوه ما سجّلوه عليها من آيات سورة الأنبياء. فسرّ جدّا ونبّه إلى أنّ هذا أوّل الغيث الذي أشارت إليه آيات سورة الكهف التي تكلّمت عن ذي القرنين واتّخاذه

سببا. وأوصاهم أن يستغلّوا هذه الآلة لنشر تعاليم الإسلام بين الذين يستمعون لتسجيلاتها. وقد علم الآريون من الهنود الذين كانوا يقطنون بعض مناطق قاديان بوجود آلة التسجيل التي ذكرناها، فجاءوا يطلبون رؤية هذه المسجّلة. وعليه استأذن صاحب المسجّلة ميرزا غلام أحمد هل يسمح له بذلك؟ فأذن له على شرط أن يسجّلوا عليها ما يفيد في هداية هؤلاء الآريّن ويدفعهم إلى قبول الإسلام دينا. فعمل أفراد جماعته على وصيّته، وافتتحوا ذاك التسجيلِ بشعر باللّغة الأرديّة ترجمته: (اسمعوا هذا الصوت الآتي من هذه المسجّلة فهو يحثّكم أن تسعوا للتعرّف على اللّه تعالى من صميم أفئدتكم، غير لاهين ولا لاعبين) وبهذا الأسلوب فقد راح ميرزا غلام أحمد يُعيد الحياة لروح الدعوة إلى الإسلام بمختلف أساليب الوسائل التي يوفّرها ربّهم لهم وفي أيّ مكان وُجدوا فيه. وفي ١٤حزيران من هذا العام ١٨٩٩م تلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما ونصّه (إني أسقطُ من اللّه وأصيبُه). وفهم خلال تلقّيه هذا الإلهام أنّ روح ابنِ سيولد له هي التي خاطبته بهذه الألفاظ. وفهم من ألفاظ إلهامه بأنّ ربّه قد بشره من خلال ألفاظ الإلهام المذكور بأنّه سيولدُ له ابنٌ ذكرٌ يكون تقيّا. وأنّه لن يعيش طويلا بل يموت ويعود إلى بارئه. وكانت زوجة الميرزا في الشهر السابع من حملها. ولم يمض على الإلهام المذكور شهران إلاّ ووضعت له ابنا ذكرا. فسمّاه حضرته مبارك أحمد. وسأوافي القارئ بكلّ ما يتعلّق بهذا الابن الرابع من أبناء ميرزا غلام أحمد حين أكتب فصلا أُخصّصه للكلام فيه عن عائلته بالتفصيل فيما بعد. وفي عام ١٨٩٩م تقدّم ميرزا غلام أحمد بتاريخ ٢٧أيلول إلى الحكومة بعريضة طالبهم فيها أن يعقدوا مؤتمرا عاما لحسم النزاع الدائر بين مختلف الأديان. وأن يطالبوا أتباع كلّ دين أن يُشاركوا فيه ويشرح كل طرفٍ محاسن تعاليم دينه ومبلغ الطاقة الروحيّة التي تهبها تعاليم ذاك الدين في نفس مُعتنقيه. وأن تترك الدولة مُهلةَ سنتين للمؤتمر المذكور ولتحضير تلك المحاسن المطلوبة من قبل جميع الأطراف. وأن

يُطلعَ كلّ طرف منهم الناس على ما تضمّنه دينه من نبوءات تتعلق بغيب المستقبل أيضاً. نبوءات يستشفّ الإنسان منها كون دينه حيّا وصالحا للمعاصرة في أيامنا هذه. وقد وضّح ميرزا غلام أحمد في عريضته المذكورة الحكمة المرجوّة من اقتراحه الذي اقترحه على الحكومة،ولخّص ذلك في أنّ الدولة إذا أقدمت على هذه الخطوة. تثبت من خلالها رعايتها الحقيقيّة لأتباع جميع الأديان وبلا تفريق ما بين أتباع دين ودين. وتساعد في الوقت نفسه مرجعيّات حقيقيّة يرجع إليها كلّ مواطن يقطن شبه القارة الهنديّة حين يبحث خلال سني حياته عن حقيقة أيّ دين من الأديان. ومن جملة ما أورده حضرته في العريضة التي ذكرناها أنّه قال: (إنّ الدين الحيّ هو الدين الذي يقدّم أنموذجا حيّا يرافقه على الدوام. فهل يقبل عقل الإنسان ويرضى فؤاده قبول دين حقّ لم تعُد فيه ظاهرة الحيويّة والعطاء الروحي؟ فأنا من جانبي أعتقد بأنّ الإنسان الذي يبحث عن الله عز وجلّ لا يرضى بمثل هذا الدين ولو كان دين حقّ. فهو يطالب بدين تكون آية حيويّته إظهار آيات دالّة على حيويّته. وعليه فإن عقدت هذه الحكومة هذا المؤتمر الذي نطالب به، تثبت من خلاله إرادتها المباركة، وتثبت بالتالي لكلّ مواطن بكونها حامية حقيقة له وغير منحازة. ولا أرى وجود أي طريق آخر يساعد هذا المواطن ليبتهج وهو يطالع ما يثمر عنه المؤتمر الذي نطالب به من نتائج تساعده للموازنة فيما يعرفه من الأديان التي هي من حوله.

لكنّ أنّى للحكومة البريطانيّة التي كانت تهدف تنصير سكان الهند، أن تستجيب لهذا الطلب الذي تضمّنته عريضة ميرزا غلام أحمد الذي سبق لنا أن ذكرناه؟فالإنكليز لم تمنح حريّة الاعتقاد للهنود إلا بقصد دعم الإرساليات التبشيرية المسيحيّة التي أتت هي بها بقصد تنصير الهنود. وقبل أن أنتقل للكلام عن أهم أحداث العام الذي يليه. كان من المناسب أن أطلع القارئ المؤلّفات التي

ألّفها ميرزا غلام أحمد خلال عام ١٨٩٩م. فحضرته ألّف عام ١٨٩٩م خمسة مؤلّفات هي:

أولاً - ألّف كتابا سمّاه (**أيام الصلح**)، وبيّن فيه سببين دفعاه إلى تأليف هذا الكتاب. فانحصر **السبب الأول** في أنّ أعداء الدين لا يرفعون علينا السيف باسم الدين في أيامنا هذه. ولكنّهم يهاجمون الإسلام بالقلم وبدلائل وبراهين. لذلك كان من واجبنا وحفاظا على كيان الإسلام أن نختار في زماننا هذا طريق المصالحة واللّين والدفاع عن تعاليم الإسلام بالحجج والبراهين. وأما **السبب الثاني** فهو أنّ أهل الدنيا قد ظهر الفساد بينهم وابتلوا بالفسق والفجور. لذلك كان من الواجب على هذا الإنسان أن يُحدثَ في نفسه تبديلا مقدسا يطهّره بالتوبة والاستغفار وبالتالي أن يعقد مع ربّه صُلحا حقيقيا مع هذا الإله الذي خلقه والذي هو مالكه أيضاً. وكتب حضرة ميرزا غلام أحمد هذا الكتاب باللّغتين الأرديّة التي هي لسان المسلمين في الهند. وباللّغة الفارسيّة التي هي لغة أهل فارس. ونشر النسخة الأرديّة في الأول من شهر كانون الثاني عام ١٨٩٩م.

ثانيا - والكتاب الثاني الذي ألّفه حضرته كان بعنوان (حقيقة المهدي). وقد نشره بتاريخ ٢١ شباط عام ١٨٩٩م. وقد قصد مضمون هذا المؤلّف الحكومة البريطانيّة القائمة آنذاك في الهند. وليزيل بواسطته من أدمغة أفراد الحكومة البريطانيّة ما دسّه في آذانها الشيخ محمد حسين البطالوي من تضليل بصورة خفيّة. فبيّن حضرته في هذا المؤلّف جميع ما أورده الشيخ المذكور في مقاله الذي نشره في مجلّته باللّغة الإنكليزية من افتراءات ضدّ حضرته. ووضّح في الوقت نفسه بأنّه يُخالف هذا المعتقد المتوارث بين المسلمين بما يتعلّق بظهور المهديّ. وحثّ الحكومة أن تُجبر الشيخ البطالوي على إعلان مُعتقده المذكور والوارد في مجلّته بلغة الهند، وليس باللّغة الإنكليزيّة، هذا إن كان هذا الشيخ البطالوي صادقا

فيما أعلنه وادّعاه في مجلّته باللّغة الانكليزية. وأكّد ميرزا غلام أحمد بأنّ الشيخ المذكور لن يفعلَ ما هو مطلوب منه بشكل من الأشكال...

ثالثا - وألّف حضرته كتابا ثالثا بعنوان (مسيح هندوستان مين) ومعناه (المسيح في الهند). وقد جعل حضرته مضمون هذا الكتاب وسيلة أداء مهمّته التي هي كسر الصليب، والذي يعني إبطال المسيحيّة بسلاح الحجّة والبرهان. فأثبت في مؤلّفه هذا بأنّ المسيح ابن مريم لم يمت على الصليب. ولا ارتفع بعدها إلى السماء. فنقض من خلاله هاتين العقيدتين اللّتين قامت عليها المسيحيّة في العالم. ومبيّنا بأنّ المسيح هاجر بعد حادثة الصلب من فلسطين لتبشير بقيّة أسباط اليهود في المهجر. ووصل خلال هجرته إلى كشمير وتوفّي هناك ودفنوه في سرينكر في محلة خان يار. ودعم مقولته هذه بالحجج التاريخيّة والأدلّة المستقاة من الأناجيل الأربعة الحاضرة. وكانت تلك الدلائل من القوّة إلى درجة استحال على القساوسة نقضها وإثبات بُطلانها. الأمر الذي دفع المستشرقين الذين طالعوا هذا الكتاب ليصرّحوا حين نقدهم للأناجيل بأنّ تلك الجمل الواردة في الأناجيل والتي نصّت على أنّ المسيح صعد إلى السماء قد أضافتها الكنائس فيما بعد.

رابعا - والكتاب الرابع الذي ألّفه حضرته عام ١٨٩٩م عنوانه (ستاره قيصره) ومعناها (قيصرة النجمة). وقد نشره بتاريخ ٢٤ آب عام ١٨٩٩م. وقد فنّد حضرته في هذا المؤلّف المذكور عقائد المسيحيّين وأثبت بُطلانها. وعلى شاكلة ما كان قد فعله من قبل في كتابه (تحفة قيصريّة) أي هديّة القيصرة. وقد دعا ميرزا غلام أحمد ملكة بريطانيا فكتوريا في كتابه هذا إلى ترك المسيحيّة واعتناق الدين الإسلاميّ الحنيف

خامسا - والكتاب الخامس الذي ألّفه كان عنوانه (ترياق القلوب) وقد ألّف حضرته معظم مضامين هذا الكتاب عام ١٨٩٩م. ولم ينشره إلا بعد أن فرغ من تأليفه، فطبعه بتاريخ ٢٨ تشرين أول عام ١٩٠٢م. وقد استهلّ حضرته هذا

الكتاب بقصيدة باللّغة الفارسيّة وضّح من خلال أبياتها علامات المؤمن كامل الإيمان. كما بيّن في كتابه المذكور العلامة الفارقة التي تجعل النبيّ حيّا على الدوام. وأضاف على تلك العلامات بعضا من علامات إيمانه الحقيقي. وداعيا كلّ مسلمٍ للسير بهذا الفهم وعلى هذا النهج الذي بيّنه له وعلى هذه الصورة أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ أحداث عام ١٨٩٩م التي حدثت لميرزا غلام أحمد في حياته في العام المذكور.

الفصل الرابع عشر

أحداث عام ١٩٠٠م

قصّة الجدار الذي أقامه أبناء عمومته — المحكمة حكمت بهدم الجدار المذكور
قيام فرع تدريس علوم الدين — إلقاء الخطبة الإلهاميّة
مشروع منارة المسيح — دلالة نبوءة يضع الحرب
الأمر بترك الصلاة وراء المشايخ — إلهامات أنذرت بقرب وفاة حضرته
قصّة الصوفي مهر عليشاه والردّ عليه
تفسير الفاتحة ضمن كتاب (إعجاز المسيح)

وفي عام ١٩٠٠م لم يكف ميرزا غلام أحمد ما كان يلاقيه من قبلِ مشايخ زمانه ومن القسيسين وغيرهم ممّن عادوه في حياته من ابتلاءات خارج قريته قاديان. بل أخذ يواجه من أبناء عمومته وهم أقرب الناس إليه ابتلاءً من نوعٍ ما كان ليخطُر له ببال. فأملاك ميرزا غلام أحمد في قاديان أتته بالوراثة عن جدّه وكانت معروفة الحدود التي كانت تفصل ما بينه وما بين أبناء عمّه. وفجأة وفي غيابه فقد أتى أبناء عمّه بمعمار أقام جدارا مقابل المسجد المبارك وسدّ بواسطته ذاك الزقاق الذي كان يصل خارج قاديان بالمسجد المبارك الذي كان يصلّي فيه حضرته وأتباعه خاصّة. وقد كان لخطوتهم تلك التي أقدموا عليها نتيجة وهي أنّ الإنسان الذي كان يريد أن يزور ميرزا غلام أحمد عاد من واجبه أن يأتي إليه من طريق آخر طويل قلّما يمرّ منه إنسان. فتأثّر ميرزا غلام أحمد كثيرا بسبب هذه الخطوة التي أقدم عليها أبناء عمّه وهم ميرزا إمام الدين وميرزا نظام الدين. خصوصا وأنّه عاد من واجبه بعد ذلك هو وجميع من يأتي عنده من مبايعيه عاد عليهم أن يمرّوا من السوق الذي يملكه الآريون في قاديان. فأوفد ميرزا غلام

أحمد وفدا من جانبه إلى ابن عمّه ميرزا إمام الدين يرجوه هدم هذا الجدار بسبب ما أسفر عنه من مشكلات وأذى. وأوصى حضرته أعضاء هذا الوفد أن يلاطفوا ابن عمّه في حديثهم، كيلا يُغضبوه ويستفزّوه. فلما حضر أعضاء الوفد عند ميرزا إمام الدين، وبدؤوا حديثهم معه، سألهم بكلّ غلظة: ولِمَ لم يحضر هو بنفسه إلى هذا المكان؟ فلم يلبّي لهم طلبهم. وهكذا عاد أعضاء الوفد خائبين. ومن قبيل الصُدف أنّ المحافظ وبرفقته مدير الشرطة قَدِما إلى قاديان بمهمّة خاصة. فأرسل ميرزا غلام أحمد وفدا لمقابلتهما والاحتجاج لديهما بشأن الجدار. فلما اجتمعا بالمحافظ ورفعا إليه الشكوى، أجاب المحافظ على أعضاء الوفد بكلّ جفاء وقال: (**هل جئتم بهذه الكثرة لترعبوني؟ فأنا أعرفكم وأعرف المقصد من قيام جماعتكم. وسترون ما سأتخذه من خطوات ضدّكم**). وأمثال هذه التهديدات. فعاد أعضاء الوفد وأخبروا ميرزا غلام أحمد بما سمعوه من فمّ المحافظ نفسه. فربط حضرته ما بين هذا وما بين مساعي الشيخ البطالوي لدى الحكومة ضدّه وضدّ جماعته. فجمع ميرزا غلام أحمد أفراد جماعته الذين كانوا في قاديان. وعرض عليهم أن يهاجروا جميعهم منها إلى مكان آخر يسهّل فيه عليهم خدمة الدين. ومن باب أن الهجرة كانت قديما سنّة الأنبياء. فأشار الدكتور نور الدين البهيروي أن يهاجروا معه إلى قريته بهيرة. وأشار الأستاذ عبد الكريم السيالكوتي أن يهاجروا معه إلى مدينة سيالكوت. كذلك أشار عليه شيخ رحمة الله الهجرة إلى لاهور. وأشار تشودري حاكم علي بالهجرة إلى قريته بنيار. وبعد أن استمع حضرته إلى جميع هؤلاء. قال إننا سنستخير الله عزّ وجلّ وننظر فيما يمنّ به الله تعالى علينا. وقد فكّر حضرته أن يعمل على آخر ما هو متوفّر لديه من الأسباب في هذا الموضوع. وهو رفع قضيّة الجدار إلى القضاء. فأوكل إلى أحد مبايعيه ليقوم بإقامة الدعوى في محكمة كورداسبور. فأقيمت تلك الدعوى ضدّ ابن عمّه ميرزا إمام الدين وبتاريخ ١٦ تموز اضطرّ حضرته لحضور

الجلسة هناك. وحضر بتاريخ العاشر من آب المدّعى عليه. ورُفعت الجلسة لتاريخ ١٢ آب عام ١٩٠١م للفصل في هذه الدعوى. وفي تلك الأيام ضاقت الأرض بميرزا غلام أحمد بما رحُبت وانكبّ على الدعاء بكلّيته. وإذ به يتلقّى إلهاما ونصّه: (**الرّحى تدورُ وينزل القضاء. إنّ فضلَ اللّه لآتٍ، وليس لأحدٍ أن يرُدّ ما أتى. قل إي وربّي إنّه لحقّ. لا يتبدّلُ ولا يخفى. وينزل ما تَعجبُ منه وحيٌ من ربّ السماوات العُلى. إنّ ربّي لا يضلّ ولا ينسى. ظفرٌ مبينٌ وإنّما يؤخّرهم إلى أجلٍ مسمّى**).. وفهم منه حضرته بأنّ ربّه جلّ شأنه ينبّه ذهنه بأنّ هذه الدعوى المقامة على الصورة القائمة ليست في صالحه. وأنّ اللّه سيولّد من الأسباب ما يحوّلها إلى صالحه. وفي الحقيقة فقد خطر لمحامي حضرته أن ينظر في السجلاّت الأصليّة لهذه الأراضي التي يملكها حضرة الميرزا وأبناء عمّه. وبعد مراجعته لها وجد ضميمة مُلحقةً بها تنصّ على وجود حقّ الانتفاع منها من قبل والده وعمّه في وقت واحد. فتقدّم المحامي بنصّ الضميمة المشار إليها إلى القاضي الذي كان ينظر في القضيّة. وفي وقت كان أبناء عمّ ميرزا غلام أحمد ومن كان يدعمهم، كانوا على يقين تامّ بأنّ المحكمة سترفض الدعوى المقامة من أجل إزالة الجدار الذي أقاموه. وأنّ المحكمة ستُلزم الذي أقام الدعوى بدفع النفقات. وقد اقتنع القاضي بعد تقديم هذه الوثيقة الضميمة التي قدّمها محامي ميرزا غلام أحمد، اقتنع بأنّ منافع تلك الأرض كانت مشتركة بينهم. ولا يحقّ لميرزا إمام الدين بناء جدار في المنطقة التي أقامه فيها. وحان يوم إصدار الحكم في القضية وهو يوم ١٢آب عام ١٩٠١م. وكانت المحكمة تعجّ بأعداء حضرة ميرزا غلام أحمد من أبناء عمّه وأتباع بعض المشايخ. فحكم القاضي بضرورة إزالة الجدار المقام. وغرّم ميرزا إمام الدين بدفع مبلغ مائة روبيّة إلى ميرزا غلام أحمد لقاء الضرر الذي ألحقه به من جرّاء إقامته الجدار الذي دارت الدعوى حوله. فاضطرّ حينئذ ميرزا إمام الدين إلى القيام بهدم الجدار المشار إليه. ومن ثمّ استغلّ حُسنُ خُلُق ابن عمّه ميرزا غلام أحمد. فزاره

ورجاه أن يعفيه من دفع المبلغ الذي حكمت به المحكمة لصالحه. فلم يردّ حضرته طلب ابن عمّه ووافق على إعفائه من دفع مائة روبيّة التي طالبته المحكمة بدفعها إلى حضرته. وعلى تلك الصورة تحقّق ما فهمه ميرزا غلام أحمد من إلهامه الذي كان تلقّاه بشأن قضيّة الجدار.

ويذكر القارئ بأنّ ميرزا غلام أحمد كان قد أمر ببناء مدرسة لتعليم أبناء أتباعه من المبايعين. وكانت تلك المدرسة تعطي الشهادة المتوسّطة فقط. وفي الأول من شباط عام ١٩٠٠م أمر حضرته أن يُزاد على التعليم صفوفا لمنح الشهادة الثانويّة. وقد اقترح في شهر آذار عام ١٩٠٠م أن يفتتح للمدرسة فرعا لتدريس علوم الدين.

وهلّ يوم الوقوف في عرفة صباح ١١نيسان ١٩٠٠م، الموافق لعام ١٣١٧ هجري. فبعث ميرزا غلام أحمد إلى الدكتور الحاج نور الدين بهيروي قُصاصة ورق أطلعه فيها على أنّ حضرته سيكون منشغلا طوال يوم عرفة وليلتها بالدعاء. وطلب منه أن يُرسل عنده قُصاصة ورق يكتب عليها أسماء جميع الأخوة المبايعين الموجودين عنده ليذكُرَهم في أدعيته. فلبّى نور الدين طلبه وبعث له قائمة بأسمائهم وعناوينهم. وكان اليوم التالي هو أوّل أيام العيد. وقد ذهب الأستاذ عبد الكريم السيالكوتي عند حضرته ورجاه أن يخطب في المسجد خُطبة الجمعة ومهما قصر وقت إلقائها. فأجابه ميرزا غلام أحمد: ألا إنّ ربيّ قد أمرني صباحا وألهمني أن أخطُب فيكم ووعدني بأنّه سيؤيّدني بروح من عنده. وألهمني أيضاً (إنّه كلامٌ أُفصِحَ من لدُن ربٍّ كريم). وأمر حضرته أن يجتمعوا كلّهم في المسجد الأقصى لصلاة يوم العيد. فامتلأ المسجد بالمصلّين. وقد تجاوز عددهم مائتي مصلّي. فحضر ميرزا غلام أحمد الساعة الثامنة والنصف إلى المسجد وأمر الأستاذ عبد الكريم أن يصلّي بالمصلين. ومن ثمّ وقف حضرته بجانب الباب الأوسط للمسجد وخطب بالمصلّين باللّغة الأرديّة ودارت خطبته حول كون الدين الإسلاميّ هو دين

حيٌّ والوحيد بين الأديان المعاصرة. وكانت خطبة رائعة حقّا. ومن ثمّ خطب حول ضرورة وجود رابطة الأخوّة والوفاق بين المبايعين. ونادى بعد ذلك الدكتور نور الدين بهيروي والأستاذ عبد الكريم سيالكوتي وطلب من هذين تدوين ما سيُلقيه باللّغة العربيّة بتأييد من ربّه عز وجلّ. وأنّ ما سيلقيه سيكون خارجا عن إرادته. وأن يسألاه عن كلّ ما لم يستطيعا كتابته في لحظة إلقائها. وبدأ يُلقي خُطبته التي سُمّيت فيما بعد باسم (الخطبة الإلهاميّة). فكان لتلك الخطبة تأثيرا روحيًا عجيبا في نفوس جميع المصلّين وحدّثهم حضرته فيما بعد بأنّه حين كان يخطب، كان يشعر وكأنّ ملاكا كان ينطق من فمه. فلما أتمّ ميرزا غلام أحمد خطبته الإلهاميّة المذكورة أمر الأستاذ عبد الكريم أن يقف ويترجمها إلى اللّغة الأرديّة أمام المصلين. فلما فرغ من ترجمتها، سجد حضرة الميرزا شكرا للّه عز وجلّ وسجد معه بقيّة المصلّين. فلما رفع رأسه صرّح حضرته وقال: إني شاهدت في هذه اللحظة كلمة (مبارك) وقد كُتبت بلون أحمر. وفي هذا إشارة إلى تقبّله تعالى ما فعلناه. علما بأنّ صفحات الخطبة الإلهاميّة بلغت إحدى وثلاثين صفحة. وقد وضّحت فلسفة التّضحية التي يقوم بها المسلم في عيد الأضحى. وأما باقي صفحاتها فقد زادها حضرته فيما بعد. وطُبعت هذه الخطبة بتاريخ ١٧ تشرين أول عام ١٩٠٢م.

وفي هذا العام قدِمَ إلى مدينة لاهور قسيس حائزٌ على جائزة في أوروبة واسمه القسيس ليفراي. وبدأ يُلقي محاضرات في المراكز التبشيرية حول كون المسيح هو النبيّ المعصوم من بين جميع أنبياء اللّه تعالى ومستندا في ذلك إلى ما لدى المسلمين من روايات ضعيفة وتفاسير غير صحيحة. ومن قبيل التقديرات الإلهيّة أنّ ميرزا غلام أحمد كان ألقى في تلك الأيام محاضرة على أتباعه بعنوان (النبيّ الحيّ) وقصد به محمدا صلّى اللّه عليه وسلّم بأنّه نبيٌّ ذو تجلّيات روحيّة بعكس بقية أنبياء اللّه الكرام الذين انقطع نسلهم الروحيّ. وكأنّ محاضرة ميرزا غلام

أحمد المشار إليها قد دارت حول نفس الموضوع الذي حاضر القسيس فيه تقريبا. وكان أحد صحابة ميرزا غلام أحمد، وهو مفتي محمد صادق الذي كان من أشهر علماء جماعة حضرته كان حاضرا محاضرة القسيس المشار إليه. فلما فرغ القسيس من محاضرته تصدّى له مفتي محمد صادق مبيّنا له بأنّ المسيح قال في الأناجيل الحاضرة (لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو اللّه).لوقا ١٨ وأخذ يقرأ على الحاضرين ما تقدّم به ميرزا غلام أحمد من أدلّة تثبت بأنّ محمدا (ص) هو النبي المعصوم وهو النبي الحيّ. ففوجئ القسيس بسماعه تلك الأدلّة التي تعني وكأنّ حضرة الميرزا كان يعلم ما سيلقيه القسيس في محاضرته قبل أوانه. فبُهت القسيس وغادر القاعة مُسرعا دون أن يردّ على كلمة واحدة. ودُهش الحاضرون من تصرّف القسيس. مع أنّه كان معروفا أنّ المحاضر يبقى بعد إلقاء محاضرته لتلقّي أسئلة وللإجابة عليها. وهنا نشر ميرزا غلام أحمد منشورا بتاريخ ٢٥ مايس ١٩٠٠م وضّح فيه فضيلة محمد المصطفى ومعصوميّته في مقابل المسيح الناصري. وتحدّى حضرته القسيس المشار إليه أن ينزل إلى الميدان للحوار في هذا الموضوع. وأرسل نسخة من هذا المنشور إلى القسيس نفسه. ووزّع نُسخا بالمئات على الصحف وعلى الوجهاء المعروفين من الناس. فنشرت الصحف في اليوم التالي تلوم القسيس الذي لم ينتظر ليقوم بالحوار. وقد قامت مجلّة نقد الأديان التابعة للجماعة الإسلامية الأحمديّة بتحدّي القسيس ليفراي للدخول معهم في مناظرة حول موضوع النبي المعصوم والنبيّ الحيّ. فلم يلبي القسيس المذكور هذا التحدي وظلّ هاربا من وجوههم. وقد نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا آخر بتاريخ ٢٨ مايس ١٩٠٠م ذكّر فيه بما ورد في الحديث الشريف بحق المسيح الموعود من أنّه (ينزل على منارة بيضاء شرقي دمشق) فحثّ أفراد جماعته في الإعلان المذكور على التبرّع لبناء منارة شرقي المسجد الأقصى لتصديق ذلك بصورة عمليّة في قريته قاديان. ولتحقيق مقاصد ثلاثة من وراء تلك الخطوة:

فالمقصد **الأوّل** – أن يقوم المؤذّن بالأذان خمس مرّات يوميا لتبليغ الناس صوت اللّه المقدّس الأزلي الأبديّ الذي يناديهم لعبادته وذلك بألفاظ مختصرة ومن أنّه لا يوجد في السماء والأرض سوى اللّه الذي أرسل محمدا المصطفى بالحقّ لهدايتهم. وأنّ جميع ما انتحله الناس من آلهة أخرى فهي آلهة عاجزةٌ عن إثبات وجودها. **والمقصد الثاني** – أن توضع في أعلى هذه المنارة أضواء كشّافة تبعث بأنوارها إلى بعيد لتضيء لأعين الناس طريقهم وهم في طريقهم إلى بيت اللّه تعالى تلبية لصوت اللّه تعالى فيلبون ما عليهم من فريضة دينيّة. والمقصد الخفيّ الكامن وراء ذلك هو أنّه ما دام الناس يسعون للتقدّم، فإن اللّه تعالى قد شاء أن يُري أنواره بكلّ صفاء، لتتضح الحقيقة لأعينهم وينجون من الأخطاء. **والمقصد الثالث** – أن تُثبّت في أعلى هذه المنارة ساعة تُعين الناس على معرفة أوقات أداء فريضة الصلاة. فيعلم الناس ويوقنوا بأنّها فُتحت لهم أبواب السماء وانتهى دور الصراع الدمويّ الذي تُحدثه الحروب. وبدأ بعد ذلك جمع التبرّعات لبناء المنارة المقترح بناؤها والتي سمّيت فيما بعد بمنارة المسيح. واحتاج هذا المشروع ثلاث سنوات لإعطائه شكله الأخير. من تحديد للأرض التي تقوم عليها تلك المنارة، إلى قيام المهندسين بتصميمها وإعطائها شكلها الأخير. وفي عام ١٩٠٣م وضع هذا المجدّد مثيل ابن مريم حجر الأساس لبنائها. فلما بدأت جدرانها بالارتفاع عن الأرض مقدارا قليلا، وعلم أعداء ميرزا غلام أحمد بحقيقة هذا المشروع، تملّكهم الحسد فدفعتهم العداوة لمحاربته. فحرّضوا أهل المنطقة لرفع شكوى لإيقاف بناء تلك المنارة بحجّة أنّ من يؤذّن فيها سيكشف داخل دورهم. وعليه رفعوا شكوى عند محافظ مدينة كورداسبور. وهذا كلّف موظفا في مدينة بتاله للقيام بالتحقيق في هذه القضيّة. فالتقى هذا الموظّف بميرزا غلام أحمد واستمع منه عن مشروع المنارة. ومن ثمّ جمع الذين اشتكوا واستفسر منهم عن سلوك حضرته معهم وهل أنّه قام ميرزا غلام أحمد بإيذائهم في يوم من الأيام. فأجمع الجميع على النفي.

ولكنّ الموظّف المشار إليه بالرغم من أنّه لم يعثر على أي أيّة حجّة تقتضي منع تعمير المنارة المشار إليها. فقد رفع تقريره إلى المحافظ موصيا بعدم السماح بإنشاء تلك المنارة. فكتب ميرزا غلام أحمد مجدّدا إلى المحافظ طالبا السماح من جانبه بإنشاء المنارة المقصودة. خصوصا وأنّها قد خُصّصت للأذان فقط، وليس للنزهة فراجع المحافظ نفسه ومنح حضرته حقّ إنشاء المنارة. وهكذا عاودوا إنشاءها ولكن ببُطء شديد بسبب أنّ ميرزا غلام أحمد عاد وأفراد جماعته منشغلين جدّا بأمور أكثر أهميّة. ولم يكتمل مشروع منارة المسيح إلا في عهد الخليفة الثاني للمجدّد ميرزا غلام أحمد. وكنت ذكرت أنّ من أهداف إقامة (منارة المسيح) تنبيه أذهان المسلمين إلى أنّه سبق وأنه ورد في الحديث الشريف بشأن المهدي أنّه (**يضع الحرب**) وقد شرح ميرزا غلام أحمد دلالة (**يضع الحرب**) بأنّ سلسلة الحروب قد انتهت زمن بعثته. تلك الحروب التي ابتدأت ببعثة محمد رسول اللّه (ص) والتي اضطرّ معها المسلمون وقتئذ لخوض حروب عديدة بالرّغم من أنّ تعاليم الإسلام قد كرّهت الحروب في نفوسهم، وانتشر الإسلام بعد تلك الحروب إلى أقاصي الأرض. وأنّ اللّه تعالى كان قد صرّح وقال (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**) بمعنى أنّ نشر تعاليم الإسلام لا يحتاج إلى استعمال القوّة. وأنّ استعماله زمن البعثة الأولى كان اضطراريا بدليل مضمون الآية التي أوردناها. وأنّ اللّه عز وجلّ أراد بهذا المجدّد العظيم الذي بعثه تعالى بعد سقوط الخلافة العثمانيّة أن يبدأ نشر تعاليم الإسلام بالبيّنات المدعّمة بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة. وممّا كتبه ميرزا غلام أحمد بهذا الخصوص: **(لا شكّ أنّ وُجوه الجهاد بالسيف معدومة في هذا الزمن وفي هذه البلاد خاصة)**.. راجع مؤلّف (تحفة كولرويّة صفحة ٤٣). وهي حقيقة لم يقبل بها أصحاب العقول التقليديّة من المشايخ المتزمّتين. الذين استغلّوا هذا الطرح الذي طرحه ميرزا غلام أحمد مصداق مضمون الحديث الشريف الذي أوردناه. وهاجوا وماجوا وأخذوا يُلقون

الخطب في كلّ مكان قائلين: انظروا لقد أبطل ميرزا غلام أحمد أهمّ فريضة إسلاميّة وهي فريضة الجهاد. وبذلك أشعلوا نار الفتنة من جديد ضدّ حضرته. وها أنّ الأيام دارت وأثبتت مصداقيّة ما طرحه ميرزا غلام أحمد عليه السلام يومئذ من طرح أتيت على ذكره للقارئ أعلاه. وها أنّ الذين ما زالوا يقولون بالجهاد بالسيف في أيامنا هذه، تُسفك على أيديهم دماء الأبرياء من الناس. ويُسيئون سُمعة الإسلام من حيث نعلم بأنّهم لا يريدون ذلك. وقد عادوا يسمّون في كلّ مكان (**إرهابيون**). وأنقل بهذه المناسبة ترجمةً لبعض أشعار حضرته بهذا الخصوص. فحضرته قال: (دعوا عنكم الآن الجهاد بالسيف فالقتال من أجل الدين عاد في زمننا هذا حرام. ولماذا تنسون ما ورد في البخاري من أنّ المهديّ (**يضع الحرب**) في زمانه؟ فراجعوا البخاري بهذا الخصوص. فالمصطفى سيّد الكونين سبق له وأنبأ وقال بأنّ المسيح الموعود يوقف سلسلة الجهاد بالسيف).. (راجع الإعلان الصادر بتاريخ ٧ حزيران عام ١٩٠٠م عن حضرته). لكنّ الذي يؤسف له أنّ علماء هذه الأمة ومشايخها الذين كفّروا ميرزا غلام أحمد وكذّبوا كونه المهديّ المعهود به في هذه الأمّة، وكونه المسيح الموعود بظهوره آخر الزمان يوم ظهور المسيح الدجّال. إنّ هؤلاء أصبحوا عبئا على صدر هذه الأمة الإسلاميّة وبلاء عليها. بسبب انتحالهم صفة المدافع عن الإسلام، علما بأنّ الإسلام منهم بريء. وكيف يعترف الإسلام عليهم، وقد أهملوا فهم هذا القرآن الشريف بمنهجيّته وأصول تفسيره. وعادوا يأخذون من الأحاديث الشريفة ما يخالف مُعطيات تعاليم القرآن المجيد؟ وانقسموا بالتالي إلى مذاهب وشيع. وصدق بحقّهم قوله تعالى في سورة الأنعام ١٥٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. فمضمون هذه الآية الكريمة التي أوردناها متعلّقٌ بالأمّة المسلمة بدليل ما يفيدنا به سياقها. ففي سياق مضمونها قال الله تعالى ابتداء من الآية ١٥١ إلى

الآية ١٥٨: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا - ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ - ۞ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ أَن تَقُولُوا - ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا - قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ فكما يلاحظ القارئ فإنّ هذه الآيات كلّها موجّه خطابها إلى المسلمين. وتتضمّن هذه الآيات تكاليف وأمثلة ووصايا ربّانيّة. وقد راح اللّه تعالى بعد جميع ما أورده في الآيات السابقة من تكاليف وأمثلة ووصايا، راح تعالى يُنذرُ المسلمين في الآية ١٥٩ قائلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.. والمعنى أنّ المسلمين الذين زوّدناهم بهذه التكاليف وتلك الوصايا وضربنا لهم تلك الأمثلة، تناسوها جميعها وفرّقوا دينهم إلى مذاهب عديدة وابتعدوا بذلك عن الاعتصام بحبل اللّه جميعا، وانتهوا من ذلك كلّه إلى أن أصبحوا شيعا، فأنت يا محمد بريء من هؤلاء المسلمين الذين تفرّقوا إلى مذاهب وشيعٍ ولم يعتصموا بحبل اللّه جميعاً، ولا تُسألُ أنت عنهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. فهؤلاء المسلمون من الذين يُعاصروننا هم الذين انطبقت عليهم الأوصاف التي وردت في هذه الآية ١٥٩ من سورة الأنعام. وهم الذين خاطب اللّه تعالى محمّدا رسوله الكريم بحقّهم قائلا له: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ بمعنى أنّك يا محمّد بريء من هؤلاء المسلمين الذين اتصفوا بتلك الصفات وأساءوا بذلك سُمعة دينهم الإسلام، وعادوا نتيجةً لفهمهم الجامد المقلّد في نظر الناس جميعا

من فصيلة (**الإرهابيين**). ولم يفطنوا إلى أنّ محمدا رسول الله كان قد أنبأ عن زمن ظهور المهديّ المعهود وأنّه (**يضعُ الحرب**) أي يُبطلُ اللّجوء إلى القتال المأذون به قديما، ويبدأ بنشر الإسلام والدفاع عنه بوسيلة المعارف والحُجج والبراهين.

وليعلم القارئ بأنّ الذين كانوا يبايعون ميرزا غلام أحمد على أنّه مجدّد زمانهم، وينضمون إلى جماعته لم ينقطعوا حتى منتصف عام ١٩٠٠م عن أداء فريضة الصلاة في المساجد وراء أئمّة المساجد بالرغم من تكفير أولئك الأئمة لهؤلاء الأحمديين وإمامهم المهدي. كذلك لم يأمر ميرزا غلام أحمد مبايعيه بترك الصلاة وراء الذين يكفّرونه أيضاً. ولكنّ أئمّة المساجد من أولئك المشايخ التّقليديين الذين لاحظوا بأنّ وسيلة تكفير هذا المجدّد لم تُجد نفعا في نظرهم. فقد أخذوا يحرّضون أتباعهم على مضايقة هؤلاء المبايعين بأساليب مختلفة. وعلى سبيل المثال فقد أفتوا أتباعهم أن لا يتوضّأ أحدٌ منهم من إناء توضّأ منه أيّ مسلم بايع ميرزا غلام أحمد. وأن يقوموا بحرق أيّ بساط صلّى عليه أحد أولئك المبايعين. وأن يغسلوا ويطهّروا المكان الذي دخله أحد أتباع ميرزا غلام أحمد. وبلغت مضايقتهم للمسلمين المبايعين حدّا ما عاد بمستطاع أحد منهم دخول المساجد. فكانوا يشكون ما يواجهونه من مضايقات إلى إمام زمانهم تباعا. وكان ميرزا غلام أحمد لا يريد أن يتصرّف باجتهاد من عنده بهذا الخصوص. لكنّه نشر أخيرا منشورا أواخر عام ١٩٠٠م جعل الكلام فيه يدور حول موضوع الصلاة وراء أئمّة المساجد من مكفّريه. وأقتطف للقارئ بعضا ممّا ورد في المنشور المذكور. قال حضرته وهو يخاطب مبايعيه المضطهدين: (**تذكّروا بأنّ الله ربيّ جلّ جلاله قد أطلعني بأنّه يحرمُ عليكم بعد الآن حُرمة قطعيّة أن تُصلّوا وراء أيّ مكفّر أو مكذّب أو متردّد. ويفرض الله تعالى عليكم أن تصلّوا وراء إمام يكون منكم. وهي حقيقة أشارت إليها كلمات الحديث النبوي الوارد في البخاري (وإمامكم منكم)**).. فلما وصل هذا المنشور إلى أيدي الذين بايعوا ميرزا غلام أحمد، انقطعوا عن أداء فريضة الصلوات

الخمس في المساجد التي فيها أئمّة يكفّرون هذا المجدّد الذي بايعوه. وأخذوا في بناء مساجد لهم مستقلّة لتأدية فريضة الصلاة. وأفرح هذا التطوّر مشايخ تلك المساجد في ذاك الزمان. معتبرين بأنّهم تخلّصوا من رجس الكافرين. لكنّ القارئ الذي يُعاصر مشايخ زماننا هذا، يلاحظ ممّا يلاحظه بأنّ من المطاعن التي يأخذها أئمة المساجد على الأحمديين أنّهم يقولون انظروا إلى هؤلاء الأحمديّين كيف أنّهم لا يأتون إلى المسجد ولا يصلّون وراء أئمّتنا. فهم يعترضون هذا الاعتراض في وقتٍ ينسون فيه أو يتناسون ما فعله الأئمة من المشايخ المتزمّتين الذين تسبّبوا بحدوث هذه الظاهرة. يعترضون هذا الاعتراض بدلا من أن يخجلوا من تلك الفتاوى التي أصدرها أولئك المشايخ المتزمّتين الذين عاصروا زمن المجدّد ميرزا غلام أحمد. وبدلا من أن يقدموا على خطوة ليصلحوا بها ما كان قد فسد..

وإنّ الباحث الذي طالع ما كان قد تلقّاه ميرزا غلام أحمد من إلهامات. يلاحظ بأنّ الله عز وجلّ أخذ يُنذر حضرته بإنذارات يُستفاد منها أنّ ربّه عز وجلّ قد أخذ يوجّه نظر هذا المجدّد إلى أن هذا المجدّد قارب على إنهاء أدائه لمهمّة التجديد الكلّف بها من جانب ربّه عز وجلّ. ونُدركُ هذا من أنّ ميرزا غلام أحمد روى في عام ١٩٠٠م أنّه مرض يوما بمرض تسبّب له بإسهال شديد قد أضاع منه وقتا كثيرا. فانصرف إلى الدعاء وإذ به يتلقّى إلهاما نصّه **(والموت إذا عسعس)**. ففهم حضرته من إلهامه المذكور بأنّها وُضعت بواسطة هذا المرض أوّل لبنة من لبنات وفاته عليه السلام. وهي حقيقة سأوافي القارئ بها أولاً بأوّل من خلال ما سأطلعه عليه من إلهامات تلقّاها ميرزا غلام أحمد في الأعوام المقبلة. وكيف أنّها تثبت بأنّ حضرته كان مشمولا برعاية ربّه عز وجلّ. وأنّه سيموت موتا طبيعيا بعكس ما أشاعه أعداؤه عنه أولئك الذين أعمتهم عداوتهم له عن متابعة هذه الحقيقة التي أشرت إليها من خلال هذا الإلهام الذي أوردته أعلاه. والآن وقبل أن أنتقل لأطلع القارئ على أهمّ أحداث عام ١٩٠١م أرى من المناسب إطلاعه على ما

أنجزه ميرزا غلام أحمد من مؤلّفات في عام ١٩٠٠م. فقد ألّف ميرزا غلام أحمد خلال العام المشار إليه ستّة مؤلّفات جديدة، هي:

الأوّل – (رسالة جهاد) أي رسالة في موضوع الجهاد. وضّح حضرته في هذه الرسالة حقيقة الجهاد وأصله وفلسفته الحقيقيّة. مبيّنا فيها بأنّ هؤلاء المسلمين الذين يقتلون ويسفكون الدماء البريئة وينهبون باسم الجهاد في سبيل الله تعالى هم بحاجة إلى إعادة نظرهم فيما اعتقدوه وفيما يُقدمون عليه من أفعال باسم الدين. وهي ليست من تعاليم الإسلام في شيء.

ثانيا – والكتاب الثاني سمّاه (تُحفة غزنويّة) وهو كتاب وإن أنهاه حضرة الميرزا في نفس عام ١٩٠٠م إلاّ أنّه لم يتمكّن من طبعه ونشره إلا بتاريخ الثالث من شهر تشرين أول عام ١٩٠٢م وكان الدافع إلى كتابة هذا المؤلّف هو أنّ الشيخ عبد الحق غزنوي كان قد نشر إعلانا اعترض فيه على بعض نبوءات ميرزا غلام أحمد. فشاء حضرته تفنيد اعتراضات الشيخ المذكور. إلى جانب قيامه بتحدّي جميع مشايخ الهند ليأتوا في مواجهته وليقوموا بالدعاء لمرضى وعليلين وليشفيهم ربّهم عن طريق الدعاء.

ثالثا - والمؤلّف الثالث سمّاه حضرته (لجّة النور). وقد كتبه باللّغة العربيّة الفصحى. وتوجّه فيه مخاطبا علماء ومشايخ الأقطار العربيّة. وشرح فيه كيف اجتباه ربّه مهديا معهودا ومسيحا موعودا، وذلك بأسلوب موضوعي.

رابعا - والمؤلّف الرابع اسمه (أربعين). وقد تضمّن هذا المؤلّف أربعين منشورا نشرهم حضرته واحدا إثر واحد، وجُمعوا فيما بعد على صورة كتاب. وكان يريد حضرته من خلال تلك المنشورات إتمام الحجّة على المشايخ وأتباعهم بتقديم الحجج والبراهين لإثبات مواضيع بلغت أربعين موضوعا. ولتصبح هذه المنشورات مرجعا لكلّ مدافع يريد أن يقف في مواجهة ما كان يثيره المشايخ من اتّهامات

باطلة، أولئك الذين كانوا يزدادون له مخالفة وعداء. وكان يذكر في تلك المنشورات ما يتلقّاه في تلك الأيام من إلهامات متعلّقة بالأحداث الجارية وقتئذ.

خامسا - والكتاب الخامس اسمه (إعجاز المسيح). وهناك قصّة وراء كتابة هذا المؤلّف أرى من المناسب اختصارها للقارئ خشية الإطالة عليه. فقد كانت هناك قرية قريبة من مدينة راولبندي اسمها كولره. وكان سكانها يعتقدون بشيخ صوفي اسمه مُهر عليشاه كولروي. وكان له أتباع أيضاً في القرى الحدوديّة المجاورة التي كان السكان فيها أقرب إلى الأمّيين. وقد شاء الشيخ الصوفي المذكور إشهار نفسه في مقابل ميرزا غلام أحمد. وقد جمع هذا الشيخ الأدلّة التقليديّة التي يقدّمها المشايخ لإثبات حيات المسيح ابن مريم الناصري في السماء، وذلك في كتاب نشره باسمه وسماه (شمس الهداية). ووصلت نسخة من هذا الكتاب إلى أيدي ميرزا غلام أحمد فلاحظ حضرته أنّ ما تضمّنه هذا الكتاب من أدلّة لم يكن بينها دليل جديد على ما هو معروف لدى المشايخ. كما لاحظ بأنّ كاتبه رجلٌ صوفي ولا شأن له بنقاش موضوعي. فردّ ميرزا غلام أحمد على صاحب هذا الكتاب بإعلان نشره بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٠٠م خاطب فيه الشيخ المذكور بخطاب طويل أقتطف للقارئ بعضا ممّا ورد فيه. قال حضرته: **(ثبت من كتاب الله القرآن بأنّ الله عز وجلّ يؤيّد أولياءه بطرق ثلاثة: فالطريق الأول منها أنّه تعالى يميّز هؤلاء بأمور خارقة لا تصدر عن غيرهم وقد أشار إلى هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾. والطريق الثاني أنّه يفتح عليهم علوم القرآن ومعارفه وبما لا يتحقّق منه على أيدي سواهم. وقد أشار إلى هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾. والطريق الثالث أنّ الله عز وجلّ يستجيب أدعية هؤلاء المؤمنين، ولا يستجيب أدعية سواهم من غير المؤمنين. وقد أشار إلى هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وإنّ أولياء الله هم أكثر المؤمنين أهليّة لاستجابة الدعاء)**.. وبعد أن شرح حضرته لهذا الشيخ تلك

الحقائق، عرض عليه طريقا للفصل في هذا الموضوع. ومن باب أنّ هذا الشيخ يزعم أنّ له عند الله تعالى منزلة كبيرة. وذلك في مقابل ما يدعيه ميرزا غلام أحمد. فميرزا غلام أحمد اقترح على الشيخ الصوفي المذكور (**أن يعقدوا في مدينة لاهور التي هي عاصمة البنجاب اجتماعا علنيّا بقصد أن يميز الذين يحضرونه ما بين الصادق والكاذب. فيفتح أحد الوجهاء الحاضرين القرآن الكريم بدون تعين. ويقوم كلّ طرف منهما بتفسير أربعين آيةً قرآنيّة من تلك السورة التي لاحت للذي فتح القرآن بدون تعين. وأن يدعو كلّ واحد منهما أمام الحاضرين قائلا: إلهي افتح على الذي تعلم بأنّه مقرّبٌ منك علوم ومعارف هذه الآيات القرآنية. وأيدني بكتابتها بلسان عربيّ مبين. وأما الذي لا ترضى عنه من بيننا فسدّ علوم ومعارف هذه الآيات في وجهه والجم قلمه عن الكتابة بلسان عربي مبين. ولتثبت ربّنا من خلال فعلك هذا من تؤيّده أنت من بيننا بروح القدس، ومن هو محروم من التأييد بروح القدس أيضاً**). واشترط حضرته على هذا الشيخ أن يجلس كلاهما في ذاك المجلس للكتابة، وبحيث لا يتمكّن الواحد من نقل ما يكتبه الآخر وأن يمتدّ ذلك إلى سبع ساعات لا أكثر. وأن يُطالع ثلاثة من العلماء الفاضلين الذين يحضرون الاجتماع ما كتبه هذا الصوفي وميرزا غلام أحمد بإمعان. شريطة ألاّ يكون هؤلاء العلماء الأفاضل من أتباع الشيخ المذكور ولا أن يكونوا من أتباع ميرزا غلام أحمد. وأن يُقسم هؤلاء العلماء بأنّهم لن ينحازوا إلى جانب أحد. وأن يقدّموا ما لاحظوه بصدق. فإن حكم هؤلاء العلماء الأفاضل لصالح هذا الشيخ الصوفي فإنّ ميرزا غلام أحمد يحرق جميع مؤلّفاته ويعتبر نفسه مخذولا مردودا. أما إذا حكم هؤلاء الثلاثة لصالح ميرزا غلام أحمد فعلى هذا الشيخ أن يتوب ويبايع ميرزا غلام أحمد. وأن ينشر هذا الشيخ الحقيقة من خلال إعلان ينشره على الناس خلال مدّة شهر من الزمان. والسؤال هنا: بمَ أجاب الشيخ مهر عليشاه على الاقتراح المذكور؟ أقول أجاب الشيخ الصوفي المذكور على هذا الاقتراح بجواب حاول من خلاله التهرّب من قبول ذاك الاقتراح الذي

اقترحه عليه ميرزا غلام أحمد. فالشيخ كتب إلى ميرزا غلام أحمد يقول: إنّي أقبل بالعمل على اقتراحك الذي اقترحته عليّ، كما أقبل بجميع ما تضمّنه من شروط لكنّه وقبل أن نُقدمَ على فعل ما اقترحته عليّ، أرى من المناسب أن نبحث في عقائدك أولاً بميزان معطيات القرآن والحديث. ونعرض عقائدك على الشيخ محمد حسين البطالوي وعلى شيخين معه ليبدوا رأيهم أأنت على الحقّ أم أنا على الحقّ. فإن حكموا لصالحي فإنّ عليك أن تبايعني أولاً. ومن ثمّ نعمل على اقتراحك المتعلّق بكتابة تفسير. وقد أراد الشيخ مهر عليشاه من خلال إجابته هذه التخلّص من الدخول فيما اقترحه عليه ميرزا غلام أحمد فيما يتعلّق بالجلوس معه لتفسير آي القرآن الكريم. وليوهم مريديه الأمّيين في الوقت نفسه بأنّه غالبَ ميرزا غلام أحمد وقهَره. ومن باب أنّ نظرة الشيخ البطالوي إلى عقائد حضرة الميرزا كانت معروفةهي أيضاً. خصوصا وأنّ ميرزا غلام أحمد كان قد أعلن من قبل بأنّه لن يدخل بعد الآن في بحثٍ مع المشايخ إلا إذا حدث بصورة مكتوبة على الورق. وعلى هذه الصورة فقد حاول هذا الشيخ الصوفي التهرّب من مواجهة ميرزا غلام أحمد بأساليب ملتوية لا تدلّ على شيء من تقوى اللّه تعالى. وقد قام ميرزا غلام أحمد بعدها بعدّة محاولات جديدة وبطرق مختلفة لكشف حقيقة هذا الشيخ الصوفي مهر عليشاه. لكنّ الشيخ المذكور كان يتهرّب منها على الدوام بنفس أساليبه الملتوية ممّا يطول ذكره وبيانه. فاقترح عليه ميرزا غلام أحمد أخيرا أن يكتب تفسيرا لسورة الفاتحة ويسمح له أن يستعين بمن شاء من العلماء العرب وغيرهم من علماء العجم على إنجاز ذالك التفسير حتى غاية ٢٥ شباط عام ١٩٠١م كيلا يُعدّ كاذبا. وأنّ حضرته نفسه سيكتب تفسيرا لسورة الفاتحة من جانبه ضمن الميعاد المقرّر. وجلس حضرته وكتب تفسيرا لسورة الفاتحة بلسان عربيّ مبين خلال المدّة المقرّرة. وتلقّى من جانب ربّه عز وجلّ على أثره إلهاما يقول (فإنّه كتابٌ ليس له جواب فمن قام للجواب وتنمّر فسوف يرى أنّه تندّمَ وتذمّر).

كذلك تلقّى حضرته بعده إلهاما آخر ونصُّه: (منعه مانعٌ من السماء).. أما الشيخ الصوفي مهر عليشاه فلم يستطع كتابة شيء في تفسير سورة الفاتحة. وبدلا من أن يستحي ويرجع إلى الحق فقد أخذ ينشر منشورات يدّعي فيها بأنّ ميرزا غلام أحمد سرق بعض ما كتبه من كتاب الحماسة المعروف وأمثال اتّهاماته السخيفة. وهي أقوال لا أريد إضاعة وقت القارئ في متاهاتها. خصوصا وأنّها تكشف له تلك الحالة المتخلّفة والمُزرية التي وقع فيها الصوفيون الهنود في تلك الفترة من الزمان. والمهمّ في الأمر هو أنّ حضرته كتب كتابه (إعجاز المسيح) في تفسير سورة الفاتحة ما بين ١٥ كانون أول عام ١٩٠٠/ وإلى ٢٠ شباط عام ١٩٠١م.

سادسا - والكتاب السادس الذي شرع ميرزا غلام أحمد بتأليفه أواخر عام ١٩٠٠م وسماه (تُحفة كولرويّة). فقد أنهاه بتاريخ الأول من أيلول عام ١٩٠١م. وشرح فيه مُعتقداته وما حدث بينه وبين الصوفي مهر عليشاه أيضاً. ووضّح فيه حقائق روحيّة لطيفة. وأورد فيه ما تلقّاه من إلهامات أيضاً. وعلى هذه الصورة أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ أحداث عام ١٩٠٠م إلى جانب أشهر مؤلّفات ميرزا غلام أحمد التي أنجزها في العام المذكور.

الفصل الخامس عشر

أحداث عام ١٩٠١م

إصدار مجلة النقد الديني

عودة انتشار الطاعون، والوعظ للتخلّص منه

تأهيل دعاة إلى الحقّ المبين (إزالة خطأ) وتصحيح ما نسبوه إليه

مؤلّفات العام: تحفة كولرويّة. الخطبة الإلهامية. إعجاز المسيح.

رسالة (تصحيح خطأ)

فمن المعلوم أنّها كانت من أعظم مهام المجدّد ميرزا غلام أحمد أن يحقّق نبوءة كسره للصّليب التي تعني إبطال عقائد أهل الصليب بالحجج والدلائل والبراهين القاطعة. وقد لاحظ القارئ كيف أنّ حضرة الميرزا لم يترك على صعيد تحقيق مهمّته السماويّة هذه وقتا يفوته إلا استغلّه أحسن استغلال. لكنّه كان يحزّ في نفسه أنّ الإرساليات التبشيريّة تأتي إلى الهند من الأقطار الغربيّة. فكان يتفكّر في كيفيّة غزو أفكار هؤلاء الغربييّن في عقر دارهم. وفي كيفيّة إيصال معارف القرآن الكريم المقدّسة وتعاليمه السامية إلى عقول أبنائهم. فكيف كان يمكن تحقيق هذه المهمّة الداخلة في صلب مهمّته الدينيّة؟ خصوصا وأنّه تمكّن من هزيمة تلك الإرساليات التبشيرية المسيحيّة التي أتى بها الاستعمار البريطاني معه إلى شبه القارة الهنديّة حتى انتهاء عام ١٩٠٠م. وقد خطر لميرزا غلام أحمد أن يُصدر مجلّة باللّغة الإنكليزية لتحقيق ما كان يحلمُ بتحقيقه. فنشر بتاريخ ١٥ شباط عام ١٩٠١م إعلانا يقترح فيه اقتراحا ضرورياً. وهو أن يفكّر كلّ مبايع من مبايعيه بكيفيّة إصدار مجلّة باللّغة الإنكليزية. وأن ينتهز فترة عطلات أيام عيد الأضحى للقدوم إلى قاديان وذلك للتشاور في كيفيّة تنفيذ هذا الاقتراح الذي

أتينا على ذكره. وقد تحقّق اجتماع جميع العلماء من المبايعين أيام عيد الأضحية في قاديان. وتشاوروا مع حضرة الميرزا وانتهت مشورتهم إلى ضرورة تعيين أعضاء تحرير لتلك المجلّة التي اقترحوا تسميتها (مجلّة النقد الديني) والتي كان المقصد من إصدارها في تلك الأيام نشر تعاليم الإسلام الحقيقيّة بأسلوب علميٍّ وموضوعيٍّ بعيدٍ عن التّعصّب الأعمى وترسيخ العداوة الدينيّة. وبالفعل فقد كان تقرّر أن تبدأ أعداد المجلّة المذكورة بالصدور ابتداء من شهر تشرين أول من نفس العام. وكان قد ترأسها المحامي الفاضل محمد علي الذي كان عليه أن يستعين بإرشادات ميرزا غلام أحمد بخصوص مواضيعها ومعارفها. إلا أنّ جماعة حضرة الميرزا لم تتمكّن من تنفيذ هذا المشروع إلا في العام الذي تلاه لأسباب فنّية وغيرها من الأسباب. وقد بدأت أعداد المجلّة بالصدور ابتداء من شهر كانون الثاني عام ١٩٠٢م. وقد كتب حضرة الميرزا المقالات الأولى بدون أن يذكر اسمه فيها. ومن ثمّ كانت أكثر المعارف التي كانت تُنشر فيها من بنات أفكار ميرزا غلام أحمد مترجمة إلى الإنكليزيّة.

وفي شهر آذار من عام ١٩٠١م نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا بعنوان (الطاعون). وقد ذكّر حضرته أهل البنجاب بما كان قد تنبّأ به عن وباء الطاعون بتاريخ ٢٦ شباط عام ١٨٩٨م. وكيف أنّ الوباء المذكور انتشر بعد ذاك الإعلان الذي لم يأخذه الناس على مَحملِ الجدّ وسخروا منه ومن الذي تنبّأ بظهوره. بدلا من أن يرجعوا إلى ربّهم ويتوبوا إليه ويستغفروه. فذكّر حضرته الناس بأنّ الذين سخروا من تلك النبوءة لاقوا من وباء الطاعون الأمرّين. ومات الناس بسببه بالآلاف. وبعد تذكير الناس بهذه الحقيقة، توجّه حضرة الميرزا وقال: (فيا أعزّائي! فها أنّي أُعلن من جديد في نفس الموضوع، طالبا منكم التريّث وأن تخافوا اللّه تعالى وأن تُحدثوا في أنفُسكم تبديلا حقيقيًّا كي يرحمكم ربُّكم فبلاء الطاعون سيعاود الظهور من جديد. لكننا نأمل من اللّه

تعالى أن يقضي عليه. فيا أيّها الغافلون ليس هذا وقت السخرية والاستهزاء. بسبب أنّ بلاء الطاعون يحدث بتقدير من السماء ولا يزول إلا بحكم الذي قدّره في السماء.... فالحقّ أقول لكم إنّه إن وُجد إنسان واحد كامل الاستقامة في بلدٍ يُعدّ سكانُه مليون نسمة. فإنّ وجوده يدفع البلاء عن ذاك البلد. فإن لاحظتم بأنّ بلاء الطاعون عاد يُهلك سكان بلد من البلدان، فاعلموا يقينا بأنّ ذاك البلد يخلو من وجود إنسان كامل الاستقامة فيه. إنّ انتشار أنواع من الأمراض أقلّ درجة من الطاعون هو أمرٌ قليل الأهمّية. أما إذا أصبح الوباء يفتح فمه ليلتهم سكان مدينة من المدن كالنار التي تعمل في الهشيم، فتيقّنوا بأنّ تلك المدينة تخلو من وجود إنسان بار فيها. لذلك فسارعوا واهربوا من تلك المدينة. فكما أنّ علم الطبّ يعلّمكم ضرورة هروبكم من تلك المدينة، فإنّ القواعد الروحيّة تقتضي منكم اختيار كامل التوبة. إلا أنّ من كان في فطرته سمُّ الخطيئة فإنّه يكون في حالة خطر على كلّ حال. إنّ أهل الدنيا همّهم الأخذ بالأسباب الأرضيّة، ولا يعلمون بأنّ جذر هذا المرض ينمو في سمّ المعصية. وتفيد في علاجه هذه العلاجات). وعلى هذه الصورة فقد أنذر ميرزا غلام أحمد من خلال إعلانه المذكور أهل منطقة البنجاب وبالتاريخ الذي ذكرناه مرّة ثانية بعودة الطاعون إلى الانتشار في منطقتهم. بسبب أنّ المكذّبين منهم لم يرتدعوا بما فات من العذاب الذي تسبّب به الطاعون في ديارهم. وسأطلع القارئ في الفصل القادم عن ظهور الطاعون مرّة ثانية ومصداق هذا الإنذار الذي أشرنا إليه.

وفي هذا العام شاء ميرزا غلام أحمد أن يُخرّج مبشّرين محلّيين مؤهّلين لإتمام الحجّة على الذين يحاورونهم ولكن بشكل موضوعيّ. وليجيبون على جميع الافتراءات والاعتراضات أجوبة مُفحمة. وأن يحاوروا الآريين والمسيحيين بحوار موضوعيّ وعلميّ. وليشكّلوا وسيلة نجاة وخلاص لكلّ طالب حقّ. ولنشر تعاليم الإسلام على حقيقتها وبأكمل وأتمّ حجّة ودليل علميّ. فتحقيقا لجميع هذه

الحقائق فقد نشر ميرزا غلام أحمد منشورا تحت عنوان (اشتهار مفيد الأخيار) ومعناه إعلان يفيد الأخيار وذلك بتاريخ أيلول عام ١٩٠١م. وقد خاطب حضرته أفراد جماعته في هذا المنشور وقال: (**نحن بحاجة إلى مائة فرد من جماعتنا يكون من أهل الفضل والكمال يوقف نفسه لخدمة هذه الجماعة ويكون مؤهّلا ليقوم بمحاورة من يحاورونه بحوار موضوعيّ يردّ فيه على جميع الافتراءات والاعتراضات بأجوبة مُفحمة. وأن يدخل مع الآريين والمسيحيين بحوار موضوعيّ وعلميّة ليصبح وسيلة نجاة وخلاص لكلّ طالب حقّ منهم. وليقوم بنشر تعاليم الإسلام بوجهها الحقيقي الناصع البياض مقرونة بحجج وبراهين ساطعة. وعليه فقد قرّرت لتحقيق هذه المقاصد أن يستعدّ كلّ من يجد في نفسه اللّياقة لتأدية هذه المهام أن يطالع كتبنا وأن يستعدّ ليُمتحَن بما فيها من معارف وعلوم وذلك بتاريخ ٢٤ كانون أول ١٩٠١ وليستعدّ للتفرّغ في الشهر المذكور للوصول إلى قاديان للاشتراك في الامتحان المشار إليه كتابيا. ومن أجل أن يجيب على الأسئلة المطروحة عليه. وإنّ كلّ مَن ينجح في ذاك الامتحان فسيقرّر تعيينه لأداء هذه المهمات التي ذكرناها أعلاه. فيرسل كلّ واحد من هؤلاء الدعاة إلى مكان مخصوص للقيام بدعوة الناس إلى الحقّ المبين. وسيتكرّر هذا الاجتماع كلّ عام لزيادة عدد الذين يستحقّون أن يكونوا دعاة، وليكونوا أداة نشر هذه التعاليم**).. وعلى هذه الصورة فقد أحيا ميرزا غلام أحمد نظام الدعوة إلى سبيل اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة. ووضع حجر الأساس في بنائه الشاهق الذي ما زال يشمخ بأنفه إلى يومنا هذا الذي تحقّق فيه وجود ألوف المبشّرين والدعاة إلى سبيل اللّه تعالى في كلّ قطر من أقطار العالم.

وقد يتساءل القارئ عن الداعي الذي دعا ميرزا غلام أحمد للإقدام على هذه الخطوة التي أعلن عنها وأقدم عليها في تلك الفترة الزمنيّة بالذات؟ وأجيب على هذا السؤال بقلم ميرزا غلام أحمد نفسه. فقد نشر حضرة الميرزا رسالة مُقتضبة في تلك الأيام بعنوان (إيك غلطي كا إزاله) أي (تصحيح خطأ). وذلك بتاريخ الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٠١م وقد استهلّ حضرته رسالته المذكورة

بقوله: (**إنّ نفراً من أفراد جماعتنا من الذين لم يطّلعوا على حقيقة دعوانا وعلى ما يؤيّدها من دلائل وبراهين قاطعة. إلى جانب أنّها لم تسنح لهم مشاغلهم فُرصة مطالعة كتبنا ومؤلّفاتنا بتدبّر وإمعان. كما لم تسمح لهم بالقيام بمصاحبتنا مدّةً معقولةً من الزمان كافية لاستكمال معلوماتهم بهذا الخصوص. إنّ هؤلاء الأفراد من جماعتنا يجيبون على اعتراضات الذين يخالفوننا بما يتنافى مع واقع الحال كلّية. وبالتالي تحلُّ بهم الندامة على ما فعلوه. هذا بالرغم من كونهم عارفين للحقّ ومتّبعيه. وعلى سبيل المثال فقد حدث أن سُئلَ أحدُهم منذ أيام هذا السؤال، وهو: هل ادّعى هذا الذي بايعتموه النبوّة والرسالة؟ فأقدم هذا على مجرّد إنكار ذلك. وبالتالي فقد كانت إجابته بعيدة عن الواقع والحقيقة**)..

وبعد أن حدّد ميرزا غلام أحمد في رسالته المذكورة خطأ إجابة بعض أفراد جماعته ممّن يجيبون على الذين يسألونهم (هل ادّعى هذا الذي بايعتموه النبوّة والرسالة؟). فقد تابع وقال بالحرف الواحد: (**إنّه لحقٌّ لا جدال فيه هو أنّ ما تلقّيته من وحي إلهيّ مقدّسٍ قد اشتمل على كلمتي مرسل ونبيّ، ليس مرّةً واحدةً بل مئات المرّات. فكيف يصحّ الإنكار بالرغم من احتواء تلك الإيحاءات على هذين اللّفظين؟ بل ويتوارد هذين اللّفظين في هذه الأيام أكثر من الماضي فيما أتلقّاه من إلهامات. كذلك فإنّ مؤلّفي (البراهين الأحمديّة)، وهو الكتاب الذي مضى على طبعه واحد وعشرون عاما، قد ورد فيه عدد من هذين اللّفظين. فممّا نُشرَ فيه من المكالمات الإلهيّة على الصفحة ٤٩٨: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليُظهرهُ على الدين كلّه) ففي هذا الخطاب خوطب هذا العاجز فيه بكلمة (رسول). كذلك ورد على الصفحة ٥٠٤ منه (جريُّ اللّه في حُلَل الأنبياء). وفيه ما يقرب منه أيضاً (محمّد رسول اللّه والذين معه أشدّاء على الكفّار رُحماء بينهم). وقد سُمّيتُ في هذا الإلهام محمّدا ورسولا. كذلك ورد في كتاب البراهين صفحة ٥٥٧ ما ترجمته (جاء نذيرٌ إلى الدنيا). وفي قراءة (جاء نبيٌّ إلى الدنيا). كذلك نودي هذا العاجز بخطاب رسول في عدّة مواضع من البراهين الأحمدية**)..

وبعد أن ذكر ميرزا غلام أحمد بأنّ كلمتي (نبي ورسول) قد وردتا في عددٍ ممّا تلقّاه من الإلهامات الربّانيّة. طرح حضرته سؤالا هو بنفسه قال فيه: (**فإن قيل وهل من الممكن أن يأتي نبيٌّ بعد محمّد صلّى الله عليه وسلّم في وقتٍ جعله الله تعالى خاتم النبيّين؟**). وهذا السؤال تردّد في زمن حضرة الميرزا ويتكرّر في أيامنا هذه على ألسنة الذين يكذّبونه ويُعادونه. وليستمع القارئ إلى ما أجاب به ميرزا غلام أحمد على هذا السؤال الضخم. فهو أجاب وقال: (**إجابتي هو أنّ مما لا ريب فيه أنّه يستحيلُ أن يأتيَ بعد حضرة المصطفى (ص) أيّ نبيّ جديد أو نبيّ قديم كعيسى ابن مريم الذي يحاولون إنزاله في آخر الزمان، وفي وقت يعتقدون فيه بأنّ عيسى نبيّ. كما يعتقدون بأنّه سيتلقّى وحي النبوّة أربعين عاما أيضاً وهي مدّةٌ زادت على مدّة نبوّة محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وكما هو معروف. وهؤلاء لا يدرون بأنّهم يرتكبون فيما يعتقدونه معصية واضحة المعالم. ويكذّب اعتقادهم هذا صريح آية (ولكن رسول الله وخاتم النبيّين). إلى جانب أنّ حديث (لا نبيّ بعدي) يكذّب عقيدتهم -فيما يتعلّق بنزول عيسى من السماء- أيضاً. هذا وإننا بدورنا نرفض بقوّة هذا المعتقد المشار إليه. وفي وقت نؤمن فيه من صميم أفئدتنا بقول ربّنا عز وجلّ (ولكن رسول الله وخاتم النبيّين). علما بأنّ الذين يعادوننا لا يدرون بأنّ هذه الآية المذكورة قد أنبأت عن سدّ باب النبوة من بعد محمد رسول الله وإلى يوم القيامة. وعاد من المستحيل على أيّ مسيحيٍّ أو يهوديٍّ أو هندوسيٍّ أو مسلمٍ عاد يجهل تعاليم الإسلام ويسمّى مسلم بالوراثة أن يحظى بلقب نبي. والسبب في ذلك أنّ جميع أنواع النبوّات المعروفة قد سُدّ بابُها، باستثناء سيرة الحياة الصدّيقية فإنّ نافذتها ظلّت مفتوحة. وهي السيرة التي تعني فناء المؤمن في اتّباع سيرة الرسول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. وإنّ كلّ إنسان يسعى إلى التعرّف على الله عز وجلّ من هذه النافذة، فإنّه يُلبسُ من جانبه تعالى نفس رداء النبوّة، ليس على سبيل الحقيقة ولكن على سبيل الظلّية. وهو ما يُسمّى رداء النبوّة المحمّديّة. علما بأنّ نبوّته الظلّية هذه تنتفي معها الغيريّة. ذلك لأنّ صاحبها لا يستمدّها من نفسه، بل ينالُها من يُنبوع نبيّه المصطفى (ص). ولا يأخذ لباس النبوّة الظلّية ليظهرَ هو نفسه، بل يأخذها لإظهار جلال نبيّه الذي استحقّ اسم محمّد وأحمد في السماء. وهذه**

الحقيقة تعني بألفاظ أخرى أنّ نبوّة محمّد قد عادت إلى محمّد في آخر المطاف بطريق البروز وليس عن طريق الغيريّة. وهكذا يصبح معنى (ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين) أن ليس محمّد أبا أحد من أهل الدنيا لكنّه أبٌ لرجال الآخرة، فهو خاتم النبيّين ولا سبيل إلى تحصيل فيوض الله وتجلّياته من غير توسّطه صلّى الله عليه وسلّم).. فبهذه الإجابة قد أجاب ميرزا غلام أحمد على السؤال الذي طرحه بنفسه وهو (هل من الممكن أن يأتي نبيّ بعد محمّد وفي وقت جعله الله تعالى خاتم النبييّن؟). فإن نحن أمعنّا نظرنا فيما أجاب به حضرة الميرزا يتبيّن لنا من جهة بأنّ حضرته يفهم من لفظي (نبي ورسول) الواردين في عدد ممّا تلقّاه من إلهامات ربّانيّة معنى مخالفا لمعنى المصطلح الشرعي لكلمة (نبيّ) والمتداول لدى علماء هذه الأمّة الإسلاميّة. وأنّ حضرته يعتقد بسدّ باب النبوّة بعد بعثة محمّد المصطفى (ص) حسب المصطلح الشرعيّ المذكور. ومعتبرا الاعتقاد بنزول عيسى ابن مريم من السماء آخر الزمان أنّه ضرب من ضروب هتك حُرمة سدّ باب النبوّة بالمصطلح الشرعيّ أيضاً من جهة ثانية. ودفعا لوجود تناقض ما بين ورود لفظي (نبي ورسول) في إلهاماته التي يوقن بأنّها وحي سماويّ، وما بين الاعتقاد بسدّ باب النبوّة بالمصطلح الشرعيّ الذي يسلّم به هو نفسه. فلدفع وجود هذا التناقض الظاهريّ فإنّ حضرة الميرزا طرح موضوع (سيرة الحياة الصدّيقيّة) التي تتأتّى عن إتّباع الأسوة المحمّديّة. هذه التي أطلق عليها مصطلح (رداء النبوّة على سبيل الظلّية). والحقّ أنّ من العسير على العلماء القائلين بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعد بعثة محمّد رسول الله (ص) أن يتمكّنوا من أن يحيطوا علما بهذا المصطلح المشار إليه والذي أورده ميرزا غلام أحمد في رسالته هذه. وكيف يمكن لهؤلاء أن يفهموا هذا المصطلح الذي أتى به حضرة الميرزا، وفي وقت لا يعرفون فيه حقيقته ولا يتلقّون من ثماره شيئا البتّه. وهو المصطلح الذي يشير بإصبعه إلى قول الله ذي الجلال في الآيات ٦٢/٦٣/٦٤ من سورة يونس: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ

يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.. فهذه الآيات الكريمة بشّرت أولياء اللّه تعالى من الذين يتّبعون سيرة النبي المصطفى (ص) إتّباعا قائما على تقوى اللّه تعالى، بشّرتهم بنيل (البشرى) في الحياة الدنيا والآخرة. وإنّ كلمة (البشرى) معرّفةً بأداة التعريف التي تفيد هنا الاستغراق، بسبب عدم تخصيصها. فهذه الكلمة تعني بألفاظ أخرى أنّ كلّ من يطع اللّه والرسول إطاعة حقيقيّة يتلقّى من جانب ربّه عز وجلّ إلهامات ربّانيّة تحمل له بشارات على مختلف صُعُد الحياة، وبمختلف طرق كلام اللّه تعالى مع عباده الصالحين. علما بأنّ تلقّي كلام اللّه تعالى غير مرتبط بالرسالة والنبوة. ولكنّه مرتبط بهذا المخلوق البشر الذي يطوّره اللّه الذي خلقه، طورا بعد طور، ومن خلال كلامه معه وفق مُقتضيات الحال. وبهذا المفهوم فقد أصبح اللّه عز وجلّ هو (ربّ العالمين). وهي هذه الحقيقة التي أشارت إليها الآية ٥١ من سورة الشورى، والتي قال تعالى فيها: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. فهذه الآية ربطت الكلام الإلهي بالبشر ولم تربطه بالنبوة والرسالة. والواقع أنّه لا يستطيع فهم هذا المصطلح الذي أتى به ميرزا غلام أحمد إلا كلّ مُسلمٍ تقيٍّ موقن بأنّ من أسماء اللّه تعالى صفة (المتكلّم). وأنّ صفة اللّه المتكلّم أبديّة أزليّة الدلالة كبقيّة أسماء اللّه الحسنى. فاللّه لا ينقطع عن مكالمة عباده البشر بأيّ حال من الأحوال. وكيف يفعل ذلك وأنّ كلامه السماويّ هو بمثابة ماء روحيٍّ في مقابل ماء السماء الماديّ الذي بدون استمرار نزوله من السماء تنضب الحياة على سطح هذا الكوكب الأرضيّ؟ فميرزا غلام أحمد فهم من دلالة (خاتم النبيّين) أنه لا سبيل إلى تحصيل فيوض اللّه وتجلياته بعد بعثة محمّد المصطفى من غير توسّطه صلّى اللّه عليه وسلّم. أي أنّ تلقّي تجلّيات اللّه وكلامه مع عباده المؤمنين

مرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل على ما تقتضيه الأسوة المحمّديّة. وهكذا أتيت على شرح المصطلح المذكور الذي أتى به ميرزا غلام أحمد ليفهم القارئ معنى (سيرة الحياة الصدّيقيّة).

فاستنادا إلى هذا المفهوم الذي أتيت على شرحه الآن، فقد أضاف حضرة الميرزا وقال في رسالته المشار إليها: (**حاصل الكلام أني أوتيت هذه الألقاب لفنائي في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم تكُن نبوّتي ورسالتي متأتّيةً من حيثيّتي الذاتيّة، بل جاءت من حيثيّة محمّد وأحمد. وهذا المفهوم لا يزعزع مفهوم (خاتم النبيّن). أما اعتقاد المسلم بنزول عيسى بعد محمّد فيزعزع مفهوم خاتم النبيّن بصورة يقينيّة. ولا يغربنّ عن أذهانكم بأنّ معنى كلمة (نبي) لغةً هو الإنسان الذي يتنبّأ بأخبار غيبيّة تلقّاها من لدن ذات الله تعالى. وحيثما تحقّق هذا المعنى اللّغويّ فيؤخذ بتسمية كلمة (نبي). شرط أن يكون هذا النبيّ مرسلا من جانبه تعالى، وإلا استحال عليه تلقّي أخبار الغيب المصفّى في تلك الحالة. إذ يمنعه من استحقاق هذه التسمية مُعطيات الآيات ٢٦/٢٧/٢٨ من سورة الجنّ التي قال الله تعالى فيها: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.. وعليه فإن نحن أنكرنا وجود نبوّة هذا المعنى اللّغوي الذي ذكرناه بعد محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، فقد لزم الاعتقاد حينئذ بأنّ هذه الأمّة محرومة من المكالمات والمخاطبات الإلهيّة. ومن باب أنّ مَن يتلقّى أنباء غيبيّة من لدن الله تعالى فهو يستحقّ اسم (نبيّ) لغة، ووفق منطوق الآية ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾. إلى جانب أنّه يستحقّ اسم رسول أيضاً بسبب أنّه يُنبئ من لدُن ذات الله تعالى. وإلى جانب اعتبارنا بأنّه لا نبيّ بشريعة جديدة بعد نبيّنا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وحتّى يوم القيامة. واعتبارنا أنّه لا نبيّ من بعد المصطفى بدون توسّط حضرته صلّى الله عليه وسلّم. وأن يكون هذا متفانيا فيه (ص) إلى درجة يسمّى معها محمّد وأحمد في السماء. أما من يدّعي**

النبوّة خلاف هذا الذي بيّناه يكون كافرا. هذا وإنّ مخالطة أيّة شائبة من شوائب الغيريّة فيمن ادّعى النبوّة ينقض مفهوم (خاتم النبيّين). أما إذا وُجد من حاز على هذه التسمية بباعث الاتّحاد التامّ الذي انتفت معه الغيريّة كلّية. وانعكست على مرآته الصافية الطلعة المحمّدية فيسمّى نبيّ، ولا تنقض تسميته هذه مفهوم (خاتم النبيّين). بسبب أنّه يصبح في تلك الحالة ظلاً لمحمّد (ص). ويبقى محمّد (ص) في الوقت نفسه هو (خاتم النبيّين). ومن باب أنّ هذا الثاني هو صورة مطابقة لمحمّد (ص) واسمه). أما القول بمجيء عيسى ابن مريم فإنّه يستحيل إلا أن ينقض مجيئه مفهوم كلمة (خاتم). خاصّة وأنّ نبوّة عيسى كانت نبوّة مستقلّة، وليست نبوّة إتّباع. وبالإضافة إلى هذا وذاك فإن استحالت تسمية شخص من الأشخاص باسم نبيّ ورسول ووفق معاني البروز هذه، فلا يعود هناك من معنى لدعاء الفاتحة الذي ندعو به وهو (اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقيمَ* صِرَاطَ الَّذينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ).. والذي فسّره قول اللّه تعالى في الآية ٦٩ من سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا﴾.. لهذا فاعلموا بأنّي لا أُنكرُ كوني نبيًا ورسولاً بالمعاني التي ذكرناها من قبل). وهنا أورد ميرزا غلام أحمد ملاحظة في حاشية كلامه قال فيها: (من الضروري أن تعلموا بأنّ هذه الأمة موعودة بالحصول على جميع أنواع النعماء التي تلقّاها النبيّون والصدّيقون من قبل. وإنّ النبوة بمفهومها اللّغويّ والأنباء الغيبيّة داخلة في هذه الإنعامات التي سُمّي بسببها أنبياء اللّه تعالى السابقون بهذا الاسم. علما بأنّ القرآن الكريم قد سدّ باب النبوّة والرسالة والعلوم الغيبيّة في وجه باقي أمم الأرض. وأبقى بابها مفتوحا على هذه الأمة كما يُستدلّ على ذلك من الآية (لا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) وبمعنى أنّ من مستلزمات النبوّة تلقّي الغيب المصفّى. الأمر الذي دلّت عليه آية (الذين أنعمت عليهم) والتي تشهد على أنّ هذه الأمة غير محرومة من تلقّي هذا الغيب المصفّى الذي يقتضي الرسالة أيضاً وذلك حسب مضمون الآية التي كنا أوردناها. وما دام طريق الحصول على هذه النعمة مسدود بطريق الاستقلاليّة. فقد لزم الإيمان بانفتاح باب الحصول على هذه النعماء بطريق البروز والظلّية

وبطريق الفناء في الرسول (ص) فتدبّر).. وعلى هذه الصورة يكون القارئ قد تبيّن دلالة مصطلح (**سيرة الحياة الصدّيقيّة**) التي كان ميرزا غلام أحمد قد أورده في رسالته هذه المشار إليها. والذي حاولت شرحه وتبسيطه للقارئ بألفاظي وألفاظ حضرة الميرزا نفسه ووفق ما نقلته له من قبل من أقواله التي تبسّط فيها حضرته شرحا وبيانا واستدلالا بآي الذّكر الحكيم.

ولم يكتف ميرزا غلام أحمد بذاك التوضيح الذي أوردناه. بل زاد عليه وقال: **(ومن هنا ورد لفظ نبيّ للمسيح الموعود في صحيح مسلم. ثمّ إذا لم نستعمل للإنسان الذي يتلقّى أنباء غيب من اللّه عز وجلّ، فباللّه أطلعوني على الاسم المناسب له لغويا. فإن قلتم نسمّيه محدّثا، فأقول إنّه لا يوجد كتاب من كتب اللّغة وردت فيه كلمة التحديث بمعنى الإنباء بالغيب، إلا لفظ النبوّة الذي يعني إظهار أمور الغيب. هذا وإنّ لفظ نبيّ هو لفظ مشترك بين العربيّة والعبريّة. فكلمة نابي في العبرية مشتقّ من نابا الذي يعني من يتنبّأ بالغيب من لدن اللّه تعالى ولا يُشترط فيه التّشريع. بل إنّه استعداد وأهليّة لتلقّي الأمور الغيبيّة. وما دمت أنا قد شاهدت بأمّ عيني هاتين أنّ ما يزيد عن مائة وخمسين نبأ غيبيّا أنبأني ربّي بها وتحقّقت بكلّ وضوح، فكيف يمكن رفض تسميتي نبيّا ورسولا في تلك الأنباء؟ خصوصا بعدما شاهدت أنّ من خاطبني بهذه الألفاظ هو اللّه عزّ وجلّ نفسه؟ وهل يجوز لي أن أرفض هذه التسمية خوفا من أحد سوى اللّه عز وجلّ؟ وأقسمُ بالذي بعثني مع علمي بأنّه ملعونٌ كلّ من يفتري عليه، أقسمُ بأنّه أرسلني مسيحا موعودا. وإني مؤمن بهذا الوحي الصريح الدلالة والجليّ إيماني بآيات القرآن الشريف. وإنّه إيمان لا يختلفُ عن الإيمان به مثقال ذرّة هذا الذي أُعطيته منه جلّ وعلا، والذي انكشفت عليّ حقيقته بالدلائل المتواترة)**.

ومن المعلوم أنّ المبدأ الفقهيّ يقول: البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر. وإنّ ميرزا غلام أحمد لم يقدّم البيّنة على ما ادّعاه وحسب. بل وإنّه أقسم هو نفسه على مصداقيّة ما ادّعاه. وترك للمؤمن أن يرى كيف أنّ اللّه تعالى الذي اتّخذه حضرة الميرزا شاهدا على صدق ما ادّعاه. لم يخذل حضرته، ولم يُنزل به عذابه الذي يُنزله على المفترين الكاذبين. وليدفعنا ميرزا غلام أحمد لنراجع قول

الله تعالى في الآية ٢٨ من سورة غافر: (المؤمن) ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.. هذا القول الذي ينهى عن الإقدام على قتل أحدٍ مؤمن بوجود الله تعالى من جهة. وفي وقت أتى فيه هذا المؤمن بالبيّنات من ربّكم على مصداقيّة ما ادّعاه من جهة ثانية. وهو قول يأمر بترك المدّعي ليلقى من جانب ربّه لعنة إن يكن كاذبا فيما ادّعاه من جهة ثالثة. وهو قول يُنذر الذين يخالفون هذه المبادئ بقوله ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ من جهة رابعة. ويرفع شعارا دائم العطاء حين قال وهو يقدّم حيثيّات هذه التعاليم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.. فميرزا غلام أحمد راح يُقسم ويقول: **(وإني لأقفُ في بيت الله تعالى وأقسمُ بأنّ هذا الوحي المقدّس النازل عليّ إنّما هو من جانب نفس ذاك الإله الذي كلّم موسى وعيسى ومحمّداً صلّى الله عليه وسلّم. وإنّ السماء والأرض شهدتا على أنّي خليفة الله تعالى في الأرض ومصداقا لتلك النبوءات. وكان من الطبيعيّ جدّا أن يكذّبني الناس ويحاربوني ليُحرمَ من الإيمان بي من كانت على قلبه غشاوة. وإنّي لموقنٌ بأنّ الله تعالى ينصرني ويعينني ووفقا لسنّته في نُصرة رسله الكرام. ولن يتمكّن إنسان محروم من تأييد الله تعالى من التغلّب عليّ)**..

وقد اعترض أعداء حضرة الميرزا آخذين عليه وقوعه في تناقض بيّن المعالم من حيث أنّه ينفي حينا كونه نبيّ. ويدّعي حينا آخر بأنّه نبي. وقد أجاب ميرزا غلام أحمد على اعتراض أعدائه المذكور وقال: **(وإنّي حيثما نفيتُ عن نفسي النبوّة والرسالة. فقد نفيتها بمعناها المتعارف عليه بين العلماء فقد نفيت النبوّة بمعناها المستقلّ ومن باب أنّي لست نبيّا مُشرّعا ولا نبيّا مُستقلاً. بل أنا نبيٌّ ورسول من جرّاء حصولي على فيوض رسولنا المقتدى الباطنيّة الذي وُهبت اسمه وحصلت على العلوم الغيبيّة بتوسّطه، ودونما الإتيان بشريعة جديدة. فبهذا المعنى لم أنفي كوني نبيّا بل وسمّاني الله تعالى نبيّا ورسولا**

ضمن إطار هذه المُعطيات. وحيثما نفيت وقلت لستُ برسول فاعني أنّي لست صاحب شريعة... فمن غضبَ أن سمّاني وحي الله تعالى نبيّا ورسولا، فإنّ غضبه هذا يتأتّى بدافع حماقته، وإلا فما تسبّبت نبوّتي ورسالتي هذه بنقض مفهوم (خاتم النبيّين)).. وهناك أورد حضرة الميرزا ملاحظة أورد يقول فيها (أما إعادة عيسى ابن مريم، وهو الذي مضت على نبوّته ستمائة عام من قبل بعثة محمد (ص) فإنّ هذا الاعتقاد لا يُبقي من الإسلام شيئا. وينقض بالتالي صريح آية (خاتم النبيين). ونسمع بسبب رأينا هذا من طرف مخالفينا السباب والشتائم، فليشتمونا ما شاءوا أن يشتمونا (وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنقلَب ينقلبون).

وعلى هذه الصورة فإنّ هذه الرسالة (**إزالة خطأ**) تُعدُّ مرجعا لكلّ مبايعٍ لهذا المجدّد ميرزا غلام أحمد المهدي المعهود ومثيل ابن مريم الذي أنبأت الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة عن بعثته أيام تخلّف المسلمين وتفرّقهم إلى مذاهب وشيعٍ وبعيدا عن الاعتصام بحبل الله جميعا، وبعيدا عن أداء مسؤوليّة الدعوة إلى سبيل الله بالحجّة والبرهان. وأيّام تهافت الأمم عليهم تهافت الأكلة على قصعة شهيّة المذاق. وهو هذا الزمان الذي ظهرت فيه هذه الرفقة المعروفة من شعوب أوروبة وأمريكا الذين اكتشفوا الآلة البخاريّة وبدؤوا عصر النهضة الصناعية المعروفة. هؤلاء الذين بدؤوا عصر استعمار مختلف أقطار العالم المتخلّف، ونهبوا كنوزها وجمعوها في بلادهم. وتركوا شعوب الأقطار المستعمرة ترزح تحت وطأة الفقر والمرض والحاجة للاستدانة ممّا يُطلقون عليه (نادي باريس) و(البنك الدوليّ). وليستعمروا بلاد الأمم المتخلّفة في اقتصادها وبقيّة نواحي حياتها. هؤلاء الذي وردت تسميتهم في أحاديث محمّد (ص) باسم (المسيح الدجّال). وألخّص للقارئ ما ورد في الرسالة المذكورة (إزالة خطأ) بالأمور التالية:

أولاً – نبّه ميرزا غلام أحمد عقولنا إلى أنّ ديننا دين حيٌّ مِعطاء أوجد مدرسة روحيّة تدور حور ثمار ما سمّاه (سيرة الحياة الصدّيقيّة). وهي حقيقة أشار إليها قول الله تعالى في الآية ٢١ من سورة الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

﴿لَمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.. ففعل (يَرْجُو اللَّهَ) من أمّل باللّه تعالى وضدّ يئس منه. ويصبح معنى الآية أنّ الذي يقتدي بمحمّد رسول اللّه (ص) بصورة عمليّة، يأمل من اللّه تعالى من وراء ذلك أن يُلبسه ربّه على قدر تأسّيه برسول اللّه (ص) رداءَ واحدٍ من الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ولكن على سبيل الظلّية. كالذي يتّصف بصفة الأسد فيناديه الناس أسداً على سبيل الظلّية. وهي حقيقة دأبنا على الدعاء بدعاء سورة الفاتحة لتحصيلها، وهي: ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾.. وهذه الحقيقة لم يفهمها أولئك الذين قالوا بانقطاع نزول الوحي الإلهي من بعد بعثة محمّد رسول اللّه (ص).

ثانياً - كما نبّه حضرته عقولنا إلى أنّ جميع أنواع النبوّات التي اشتهرت قبل بعثة محمّد رسول اللّه (ص) قد انسدّ بابها، وذلك بسبب نزول تعاليم القرآن المجيد. هذه التعاليم التي شكّلت مدرسة روحيّةً كاملة الأبعاد في حدّ ذاتها. فسدّت باب نبوّة الاصطفاء من أتباع الديانات السابقة. كما سدّت باب نبوّة التشريع، بسبب أنّ تعاليم الإسلام هي تعاليم كاملة وصالحة لكلّ زمان ومكان. والكامل لا يحتاج إلى التّكميل. وهذا هو معنى (خاتم النبيّين) في مفهوم ميرزا غلام أحمد. فإن وُجدَ من اعتقد بحياة المسيح الناصري في السماء وأنه سينزل منها بعد ظهور الإسلام، فإنّ اعتقاده هذا المذكور ينقض دلالة (خاتم النبيين) يقيناً. وقد اتّفق رأي ميرزا غلام أحمد بشأن ختم النبوّة مع ما كان قد ارتآه سلطان العارفين الشيخ مجدّد القرن السادس محي الدين بن عربي الذي قال في مؤلّفه (الفتوحات المكيّة) ج٢ ص ٥٨ **(فما ارتفعت النبوّة بالكلّية، ولهذا قلنا إنما ارتفعت نبوّة التشريع. فهذا هو معنى: لانبيّ بعده.).. وأضاف وقال على الصفحة ٩٠ منه (فالنبوّة سارية إلى يوم القيامة في الخلق وإن كان التشريع قد انقطع. فالتشريع جزء من أجزاء النبوّة. فإنّه يستحيل أن ينقطع خبر اللّه وأخباره في العالم. إذ لو انقطع لم يبق للعالم**

غذاء يتغذّى به في بقاء وجوده).. وقد أورد ابن عربي دليلا قرآنيا على مصداقيّة ما قاله، وهو **(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا. ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللّه)**.. وأضاف قائلا: **(فهذه كلمات اللّه لا تنقطع وهي الغذاء العام لجميع الموجودات. فهذا جزء واحد (نبوة التشريع) من أجزاء النبوة لا ينفد فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها)**. وصرّح رحمه اللّه تعالى وقال أخيرا: **(وأما النبوّة العامة فأجزاؤها لا تنحصر ولا يضبطها عدد. فإنّها غير موقّته، لها الاستمرار دائما دنيا وآخرة. هذه مسألة أغفلها أهل طريقنا. فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك أو لم يوقفهم اللّه عليها، أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا)**.. من هذا النصّ عاد يُدرك القارئ بأنّ ميرزا غلام أحمد لم يأت بشيء جديد. فالذين كذّبوه، أثبتوا بأنّهم أغفل الناس عن ربّهم وأبعدهم عنه.

ثالثاً - وقد صرّح ميرزا غلام أحمد بورود لفظي (نبي ورسول) ضمن ما تلقّاه من قبل ربّه عز وجلّ من إلهامات. وهذه الحقيقة شكّلت في نظر الذين خالفوه وعادوه إشكالا وظاهرة تضاد. وقد حلّ ميرزا غلام أحمد هذا الإشكال والتضاد. وذلك من حيث نظرته إلى هذين اللّفظين نظرة لغويّةً بحتة جاز إطلاقها على كلّ من يتلقّى أنباء الغيب من جانب ربّه ويؤمر بتبليغه إلى الناس. واستنبط هذه الحقيقة من الآية الكريمة ﴿لاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾. فالإظهار يعني الكثرة. فالذي يتلقّى كثرة من الأنباء الغيبيّة ويكون مُرسلا من جانب ربّه عز وجل لتبليغها فإن في اجتماع هذين العنصرين يسمح بتسمية هذا الشخص نبيّا ورسولا لُغةً، وليس بمفاهيم أنواع النبوّات السابقة لظهور هذا الدين الإسلاميّ الحنيف. كذلك أفتى حضرة الميرزا بأنّ كلّ مخالف لهذه المعاني ويدّعي النبوّة والرسالة بخلافها فقد كفر. فهذه أمور ثلاثة وضّحها ميرزا غلام أحمد في رسالته التي أتينا على ذكرها والتي سمّاها (إزالة خطأ). وانطلاقا من

مضمون هذه الرسالة فقد عاد من واجب كلّ باحثٍ في موضوع نبوّة ميرزا غلام أحمد أن يفسّر كلّ ما يطالعه في مؤلّفات حضرته على ضوء مُعطياتها. كيلا يقع فيما وقع فيه المتسرّعون السابقون. وقبل أن أنتقل للكلام عن أهمّ أحداث العام الذي يلي هذا العام. كان من المناسب أن أُطلع القارئ عمّا أنجزه ميرزا غلام أحمد من مؤلّفات في هذا العام. وهذه المؤلّفات هي:

أولاً - فقد كنت ذكرت قصّة ميرزا غلام أحمد مع الشيخ الصوفي مُهر علي شاه الذي كان يراوغ في كلّ يردّ به على حضرة الميرزا. الأمر الذي اضطرّ ميرزا غلام أحمد ليكتب مؤلّفا يحكي فيه كلّ ما جرى بينه وبين ذاك الشيخ من مكاتبات. وقد عنونَ حضرته مؤلّفه المذكور ب (تُحفة كولرويّة) ولم يستطع إتمامه عام ١٩٠٠م لذلك أكمله عام ١٩٠١م.

ثانياً - وفي عام ١٩٠١م ألقى ميرزا غلام أحمد خطبته الإلهاميّة بصورة ارتجاليّة، وعلى حسب ما ذكرته سابقا. وقد أضاف حضرته على نصّ تلك الخطبة الإلهاميّة صفحات هامّة فأتمّها وطبعها في هذا العام ١٩٠١/ أيضاً.

ثالثاً - وقد أتمّ حضرة الميرزا في هذا العام أيضاً مؤلّفه (إعجاز المسيح) الذي فسّر من خلاله سورة الفاتحة بلغة عربيّة فصيحة تحدّى به أعداءه. ولا يزال هذا التحدّي قائما حتى يومنا هذا.

رابعاً - كذلك كتب ميرزا غلام أحمد رسالته التي وضّح من خلالها مفهوم النبوّة، ومفهوم آية (خاتم النبيّن). وهي الرسالة التي اقتبست للقارئ منها ما يفيده بهذا الخصوص. وقد أطلق حضرة الميرزا على رسالته المذكورة اسم (إيك غلطي كا إزالة) ويعني (تصحيح خطأ).

الفصل السادس عشر

أحداث عام ١٩٠٢م

مدرسة تعليم الإسلام والتنظيم المالي

رفض التّطعيم ضدّ الطاعون	مقبرة أهل الجنّة ومشروعها
زواج ابنه ميرزا محمود أحمد	صدور صحيفة (بدر)
قصة الشيخ ثناء اللّه أمرتسري	قصّة الشيخ عبد اللّه

المؤلّفات: دافع البلاء. نزول المسيح. تحفة كولروي. تحفة غزنوية. ترياق القلوب. سفينة نوح. تحفة الندوة. إعجاز أحمدي. المناظرة ما بين بطالوي وجكرالوي والذي يُعلمُ من سيرة ميرزا غلام أحمد أنّه كان كلّما طرأ طارئ على جماعته، أن ينشر إعلانا يُطلعُ فيه أفراد جماعته على احتياجه إلى المال لمعالجة ذاك الطارئ الذي استجدّ عليه. فتتدفّق عليه تبرّعات من المخلصين من أفراد جماعته. ويستغلّ تلك الأموال لمعالجة ما طرأ عليه من أمر احتاج لإنجازه إلى المال. وقد أتيت على ذكر تلك الإعلانات في حينه من قبل. وبألفاظ أخرى فلم يقم ميرزا غلام أحمد بوضع حجر أساس لتنظيم ماليّ لجماعته حتى أوائل عام ١٩٠٢م.. فلما أهلّ عليه عام ١٩٠٢م أحسّ في الأشهر الأولى منه إلى ضرورة الإقدام على إيجاد تنظيم ماليّ له. بسبب أنّ جماعته كانت تتزايد يوما بيوم. وكان يأتي إلى قاديان ضيوف كثيرون لزيارته ومبايعته. وكانت مدرسة (تعليم الإسلام) التي كان قد أمر بإنشائها ومن ثمّ أمر بتوسيعها. وبالإضافة إلى مجلّة نقد الأديان التي أمر بإجرائها أيضاً ومئذنة المسيح وغيرها من تلك المشاريع التي أظهرها حضرته إلى حيّز الوجود. فجميع هذه المشاريع دفعت ميرزا غلام أحمد إلى الإقدام على إقامة تنظيم ماليٍّ لجماعته. ومستندا في ذلك إلى فرض تبرّعات

على أفراد جماعته. فبداعي هذه الأمور فقد أقدم ميرزا غلام أحمد إلى الكتابة من خلال إعلان نشره بتاريخ الخامس من شهر آذار عام ١٩٠٢م خاطب فيه كلّ واحد من الذين بايعوه. وناشدهم فيه بالاكتتاب بتبرّع كلّ واحد منهم على قدر استطاعته شهريا. وأقتبس للقارئ أهمّ ما ورد في الإعلان المذكور. فممّا خاطب به حضرة الميرزا أفراد جماعته قوله: **(لقد حان الوقت الذي ينبغي فيه على كلّ مبايع أن يقتطع من دخله مقدارا بسيطا للتبرّع به شهريا، ومهما كان دخله قليلا. شرط ألا يتبرّع حينا ويصدّ عن الدفع أحيانا أخرى. وليعلم كلّ فرد من الذين بايعوني بأنّه إذا لم يكتتب الواحد منهم للتبرّع شهريا بما قلّ أو كثر، فإنه يُعدُّ في نظري من المنافقين. ولا نعود نحسبه من جماعتنا هذه. وعليه فإني سأنتظر لاستلام اكتتاب كلّ واحد من المبايعين مدّة ثلاثة أشهر من تاريخ هذا الإعلان. فإن مضت هذه المدّة ولم يصلني اكتتاب أحدكم، فليعلم بأنّ اسمه سيشطّب عليه في سجلاّتها. ويُعلن عن تشطيب اسمه أيضاً. وإنّ كلّ واحد يتأخر عن الدفع بعد ذلك مدّة ثلاثة أشهر سيشطّب اسمه أيضاً. ولا يعود له من مكان في هذه الجماعة)**..

ومن خلال هذه الخطوة التي أقدم عليها ميرزا غلام أحمد. فقد ابتدأ بإيجاد نظام ماليٍّ لجماعته لأوّل مرّة في تاريخ دعوته. وقد خصّص محاسبين ودفاتر نظاميّة لتدوين تلك التبرّعات وبيان أمكنة صرفها أيضاً. ومنذ ذاك التاريخ فقد أصبحت الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة منظمة ماليّا. على أيدي محاسبين متخصّصين. ولها موازنتها في آخر العام أيضاً. وقد تمّ حساب ما يتوجّب على كلّ فردٍ منها دفعه وفق تعاليم الإسلام. وبدأت موازناتها تتعاظم سنة بعد سنة. إلى أن أمست في أيامنا هذه تعدّ بمئات الملايين من الليرات.

وكنت أطلعت القارئ على الإعلان الذي نشره ميرزا غلام أحمد بتاريخ ٢٦شباط عام ١٨٩٨م والذي أنبأ فيه عن أنّ الطاعون سينتشر في منطقة البنجاب بسبب أنّ أهلها فقدوا خشية اللّه تعالى وكانوا من المكذّبين. وكيف أنّ الطاعون قد ظهر فيما بعد، ولم يعتبر به أهل البنجاب. وكيف أنّ ميرزا غلام

أحمد قد نشر إعلانا بتاريخ ١٧ آذار ١٩٠١م بأنّ الطاعون سيعاود الظهور. وفي الحقيقة فإنّ الطاعون عاد في الظهور في هذا العام، عام ١٩٠٢م بصورة أشدّ وأقوى ممّا كان قد ظهر فيه من قبل. وبلغ الأمر من بطش هذا الطاعون بالناس إلى درجة كان يقضي معها على كلّ من كان يقطن في تلك البيوت. وكانت جُثث هؤلاء تُرى مُلقاة في داخل البيوت وعلى قارعة الطرقات، ومن دون أن يتجرّا أحد على جمعها والقيام بدفنها، خشية أن ينتقل إليه منها مرض الطاعون. وكان من نتيجة ذلك أن أُصيب الناس في تلك المنطقة بمصيبة كبيرة يصعب على المرء وصفها بالألفاظ. وقد كتب ميرزا غلام أحمد رأفةً من جانبه بأولئك الناس رسالة باسم (دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء). ونشرها بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٠٢م فأوصى فيها الناس بالمحافظة على النظافة في كلّ مكان يقطنون فيه. ووجّه أنظارهم إلى العلاج الحقيقي للخلاص من هذا البلاء وهو أن يتوبوا من ذنوبهم ويرجعوا إلى مالكهم الذي خلقهم رجوعا حقيقيا وأن يعودوا إلى المأمور الذي بعثه اللّه تعالى لصالحهم. وذكّرهم بالوحي الذي كان قد تلقّاه بتاريخ ٢٦ مايس ١٨٩٨م والذي أعلنه في حينه، وهو (إنّ اللّه لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم إنّه آوى القرية) هذا الإلهام الذي قُصد فيه بالقرية قريته قاديان التي يعيش فيها رسوله إلى الناس. وبدليل فعل (آوى) الوارد في هذا الإلهام. الدالّ على حفظ قاديان من هذا البلاء. ووضّح كيف أنّ اللّه عز وجلّ قد حفظ قاديان وأهلها من الإصابة بالطاعون. وأورد حضرة الميرزا إلهاما آخر كان قد تلقّاه بهذا الشأن وهو (لولا الإكرام لهلَكَ المقام) الذي يعني أنّه لولا مراعاة اللّه تعالى عزّة هذه الجماعة لكان قضى على قاديان أيضاً. وممّا أورده ميرزا غلام أحمد في رسالته المذكورة قوله: (الحقّ أقول لكم بأنّه يأت على الناس وقت، وهو قريب، أن يقولوا (**يا مسيح الخلق عَدوانا**). فيعودون إليّ ويستنجدون بي بقولهم يا من أرسله اللّه تعالى لهداية خلقه، اشفع لنا عند ربّك ليرفع عنّا هذا البلاء. وهذا هو

معنى (يا مسيح الخلق عدوانا)... وإني أقسم بالله تعالى بأنني المسيح الذي وُعدت به هذه الأمّة. والذي وردت الأخبار عن بعثته في التوراة والإنجيل والقرآن المجيد. بأنّه سيحدث في زمني الكسوف والخسوف، وينتشر الطاعون). وقد حثّ حضرة الميرزا في رسالته هذه مشايخ زمانه على الرجوع إلى هذه الحقيقة لإنقاذ أتباعهم من بلاء الطاعون. وممّا تلقّاه ميرزا غلام أحمد في تلك الأيام التي انتشر فيها مرض الطاعون إلهام ورد فيه: (إني أحافظ على كلّ من في الدار إلا الذين علَوا من استكبار، وأحفظك خاصّة. سلامٌ قولا من ربٍّ رحيم) ونشر حضرته هذا الإلهام في مؤلّفه (نزول المسيح ص ٢٣). وبعد أن تلقّى حضرته هذا الإلهام دعا أبرز مريديه كالأستاذ عبد الكريم وأهله. والدكتور الحاج نورالدين بهيروي وأهله، والعالم محمد أحسن أمروهي وأهله، والمحامي محمد علي وأهله. فاجتمعوا عنده في داره وشكّلوا حشدا كبيرا. ومع ذلك فقد حفظهم اللّه تعالى من الإصابة بمرض الطاعون. وتحقّق وعد اللّه تعالى الذي تلقّاه حضرة الميرزا وهو (إني أحافظ على كلّ من في الدار). وهنا من المناسب إطلاع القارئ على حادثة جرت للمحامي محمد علي وهو يُقيم في بيت ميرزا غلام أحمد في تلك الأيام. فقد أصيب المحامي المذكور بحمّى شديدة وغلب على ظنّه بأنّه أصيب بمرض الطاعون. وقد كتب بسبب ذلك وصيّته أيضاً. وأطلع العالم مفتي محمد صادق الذي كان موجوداً معه في بيت حضرة الميرزا، على تفاصيل وصيّته. وهنا قدم ميرزا غلام أحمد لتفقّد حال المحامي محمد علي. فوجده مضطربا جدّا فقال له حضرته: وعدني ربّي قائلا (إني أحافظ على كلّ من في الدار). فإن أصابك مرض الطاعون أكون كاذبا ومفتريا فيما أعلنته وادّعيت به. ومن ثمّ أمسك ميرزا غلام أحمد بيد محمد علي ليجسّ نبضه. ومن عجائب قدرة اللّه تعالى أنّها لم تعُد في تلك اللّحظة للحمى في عروق المحامي محمد علي من وجود. وقد أعطت تلك الحادثة القاطنين في دار ميرزا غلام أحمد في تلك الأيام دليلا محسوسا يوضّح لهم مبلغ يقين ميرزا

غلام أحمد بما كان يتلقّاه من وحي إلهيٍ وعده ربّه فيه بالمحافظة على كلّ من في الدار. كذلك أمست تلك الحادثة فيما بعد بأيدي الذين كانوا يراقبون تصرّفات المحامي محمد علي دليلا يُدلون به على ضعف إيمانه.

والمهمّ في الأمر هو أنّ نبوءات ميرزا غلام أحمد المتعلّقة بانتشار الطاعون قد تحقّقت بصورة جليّة وما عاد باستطاعة أحد من أعدائه الطعن بها من قريب أو بعيد. فقد انتشر الطاعون في بنجاب إلى درجة وضّحت الإحصائيات الحكوميّة بأنّ الطاعون قد قضى على ربع مليون نفس في تلك البقعة من الهند. بل وانتشر الطاعون إلى بقيّة أرجاء الهند وقضى على ما يقارب نصف مليون نفس فيها أيضاً وعلى حسب الإحصائيات الحكوميّة. ومن أهمّ أحداث تلك الفترة من الزمان هو أنّ ميرزا غلام أحمد عمد إلى كتابة كتاب سمّاه (كشتي نوح) ومعناه (سفينة نوح). وترجم المرحوم زين العابدين وليّ اللّه شاه هذا الكتاب إلى اللّغة العربيّة بعنوان (التعليم). علما بأنّ هذا الذي ترجم هذا الكتاب ذكر في مقدّمته بأنّه كان صبيا في تلك الأيام، وكان يعيش في بيت حضرة الميرزا أيضاً أيام انتشار الطاعون. ويروي بأنّه هو وكلّ من كان في منزل حضرة الميرزا كانوا يسمعون صراخ وبكاء المجوس الذين كانوا يقطنون في أحد أحيائها بسبب انتشار مرض الطاعون بينهم والذي حصد العشرات منهم. وإلى درجة جاءوا عند حضرة الميرزا يطلبون دعاءه ليرفع اللّه تعالى عنهم بلاءه. فحضرة الميرزا كتب في مقدّمة المؤلّف المذكور يشكر الحكومة التي أخذت تُلقّح كلّ فرد مجّانا بلقاح ضدّ الطاعون. وشجّع الأفراد على الإقبال على التلقيح ضدّ الطاعون. وبعد أن شكر الحكومة على فعلها، راح يقول: (**بيد أننا نعتذر إلى الحكومة المحسنة بأنّه لولا أن كان هناك عاملٌ سماويٌّ يمنعنا من قبول هذا التلقيح، لكنّا من أول الناس الذين يُقدمون على التّلقيح ضدّ الطاعون. والعامل المشار إليه هو أنّ اللّه تعالى شاء أن يُشاهد الناس في زماننا هذا آيةً من آيات رحمته. فشافهني قائلا ستُحفظ من الطاعون أنت وكلّ من كان يقطن في دارك وكلّ**

من اتّبعك وتفانى في إطاعتك وبخالص التقوى. ويكون ذلك كلّه آية من اللّه يميز بها الأمم بعضها عن بعضها الآخر).. وبعد أن سرد حضرته بعض الإلهامات الأخرى التي تلقّاها بهذا الخصوص، راح يقول: (قد يستفزّ ما أنبأت عنه أناسا وأشرت إليه. وقد يسخر ممّا طلبته من الحكومة أناس وينسبون فعلي هذا إلى الجنون. وقد يعترض أصوليٌّ ويستبعد أن يرحم اللّه تعالى مؤمنا ترك الأخذ بالأسباب. فأقول لهؤلاء أجل إنّ هذا الإله القدير لموجود. ولولاه لذاق أولياؤه الموت وفقدوا حياتهم. فأعجب بهذا الإله القادر أنّه يُغري أعداء أوليائه بهم، إغراء الكلاب. ويأمر في الوقت نفسه ملائكته بخدمتهم. وحين يبلغ غضبه على أهل الدنيا ذروته، تحرس عيناه عباده المقرّبين. فلولا أن كانت هذه سُنّته في خلقه، لكان تهدّم بُنيان أرباب الحقّ من أساسه، ولاختلط الحابل بالنابل، وما كان قد عاد باستطاعة أحد التعرّف على المقرّبين منه سبحانه وتعالى).. وبعد أن راح حضرة الميرزا يُعلّل ما طلبه من الحكومة بتعليلات منطقيّة وعقلانيّة مقبولة. أضاف وقال:

(إنّ هذا الذي بشّرني به ربّي لعمري هو قول اللّه تعالى، وليس بقول كاهن كذّاب. وإنّها لرؤية بصيرة انبثقت عن مُقلة النور. وليس هو رجما بالغيب. فهو كلام اللّه تعالى الذي أنزل الطاعون. والذي هو وحده القادر على أن يحفظنا من رجسه. وأملي أنّ حكومتنا ستُعطي هذا النبأ حقّ قدره، لتشاهد بأعينها مصداقيّته. ولتصرّح على الملأ من الناس أخيرا ما أعجب أن يبق هؤلاء الناس أحياء سالمون وبدون تلقيح وفي مقابل من كانوا ملقّحين)..

وبعد أن علّل ميرزا غلام أحمد طلبه الذي طلبه من الحكومة، وهو أن تعفي أتباعه من لقاح الطاعون، لتشاهد بأمّ أعينها كيف أنّ اللّه تعالى سيحفظهم من رجسه وفقا للوعد الذي قطعه لحضرة الميرزا من قبل. توجّه حضرته يخاطب في مؤلّفه (سفينة نوح) يخاطب الناس ويقول: (فالحقّ أقول لكم إن لم يتحقّق ما ورد في النبأ الذي ما زلنا ننشره ونُعلنه بين الناس منذ نيّف وعشرين عاما فلن أكون من اللّه أبدا. وإنّ تحقّقه سيكون العلامة الواضحة على كوني من عند اللّه تعالى. ألا إنّ جميع المخلصين من الذين بايعوني والذين يقيمون في فناء داري سيسلمون من الموت بوباء الطاعون. وإنّ جماعتي

كلّها ستكون في مقابل ما سواها من الجماعات في حرز تامّ من فتك الطاعون. وإنّ جناح السلامة الذي سيُظلُّ هؤلاء، لن يُظلَّ الآخرين أبدا. وإنّ قرية قاديان لن يفتك بها الطاعون إلا ما شذّ وندر. فواه على الناس لو كانوا سليميّ القلوب ويخافون الله ربّهم لكانوا يُوقَون شرّ هذا العذاب. كلاّ لا يُعذَّبنّ أحدٌ من قبله تعالى من جرّاء اختلاف في عقيدته ودينه. بسبب أنّ هذا الأمر مؤجّلٌ حسابه إلى يوم القيامة. لكنّ الله تعالى يؤاخذ الناس على ما يقترفونه من شرور وآثام وعُدوانٍ وكثرة ذنوب)..

وبعد أن استرسل ميرزا غلام أحمد وهو يُلقي الضوء على أهمّية نبأ ظهور الطاعون وتاريخ الإنباء عن ظهوره آخر الزمان في الكتب السماوية كلّها. ويبيّن الدور السلبيّ الذي يلعبه رجال الدين من أصحاب العقول التقليديّة الجافّة العقول. فقد راح يخاطب الذين بايعوه وهو يُنبّه أذهانهم ويعلّمهم أمور دينهم. وأقتطف للقارئ بعضا من تلك التعاليم. فحضرته خاطبهم وقال: (اعلموا أن لا قيمة للإقرار بالبيعة بلسانكم وحده، ما لم يقترن ذلك بعملٍ نابع من صميم أفئدتكم. لذا فمن تمسّك بكلّ ما أعلّمه إياه، فقد دخل داري المشار إليها في الإلهام (إنّي أحافظ على كلّ من في الدار). ولم يُقصد في الإلهام هذا من كلمة (الدار) داري وحده المبنيُّ من مدرٍ وآجرّ. بل قُصدَ به أيضاً أولئك الذين اتّبعوني بالحقّ ودخلوا حظيرتي الروحانيّة. وإنّ على هؤلاء المبايعين أن يوقنوا بأنّ لهم إلها واحدا قيّوما خالق كلّ شيء وسرمديا في صفاته غير متبدّلٍ، لم يلد ولم يولد، منزّها عن أن يتألّم أو يُصلب أو يموت. وأنّه قريب منهم على بُعده، وبعيدا عنهم على قُربه، وله تجلّيات شتّى مع أنّه أحد، يتجلّى بتجلٍّ يتناسب وتلوّن هذا الإنسان في صفاته، ويبدو حينئذ في عينيه وكأنّه إله جديد، ويُعامله على قدر ما أوتيَ هذا من عقل وثقافة. ولا يدلّ هذا على حدوث شيء من التغيّر في إلهكم. كلا لا يحدث فيه تحوّلٌ منذ الأزل. فهو كامل في ذاته وصفاته فإذا تحوّل عبده المؤمن نحو الخير يتجلّى عليه بتجلّي قدرة جديدة، وبمزيد من الوضوح. وتقترن تجلّياته الخارقة حيث وُجد التبدّل الخارق نحو الخير من جانبكم، وهذه الحقيقة تمثّل أصل الخوارق والمعجزات. فهذا هو إلهنا الذي هو ضمان عهدنا. فآمنوا به

وعاهدوا أن تآثروه على أنفسكم وعلى جميع علاقاتكم الدنيويّة وراحتكم الشخصيّة. وتمسّكوا بالصدق والأمانة في سبيله ولتجعلوا ذلك ديدنكم وامشوا نحوه قُدما وتقرّبوا منه بكلّ شجاعة. فإن آثر أهل الدنيا الأسباب والأعزّاء، فلتؤثروه أنتم على كلّ شيء لتكتبوا من حزبه في السماء..).... (ومن التعاليم الضروريّة لكم ألاّ تتخذوا هذا القرآن مهجورا فإنّ لكم في القرآن وحده حياة. فكلّ من يُكرّمه منكم ينل في السماوات الإكرام. ومن يقدّمه على كلّ حديث وقول أولئك يُفضّلون في السماء. ألا تيقّنوا بأنّه لا كتاب بعد اليوم لبني نوع الإنسان إلا القرآن. ولا رسول ولا شفيع لبني آدم من بعد اليوم إلا محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم).... (ثمّ اعلموا بصورة يقينيّة بأنّ المسيح عيسى ابن مريم قد مات، وأنّ قبره موجود في محلّة خان يار بمدينة سري نكر في كشمير... فدعوه يموت ليحيى هذا الدين.).... (تيقّنوا بأنّكم إن وهبتم أنفسكم للّه تعالى كان اللّه لكم. وحين تكونون نياما فإنّ اللّه ربّكم يسهر عليكم. وحين تكونون في غفلة من عدوّكم يكون ربّكم له بالمرصاد ويجعلنّ مكيدته هباء منثورا)... (وخليق بكم ألاّ تتّبعوا ولا تعتبروا فلاسفة هذه الدنيا فإنّ فلسفاتهم عنديّة وجهالات. وإنّ الفلسفة الحقّة هي تلك الفلسفة التي تجدونها وقد علّمكم إياها ربّكم في كتابه العزيز.).... (ألا إنّ القرآن فاتح سبل السلام الحقّ.. لذلك فتدبّروا القرآن وحبّوه حبّا جمّا. حُبّا ما أحببتم شيئا كمثله. ذلك لأنّ اللّه عز وجلّ ناجاني وقال الخير كلّه في القرآن. إي وربّي إنّه لحقٌّ أنّ الخير كلّه في القرآن. فوا حسرة على أولئك الذين يُقدّمون عليه غيره.).... (وإنّ الحديث وإن كان أكثره في مرتبة الظنّ، فليؤخذ به على شرط ألا يُعارض القرآن والسنّة... فاقدروا الأحاديث حقّ قدرها، واستفيدوا منها، ويكفي أنّها منسوبة إلى حضرة المصطفى عليه الصلاة والتسليم. ولا تكذّبوها ما لم يكذّبها القرآن والسنّة)... (ألا يا عباد اللّه الذين يطلبون التعرّف على ربّهم افتحوا آذانكم واستمعوا، لا شيء كمثل اليقين بما تسعون إليه. فباليقين وحده تُعتقون من إسار الذنوب. واليقين وحده يمنحكم فعل الخير. وبه وحده يصبح العبد المؤمن عاشقا للّه وصادقا معه... يامن نوديتم إلى طريق البرّ والاستقامة اعلموا أنّها لا تنشأ فيكم جاذبيّة اللّه تعالى إلا باليقين... فاليقين يُهوّنُ

كلّ مصيبة، وبوسيلته ترون الله جلّ شأنه. ألا كاذبة كلّ كفّارة وباطلة كلّ فدية تسمعون بها. ومن طريق اليقين تأتي كلّ تزكية... ألا إنّ الخطيئة واليقين لا يلتقيان أبدا..). فهذه تعاليم تضمّنها كتاب (سفينة نوح).

فميرزا غلام احمد كتب مؤلّفه المذكور أيام انتشار الطاعون في كلّ مكان من الهند، وأيام كان الناس يموتون بالطاعون في كلّ مكان. وأيام كان المشايخ وقتئذٍ يرون بأمّ أعينهم كيف أنّ الله تعالى يحفظ الذين بايعوا ميرزا غلام أحمد من الإصابة بالطاعون بشكل مُعجزٍ، وفي وقتٍ كان لا يحفظ أتباعهم ولا يحفظهم أنفسهم من الإصابة بهذا المرض الفتّاك. وكان عامّة الناس يُسارعون إلى مبايعة ميرزا غلام أحمد بعد أن بدت لأعينهم آيات صدقه جهارا. وعليه فقد ازداد عدد أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة من المبايعين في تلك الفترة الزمنيّة بشكلٍ مُلفتٍ للأنظار.

وفي تلك الأيام، وقبل أذان فجر يوم ١٨ تشرين الثاني بعشرين دقيقة تقريبا شاهد ميرزا غلام أحمد فيما يراه النائم بأنّه اشترى قطعة أرض تصلح لدفن أموات أفراد جماعته. فقيل له بأنّ اسمها (مقبرة بهشتي) أي مقبرة الجنّة، وأنّ كلّ من سيدفن فيها سيكون من أهل الجنّة. وبعد ذلك قال حضرة الميرزا بأنّه عُثِرَ على أناجيل قديمة في كشمير تساعده على أداء مهمّة كسر الصليب، فاقترح إرسال بعض الأفراد ليأتونه بتلك الأناجيل وليكتُب كتاب حول ذلك. فتقدّم منه الشيخ مبارك علي وتطوّع للذهاب على أن يُدفن في مقبرة الجنّة. فقال حضرته وهو في المنام: أجل وخُذ برفقتك خليفة نور الدين... وبعد أن روى حضرة الميرزا ما رآه قال: كنت قد اقترحت من قبل أن نُخصّصَ أرضا خاصّة ليُدفن فيها أموات جماعتنا. وإنّ الله ربّي قد أيّدني فيما ذهبت إليه من خلال مُعطيات هذه الرؤيا المبشّرة، ومن باب أنّي تفاءلت بدلالة كلمة (إنجيل) التي تعني (البشارة) الأمر الدالّ على بشارة كبيرة وراء ذاك الاقتراح. فكلّ مَن يؤتى به للدفن فيها

سيكون يقينا من أهل الجنّة. (البدر المجلّد الأول ٢٨ ت٢. والحكم مجلد ٦ رقم ٤٢ تاريخ ٢٤ ت٢).

وفي عام ١٩٠٢م عقد ميرزا غلام أحمد قران ابنه ميرزا بشير الدين محمود أحمد على شقيقة الدكتور خليفة رشيد الدين. وذلك في الأيام الأولى من شهر تشرين أوّل. علما بأنّ هذا الابن كان قد وُلد وفق بشارة سماويّة عظيمة قبل ولادته بتسع سنوات. وسأوافي القارئ بجميع ما يتعلّق بتلك البشارة وذاك القران في الفصل الذي سأخصّصه للكلام عن عائلة ميرزا غلام أحمد.

وفي عام ١٩٠٢م صدرت للجماعة الإسلاميّة الأحمديّة صحيفة جديدة باسم صحيفة (بدر). أما كيف أُجريت هذه الصحيفة؟ فقد كان هناك مفكّر وصاحب قلمٍ اسمه بابو محمد أفضل، وهو مبايع ويعمل في وزارة القطارات في شرقي أفريقيا. فتقاعد من عمله، وقرّر الاستيطان في قاديان التي اعتبرها دار أمان له بعد تقاعُده. وقد فكّر هذا الكاتب أن يُصدِرَ صحيفة لخدمة المقاصد التي كان ميرزا غلام أحمد يسعى لإنجاحها. فصدر العدد الأول من هذه الصحيفة بتاريخ أيلول من العام نفسه، وباسم (قاديان). ومن ثمّ بدّل اسمها في شهر تشرين أول من العام نفسه وسمّاها (البدر). ودأب بابو محمد أفضل على نشر جميع ما كان يتلقّاه ميرزا غلام أحمد من إلهامات. إلى جانب نشر كلّ نشاط يقوم به حضرته. وإلى جانب كتابة مقالات في الدفاع عنه. وعلى هذه الصورة فقد شكّلت صحيفتا (الحكَم) و(البدر) جناحين إعلاميّين لميرزا غلام أحمد في تلك الأيام. علما بأنّ مؤسّس هذه الصحيفة (البدر) توفّاه اللّه تعالى فيما بعد، وذلك عام ١٩٠٥م. فتبنّى صدورها من بعده الأستاذ مفتي محمد صادق وأصبح يملكها معراج الدين عمر.

وحدث في هذا العام أنّ شخصا من سكان مدينة أمرتسر، واسمه منشي محمد يوسف قد تيقّن بصدق المجدّد ميرزا غلام أحمد، فبايعه، وسافر إلى

وظيفته في قرية مُردان التابعة لمدينة بشاور. ومن ثمّ هدى اللّه تعالى أخاه واسمه محمد يعقوب. وعلم أهل قرية مُردان بأنّ الموظف منشي محمد يوسف وأخاه أصبحا من أتباع ميرزا غلام أحمد. فكفّر شيوخ تلك القرية هذين الشخصين وقاطع أهلها هذين الشخصين أيضاً. وحدثت بين هذين الشخصين اللذين ذكرناهما وبين شيوخ وأهل تلك القرية مساجلات في الأمور المُختلف فيها. وقرّروا أخيرا إجراء مناظرة علنيّة بينهم. فأرسل حضرة الميرزا سيّد محمد سرور شاه ليمثّل الطرف الأول. ومثّل الطرف الثاني الشيخ ثناء اللّه أمرتسري. وتقرّر تاريخ ٢٩ - ٣٠ تشرين أول ١٩٠٢م لإجراء تلك المناظرة شرط أن يكون تقرير كلّ طرف في حدود عشرين إلى ثلاثين دقيقة. وموضوع المناظرة حياة وممات المسيح ونزول المسيح. فتقيّد الطرف الأوّل بشروط المناظرة. لكنّ الشيخ ثناء اللّه الذي كان يمثّل الطرف الثاني، لاحظ بأنّ ما لديه من أقوال لم يتجاوز وقتها عشرة دقائق. فماذا يفعل بباقي الوقت المقرّر له؟

فاندفع يتهجّم على شخص ميرزا غلام أحمد محرّضا الحاضرين ضدّه وإلى درجة خشي العقلاء معها من حدوث فتنة بسبب ذلك. فاقترحوا وقف المناظرة. وأطلع سيد محمد سرور شاه حضرة الميرزا على ما جرى هناك في مُردان. وأنّ الشيخ ثناء اللّه أمرتسري صرّح وقال بأنّ جميع نبوءات ميرزا غلام أحمد هي كاذبة. وأنّه على استعداد للدخول في مباهلة مع ميرزا غلام أحمد. ويستطيع أن يكتب لو شاء تفسيرا أعظم من تفسير (إعجاز المسيح) وهو تفسير سورة الفاتحة باللّغة العربيّة الذي كان قد كتبه حضرة الميرزا. وبعد أن اطّلع ميرزا غلام أحمد من سيد محمد سرور شاه على جميع ما جرى، فقد قرّر أن يقوم بكتابة كتاب بعنوان (إعجاز أحمدي) يبحث فيه هذه الأمور الثلاثة التي ذكرناها. وابتدأ بكتابته من تاريخ الثامن من تشرين ثاني. وفرغ من كتابته في تاريخ ١٢ تشرين ثاني آي أنّه استغرق في كتابته خمسة أيام فقط. وممّا ذكره ميرزا غلام أحمد

بشأن صدق نبوءاته أنّه دعا الشيخ ثناء اللّه أمرتسري في كتابه المذكور للحضور إلى قاديان ليتفحّص بنفسه جميع نبوءات حضرة الميرزا واحدة بعد واحدة. وأنّه إذا ما أثبت كذب واحدة منها على منهاج النبوّة، فحضرة الميرزا يُقسم بأنّه سيعطيه مقابل كل واحدة منها مائة روبيّة. أو أن يلعنه اللّه عز وجلّ بعد كلّ فشل. وأبدى حضرة الميرزا أن يتحمّل نفقات سفر الشيخ ثناء اللّه ذهابا وإيابا في رحلته هذه. ووضّح حضرة الميرزا المقصد من هذا العرض الذي عرضه على الشيخ المذكور وهو أن ينسدّ بعده باب الجدل في هذا الموضوع.

وأما ما يتعلّق بقول الشيخ ثناء اللّه بأنه على استعداد للدخول في مباهلة مع حضرة الميرزا. فقد كتب حضرته يقول في مؤلّفه (إعجاز أحمدي): (**إن كان الشيخ ثناء اللّه على استعداد لهذا التحدّي فلا ينبغي عليه أن يكتفي بإرسال تحدّيه خطّيا وحسب. بل وإنّ من واجبه أن ينشر إعلانا يتضمّن التحدّي المشار إليه وأن يصرّح فيه بأنّه يستّهمني بأني كافر كذاب ودجّال. وأنّ هذا الشخص الذي يدّعي بأنّه المسيح الموعود ويدّعي بأنّه صاحب إلهام ووحي هو كاذب في ادّعائه هذا يقينا. ويا إلهي أتضرّع إليك بأنّ عقيدتي هذه بحقّه إن كانت غير صحيحة. وإن كان ميرزا غلام أحمد هو المسيح الموعود. وأنّ عيسى هو في الواقع مُتوفّىَ فأمتني يا إلهي قبل أن تُميتَ هذا الشخص المذكور. أما إن كُنت صادقا فيما أعتقدُه وأنّ هذا الشخص دجّالٌ في حقيقة أمره، وأنّه غير مؤمن وهو كافر ومُرتدّ، وأنّ المسيح الناصري حيٌّ في السماء، وأنّه نازلٌ في زمن ما فأهلك هذا المدّعي لتدفع عنّا الفتنة والتفرقة. ولتصون الإسلام من إيذاء دجّال مُضلٍّ من الغاوين. آمين ثمّ آمين... كذلك ينبغي أن يوقّع على الإعلان المشار إليه خمسون شخصا محترما على الأقل. وأن يُنشر من هذا الإعلان سبع مائة نسخة على الأقل في طول البلاد وعرضها. وأن يُرسل إليّ عشرين نسخة منه في البريد المسجّل أيضاً. فإن فعل هذا فلا حاجة لنتباهل مواجهةً بهذا الخصوص. ذلك لأنّه إن استجاب لطلبي، وفعلَ ما طلبته منه، فإنّ نتائجه تؤكّد من نفسها صدقي فيما أدّعيه وأعلنه بين الناس**).. فميرزا غلام أحمد قد طلب من الشيخ ثناء اللّه أمرتسري هذا

الطلب. علماً بأنّ الشيخ المشار إليه كان شابا في ريعان عمره. وكان ميرزا غلام أحمد قد تجاوز السابعة والستين عاما من عمره. أي أنّ حضرته كان شيخا كبيرا حين طلب من ثناء الله أن يدعو أن يميت الله تعالى ميرزا غلام أحمد هذا الشيخ الكبير في حياته إن كان كافرا دجّالا. وهو الطلب الذي إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مبلغ إيمان ميرزا غلام أحمد بكونه هو المسيح الموعود. فإن رفض الشيخ ثناء الله أمرتسري الاستجابة لهذا الطلب المذكور، فإنّه يدلّ من خلال رفضه العمل عليه وبصورة عمليّة على ضعف إيمان هذا الشيخ بما يتّهم به ميرزا غلام أحمد من اتّهامات مضلّلة يتشدّق بها أمام أتباعه الأمّيين البسطاء ولمجرّد التّضليل.

وأما بشأن الزعم الذي زعمه الشيخ ثناء اللّه وهو قدرته على كتابة تفسير لسورة الفاتحة باللّغة العربيّة، يضاهي تفسير (إعجاز المسيح) الذي كان قد كتبه حضرة الميرزا. فقد ردّ ميرزا غلام أحمد على هذا الزعم في مؤلّفه المذكور بأن كتب مقالا باللّغة الأرديّة، بالإضافة إلى قصيدةً باللّغة العربيّة ومعها ترجمتها، وباسم (إعجاز أحمدي). وتحدّى به ليس الشيخ ثناء اللّه أمرتسري وحده. بل وتحدى الشيخ الصوفي مهر عليشاه كولروي، والشيخ أصغر علي روحي أستاذ اللّغة العربيّة في جامعة بنجاب الإسلاميّة، والشيخ علي الحائري مجتهد فرقة الشيعة في لاهور، والشيخ محمد حسين البطالوي، وقاضي ظفر الدين أستاذ جامعة أورنتل لاهور. تحدّاهم جميعهم أن يكتبوا جوابا على مضمونه الأرديّ. وأن يكتبوا قصيدة عربيّة في مقابل قصيدته العربيّة مع ترجمتها إلى الأرديّة. وذلك ضمن مدّة معيّنة حدّدها لهم. فإن قام أحدهم بما طلبه منه ضمن الشروط المذكورة فيستحقّ من جانب حضرة الميرزا عشرة آلاف روبيّة كإنعام عليه. وأنّ للقضاء أن يحكم له بالمبلغ المشار إليه.

وبعد أن أنجز ميرزا غلام أحمد كتابة هذا المؤلّف الذي أطلعت القارئ على مضمونه. فإنّه بعث بنسخة منه إلى العالم سيّد محمد سرور شاه وإلى الشيخ يعقوب علي عرفاني محرّر صحيفة الحَكَم وذلك بتاريخ ١٦ ت ثاني عام ١٩٠٢م ليوصلوا نسخة الكتاب إلى الشيخ ثناء اللّه أمرتسري وإلى بقيّة المذكورين فيه بالبريد المسجّل. ومن ثمّ يطبعوا هذا الكتاب ولينشروه بين الناس أيضاً.

ومضت المدّة الممنوحة لهؤلاء الذين تحدّاهم حضرة الميرزا في الكتاب المذكور. فلم يتمكّن أحدٌ منهم من النزول إلى حلبة ذاك التحدّي. أللّهمّ إلا واحد منهم وهو قاضي ظفر الدين الأستاذ في جامعة أورينتل لاهور، فإنّه بدأ يكتب بعض الأشعار. فلم يكتب إلا عددا من الأشعار إلا وانتابه مرض مُهلِك، مات على أثره. أما الشيخ الشاب ثناء اللّه أمرتسري فإنّه ما أجاب على كتاب (إعجاز أحمدي). ولا استعدّ للمباهلة مع ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

ومن أحداث عام ١٩٠٢م في حياة ميرزا غلام أحمد أنّ شخصا كان يُدعى الشيخ عبد اللّه ويقطن موضع جكرالا قضاء ميانوالي. كان أولاً من جماعة أهل الحديث. ومن ثمّ رفض الأخذ بالأحاديث النبويّة كلّها. وحذف من الصلاة ألفاظ التحيّات والصلوات الإبراهيميّة وما في الصلاة من أدعية. واكتفى بالأخذ بآيات القرآن الكريم فقط في الصلاة. واصطدم بسبب ذلك مع شيخ أهل الحديث محمد حسين البطالوي. حتى وأنّه دخل في هذا الموضوع بمناظرة مع الشيخ البطالوي أيضاً. ولقد علم ميرزا غلام أحمد بهذه التطوّرات التي ذكرناها. فكتب رسالة في هذا الموضوع ومن باب أنّ اللّه عز وجلّ قد جعله حكما عدلا. فأعلن في رسالته المذكورة رأيه الفاصل فيها. ونشر تلك الرسالة بتاريخ ٢٧ ت ثاني ١٩٠٢م. وأوردُ للقارئ بعضا ممّا أورده حضرة الميرزا في الرسالة المشار إليها.

قال: **(في الأصل إنّ فريقا من هذين الفريقين قد وقع في مرض التفريط. والفريق الآخر وقع في مرض الإفراط. ففريق الشيخ البطالوي وإن أصاب في قوله بأنّ الأحاديث المرفوعة**

المتصلة لا تدخل في باب اللّغو، ولا يجوز رفضها. لكنّه تغاضى عن حفظ المراتب فأعطى الأحاديث مرتبة انتقصت من مرتبة القرآن الكريم. وفي هذا خطأ جسيم وانحراف عن جادّة الصواب. خصوصا وأنّ اللّه عز وجلّ قال في كتابه العزيز: (فبأيِّ حديث بعد اللّه وآياته يؤمنون).. وأما الطرف الثاني الذي يمثّله الشيخ عبد اللّه فقد وقع في مرض الإفراط. من جرّاء رفضه الأحاديث النبويّة بالكلّية. ومن باب أنّ اللّه عز وجلّ قال في كتابه العزيز: (قل إن كنتم تُحبّون اللّه فاتّبعوني يُحببكم اللّه). الدالّ على أنّ محبّة المؤمن للّه تعالى مُرتبطة ارتباطا وثيقا بإتّباع هذا المؤمن محمّدا صلّى اللّه عليه وسلّم. وإنّ الأحاديث الشريفة تُعتبر إحدى وسائل البحث عن السيرة النبويّة العمليّة. وعليه فكلّ مَن يرفض الأحاديث النبويّة، يُساهم في ترك السيرة النبويّة). ومما ورد في الرسالة المذكورة قول ميرزا غلام أحمد: (ومن علامات التزام المؤمن بالصراط المستقيم القرآنيّ أن تتوفّر فيه علامات ثلاثة هي:

أولاً -أن يكون متمسّكا بالقرآن الشريف فهو كلام اللّه القطعيّ واليقينيّ وهو المنزّه عن كلّ شكّ وريب.

ثانياً -وأن يكون متمسّكا بالسنّة النبويّة. علما بأنّ اصطلاحنا للسنّة يختلف عن اصطلاح أهل الحديث للسنّة. فنحن نفرّق ما بين السنّة والحديث النبويّ. ولا ننظر إلى السنّة والحديث على أنّهما شيء واحد، كما هو حال أهل الحديث التّقليديّين. فالسنّة في نظرنا شيء، والحديث شيء آخر. وإنّ المراد من السنّة فعلُ محمد صلّى اللّه عليه وسلّم الذي وصلنا بالتواتر. والذي اقترن ظهوره بظهور القرآن الكريم. والذي يدوم بدوامه. أو قولوا بألفاظ أخرى بأنّ القرآن المجيد هو قول اللّه تعالى. وإنّ سنّة رسول اللّه هو فهمه لقول اللّه العمليّ. وإنّ عادة اللّه تعالى منذ القديم أنّ أنبياء اللّه تعالى يوصلون قول اللّه ربّهم إلى البشر. ويفسّرون قول اللّه تعالى بما يُقدمون على فعله ويعملونه. ومن أجل أن لا يشتبه

قوله تعالى على البشر. فهم أنفسهم يعملون على قول ربّهم. ويدفعون الناس للعمل عليه وعلى حسب ما فهموه وفعلوه.

ثالثاً - ووسيلة الهداية الثالثة هي الحديث النبوي الشريف. والمراد من الحديث هو تلك الآثار التي رواها الرواة بعد البعثة المحمّديّة بقرن ونصف وجمعوها بصيغ قصصيّة. هذا وإنّ هذه الرسالة التي اقتطفت هذه الأحكام منها. عادت هي الأساس الذي يشكّل عناصر الهداية لدى الذين بايعوا ميرزا غلام أحمد وبهذه المفاهيم نفسها، وقد تبنّوها منهجا هداية لهم بعد أن انضموا إلى جماعته. وصحّحوا بذلك ما ورّثته العقول التقليديّة للمسلمين من مفاهيم مُنحرفة عن جادّة الصراط المستقيم الذي أتى به الإسلام الحنيف. وعليه فآيات القرآن الكريم التي هي في الأصل كلام اللّه تعالى هي شريعة أتباع ميرزا غلام أحمد. وإنّ السنّة النبويّة التي وصلتنا بالتواتر جيلا بعد جيل وتصوّر لنا فهم رسول اللّه لمعطيات الآيات القرآنية، هي التفسير الحقيقي لتعاليم آي الذكر الحكيم. وإن الأحاديث روايات يُستأنس بها فقط. وعلى هذه الصورة أكون قد أطلعت القارئ على أهمّ أحداث عام ١٩٠٢م لذا أضيف هنا أسماء المؤلّفات والرسائل التي أنجزها ميرزا غلام أحمد في هذا العام. وهي:

أولاً - ألّف حضرته عام ١٩٠٢م كتاب (دافع البلاء). وقد أتيت على إلقاء الضوء على مضمونه فيما ذكرته من أحداث هذا العام.

ثانياً - وألّف حضرته كتاب (نزول المسيح). بمناسبة مُجريات الحوار مع الشيخ مُهر عليشاه كولروي. وقد أتيت على شرح مضامينه في الوقت المناسب أيضاً.

ثالثاً - وفي عام ١٩٠٢م طُبع ونُشر مؤلّف حضرته المسمى (تُحفة كولروي). هذا المؤلّف الذي ابتدأ بتأليفه حضرته عام ١٩٠٠م. وأتمّ تأليفه عام ١٩٠١م.

رابعاً - وفي عام ١٩٠٢م طُبِعَ ونُشر مؤلّف حضرته المسمّى (تُحفة غزنويّة). هذا المؤلّف الذي كان حضرته قد ابتدأ بتأليفه عام ١٩٠٠م أيضاً.

خامساً - وفي عام ١٩٠٢م تمّ طبعُ (الخطبة الإلهاميّة) التي كان ميرزا غلام أحمد قد ألقاها صباح عيد الأضحية عام ١٩٠٠م. وهي الخطبة التي أضاف عليها حضرته قليلا خلال عام ١٩٠١م.

سادساً - وقد طُبع في عام ١٩٠٢م مؤلّف ميرزا غلام أحمد المسمى (ترياق القلوب) وهو الكتاب الذي كان حضرته قد شرع بتأليفه عام ١٨٩٩م. وتأخّر طبعه إلى هذا العام.

سابعاً - وقد كتب ميرزا غلام أحمد مؤلّفه المسمّى (سفينة نوح) في هذا العام بمناسبة انتشار الطاعون في الهند. وقد كنت قد أتيت على بيان ذلك في حينه.

ثامناً - وقد كتب ميرزا غلام أحمد رسالة باسم (تُحفة النّدوة). وقد ردّ حضرته في رسالته هذه على رسالة (قطع الوتين) التي كان ألّفها أبو إسحاق محمد دين. وقد شرح حضرته في رسالته هذه الآية الكريمة (لو تقوّل علينا..). بشكل مفصّل يستحقّ المطالعة.

تاسعاً - وألّف ميرزا غلام أحمد كتاب (إعجاز أحمدي) الذي أتيت على بيان مضامينه في حينه.

عاشراً - كذلك ألّف حضرته رسالة سماها (رسالة المناظرة ما بين بطالوي جكرالوي). وهي الرسالة التي وضّح حضرته فيها بأنّ كلّ طرف من أطراف تلك المناظرة وقع في مرض الإفراط والتفريط. وبيّن حضرته بأنّ مراجعنا الحقيقيّة هي القرآن والسنة والأحاديث النبويّة.

الفصل السابع عشر

أحداث عام ١٩٠٣م

ثناء اللّه في معبد الآريين　　　　الشيخ كرم الدين ودعوى التشهير

بناء غرفة (بيت الدعاء)

شاتان تُذبحان واستشهاد عبد اللّطيف وعبد الرحمن

آية شفاء الابن الأصغر لخان محمد علي خان

المؤلّفات: مواهب الرحمن. نسيم دعوت. سناتن دهرم. تذكرة الشهادتين. سيرة الأبدال.

ويذكر القارئ ما أطلعته عليه بشأن الموظّف محمد يوسف وأخوه والمناظرة التي وقعت بين هذين وبين الشيخ ثناء اللّه أمرتسري. تلك المناظرة التي كتب ميرزا غلام أحمد على أثرها مؤلّفه (إعجاز أحمدي). وهو الكتاب الذي دعا فيه حضرته الشيخ ثناء اللّه، إن كان يريد الدخول معه في مباهله أن يُرسل رسالة تؤكّد ذلك من جهة. وأن ينشر إعلانا يصرّح فيه بأنّ الميرزا رجل كذّاب وكافر ودجال. وأن يوقّع على إعلانه المشار إليه خمسون رجلا محترما. وأن ينشر من هذا الإعلان سبعمائة نسخة بين الناس. وأن يُرسل عشرين نُسخة إلى الميرزا نفسه. وأنّ هذا الإعلان يقوم بمقام المباهلة المطلوبة. كذلك دعاه لزيارة قاديان ليثبت بُطلان جميع النبوءات التي صدرت عن ميرزا غلام أحمد حتى ذاك التاريخ إن استطاع. وأنّ حضرته تعهّد بدفع مائة روبيّة في حال إثبات بُطلان كلّ نبوءة. والذي جرى هو أنّ الشيخ ثناء اللّه أمرتسري لم يستجيب لأيّ طلبٍ طالبه به ميرزا غلام أحمد. وكلّ ما بدر عنه هو أنّه حضر إلى قاديان. ولم ينزل ضيفا عند حضرة الميرزا، ولكنّه نزل ضيفا على معبد الآرييّن المجوس المُعتبرين من أشدّ أعداء الإسلام.

وذلك بتاريخ العاشر من شهر كانون الثاني من عام ١٩٠٣م. ومن ذاك المعبد البوذي كتب ثناء الله إلى ميرزا غلام أحمد يقول: **(جئت إلى قاديان نزولا عند دعوة كتاب (إعجاز أحمدي). فآمل ألا تُضيعوا آية دقيقة لإقناعي. واسمح لي وحسب الوعد الذي قطعتموه على أنفسكم أن أحضر عندكم وأبدي فيه آرائي حول نبــوءاتكم)**.. ويتبيّن من هذا الذي كتبه بأنّ الشيخ المذكور لم يعمل على ما طلبه منه ميرزا غلام أحمد. ويتبيّن خُبثهُ في كلّ ما طلبه من حضرته، فهو كان يريد أن يرجع إلى أتباعه متباهيا بأنّ ميرزا غلام أحمد قد خالف ما كتبه في مؤلّفه (أنجام آتهم) حيث أقسم هناك بأنّه لن يدخل بعد الآن في مساجلة مع أعدائه بصورة شفهيّة إلا أن تكون كتابيّة. فهو دخل معي في مساجلة شفهيّة خلافا لقسمه المشار إليه وفي قاديان أيضاً. وهنا يتساءل القارئ عن الموقف الذي وقفه ميرزا غلام أحمد من ثناء الله بعد أن تلقّى من جانب الشيخ ثناء الله تلك الكلمات؟ ألا لقد أجاب ميرزا غلام أحمد آنئذٍ على ما ورد من جانب الشيخ ثناء الله أمرتسري وبصورة كتابيّة: (يكفيك بشأن النبوءات أن تكتُب سطرا أو سطرين لإثبات ما تراه لم يحدث فيما يتعلّق بكلّ نبوءة. فإن فعلت أردّ من جانبي على ما ذهبت إليه. فإن لم تفعل وشئت الحوار والمساجلة فأنا كنت أقسمت في مؤلّفي (أنجام آتهم) بأنّي لن أدخل بعده في حوار شفهيٍ مع أحد. وأدرك ثناء الله فشل مخطّطه وعاد إلى قريته يجرّ أذيال الفشل والعار.

وفي هذا العام أقام شخص اسمه الشيخ كرم الدين دعوى تشهير كاذبة ضدّ ميرزا غلام أحمد وضدّ رئيس تحرير صحيفة (الحكَم) شيخ يعقوب علي. ولا مجال هنا للدخول في تفاصيلها. وتقرّرت جلسة المحكمة في مدينة جهلم بتاريخ ١٧ كانون ثاني ١٩٠٣م. فغادر ميرزا غلام أحمد قاديان بتاريخ ١٥ كانون ثاني إلى لاهور. وهناك أوحي إليه **(أُريك برَكات من كلّ طرف)**. فاستبشر خيرا وأطلع حاشيته عليه. واستقلّ القطار بتاريخ ١٦ ك ثاني باتّجاه مدينة جهلم. والذي

حدث أنّ الناس وأفراد جماعته كانوا يحضرون إلى كلّ محطّة يمرّ منها ذاك القطار لرؤية ميرزا غلام أحمد والتبرّك به. الأمر الذي لفت أنظار المشرفين على القطار. فكانوا يُراعون هذه الظاهرة بأن يأمرون سائق القطار بعدم الإسراع في سيره في كلّ محطّة خشية أن يتسبّب بسبب سُرعته بحوادث مرورية. والمهمّ هو أنّ جماعة جهلم من أتباع الميرزا استقبلوه بكلّ ترحاب. وحضر جلسة المحكمة بتاريخ ١٧ كانون ثاني. وتبيّن للقاضي بأنّ دعوى المدّعي لا أساس قانونيّ لها ومفتراة. لذا ردّها هذا القاضي على صاحبها. فلما عاد حضرته إلى المكان الذي كان قد نزل فيه، أقبل عدد كبير من الناس على مبايعته. فبلغ عدد الذين بايعوه هناك ١١٠٠ رجل ومائتي امرأة. ولفتت تلك الحشود أنظار المراسلين الصحفيّين. فكتبوا في صحفهم مقالات ممّا شاهدوه منها. وعاد ميرزا غلام أحمد من جهلم بتاريخ ١٨ كانون ثاني إلى لاهور فوصلها بتاريخ ١٩ك ثاني. ومنها عاد إلى قريته قاديان وقد تحقّق ما أوحي إليه بشكل واضح للعيان. فلمّا فشل الشيخ كرم الدين في دعواه. استأنف قرار تلك المحكمة. وتقرّر تاريخ ١٥ مايس جلسةً للاستئناف. ورفع القاضي الملفّ للتدقيق. وأصدر بتاريخ ٢٩ مايس قراره بردّها هو أيضاً. ولله الحمد. ولا حاجة بي هنا لذكر تفاصيل ما حدث بعد ذلك. فهذا المفتري كرم الدين كان يسعى للحصول على المال من وراء ما أقدم عليه. لذلك أقام بعد ذلك عدّة دعاوى في محاكم مختلفة. وفشل فيها جميعها وانتهى به الأمر إلى الاستئناف في محكمة أمرتسر. والتي قرّر قاضيها تبرئة المدّعى عليهم. وأن يدفع لهم هذا المدّعي جميع نفقات المحكمة.

ومن أحداث عام ١٩٠٣م أنّ الغرفة التي كان يجلس حضرة الميرزا فيها للتفكير مُسمّاة (بيت الفكر). وأراد ميرزا غلام أحمد بناء غرفة مجاورة لها تُخصّصُ للدّعاء فقط. وقد حقّقوا له أمنيته تلك بأن بنوا له الغرفة المطلوبة باسم

(بيت الدعاء). فتمّ بناؤها في شهر آذار ١٩٠٣م، ووفق ما نشرته صحيفة (الحكم) بتاريخ ٣١ آذار عام ١٩٠٢م.

وفي عام ١٩٠٣م حدث حادثٌ يتعلّق بشخصيّة أفغانيّة كانت لها وجاهتها في بلدها أفغانستان. وقد وترك ذاك الحادث ذيولا ما تزال أفغانستان تُعاني من آثارها. فقد كان هناك عالمٌ روحيٌّ ذو وجاهة كبيرة في منطقة خوست من أفغانستان. وكان هذا الوليّ واسمه صاحب زاده عبد اللطيف من نسل الولي الشيخ أبو الحسن علي الهويجري، وضريحه معروف في مدينة لاهور. وإلى جانب أنّ العالم صاحبزاده عبد اللّطيف كان يرى كشوفا روحيّة ويتلقّى إلهامات وتُرى على أياديه كرامات. وكان معروفا في طول أفغانستان وعرضها. وكان لصاحبزاده سيد عبد اللّطيف ألوف مؤلّفة من المريدين أيضاً. حتّى أنّ أمير كابل الذي كان وقتئذ يحكم أفغانستان، كان يستدعي العالم عبد اللّطيف المشار إليه ليضع بيده التاج فوق رأسه تبرّكا به. فكان العالم صاحبزاده عبد اللّطيف يشعر بمصاب الإسلام في زمنه. وكان يدعو ويتضرّع على أعتاب ربّه عز وجلّ ليبعث تعالى مجدّدا عظيم الشأن للحفاظ على الإسلام. وفي تلك الأيام وصلته بعض مؤلّفات ميرزا غلام أحمد. فطالعها بتأنٍّ كبير وأُعجبَ بمعارفها. وصار في شوق شديد للاجتماع بحضرة ميرزا غلام أحمد شخصيا. وأراد يوما أداء فريضة الحجّ عام ١٩٠٢م، فأطلع أمير كابل على ما نواه. فما كان من أمير كابل إلاّ أن شجّعه وأعطاه نفقات الحجّ أيضاً، طالبا منه ألا ينساه في أدعيته. فسافر عبد اللّطيف إلى الهند، إلى مدينة لاهور. وشاء أن يزور من هناك قرية قاديان للتعرّف على المجدّد ميرزا غلام أحمد شخصيا قبل سفره إلى الحجّ. فلما وصل قرية قاديان واجتمع بميرزا غلام أحمد وجد في شخصه المجدّد الذي كان يدعو ربّه ليبعثه ليخدم الإسلام خدمة حقيقيّة، فبايعه يدا بيد، ولم يعُد يحتمل فراقه. فبقي في قاديان أشهُرا، مضى خلالها وقت الحجّ. حتى وأنّه رافق حضرته في

سفره إلى مدينة جهلم لحضور جلسة الدعوى التي أقامها عليه الشيخ كرم الدين الذي قصصت سابقا على القارئ قصّة دعواه الباطلة من قبل. وفي تلك الأيام تلقّى هذا العالم صاحبزاده عبد اللّطيف إلهاما من جانب ربّه عز وجل وتكرّر تلقّيه إياه وهذه ترجمته في اللّغة العربيّة: (**ضحّ بنفسك على هذا الطريق ولا تخف فإنّ في هذا مشيئة اللّه ولخير بلدك أفغانستان**). فهذا ما رواه عنه رفيق أحمد نور خطّيا فيما بعد. وهنا قرّر الرجوع إلى أفغانستان. فاستأذن من حضرته في ذلك. فأذن له وخرج يرافقه مسافة طويلة. وتملّكت خلالها عبد اللّطيف حالة من الشفافية الروحيّة، انكبّ على أثرها على قدم ميرزا غلام أحمد يودّعه. ودموع الوجد تتساقط من عينيه. واغرورقت عينا ميرزا غلام أحمد بالدموع هو أيضاً فأنهضه حضرته ونهاه عمّا صدر عنه. فردّ عليه وقال: إنّ فؤادي يحدّثني بأنني لن ألتقي بك بعد اليوم ثانية. قال هذا وانطلق عائدا إلى بلده خوست في أفغانستان. ووصلت أخبار صاحبزاده عبد اللّطيف وعلاقته بميرزا غلام أحمد إلى مشايخ أفغانستان جامدي العقول. فأفتوا فورا بكفره وارتداده عن الدين ورفعوا أمره إلى حاكم أفغانستان الذي كان يحترمه كثيرا. فما كان من حاكم أفغانستان إلا أن استجاب لطلب المشايخ خوفا من غضبهم عليه، وأمر بسجنه في القلعة التي كان مقرّه فيها. وهناك في القلعة بذل الحاكم المستحيل لإقناع عبد اللّطيف أن يرتدّ عن بيعة ميرزا غلام أحمد ويُعلن ذلك، ليعفو عنه وليُطلق سراحه فورا. لكنّ عبد اللّطيف كان يردّ عليه قائلا: وكيف أُنكِرُ كون ميرزا غلام أحمد مجدّدا ومهديا وقد تبيّن لي صدقه في كلّ ما ادّعاه؟ فأمر الحاكم بإجراء نقاش تحريريّ بين سيد عبد اللّطيف وبين لجنة مؤلّفة من ثمانية مفتين. ودام ذلك يومان، سألوا عبد اللّطيف في آخر المطاف: إن كُنت تعتقد بأنّ ميرزا غلام أحمد هو المسيح الموعود فهل أنّ عيسى سيرجع إلى الدنيا أم لا؟ فأجابهم عبد اللّطيف: إنّ عيسى قد مات بنصٍّ صريح من القرآن المجيد. وهنا مزّق المفتون ثيابهم وأخذوا

يسبّونه وقالوا: لا نشكّ الآن بكفر هذا الإنسان. وأرسلوا فتواهم هذه إلى الأمير، وأخفوا عنه أوراق المحاورة التي جرت بينهم وبين عبد اللّطيف كيلا يطّلع على ما قدّمه عبد اللّطيف من أدلّة وبراهين. ثمّ إنّ الحاكم أُخذ بإجماع هؤلاء الثمانية على تكفيره، ولذلك لم يُطالبهم بأوراق الحوار. وأفتوا بعد ذلك بارتداده وضرورة إعدامه بطريق الرّجم. وقاموا بحفر حفرة بعد أن صادق الحاكم على فتواهم. وأنزلوا فيها العالم عبد اللّطيف، ورجموه بالحجارة إلى أن استشهد. وتحقّق بذلك ما تلقّاه من إلهام من جانب ربّه عز وجلّ (**ضحّ بنفسك على هذا الطريق ولا تخف فإنّ في هذا مشيئة اللّه ولخير بلدك أفغانستان**).. وقد حدثت عمليّة الرجم هذه بتاريخ ١٤ تموز عام ١٩٠٣م. وقد حضرت بعد تلك الحادثة بمدّة ليست بالقصيرة زوجة الشهيد عبد اللّطيف وأولاده إلى قاديان وأخبروا ميرزا غلام أحمد بما حدث له. علما بأنّهم كانوا من المصدّقين كونه المجدّد المنتظر. وممّا ذكروه هو أنّ المشايخ تركوا جثّة عبد اللّطيف تحت الحجارة أربعين يوما. وأنّ بعض أصدقائه قاموا في إحدى اللّيالي بنبش الحفرة وإخراج جثّة الشهيد وترحيلها ودفنها سرّا. وممّا ذكرته زوجة الشهيد أنّ وباء الكوليرا انتشر في تلك البقعة التي دفنوه فيها وما حولها بشكل كبير. وذكرت زوجته أيضاً أنّ جسد عبد اللّطيف كان طريّا حين أخرجوه وكانت رائحة المسك تفوح منه.

وكانت قد سبقت حادثة الاستشهاد هذه، حادثة استشهاد مبايع آخر قد حدثت قبل ذلك. فقد كان من مريديّ صاحبزاده عبد اللّطيف رجل اسمه الشيخ عبد الرحمن. وكان الشهيد عبد اللّطيف يُرسله إلى قاديان بعد أن اطّلع على كتب ميرزا غلام أحمد. وكانت مهمّة هذا المريد هو أن يأتي له بأنباء هذا المجدّد العظيم وليأتي له بكلّ ما نُشر من كتبه وإعلاناته وغيرها من منشورات. فعلى هذه الصورة كان عبد الرحمن المشار إليه قد زار قاديان عدّة مرّات قبل سفر الشهيد عبد اللّطيف إليها. وكان أرسل معه رحمه اللّه في أول عام ١٩٠٠م

كتاب بيعته إلى ميرزا غلام أحمد. كذلك أرسل معه بعض الهدايا أيضاً. وكان الشيخ عبد الرحمن المذكور كلما عاد من الهند إلى أفغانستان كان يروّج بين معارفه تلك الأفكار التي كانت لميرزا غلام أحمد. وبدلا من أن يحقّق أولئك الناس في تلك الأفكار، فقد كانوا يرفعون تقارير ضدّ عبد الرحمن إلى أن صدر بحقّه أمر توقيف من قِبل أمير كابل وأودعوه في السجن. وفي عام ١٩٠١م خنقَ زبانيةُ الأمير الشيخ عبد الرحمن وهو في السجن إلى أن فارق الحياة. وبذلك أصبح عبد الرحمن المذكور أوّل شهيد من شهداء أتباع ميرزا غلام أحمد عليه السلام. كما أصبح صاحبزاده عبد اللّطيف الشهيد الثاني في أفغانستان. ومن خلال استشهاد هذين الشهيدين قد تحقّق إلهام كان ميرزا غلام أحمد قد تلقّاه من قبل وهو (**شاتان تُذبحان كلّ من عليها فان**) وفهم منه حضرته ما حققته الأيام. لذلك كتب ميرزا غلام أحمد كتابا سماه (تذكرة الشهادتين). وثّق فيه حضرته ما جرى من أحداث بشأن هذين الشهيدين. وممّا كتبه ميرزا غلام أحمد في الكتاب المذكور وهو يمتدح الشهيد صاحبزاده عبد اللّطيف: **(إني عندما قابلته وجدته من أكمل المخلصين المصدّقين لكوني المهديّ المعهود والمسيح الموعود، وإلى درجة لا يباريه في إيمانه المشار إليه أحد من الذين بايعوني. فكان حبّه لي عظيما وممتلئا بعاطفة الودّ لي كالقارورة الممتلئة بالطيب..)**.. وممّا أورده حضرة الميرزا في مؤلّفه المذكور قوله: **(كان استشهاد صاحب زاده عبد اللّطيف مُقدّرا في السماء وتحقّق على الأرض. والآن فإنّ على الطاغي أن ينتظر ما قرّره الله عز وجلّ من عقاب من خلال قوله تعالى في الآية ٧٤ من سورة طه** ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾. **وأمير أفغانستان وضع نفسه تحت طائلة مضمون الآية ٩٣ من سورة النساء:** ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. **فالأمير تناسى خوف الله تعالى وقتل مؤمنا لم يكن له من مثيل في كلّ أفغانستان.... إني أدعو الله تعالى أن يُزِلَ**

عليك يا عبد اللطيف ألف رحمة، فإنك برهنت على وفائك وإخلاصك أثناء حياتي. لكني لا أدري ماذا سيفعلُ أفراد جماعتي من بعدي).. وممّا كتبه ميرزا غلام أحمد في الكتاب المذكور بشأن مستقبل أفغانستان: **(إنّ حادثة استشهاد صاحب زاده عبد اللّطيف وبلا رحمة من جانب الذين قتلوه، يُعدّ حادثة مؤسفة ومُحزنة. وستكون مع مرور الزمن مَصدرا للبركات لأفغانستان. وأما أرض أفغانستان فسوف تلقى جزاء إراقة دمه الذي لن يضيع أبدا... يا أرض أفغانستان.. فلتشهدي على تلك الجريمة الشنيعة التي ارتُكِبت على أديمك... يا أيتها الأرض التعيسة.. لقد احتُقِرت في عين اللّه تعالى بعد أن تمّت هذه المأساة الفظيعة على أديمك.)**.. فإن نحن أخذنا جميع ما حدث في أفغانستان من جرائم على أيدي مشايخها التقليديين الدمويين. إلى جانب ما أنبأ عنها ميرزا غلام أحمد وقال بحقّها من أقوال. فقد عاد يُمكن للقارئ فهم ما يجري في أيامنا هذه من أحداث هناك. ومِصداق الإلهام الذي تلقّاه حضرته بحقّ أرض أفغانستان، ونصُّه **(شاتان تُذبحان، وكلّ من عليها فان)** وهو الإلهام الذي فهم حضرته من الضمير الوارد فيه بأنّه يعود إلى أفغانستان التي سيستشهد فيها شخصان من أتباعه. وهكذا فقد أنبأ هذا الوحي عن الفناء الذي سيلحق بأفغانستان. وهذه حقيقة أخذت تظهر معالمها بعد تلك المأساة. فقد هبّت بعد استشهاد عبد اللّطيف عاصفة هوجاء مُهلِكة في تلك المنطقة التي رجموا الشهيد عبد اللّطيف فيها. وانتشر وباء الطاعون فيها بشكل مخيف أدّى إلى القضاء على أكثر أفراد عائلة أمير كابل وانتهى الأمر إلى قتله أيضاً. ولم تعرف أفغانستان بعد تلك الفترة الزمنيّة هدوء واستقرار إلى زمننا هذا. ولا ندري ما تُخبّئه لها الأقدار في المستقبل أيضاً من مآسي دمويّة وانقسامات تحرمها من شمّ رائحة الاستقرار. فيحدث هذا كلّه هناك من دون أن يتفكّر أهل أفغانستان في السبب الوجيه الذي جلب على ديارهم كلّ هذا العذاب. فالمؤسف هو أنّ شعب أفغانستان من أصلٍ يهوديٍّ من أسباط إسرائيل من أولئك الذين هاجروا إلى تلك البلاد بعد أن دمّر ملك العراق هيكلهم

وسباهم من هناك. وآمنوا بالمسيح الناصري حين جاءهم مهاجرا وبدون أيّ انحراف. ومن ثمّ قبلوا الإسلام بعد أن سمعوا أنّ نبيًا قد أتى بشريعة جديدة بعد موسى عليه السلام ومصداق نبوءة التوراة سفر التثنية ١٨/١٨ وفي أرض مكّة التي هي منطقة (فاران).

وحدثت حادثة تقبّل دُعاء ميرزا غلام أحمد عام ١٩٠٣م بصورة مُعجزة ما تزال تُذكر دلالة على أنّ اللّه على كلّ شيء قدير. إذ مرض الابن الأصغر لخان محمد علي خان الذي كان صديقا للأستاذ عبد الكريم السيالكوتي الذي كان من أبرز أتباع ميرزا غلام أحمد. فكان والد هذا الطفل يكتب كلّ يوم إلى حضرته ليدعو اللّه تعالى ليشفي له ابنه من حُمّى السلّ المستولية عليه، والتي لازمته طوال أربعة عشر يوم. وإلى درجة أقبل معها هذا الطفل على الموت. إذ استولت عليه حالة من الانحطاط في جسمه والغيبوبة في وعيه بشكلٍ مُلفتٍ للأنظار. فكان ميرزا غلام أحمد يستجيب لتضرّع والده ويدعو للطفل المذكور أثناء تهجّده. وإذ بحضرته يتلقّى إلهاما ونصّه: (**تقدير مُبرم وهلاك مُقدّر**). يقول ميرزا غلام أحمد إنّه تلقّى هذا الإلهام فازداد حُزنا على الطفل المذكور. ونطق وبصورة لا شعوريّة من جانبه وقال يا إلهي إذا لم تعُد هناك من فُرصة للتضرّع بشأنه، فإنّي أشفع له. وإذ بحضرته يتلقّى مباشرة إلهاما يقول: (**يُسبّحُ لهُ مَن في السماوات ومَن في الأرض مَن ذا الذي يشفعُ عنده إلا بإذنه**). فيضيف حضرته ويقول: عندما تلقّيت ألفاظ هذا الإلهام تملّكني الخوف وهيمنت عليّ هيبة ذو الجلال، ورجفت مفاصلي أنّني شفعت له بين يدي ربي وبدون إذنه. وإذ بي أتلقّى بعد ذاك الإلهام بدقيقتين إلهام آخر هذا نصّه: (**إنّكَ أنت المُجاز**). وفي الصباح تفقّدت حال الطفل، عبد الرحيم فقيل لي لقد عاد إلى أحسن حال. فسبحان اللّه تعالى الذي تقبّل تلك الأدعية وأرانا أنموذجا من تقبّله الدعاء بصورة مُعجزة، وشفاه.

وأُطلع القارئ الآن على ما أنجزه ميرزا غلام أحمد من مؤلّفات عام ١٩٠٣م. وهي:

أولاً - ألّف ميرزا غلام أحمد كتابا سمّاه (مواهب الرحمن) وبمناسبة مقال كتبه رئيس تحرير صحيفة (اللواء) المصريّة بتاريخ ت ثاني عام ١٩٠٢م وبناء على خبرٍ ورد في صحيفة هندية يقول بظهور رجل في الهند ادّعى النبوّة والمسيحيّة ويزعم بأنّ التلقيح ضدّ الطاعون غير مفيد. فميرزا غلام أحمد ألّف مؤلّفه المشار إليه بعد أن اطّلع على ما ورد في صحيفة (اللواء) المصرية. وقد تبسّط حضرة الميرزا فيه بإلقاء الضوء على ما يتطلّبه الإيمان من رعاية للأخذ بالأسباب. والسبب الذي دفعه لرفض التّلقيح بلقاح مرض الطاعون في تلك الفترة من الزمان.

ثانياً - وفي ٢٨ شباط عام ١٩٠٣م ألّف ميرزا غلام أحمد رسالة بعنوان (نسيمُ دعوت) ومعناها نسيم الدعوة. أكّد حضرته فيها على أفراد جماعته أن يتواصَوا بالصبر على المكروه الذي يواجهونه من قِبل الذين يخالفونهم. وقد ردّ في مؤلّفه المذكور على جميع الاعتراضات التي اعترض بها الآريون ضدّه وخاصّة منهم الآريون الذين يقطنون في بعض أحياء قريته قاديان. وقد كتب حضرته هذه الرسالة بناء على إلهام تلقّاه يشجّعه ربّه فيه على كتابة الرسالة المذكورة.

ثالثاً - وقد ألّف ميرزا غلام أحمد رسالة باسم (سناتن دهرم)تتعلّق بعقيدة الهنود الآريين المسمّاة بعقيدة (نيوك). وقد أشاع هذه الرسالة بتاريخ الثامن من شهر آذار عام ١٩٠٣م وقد تبسّط حضرة الميرزا في رسالته المذكورة في بيان أبعاد تلك العقيدة. وأبعاد مساوئها الاجتماعيّة.

رابعاً - وقد كتب ميرزا غلام أحمد كتاب (تذكرة الشهادتين) وبمناسبة استشهاد اثنين من مبايعيه في أفغانستان هما الشيخ عبد الرحمن وصاحبزاده عبد اللّطيف. وكنت قد قصصت على القارئ أحوال استشهاد هذين الرجلين المبايعين

هناك في أفغانستان. فأتى حضرته على ذكر كلّ ما يتعلّق باستشهاد الرجلين المذكورين في مؤلّفه المشار إليه.

خامساً - وبتاريخ ١٤ كانون أول عام ١٩٠٣م ألّف ميرزا غلام أحمد رسالة باللّغة العربيّة سمّاها (سيرة الأبدال). وقد ألّفها بألفاظ عربيّة قديمة كان قد تعلّمها من لدُن اللّه تعالى مباشرة. وقد شرح حضرته في رسالته المذكورة علامات أولياء اللّه المقرّبين منه سبحانه، وخاصّة منهم أولئك الذين بشّره ربّه جلّ شأنه أنّ من أولئك من سيظهر في بلاد الشام ويسمّى أبدال الشام، ويكون من مبايعيه ومن الذين يدعون له أيضاً.

الفصل الثامن عشر

أحداث عام ١٩٠٤م

سفره إلى لاهور وبقاؤه فيها شهران سفره إلى مدينة سيالكوت

نبوءته عن الحرب الكوريّة

مؤلّفاته: محاضرته في لاهور. محاضرته في سيالكوت

ازداد عدد الذين بايعوا ميرزا غلام أحمد حتّى هذا التاريخ إلى درجة اضطرّته في هذا العام لتنظيم أمورهم وتوجيههم توجيها يخلّصهم من رواسب ما ورثوه من أفكار ومعتقدات منحرفةٍ عن مُعطيات تعاليم القرآن الكريم. وهذه الحقيقة دفعت ميرزا غلام أحمد للاجتماع بوفود كبيرةٍ من أفراد جماعته الإسلاميّة الأحمديّة التي كانت تأتي إليه من مختلف مدن وقرى شبه القارة الهنديّة. ودام هذا الحال عدّة شهور. وقد تلقّى ميرزا غلام أحمد بتاريخ ١٦ مايس إلهاما هذا نصّه: (**إنّي معك ومع أهلك كمثلكَ دُرٌّ لا يُضاع**). وبتاريخ ٢٥ حزيزران ١٩٠٤م رزق اللّه ميرزا غلام أحمد بنتاً مصداق إلهام كان قد تلقّاه بشأن ولادتها من قبل ونصّه (دُختِ كرام) وتعني في اللّغة العربيّة (ابنة الكرام). وسأطلع القارئ على أحوال هذه المولودة في الفصل الذي خصّصته للكلام عن عائلة ميرزا غلام أحمد عليه السلام. وكان أفراد جماعته في لاهور دعوه مرارا ليزورهم فيها. فقرّر تلبية دعوتهم. وقد سافر حضرته إلى لاهور بتاريخ ٢٠ آب مع أفراد عائلته. وكان برفقته عددٌ من كبار علماء جماعته وهم العالم نور الدين بهيروي والأستاذ العالم عبد الكريم سيالكوتي ونوّاب محمد علي خان والمحامي محمد علي. فلما وصلوا محطّةَ لاهور. انتشر خبر وصول ميرزا غلام أحمد مثل البرق في أنحاء المدينة. فتجمّع فيها أعداد كبيرة من الهنود والمسلمين وحتّى الإنكليز الموجودين

هناك لمشاهدته. وقد كان الذين دعوا حضرته قد خصّصوا دار ميان معراج الدين عمر لإقامة حضرته فيها. الدار التي أُطلقَ عليها فيما بعد (المنزل المبارك) إشارة إلى تلك المناسبة. وفي اليوم التالي أي بتاريخ ٢١ آب توجّه حضرته إلى مسجد الجماعة لأداء صلاة الظهر. وبعد أدائها قدّموا له كُرسيا ليجلس عليه ليتمكّن الجميع من الاجتماع به. فألقى حضرته في جموع المصلّين محاضرة مفعمة بالحقائق والمعارف. وكان مبايعوه يحضرون خلالها رجالا ونساء من القرى المجاورة فاحتشدت أعداد كبيرة منهم هناك وإلى درجة احتاجوا معها لإحضار أوعية كبيرة من الماء البارد لسقاية الحاضرين. وعمدت بعض النساء لأخذ الماء من بعضها لتغسل أوجه وأيادي أبنائها. وهنا تقدّم بعضهم من حضرته وأطلعوه على ذلك. واستفسروا منه هل أنّ تلك المياه عادت تصلح للشرب؟ فقام حضرته وتقدّم نحو تلك الآنية وشرب منها أمامهم وهو يقول لو أنّ هذه المياه قد تنجّست فكيف أقدمت على الشرب منها؟ وقال: ما أبردها وما ألذّها. وبقي حضرته هناك في مدينة لاهور عدّة أيام. وبتاريخ ٢٨ آب ألقى ميرزا غلام أحمد محاضرة بعنوان فلسفة (التوبة والإيمان ونزول البلاء). وقد بايعه على أثرها أعداد كبيرة من الذين حضروا تلك المحاضرة. وفي اليوم الثالث من شهر أيلول ألقى ميرزا غلام أحمد خطبته المشهورة بعنوان (**الإسلام في مواجهة بقيّة الأديان في الهند**). وقد كانوا قد أعلنوا عن محاضرة حضرته في جميع أنحاء مدينة لاهور. لذا تجمّعت في مكان المحاضرة أعداد كبيرة لاستماع تلك المحاضرة. واجتمع خارج تلك الصالة أعداد ممّن يكفّرون حضرته من المشايخ وكانوا يفتون قائلين: إنّ كلّ مسلم يستمع إلى محاضرة ميرزا غلام أحمد تُصبح زوجته مطلّقة. والعجيب أنّه بقدر ما كان المشايخ يفعلون ذلك، بقدر ما كانت تزداد أعداد الحاضرين لسماع المحاضرة. وبلغ الحدّ أنّ الشرطة تدخّلت لحفظ النظام. ولقد جزّأ المحاضر موضوع محاضرته إلى قسمين. ففي القسم الأول قارن المحاضر ما بين الإسلام

وما بين بقيّة أديان الهند. وفي القسم الثاني قدّم الإسلام على أنّه دين حيّ وذلك من خلال ما قدّمه من دلائل تثبت أنّ إله الإسلام إله حيّ أيضاً. فهذه المحاضرة كانت مطبوعة وألقاها الأستاذ عبد الكريم بالنيابة عن ميرزا غلام أحمد. وبعد أن استمعت الجماهير للمحاضرة طالبوا بسماع شيء من الوعظ من فم ميرزا غلام أحمد نفسه. فوقف بينهم وشكر الحضور وقال: **(لا تجعلوا الاختلافات المذهبيّة سببا للعداوة فيما بينكم. فتذكّروا رحابة أخلاق اللّه تعالى، وتبنّوا رحابة أخلاق اللّـه تعالى في صدوركم. ولا أقول لكم ألاّ تتناولوا أيّ اختلاف بألسنتكم. كلا فافعلوا، وبلا حرج افعلوا. فإن فعلتم فليقترن اختلافكم المذهبيّ بصدق نيّتكم، وبعيدا عن البُغض والعداوة فيما بينكم)**. فتركت كلمات ومحاضرة حضرته أثرا حسنا وكبيرا على الجماهير المحتشدة. وباءت جميع محاولات المشايخ الذين كانوا يكفّرونه في الخارج بفشل كبير. فالحمد للّه على ذلك. علما بأنّ ميرزا غلام أحمد أمضى مدّة شهرين في لاهور وسافر بعد ذلك في تشرين أول إلى مدينة سيالكوت التي دعاه أهلها لزيارتهم وهو في مدينة لاهور ووعدهم بزيارتهم في مدينتهم. فلما وصل حضرته مدينة سيالكوت نزل ضيفا في منزل حكيم حسام الدين. وقام الأستاذ عبد الكريم وبعض جيرانه بإخلاء منازلهم لاستضافة كلّ من كان برفقة حضرته. وكان أفراد جماعة ميرزا غلام أحمد جميعا في استقباله وبلافتاتٍ كتبوا عليها أشعارا تُحيّي قدومه عندهم. وفي اليوم الثاني لقدومه هناك، وكان يوم الجمعة، فقد صلّى حضرة الإمام في المسجد الذي كان باسم حكيم حسام الدين المُضيف. فألقى خطبة الجمعة الأستاذ عبد الكريم سيالكوتي وفسّر خلالها آيات سورة الجمعة. وبايع بعد الصلاة أعداد كبيرة من الناس ميرزا غلام أحمد. وألقى حضرته بعد أخذ البيعة كلمة مُختصرةً وضّح من خلالها حقيقة البيعة وفلسفتها وعلى أنّها تفرض على المبايع تقديم دينه على دنياه. ونُشرت كلمةُ حضرته تلك في جريدة الحكَم بتاريخ العاشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٠٤م.

ونشر الأستاذ عبد الكريم إعلانا نشره في مدينته سيالكوت أعلن فيه عن موعد محاضرة سيلقيها ميرزا غلام أحمد في قاعة عامة بتاريخ ٢ تشرين الثاني، والدعوة عامّه. وانشغل حضرته بكتابة المحاضرة في تلك الأيام ما بين يوم الجمعة ويوم المحاضرة. وكان الناس يتجمّعون خلال تلك الأيام خارج الدار يطالبون برؤية حضرته. فاضطرّ حضرته للخروج إليهم فوقف بينهم مدة دقيقة واحدة ومن ثمّ عاد إلى داخل الدار ليُكمل كتابة محاضرته التي كان موضوعها (الإسلام). فأنهى كتابتها وطبعوها له. وألقاها حضرته في الموعد المقرّر وهو ٢ تشرين الثاني. وعاد أدراجه ومعه حاشيته إلى منزل إقامته. وفي طريق العودة كان مشايخ المدينة يصيحون بالسباب والشتائم ويحضّون الناس على التعرّض له.. ومع ذلك فقد فشلوا في كلّ ما سَعوا له. وكانت أعداد من الشرطة تراقب ما يجري. وكان على رأسها ضابط أوروبيّ. وقد خاطب هذا الضابط المشايخ قائلا: (**<u>إني لأعجب الكم تحاربون هذا الشخص الذي كان أحرى بنا نحن الأوروبيون والآريون أن نحاربه ونعاديه لأنه يهدم أدياننا. لكننا نراه يدافع عن الإسلام ويحاول إثبات بأنه هو الدين الصادق والحقيقيّ. فكيف تقفون منه هذا الموقف المعادي؟</u>**) - نشرت هذا الخبر صحيفة الحكَم بتاريخ ٣٠ ت ثاني وبتاريخ ١٠ ك أول ١٩٠٤م -. وبتاريخ ٣ تشرين الثاني بدأ ميرزا غلام أحمد يستعدّ للعودة إلى قريته. فجاءته أعداد كثيرة من وجهاء المدينة وبايعوه قائلين بأنّه لم يحدث أن رأينا من قبل جمعا من الناس اجتمع لسماع محاضرة مثل هذا الجمع الذي أتى لسماع محاضرتكم. وكان من جملة أولئك المبايعين في اليوم المذكور تشودري نصر اللّه خان وهو والد ظفر اللّه خان. وهذا بايع حضرته وهو يقف بجانب والده. وظفر اللّه خان هو الذي أصبح فيما بعد وزير خارجيّة باكستان. علماً بأنّ والدة ظفر اللّه خان كانت قد بايعت ميرزا غلام أحمد قبل مبايعة زوجها إياه بأيّام بناء على رؤيا دلّتها على صدق حضرته. وعلى هذه الصورة فقد عاد حضرة المجدّد الإمام ومعه أهله والذين رافقوه إلى قريته

قاديـان بتـاريخ ٣ ت ٢ ١٩٠٤م سـالمين بفضـل اللّـه تعـالى. وكـان النـاس وأفـراد جماعته يستقبلونه في كلّ محطّة من محطّات القطار بأعداد كبيرة جدّا على طريق العودة. ومنهم من كان يقدّم لحضرته وللذين معه شهيّ الطعام والشراب البارد أيضاً.

وفي عام ١٩٠٤م تلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما باللّغة الأرديه هذا نصّه: (إيك مشرقي طاقت أور كوريا كي نازك حالت) وتعني في اللّغة العربيّة: (**تظهر قوّة في الشرق وحالة كوريا تسوء**). تلقّى حضرته هذا الإلهام وهو في قريته الصغيرة المقطوعة عموما عن أخبار المدن الكبيرة. ويوم كانت كوريا عبارة عن جزيرة تقع في مقابل اليابان التي لا تُعتبر دولةً قويّة. وكانت كوريا خاضعةً لحكومة الصين أيضاً. وكان الروس يطمعون في ضمّ الجزيرة الكوريّة إليهم. الأمر الذي كانت اليابان تحسب له ألف حساب. من هنا فقد تعجّب كلّ من اطّلع على الإلهام المذكور الذي تلقّاه حضرته في تلك الأيام. والذي حدث في العام الذي تلاه أنّ حربا وقعت ما بين روسيا واليابان انهزمت الجيوش الروسيّة فيها شرّ هزيمة واستولت اليابان على الجزيرة الكوريّة. وتحقّق الإلهام الذي تلقّاه ميرزا غلام أحمد حرفا بحرف. وما تزال آثار تلك الحرب قائمة إلى يومنا هذا.

وفي عام ١٩٠٤م لم تصدر لميرزا غلام أحمد أيّة مؤلّفات بسبب انشغاله فيما أتيت على ذكره من أمور، منها انشغاله بتلك القضايا التي رفعها عليه الشيخ كرم الدين لابتزاز حضرته وبعض أركانه مادّياً. ومنها اهتمام حضرته بتربية أفراد جماعته التي ازداد عددُهم كثيرا. ومنها كثرة أسفاره في هذا العام والذي استغرق منه أشهُرا. لكنّه ألقى محاضرتين مهمّتين الواحدة في مدينة لاهور. والثانية في مدينة سيالكوت. وقد أتيت على بيان مضمونيهما من قبل.

الفصل التاسع عشر

أحداث عام ١٩٠٥م

زلزلة نبوءة (عفة الديار محلها ومقامها)

قدوم أبو النصر آزاد إلى قاديان ومقالته بعد عودته منها

كتاب الوصيّة　　　إتمام الجزء الخامس من البراهين الأحمدية

نبوءته عن مصير حاكم أفغانستان

وفاة الأستاذ عبد الكريم سيالكوتي وبرهان الدين جهلمي

سفره إلى دهي برفقة زوجته لزيارة أهلها　　　سفره منها إلى لدهيانه

نبوءة (مصالح العرب. مسير العرب) وصوت (با مراد)

مؤلّفاته: إتمام الجزء الخامس من البراهين الأحمدية

وكتابة (كتاب الوصيّة). محاضراته في دهلي وفي لدهيانه

وكان ميرزا غلام أحمد قد تلقّى بتاريخ الثامن من شهر حزيران عام ١٩٠٤م إلهاما نشرته جريدة الحكَم آنذاك ونصّه: (**عفَت الديار محلُّها ومُقامُها. إني أحافظ كلّ من في الدار. أعطيتُكَ كلّ النعـيم**). وفهم حضرته من هذا الإلهام أنّ زلزلة عظيمة مدمّرة ستحدث شمالي الهند.

وفي منتصف ليلة ٢٦/ ٢٧ شباط عام ١٩٠٥م شاهد ميرزا غلام أحمد كشفا دفعه لكتابة إعلان بعنوان (وصيّة) ذكر فيه ما شاهده. وممّا كتبه فيه: (**أرى أنّ الوقت –المتعلّق بنبأ الزلزلة التي كان قد أعلن عنها عام ١٩٠٤م– قد أصبح قريبا. فقـد شاهدت الساعة الرابعة من بعد منتصف هذه اللّيلة بطريق الكشف أنّ دمارا هائلا سيحدث يتسبب بموت نفوس كثيرة وكأنّ القيامة قد أتت بصخبها. وتحرّك لساني بإلهام إلهـيّ وهـو**

(مونا موتى لك رهي هى)ومعناه أنّ الموت ينتشر في كلّ مكان. ومن ثم استيقظت. وإنّ هذا الكشف اضطرّني لأجلس بعده مباشرة لأكتب هذا الإعلان. فيا أحبّائي انهضوا واحــذروا فقد دنت مصيبة كبيرة على هذا الجيل. ولن يُساعدكم على اجتياز هذا النــهر إلا ســفينة التقوى، وليس آية سفينة أخرى).. وفي الحقيقة فلم يمض على هذا الإعلان شهران إلا وحدثت زلزلة عظيمة مدمّرة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٠٥م شمالي الهند. وكان الدمار الذي أحدثته أشبه بدمار يوم القيامة. وتحقّق بحدوثها إلهام (**عفت الديار محلُها ومقامُها**) هذا وإنّ ميرزا غلام أحمد، وبسبب تواتر الإلهامات المتعلّقة بحدوث زلازل. فما أن حدثت الزلزلة المدمّرة التي ذكرتها للقارئ، إلا وأمر بعد حدوثها مباشرة كلّ من كان عنده كالحكيم نور الدين بهيروي والأستاذ عبد الكريم وموظّفي جماعته الإسلاميّة الأحمديّة، أمرهم جميعهم أن ينتقلوا جميعهم إلى الأرض المخصّصة لمقبرة الجنّة. وانتقل حضرته معهم وأهله وخيّموا فيها مدّة ثلاثة أشهر. وحدث هناك في المزرعة أنّ حضرته شاهد في منامه أنّه قام ليؤدّي مهمّة حراسة المزرعة. فلم يمض خطوات إلا وواجهه شخص قال له: لا حاجة لحراستك فملائكة اللّه تعالى يحرسونها. وتلقّى إلهاما في الوقت نفسه (المكان في أمان). والذي حدث في اليوم التالي أنّ سارقا جاء حيث كان حضرته وأهله وأركانه معسكرون، فاختبأ في مكان كشفه الذين كانوا يحرسون المكان. فطاردوه وأمسكوا به. ومن ثمّ سلّموه إلى العدالة. وبرزت في اللّيلة نفسها أفعى سامّة طويلة جدّا لاقت مصيرها على أيدي أولئك الحرّاس وتحقّقت بذلك رؤيا حضرته وإلهامه. ومن ثمّ عادوا من المزرعة بتاريخ ٢ تموز إلى أمكنة سكنهم. ولم يكتف حضرته بالإعلان الذي كتبه والذي ذكرناه. بل إنّ حضرة ميرزا غلام أحمد راح ينشر كلّ عدّة أيام إعلانا جديدا. وبقصد توعية الناس ممّا هو آت من زلازل ودمار. فكان يُعنون إعلانه تارةً بعنوان (الدعوة). وتارة بعنوان (الإنذار). وتارة بعنوان (النداء من وحي السماء). وتارة بعنوان (الإخبار عن الزلزلة

للمرّة الثالثة. علما بأنّ جميع تلك الإعلانات المشار إليها، كان يكتبها بدافع إلهامات كان يتلقاها حضرته في حينه وكان حضرته يناشد الناس الابتعاد عن أفعال السوء، وانتهاج سبيل التقوى في حياتهم اليوميّة. ليُنجيهم الله عز وجلّ من شرّ غضبه عليهم. وبدلا من أن يتّعظ أولئك الذين كانوا يقرؤون الإعلانات تلك. فقد راحت بعض الصحف تزعم بانّ ميرزا غلام أحمد يقصد من وراء هذه الإعلانات التي ينشرها تشويش أذهان الناس وقد حضّوا الحكومة أن تضغط عليه وتمنعه من نشر مثل تلك الإعلانات المملوءة بالأخبار الموحشة. ممّا اضطرّ ميرزا غلام أحمد ليردّ على تلك المزاعم بإعلان عنوانه (التماس ضروريّ موجّه إلى الحكومة) ونشره بتاريخ ١١ مايس ١٩٠٥م وممّا أورد فيه حضرته قوله: (**إنّه لزمن عجيب أن يُقابَل العطف بالنكران. إنّ بعض الصحف وخاصّة منها صحيفة (بيسه) الصادرة في لاهور أزعجها أن أخبرت عن زلزلة قادمة. مع علمهم بأنّ ما أنبأت عنه، لم يكن بنيّة سوء. ولا لإزعاج أحد ولا لبلبلة الأفكار**). -تبليغ رسالت جلد دهم -. وممّا أورده حضرته في القسم الأخير من الإعلان المذكور: (**يزعم بعض السفهاء بأنّ مقصدي من الإعلانات إخافة الناس من أجل أن يُقبلوا على مبايعتي. وهل يستحقّ هذا الاتّهام أن أردّ عليه؟ فأنا أعلنت مرارا وأنا أدفعهم إلى التوبة وإلى إصلاح أنفسهم. وهذا لا يعني أنني أدعو أيّ هنديّ ليصبح مسلما أو ليبايعني. علما بأنّ من كان دينه باطلا فلن يُعاقَب في هذه الدنيا. بل يحاسب يوم القيامة وإنّ الأقوام التي أنزل الله تعالى بهم عذابه بالقضاء عليهم من خلال زلزلة أو إغراقهم بواسطة طوفان أو رميهم بحجارة، فلم يكن الباعث عليه أنّهم كانوا يعبدون أصناما أو يعبدون النار وغيرها من الأشياء، وفي وقت كان سلوكهم اليوميّ حسنا. بل كان الله تعالى أنزل عذابه بهم لاقترافهم الآثام تجاه عينيه واستكبارهم في الأرض. وتلويثهم هذه الأرض بمعاصيهم. فالله تعالى كريم ورحيم وقلّما يغضب. فلو أنّ أهل زماننا هذا يخشونه ولا يتجرّؤون على ارتكاب المعاصي وسوء الأعمال، فإنّه تعالى لا يُنزل بهم عذابه**)..

وفي تلك الأيام التي كان ميرزا غلام أحمد ومن معه يُقيمون في مزرعته. قدِمَ أبو النصر آزاد إلى قاديان، وهو أخو العلامة أبو الكلام آزاد. فبعد أن اطّلع على جميع ما يجري فيها، عاد وكتب عن زيارته تلك في صحيفة (وكيل) التي كانت تصدر في مدينة أمرتسر ومما كتبه فيها قوله: (نزلت قاديان والتقيت بميرزا غلام أحمد ونزلت عنده ضيفا. واستحقّ اعتناؤه وأخلاقه من جانبي تقديم آيات الشكر. وكنت لا أستطيع تناول المآكل الحارة التي تسببت بطفح على وجهي من شدّة الحرّ. وعالجني ميرزا غلام أحمد بإطعامي الخبز والحليب. إنّ ميرزا غلام أحمد يقطن في هذه الأيام في مزرعته الواسعة والمناسبة والتي تعود ملكيّتها له، ومعه عظماء جماعته. علما بأنّه يبلغ عدد سكان قرية قاديان ثلاثة آلاف نسمة.... والسفر إلى قاديان شاقّ على المسافر. ولولا اشتياقي للقاء ميرزا غلام أحمد لكان من الصعب أن أخطو نحو تلك المنطقة ولو خطوة واحدة. وإنّ صفة إكرام الضيف غير محدودة هناك على أشخاص معيّنين. بل إنّ كلّ واحد هناك عاملني معاملة الأخ بدءاً من مولانا الحاج نور الدين المعروف في أنحاء الهند. ومرورا بالأستاذ العالم عبد الكريم المشهور كخطيب في بنجاب كلّها. وانتهاء بمفتي محمد صادق رئيس تحرير صحيفة (بدر) والذي اعتنق الإسلام عدد من الإنكليز ممّن طالعوا مقالاته فيها. وشخصيّة ميرزا غلام أحمد طلعتها بهيّة وذات أثر قويّ وعيناه ذات كيفيّة وبريق خاص. وحديثه سلس، ومتواضع لكنّه مُهيب الطلعة. ومع كونه هادئا فإنّ كلامه يشحن الأفئدة وباعتدال. فإذا تكلّم يتكلّم بلطف وكأنّه يبتسم. لونه أسمر وشعره مائل إلى الحمرة. جسمه قويّ ونشيط. وتُتوّجُ رأسه عمامة بيضاء ذات طابع بنجابيّ. ويلبس في قدميه جراب وحذاء بسيط. عمره يقرب من ٦٦ عاما. وقد لاحظت شدّة اعتقاد مريديه به وبما ادّعاه. ونزل عنده ضيوف محترمون كثيرون عاليي الهمة وشديدي الاعتقاد بحضرته وذلك خلال إقامتي عنده. وممّا يدلّ على عظمة أخلاقه أنّه كان يكرّر ويقول خلال إقامتي عنده

بأنّه يأمل أن أعود إلى قاديان ولأقيم فيها أسبوعين على أقل تقدير. ولا تزال ابتسامته التي لا تفارق شفتيه ماثلة أمام ناظري. سافرت شوقا إليه. وعدت وأنا أحمل شوقي إليه. ولعلّ هذا الشوق يدفعني للسفر عنده مرّة ثانية. ولا أستطيع إلا أن أقول بأنّ أهل قاديان قد وعوا المثلَ السائر الذي يقول: وحسّن خُلقك ولو مع الكفّار. وقد نشرت صحيفة (بدر) هذا المقال الذي كتبه أبو النصر آزاد بعد عودته من قاديان حرفيا بتاريخ ٢٥ مايس عام ١٩٠٥م. وممّا رواه بعضهم أنّ أبو النصر آزاد قد بايع ميرزا غلام أحمد هناك في قاديان أيضاً. ولا تُستبعد هذه الرواية وتُشعرُ بها تلك الأوصاف التي وصف العالم أبو النصر آزاد بها ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

وكنت ذكرت في الصفحة الأولى من كلامي عن أحداث هذا العام، وهو عام ١٩٠٥م من أنّ ميرزا غلام أحمد لم يكتف بالإعلان الذي كان قد أعلن عنه بشأن الزلزلة المدمّرة التي حدثت شمالي الهند. بل إنّ حضرته راح ينشر بين فترة وأخرى إعلانا جديدا وبقصد ما هو آت من زلازل ودمار مكتوبة في عالم الغيب. ولربّ أن يتساءل القارئ عن الدافع الذي كان يدفع ميرزا غلام أحمد عليه السلام إلى تكرار كتابة إعلانات تحذّر من الزلازل. وكان من المنطقيّ جدا أن يسأل المرء هذا السؤال في هذا المقام. وأجيب وأقول: إنّ ميرزا غلام أحمد كان معتقدا بأنّ الإلهام الذي تلقّاه عام ١٩٠٤م بشأن الزلزلة التي حدثت وهو (**عفت الديار محلُّها ومقامُها**) أنّه كان معتقدا بأنّها ستحدث زلزلة واحدة. لكنّ حضرته أخذ يتلقّى إلهامات بشأن زلازل رهيبة تحدث في زمانه وبعد موته أيضاً. واقترنت تلك الإلهامات بإلهامات تُخبره بأنّ أجل موته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى قد دنى. وهذه الحقيقة دفعته إلى كتابة وصيّته ضمن كتاب عُرف بكتاب (الوصيّة) كتبه بتاريخ ٢٠ كانون أول عام ١٩٠٥م، وكنت قد قمت سابقا بترجمته إلى اللّغة العربيّة وطبعوه أيضاً. وممّا ذكره ميرزا غلام أحمد في مُستهلّ

كتاب (الوصيّة) المشار إليه قوله: (الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد، فلمّا تواتر وحي الله عزّ وجلّ أنّ موعد وفاتي قد دنا. وتواتر إلى درجة هزّت أصول نفسي، حتّى فَترت فيّ الحياة. لذلك رأيت أنّ من المناسب تحبير نصائح عدّة للراغبين في كلامي. وعلى هذا أُطلعُكم على ذلك الوحي المقدّس الذي أوحي إليّ باللّسان العربي. والذي دفعني لأُقدِمَ على هذه الخطوة. إذ أوحي إليّ (قَرُبَ أجلُكَ المقدَّر. ولا نُبقي لك من المُخزيات شيئا. وإما نُرينّك بعض الذي نعدُهم أو نتوفّينّك. تموت وأنا راضٍ منك. جاء وقتُك ونُبقي لك الآيات باهرات. جاء وقتُك ونُبقي لك الآيات بيّنات. قَرُبَ ما توعدون. وأما بنعمة ربّك فحدّث. إنّه مَن يتّق اللّه ويصبر، فإنّ اللّه لا يُضيع أجرَ المحسنين).. وقد راح حضرته يوضّح للقارئ دلالات إحدى فقرات تلك الإيحاءات فأضاف يقول: (تذكّروا هنا أنّ لقوله تعالى (ولا نُبقي لك من المُخزيات ذكرا) معنيين: أوّلهما هو أننا سنطمسُ ذكرَ ما اعترض به الأعداء ونشروه ليُخسزوك أو ليهتكوا أستارك. فلا نُبقي لها ذكرا. أي لا اسما ولا أثرا. والمعنى الثاني هو أننا لا بدّ أن نبيد من صحيفة الوجود معالم الذين شاقّوك وبذروا الفتنة وذكر السوء. فسيُتبّرُ ما عمّروا بما يُدمّرون. ومن ثمّ خاطبني اللّه تعالى باللّغة الأرديّة حول وفاتي وترجمته: (قلّت أيّام حياتك. ويومئذ تزول السكينة من القلوب. ويظهر أمرٌ عجيب، بعد أمر عجيب. وآية بعد آية. ثمّ بعد ذلك يتوفّاك اللّه تعالى. وما أخبرته عن النوائب والنوازل الآتية، هو أنّ شبح الموت سيطلب العالم من كلّ حدبٍ وصوب. فتقعُ زلازل تشتدّ كلّ الشدّة. فيتجلّى منظر القيامة. وتُجعلُ أعالي الأرض سافلها. وتضيق الحياة بما رحُبت. فأما الذين أنابوا إلى ربّهم وتابوا، وودّعوا الذنوب واعتزلوا، فسيشملهم اللّه تعالى بواسع رحمته. وكما أنّ كلّ نبيّ كان قد أخبر عن هذا الزمان، فإنّ كلّ ذلك لابدّ واقع. والذين يُطهّرون قلوبهم ويبتغون سبُل مرضاة اللّه تعالى، فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. لقد خاطبني اللّه عز وجلّ فقال: أنت منّي نذير لتَميزَ الطيّبين من المجرمين. وقال: جاء نذير في الدنيا فكذّبه أهلُها، وما قبلوه. ولكنّ اللّه يقبله ويُظهرُ صدقه بصولات قويّة شديدة. وسأباركك حتى يتبرّك الملوك بثيابك).. وهنا

وضع حضرته حاشية قال فيها: (لو فتح العالم عينيه لرأى أنّني قد جئت على رأس القـرن، حتّى كـاد أن يمضي مـن القـرن الرابـع عشـر ربعـه. وتبعـا لنبـوءات الأحاديث، ها كم القمر وقد خُسِف، والشمس وقد كُسِفت في شهر رمضان بعد دعواي. وهاهو الطاعون قد عمَّ المملكة. وزُلزلتِ الأرض، وستُزلزل. ولكن الأسف كلّ الأسف على من أحبّوا الدنيا وكذّبوني).. ومن ثمّ تابع ميرزا غلام أحمد يقول: (**وأنبأني الله عز وجلّ عن الزلزلة الشديدة القادمة فقال: ثمّ عاد الربيع وتمّ قول الله. لذلك لابدّ من وقوع الزلزلة الشديدة، ولكنّ الصادقين في مأمن منها وسلام. وعلى هذا فكونوا من الصادقين. وعليكم بالتقوى لتكونوا مع الناجين ومنهم. خافوا الله اليوم واخشوه كي تتقوا شرّ ذلك اليوم. لابدّ أن تُظهرَ السماء أمرا، ولابدّ أن تُبدي الأرض شيئا. وأما الذين يخشون ربّهم فأولئك مع الناجين. أنبأني الله عز وجلّ أنّ حوادث آتية، وآفات نازلة. فمنها ما يظهر وأنا بينكم. ومنها ما يقعُ من بعدي. وأنبأني أنّه كتب النصر لجماعتي: بعضه على يديّ، وبعضه من بعدي**).. وعلى هذه الصورة يكون ميرزا غلام أحمد عليه السلام، ومن خلال ما استهلّ به مؤلّفه (الوصيّة) المذكور، يكون قد أنبأ عن زلزلة شديدة قادمة دلّ عليها إلهامٌ تلقّاه (**ثمّ عاد الربيع وتحقّق قول الله مرّةً أخرى**) الوارد في النصّ المذكور. وأنقل للقارئ ما أورده ميرزا غلام أحمد نفسه في مؤلّفه (الوصية) على الصفحة العاشرة، وهو يشرح هذا الإلهام المذكور. فهو كتب يقول (**فلقد أنبأني الله عز وجلّ بعد آية الزلزلة التي ظهرت في الرابع من نيسان عام ١٩٠٥م التي كان أُنبئ عنها من قبل. أنبأني ثانيةً وقال: إنّ زلزلة شديدةً لابدّ واقعة في فصل الربيع، وتكون أيام الربيع. ولا نعلمُ أتقعُ في أوّل أيام الربيع عند تفتّح البراعم، أم في وسطه، أم في آخر أيّامه. فألفاظ الوحي (ثمّ عاد الربيع وتحقّق قول الله مرّة أخرى). ولمّا كانت الزلزلة الأولى في أيام الربيع أيضاً، لذا أنبأني الله تعالى أنّ الزلزلة القادمة ستقع في الربيع أيضاً ولمّا كانت بعض البراعم تتفتّح في أواخر شهر كانون الثاني لذلك تبتدئ أيّام الخوف منذ ذلك الشهر وحتى آخر شهر أيار على أغلب الظنّ**).. فندرك من هذا النصّ

بأنّ ميرزا غلام أحمد قد حدّد زمن وقوع الزلزلة الثانية الشديدة القادمة بعد الزلزلة الأولى التي كانت قد حدثت في شهر حزيران، حدّد زمن وقوعها ما بين شهر كانون الثاني عام ١٩٠٥م وما بين شهر مايو من عام ١٩٠٦م. وفي الحقيقة فقد وقعت الزلزلة الشديدة الثانية المُنبأ عنها في الإلهام المذكور الساعة الواحدة من بعد منتصف ليل الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٩٠٦م. وكان مركزها في مدينة (شمله) في جبال هيمالايا. وقد أحدثت الزلزلة المشار إليها دمارا كبيرا في شرقي منطقة بنجاب. حيث وصفت صحيفة (بيسه) ما أحدثه الزلزال من دمار فأخبرت بأنّ قرية بأكملها قد دُمّرت سطوح منازلها فوق رؤوس أهلها حين كانوا نياما. ولم ينج من بينهم إلا ثلاثة أشخاص.

وفي عام ١٩٠٥م أخذ ميرزا غلام أحمد يُكمل كتابة الجزء الخامس من كتابه المشهور (البراهين الأحمديّة). وقد أنبأ حضرته فيه عن زلزلة رهيبة لا تُشبه الزلازل المعروفة، بدليل قوله على الصفحة ١٢٠ من الجزء المشار إليه من (البراهين الأحمديّه) ما ترجمته: (**من الممكن أن لا تكون هذه الزلزلة تشبه الزلازل العاديّة المعروفة، بل قُصد بها مصيبة كبيرة تحدث أشبه بيوم القيامة ولم يحدث مثلها في زماننا هذا. حيث يأت دمار شديد يدمّر الأبنية ويقضي على الحيوانات. فإن لم يحدث ما أنبأت عنه من وصف، وكان الناس لم يُصلحوا أنفسهم، أكون كاذبا فيما ادّعيته وأنبأت عنه**).. وقد نظم ميرزا غلام أحمد هناك بعد الذي ذكره بشأن تلك الزلزلة المدمّرة القادمة التي لا تُشبه الزلازل المعروفة أربعمائة بيت من الشعر باللّغة الأرديّة يصفُ من خلالها ما ستُسفر عنه الزلزلة القادمة المشار إليها. وكأنّه كان قد رأى من خلال كشف روحي ما سيحدث. وتنطبق تلك الأوصاف المشار إليها في تلك الأشعار على أحداث الحرب العالميّة الأولى التي حدثت ما بين عام ١٩١٤م وإلى عام ١٩١٨م، والتي استعمل الكتّاب لها اسم زلزلة مدمّرة. والذي يُعطي تلك الأشعار المشار إليها أهمّية كبيرة، هو أنّ ميرزا غلام أحمد قد أنبأ في أحد هذه الأشعار عن

مصير مأساويّ يصير إليه حال قيصر روسيا أيضاً. وقد تحقّق مضمون هذا النبأ من خلال الثورة الشيوعيّة التي حدثت في روسيا القيصرية والتي قضت على القيصر وأهله بعد أن استكتبوه تنازلا عن عرش روسيا بتاريخ ١٥ آذار عام ١٩١٧م. وهذه حقيقة تاريخيّة معروفة لا حاجة لتفصيل مُجرياتها في هذا المقام. ويكفي الإشارة إلى أنّ ميرزا غلام أحمد أورد في أحد تلك الأشعار ينبئ عن خمسة زلازل مدمّرة قادمة من بعد كتابته تلك الأشعار الأربعمائة. وذلك من خلال مصرع بيت شعر قال فيه ما ترجمته (**ستتكرّر تلك المعالم خمسة مرّات**). فإذا علمنا بأنّ الحربين العالميّتين حدثتا مصداق ما أنبأ عنه هذا المجدّد المهدي مثيل ابن مريم عليه السلام. فهذا يعني أنّ العالم سيرى في المستقبل أحداثا شبيهة بحال الحربين العالميّتين المذكورتين.

وقد أضاف ميرزا غلام أحمد يقول في كتابه (الوصيّة): (**اعلموا أنّ هذا الإعلان ليس لتشويش الأذهان، بل للحفظ مّما هو آت من التشويش حتى لا يهلك إنسانٌ إلا عن بيّنة. وإنما الأعمال بالنيّات. فليس في نيّتنا الإيلام، بل الإنقاذ من الآلام. إنّ التائبين سيُعصمون من عذاب اللّه تعالى. ولكنّ المنحوس هو مَن لا يتوب ولا يترك مجالس الاستهزاء. ولا ينتهي عن السيّئة والإثم.**

وإنّ موعد هلاكه لقريب. وإنّ كبرياءه لُمستوجِب لغضب اللّه تعالى. ومن الجدير بالذكر أيضاً أنني كما سلف أن بيّنت إنّ اللّه تعالى أنبأني عن وفاتي قائلا ما ترجمته (بقيت أيام قليلة جدًا). وما ترجمته (تأتي حادثتك بعد إظهار عجائب القدرة وجميع الحوادث). وفي هذا إشارة إلى أنّه لابدّ وأن تقع بعض الحوادث في العالم قبل موتي. وتظهر بعض عجائب القدرة. ليستعدّ العالم لانقلاب ومن بعده تأتي وفاتي. وأُريت مكانا وقيل: هذا موضعُ قبرك. ورأيت ملكاً يقيس الأرض. فوصل إلى موضع وقال لي: هذا موضع قبرك. ثمّ أُريت قبرا يتألّق أكثر من تألّق الفضّة، وكان ترابه من معدن الفضّة، وقيل لي: هذا قبرك. وأُريت أرضا سُمّيت (بهشتي مقبرة) وترجمته (مقبرة الجنّتيين). وأظهر أنها مقابر المختارين من هذه الجماعة

الذين هم من أهل الجنّة).. وبعد أن تكلّم حضرته عن الأرض وشرائها ولتكون مصداق ما رآه حضرته من كشوف وما تلقاه من إلهامات. راح ميرزا غلام أحمد يدعو ويقول في مؤلفه (الوصيّة): **(ثمّ أكرّر الدعاء أن يا أيّها الإله القادر اجعل هذه الأرض قبرا لمطهّريّ القلوب من جماعتي. للّذين أضحوا لأجلك واقعيا. والذين ما شابت أعمالهم شائبة الدنيا وأغراضها. آمين يا ربّ العالمين. وأدعوه للمرّة الثالثة:أيّها القادر الكريم، أيّها الإله الغفور والرحيم خُصّ هذه المقبرة فقط بالذين آمنوا برسولك هذا حقّ الإيمان. والذين ما أرادوا هوى نفسانيا ولا نفاقا ولا سوء ظنّ. ويعملون بمقتضى الطاعة والإيمان. وضحّوا بأرواحهم لك، وفي سبيلك بصدق القلب، الذين رضيتَ عنهم، والذين تعلمُ أنّهم أحبّوك بكلّيتهم، وارتبطوا برسولك برابطة الفداء والمحبّة وبالإيمان الواضح مع كامل الأدب والوفاء. آمين يا ربّ العالمين).**

وبعد أن أطلعت القارئ على سبب كتابة ميرزا غلام أحمد مؤلّفه المعروف ب (الوصيّة). ونقلت إلى القارئ ما نقلته له من نصوص أنبأ حضرته فيها عن دنوّ أجله وفق ما أنبأه عنه الله ربّه الذي خلقه والذي بعثه مهديّ زمانه ومثيل ابن مريم عليه السلام. فإن عاد بعد ذلك يوجد هناك من الناس من يُصغي إلى مزاعم مشايخ الزمان الذين كفّروه ويكفّرونه، فأقلُّ ما يقال بحقّ هذا الإنسان الذي يُكذّب هذا المجدّد العظيم وبدون مبالغة: أقول يكون موقفه هذا هو في نظري يُشبه موقف من كذّب آدم عليه السلام من قبل واستكبر. فإبليس أمسى ملعونا. أما آدم فقد كتب الله عزّته إلى اليوم. ولذلك فإذا ذكره أحد المؤمنين من أيّ دين كان فيدعو له قائلا عليه السلام.

وبتاريخ ٣ مايو من هذا العام ١٩٠٥م تلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما أنبأه ربّه فيه عن مصير حاكم سيتولّى الحكم في أفغانستان ويكون اسمه **(نادر شاه)**. وقد تحقّق هذا النبأ على صعيد الواقع وقُتل حاكم أفغانستان المسمّى (نادر شاه) عام ١٩٣٣م على أيدي شخص عاديٍّ من رعيّته، وأقيمت بعد ذلك مآتم حُزنا عليه

وكان المجتمعون يُردّدون في مأتمه نفس ألفاظ ذاك الإلهام المذكور وهو (آه نادر شاه). وتحقّق بموته النبأ المشار إليه. وهو النبأ الذي كانت جريدة (بدر) قد نشرته بتاريخ ٢٧ نيسان ١٩٠٥م في مجلّدها الأول رقم ٤. علما بأنَّ الذي حدث بعد نشر خبر هذا الإلهام في جريدة (بدر) في التاريخ المذكور أنّه سخر منه الذين طالعوه من أعداء ميرزا غلام أحمد. وممّا ذكروه في مجلّة (أهل الحديث) هو أنّه ما سبق لحاكم أفغانيّ أن لقّبوه بلقب (**شاه**) فمن أين أتى ميرزا غلام أحمد بهذا اللّقب فيما زعمه من إلهامٍ نزل عليه؟ ودارت الأيام وصدق الإلهام ولابدّ أن يتذكّر القارئ اسم الأستاذ عبد الكريم السيالكوتي الذي كان عالما علاّمة ومن أخلص المبايعين والمقرّبين من ميرزا غلام أحمد، والذي كان خطيبا مفوّها ومشهورا بصوته الجهوري، وتلاوته لآيات القرآن الكريم بصوت حنون. وكان ميرزا غلام أحمد يقدّمه لإمامة الصلاة في أغلب الأحيان. وله عدّة مؤلّفات قيّمة. ففي الأشهر من عام ١٩٠٥م التي أمسى ميرزا غلام أحمد يتلقّى خلالها إلهامات بدنوّ أجله. الأمر الذي جعل كلّ مَن كان حول ميرزا غلام أحمد يعيش على أعصابه وهو يتصوّر تلك الساعة التي سيفارقهم بها هذا المجدّد الأعظم الذي بايعوه والذي ما كانوا يتصوّرون فراقه. ففي تلك الأيام في شهر آب مرض الأستاذ عبد الكريم مرضا شديدا لم تنفع معه الأدوية والأدعية وانتقل بتاريخ ١١ تموز عام ١٩٠٥م وبعد صلاة ظهر اليوم المذكور إلى جوار ربّه عز وجلّ. وكأنّ اللّه تعالى كان قد قدّر أن يسبق هذا المتفاني في خدمة الإسلام تحت ظلّ مرشده الروحي، أن يسبقه إلى عالم الآخرة ليكون في استقبال مرشده في عالم البقاء. خصوصا وأنّ هذا الإنسان العالم الكبير السابق في الخيرات قد تيقّن بأنّ مرشده الروحيّ على وشك الانتقال إلى هناك. إنا للّه وإنا إليه راجعون. وقد أمَّ ميرزا غلام أحمد المصلّين في الصلاة على جنازته مساء. ودفنوه داخل صندوق كأمانة في مقبرة عامة. وإلى أن يشتروا الأرض المخصّصة كمقبرة لمن كان من أهل الجنّة.

ودنت أيّام الاجتماع السنويّ. فاستعادوا بتاريخ ٢٦ كانون أول الصندوق من قبره بعد صلاة العصر. وفي الساعة العاشرة من يوم ٢٧ كانون أول صلّى ميرزا غلام أحمد صلاة الجنازة عليه للمرّة الثانية ووراءه جميع من حضروا الاجتماع السنويّ. فدعوا له دعاء طويلا ودفنوه في الأرض التي أصبحت تسمّى مقبرة أصحاب الجنّة. ونظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام عدّة أشعار تضمّنت مناقب هذا المبايع العظيم ومعدّدا فيها مناقبه وخدماته الكثيرة. وذكرَ ميرزا غلام أحمد فيها الإلهام الذي كان تلقّاه بحقّه باللّغة الأردية وهو (مسلمانون كا ليدر) ومعناه زعيم المسلمين. وكُتِبت تلك الأشعار على شاهدة القبر أيضاً. علما بأنّ ميرزا غلام أحمد كان قد تلقّى إلهاما أخبره ربّه فيه بقرب وفاة رجلين عظيمين من عظماء المقرّبين منه. ونشرت جريدة (بدر) ذاك الإلهام بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٠٥م. وفي الحقيقة فلم تمض عدّة أيام على وفاة الأستاذ عبد الكريم سيالكوتي إلا وتوفّى اللّه عز وجلّ رجلا عظيما آخر هو العالم برهان الدين جهلمي الذي كان من أقدم الذين بايعوا ميرزا غلام أحمد عليه السلام والذي انشغل بعدها على الدوام بتربية ورعاية المبايعين الذين جاؤوا بعده. فلما توفّى اللّه عز وجلّ هذين العالمين الكبيرين اقترح علماء الجماعة على ميرزا غلام أحمد تأسيس مدرسة دينيّة لتخريج علماء دين لسدّ الفراغ الذي بدأ يظهر بعد وفاة هذين العالمين الجليلين الذين فقدوهما بين عشيّة وضحاها. فاستجاب لهم حضرته. وألقى في الاجتماع السنويّ خطابا مؤثرا. طرح من خلاله فكرة تأسيس المدرسة المقترحة فصوّت الجميع بالموافقة. وتعهّدوا بتقديم المال والخدمة اللازمين لتحقيق المشروع المشار إليه.

وحدث أنّ زوجة ميرزا غلام أحمد التي تزوّجها بناء على إلهام تلقّاه بشّره ربّه فيه بها ومن عائلة تقيّة من مدينة دهلي. أنها لم تُسافر إلى بلد أهلها منذ مدّة طويلة لأسباب كانت تحول دون ذلك. وبمناسبة تعيين أخاها الأصغر منها الدكتور محمد إسماعيل في المستشفى الوطني في دهلي. فقد قرّرت السفر إلى

هناك مع والدها حضرة مير ناصر نوّاب. فاستشارت زوجها ميرزا غلام أحمد، فاستخار اللّه تعالى تلك اللّيلة وعلى عادته عند كلّ أمر يريد الإقدام عليه. فأمره ربّه أن يرافقها في سفرها إلى دهلي. واستعدّ عددٌ من المقرّبين إليه للسفر برفقتهم أيضاً. وفي صباح اليوم الذي تأهّبوا فيه للسفر، فقد شاهد حضرته رؤيا بأنّه سافر إلى دهلي فوجد جميع أبوابها مقفلة. ويوجد قفلٌ على كلّ باب من أبوابها. ومن ثمّ لاحظ حضرته في منامه أنّ أحد الأشخاص أدخل شيئا في أذنُ حضرته، فالتفت إليه حضرته قائلا: تحاول إيذائي بأقلّ ممّا ألحقوا بمحمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من إيذاء. وفهم ميرزا غلام أحمد ممّا شاهده في منامه بأنّ قلوب أهل مدينة دهلي مُقفلةً، وقلَّ مَن كتب اللّه عز وجلَّ له منهم الهداية. وسافروا بتاريخ ٢٢تشرين أوّل عام ١٩٠٥م إلى دهلي. فوصلوا مدينة بتالة، فقصر حضرته ومن معه في بتالة صلاتي الظهر والعصر. ومن ثمّ وصلوا محطّة مدينة أمرتسر. وانتظروا فيها خمس ساعات قدوم القطار المسافر إلى دهلي. وفي الساعة التاسعة ركبوا القطار الذي أوصلهم الساعة الثالثة والنصف صباح يوم ٢٣ تشرين أول. وكان أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة يستقبلونهم في كلّ محطّة وصلوها على طول سفرهم المشار إليه. إلا جماعة لدهيانه الذين لم تصلهم أخبار هذه الرحلة. لذلك قرّر حضرته السفر إلى مدينة لدهيانة أثناء عودتهم إلى قاديان. وبعد وصول ميرزا غلام أحمد إلى دهلي. أمر بإرسال برقيّة إلى الحكيم نور الدين بهيروي ليحضر إلى دهلي. ووصلت البرقيّة إلى هناك بتاريخ ٢٨ تشرين أول، وكان الحكيم في عيادته. فترك كلّ شيء فورا وتوجّه إلى محطّة بتالة وركب القطار فوصل دهلي بتاريخ ٢٩ تشرين أول. علما بأنّه لم يفكّر في وداع أهله. ولا فكّر في تغيير ثيابه. وكان هذا حال إخلاصه كلّما طلبه مرشده الروحيّ وعلى الدوام. وفي صباح يوم ٢٤ تشرين أول طلب ميرزا غلام أحمد من حضرة مفتي محمد صادق الذي رافقه في سفره هذا، أن يكتب له أسماء مزارات أولياء اللّه

المدفونين في مدينة دهلي، لزيارتهم في تلك المزارات. فسأله مفتي محمد صادق: وماذا ينبغي على زائر مقام أحدهم أن يدعو لصاحب المقام؟ فأجابه حضرته قائلا: أن ترفع يديك وتدعو لهذا الميّت بالمغفرة ولنفسك. وبعد ذلك فقد قام حضرته بزيارة مقام كلّ وليٌ منهم مبتدئا من مقام الولي خواجه باقي اللّه عليه الرحمة. وفي طريق عودته مرّ بجانب مسجد دهلي فنظر إليه وقال: ليس المسجد بزينة عمارته، ولكن زينته بالمصلّين المتّقين الذين يصلّون فيه. وأضاف قائلا: تذكّروا مسجد المدينة الذي كان يصلّي فيه رسول اللّه (ص) وأصحابه. فقد كان سقفه من سُعُفِ النّخيل التي كانت الأمطار ترشح من بينها فوق رؤوس المصلّين. وبتاريخ ٢٥ تشرين أول حضر بعض المشايخ ومعهم بعض تلاميذهم واجتمعوا بحضرة الميرزا. وهناك وبعد أن تشرّفوا بلقاء حضرته، سألوه قائلين: إننا نصلي ونصوم ونقوم بتلاوة القرآن الكريم ونؤمن بالقرآن ورسوله. وبعد هذا كلّه فما هي الضرورة لنؤمن بك أنت أيضاً؟ فأجابهم ميرزا غلام أحمد قائلا:

إنّ مخالفة أيٍّ أمر من أوامر اللّه تعالى يدخل في باب معصية اللّه تعالى. وإنّ الجنديّ الذي لا يأبه لأمر سيّده ورئيسه يُعدّ مُجرما. ويلقى عقابه. فهذا حال الحُكّام. فما بالكم بعدم المبالاة بأمر اللّه تعالى أحكم الحاكمين فيما إذا ما عرف الإنسان قدره وأعرض عن حكمه وأوامره؟ فاللّه تعالى من أسمائه الحسنى أنّه غيّور. وهو أرسل إنسانا على رأس القرن وحين الضرورة لينادي الناس إلى طريق الهداية. أ فلا يُعدّ رفض هذا كلّه معصية كبيرة؟.. والتفت إلى الدكتور ميرزا يعقوب بيك وقال له: إنّ زماننا هذا اجتمعت فيه المصائب على هذا الدين الإسلاميّ الحنيف. فمنها مصائب داخليّة لا حدود لها. ومنها مصائب خارجيّة لا حدود لها. ومع ذلك فإنّ هؤلاء لا يرون أيّة ضرورة لبعث مُصلح سماويّ...

وقد قام ميرزا غلام أحمد بتاريخ ٢٦ تشرين أول بزيارة مقامات الأولياء المدفونين في مدينة دهلي وترحّم عليهم. وكان يُعلّق على شخصية صاحب كلّ

مقام يزوره. وبتاريخ ٢٨ تشرين أول ألقى ميرزا غلام أحمد في فترة ما بين الظهر والعصر محاضرة في المكان الذي يقيم فيه وحضر جمعٌ غفير من المستمعين. وبعد أن فرغ حضرته من محاضرته، تقدّم منه عشرة من الحاضرين وبايعوه. وبتاريخ الأول من شهر تشرين الثاني صدرت صحيفة مشهورة في مدينة دهلي واسمها (كَرزن كَزِت) تحمل تحدّيا تحدّى فيها صاحبها الصحافي المشهور ميرزا حَيرت دهلوي حضرة الميرزا لينزل إلى المناظرة معه. فتصدّى له الشيخ يعقوب علي عرفاني صاحب جريدة (بدر) من خلال إعلان نشره في اليوم التالي وقال فيه أنت صحافيٌ وأنا صحافيٌ وأنا على استعداد للدخول في مناظرة معك. ونشرت جماعة المبايعين في دهلي إعلانا تحدّوه فيه هم أيضاً للدخول في مناظرة معه. وعلى شرط أن يُحضِر معه مشايخ دهلي المشهورين أيضاً. فلما لا حظ الصحافي ميرزا حَيرت دهلوي هذا الهجوم عليه ولّى هاربا ولم ينبت بعدها ببنت شفة في هذا المجال.

وفي الرابع من شهر تشرين الثاني عزم ميرزا غلام أحمد على العودة إلى قريته قاديان. على أن يسافر قبل ذلك إلى مدينة لدهيانة وهي التي لم تتشرّف جماعته بلقاء حضرته حين سفره إلى مدينة دهلي. والذين أرسلوا مندوبا عنهم وهو الشيخ عبد القادر لودهيانوي ليدعو حضرته لزيارة مدينتهم. وقد وعد حضرته بزيارتهم. لذلك سافر ميرزا غلام أحمد إلى مدينة لدهيانه أولاً فوصلها ومَن معه من أهله ومرافقيه بتاريخ ٥ تشرين ثاني الساعة الحادية عشرة صباحا. فاستقبله قرابة ألف شخص من مبايعيه على المحطّة. وأنزلوه في دار كبيرة خصّصوها له ولنزلائه. وألقى هناك الحكيم نور الدين بهيروي خطاب موعظة حضرها كلّ من جاء من القرى المجاورة أيضاً ونالت استحسانهم. وفي اليوم التالي أي في صباح السادس من تشرين الثاني قام ميرزا غلام أحمد بتقديم نصائح لأفراد جماعته. ومن جهة أخرى فقد قام مشايخ لدهيانة بنشر إعلانات تهجّموا فيها على حضرة الميرزا سبّاً وشتما. وردّ عليهم الشيخ يعقوب علي عرفاني صاحب جريدة (بدر) بإعلان من

جانبه كشفَ فيه حقيقة ما أقدموا عليه. وفي نفس يوم السادس من شهر تشرين الثاني ألقى ميرزا غلام أحمد محاضرة هناك وضّح من خلاله معالم صدق الدين الإسلامي الحنيف. كما وضّح وسائل معالجة ما يواجهه الإسلام من مشكلات في تلك الأيام. وأدلى بدلائل صدق كونه المهديّ المنتظر. ودامت محاضرته مدّة ثلاثة ساعات متواصلة. والسكون مخيّمٌ على المجتمعين هناك. وبتاريخ السابع من تشرين الثاني غادر ميرزا غلام أحمد وجميع من كانوا معه مدينة لدهيانه. فلما وصل حضرته محطّة مدينة أمرتسر. وجد عددا كبيرا من مبايعيه ينتظرون وصوله بفارغ الصبر. ودعوه للبقاء عندهم أيضاً. فقبل طلبهم ونزل ومن معه ضيوفا عندهم. وبتاريخ ٩ تشرين ثاني ألقى ميرزا غلام أحمد هناك محاضرة أيضاً. وجُنّ جنون مشايخ مدينة أمرتسر ممّا حدث وأرادوا إفساد جوّ محاضرته. لكنّ ميرزا غلام أحمد الذي كان قد شاهد في منامه ما أرادوا فعله في اللّيلة التي سبقت ذاك اليوم. توجّه إلى المشايخ وخاطبهم قائلا: تذكّروا يوم زرت مدينتكم قبل أربعة عشر سنة ولم يكن معي إلا عددٌ صغير من الذين بايعوني. فكفّرتموني، ودعَوت بحضور أبرز مشايخكم أن يُهلكني اللّه عز وجلّ إن كنت كاذبا. فتأمّلوا اليوم كيف أنّ اللّه تعالى لم يُهلكني، بل نصرني وانضمّ إلى جماعتي هذه الألوف المؤلّفة الذين يستمعون لمحاضرتي. فاعتبروا يا أولي الألباب. ودامت محاضرة حضرته ثلاثة أرباع الساعة. وتقدّم أحد أتباع الميرزا بكأس شاي. وكان الشهر شهر رمضان. وهبّ المشايخ يصيحون: فاطر فاطر. فتلا ميرزا غلام أحمد على مسامعهم قول اللّه تعالى: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وقال لهم: هل نسيتم أني مسافر؟ ومع ذلك فقد ظلّ المشايخ يصيحون ويكفّرونه. ويحاولون التشويش على محاضرته. فحضر رجال الشرطة. وحاولوا تهدئة الأمور. وعندما لم يُفلحوا في مهمّتهم، فقد أحضر رجال الشرطة سيّارة

مُغلقة ليركب فيها ميرزا غلام أحمد ليمرّروه من بين أولئك الغوغائييّن. وبعد أن أركبوه فيها، راح أتباع المشايخ يرمون تلك السيارة بالحجارة. فقال ميرزا غلام أحمد وهو بداخل السيّارة (كان ضرورياً أن تتحقّق سنّة اللّه تعالى في معاداة المكذّبين لمرسليه). وفي اليوم التالي سافر ميرزا غلام أحمد ومَن معه إلى قاديان. وكان يوم الجمعة فصلّى حضرته بالحاضرين جماعة. وقبل أن أنتقل إلى إطلاع القارئ على أهمّ أحداث عام ١٩٠٦م، أودّ أن أطلعَ القارئ على إلهام تلقّاه حضرته يتعلّق بأمّتنا العربيّة وهو (مصالحُ العربِ، مسيرُ العرب). وشاهد ورقة كُتبَ عليها (بامُراد) أي بالغُ مُراده. ومن ثمّ شاهد ورقة أخرى كُتِبَ عليها (ردُّ بلاء) أي دفعُ البلاء. وتلقّى بشارات أخرى كثيرة. وبعد هذا كان لزاما عليّ أن أُطلع القارئ على ما أنجز ميرزا غلام أحمد من مؤلّفات. فأقول:

أولاً - من المعلوم أنّ ميرزا غلام أحمد كان قد كتب في سني شبابه أربعة أجزاء من كتابه المشهور (البراهين الأحمديّة). ولم يُكملُ الجزء الخامس والأخير منه بسبب أنّه تلقّى من جانب ربّه عز وجلّ أنّه هو المجدّد (ذو القرنين) وهو المهديّ المعهود ظهوره آخر الزمان أيام تخلّف المسلمين وانحطاطهم، وانحرافهم عن تعاليم القرآن الكريم الحقيقيّة. وأنّه المسيح الموعود نزوله فهو مثيل ابن مريم عليه السلام. وكنت قد ذكرت للقارئ كيف أنّ ميرزا غلام أحمد راح يؤدّي ما أمره ربّه به من أوامر لصالح بعثة الإسلام الثانية. لذلك ترك إكمال كتابه (البراهين الأحمديّة) بعد بعثته عليه السلام. وقد تفرّغ ميرزا غلام أحمد في عام ١٩٠٥م لكتابة الجزء الخامس والأخير من (البراهين الأحمديّة). خصوصا وأنّه تلقّى من جانب ربّه إلهاما يُنبئه ربّه فيه بدنوّ أجله. فلما جلس يكتب هذا الجزء الأخير كانت أكثر تلك النبوءات المدوّنة في الأجزاء الأربعة المطبوعة قد تحقّقت وثبتت مصداقيّتها. فأتى ميرزا غلام أحمد في هذا الجزء الخامس على ذكر تلك النبوءات. وبيّن فيه حقيقة المعجزة ودواعي ظهورها. كما ردّ فيه على ما أورده

صاحب جريدة (بيسه) من اعتراضات حول الزلزلة الكبيرة التي حدثت وفق ما أنبأ عنه حضرته، وبشكل مفصّل. ومن ثمّ فسّر الآيات الأوائل من آيات سورة المؤمنون المتعلّقة بتدرّج المؤمن روحيًا، وعلى صورة من البيان ما سبقه أحد من قبله إلى هذا الفهم وهذا البيان. فاستغرقت كتابة هذا الجزء الخامس من طرف حضرته أكثر أوقات هذا العام ١٩٠٥م.

ثانياً - وبسبب دنوّ أجل ميرزا غلام أحمد فقد كتب كتابه المعروف باسم كتاب (الوصيّة). وقد كنت قد أطلعت القارئ على بعض ما أورده حضرته فيه من نبوءات أنبأت عن دنوّ أجله. وما تبعها من شروح ومواعظ ونصائح قيّمة. وممّا أورده حضرته في كتاب (الوصيّة) المذكور قوله: (إذا أراد اللّه تعالى أن يُقيم العالم على الحقّ ويزهق الباطل، فإنّه يُرسلُ رسولا ويغرس غرسته على يديه، ويتوفّاه قبل اكتمال الإثمار. ويفسح بهذا المجال للمكذّبين ليسخروا منه ويستهزئوا ويطعنوا ويشنّعوا. ولمّا يطفح الكيل، يُظهر اللّه يد القُدرة ثانيةً. ويهيّئ من الأسباب ما يوصل ما غرسه ذاك الرسول إلى منزلها المقصود. فالحاصل أنّه تعالى يُبدي قسمَين من قُدرته: ١ - يُري قُدرته الأولى على أيدي أنبيائه. ٢ - ويُري قُدرته الثانية بعد أن يتوفّى اللّه هذا الذي بعثه رسولا. ولذلك تكثرُ المشاكلُ، ويشتدّ عضُد الأعداء حتّى يظنوا أنّ نصرهم أضحى على الأبواب. ويتملّكهم اليقين من أنّ نهاية جماعة الرسول قد دنت. والواقعُ هو أنّ التردّدَ والحيرة تتسلّطُ على المؤمنين في تلك الأيام. وينكسر عودهم، ويرتدّ بعضهم، فحينذاك يُظهرُ اللّه تعالى قُدرته القويّة الثانية. ويتعهّد تلك الجماعة المتداعية. فمَن يثبُت صابرا حتّى اللحظة الأخيرة، وتتجلّى لعينيه مُعجزة اللّه الكبرى، وكما حدث في عهد أبي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه حين اعتبر الناس أنّ وفاة الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم قد سبقت أوانها. وارتدّ أكثر الأعراب، ، وخيّمت سُحُبُ الكآبة والحزن على صحابة رسول اللّه حتى بدَوا كأنّهم قد فقدوا توازنهم. أقام

اللّه تعالى في تلك اللّحظات أبا بكر الصدّيق رضي اللّه عنه، وأرى نموذجا لقُدرته ثانية، وعضَد الإسلام المتهالِك. وأتمّ وعده الذي قال تعالى فيه (وليُمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليُبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا). -سورة النور ٥٦ -. أي يثبّتُ أقدامهم من بعد خوفهم. وهذا ما حدث أيضاً زمن موسى عليه السلام. فقد اختطفه يدُ المنون وهو على الطريق من بين مصر وأرض كنعان. وقد كان الموعود به أن يوصِلَ بني إسرائيل إلى المنزل المقصود. فقام بموته مأتمٌ كبيرٌ، وظلَّ بنوا إسرائيل – كما كتبت كتب التوراة – يبكون وينوحون أربعين يوما بسبب هذه الصدمة المفاجئة. وهذا هو نفس ما حدث مع المسيح عيسى عليه السلام حيث تشتّت حواريّوه هنا وهناك عند حادثة الصليب، حتى وأصبح احد الحواريين من المُرتدّين. فيا أحبّائي ما دامت هذه هي سُنّة اللّه منذ القِدَم، أنّ اللّه تعالى يُظهِرُ قُدرة بعد قُدرة ليُحطّم بذلك فَرحتَي الأعداء الكاذبين. فمن المستحيل أن يُغيّر اللّه سُنّته الأزليّة. لذلك إياكم أن تكتئبوا ممّا أخبرتكم ولا تضطربوا. لأنّه من الضروريّ لكم أن تُشاهدوا قدرة اللّه الثانية. وإنّ مجيئها مفيدٌ لكم. لأنّها دائمةٌ ولن تنقطِع إلى يوم القيامة. وما لم أغادر هذه الحياة الدنيا فلن تأتي تلك القُدرة الثانية. ولكن عندما أرحلُ من هذا العالم، يُريكم اللّه إيّاها. فتكونَ معكم على مدى الأيام، وفقا لوعد اللّه تعالى الوارد في (البراهين الأحمديّة). فلم يكن ذلكم الوعد عنّي، بل عنكم، ولكم. حيث قال تعالى في الكتاب المذكور ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.. لهذا فمن الضروري أن أفارقكم يوما ما ليليني ذاك اليوم الموعود الدائم. إنّ إلهنا إله صادق الوعد، وفيٌّ، وصَدوق. وسيحقّق لكم كلّ ما وعدكم به. ولو أنّ يومنا هذا هو آخر أيام الدنيا، ومملوء بالمصائب التي آن وقت وقوعها. فلابدّ أن تظلّ الدنيا قائمة إلى أن تتحقّق جميع هذه الأنباء التي أنبأ اللّه تعالى بها. فلقد بعثني اللّه تعالى في حُلَلِ قُدرتِه. فأنا قُدرةُ اللّه. ولا بدّ أن يأتي من بعدي آخرون، ليكونوا

مظهر القدرة الإلهيّة أيضاً. لذلك كونوا منتظرين لقُدرة اللّه الثانية. وادعوا اللّه مجتمعين لمجيئها. وليجتمع الصالحون منكم في كلّ قُطر. وليدعوا لنزولها من السماء لتريكم أنّ إلهكم هو الإله القادر. واعلموا أنّ ساعة الموت قريبة، ولكن لا تعلمون متى ولا في أيّ وقت تجيء) ومن أقوال ميرزا غلام أحمد في كتاب (الوصيّة) المذكور (لقد خاطبني اللّه عز وجلّ وقال: إنما التّقوى نبتةٌ لابدّ من زرعها في الفؤاد. لأنّ الماء الذي يغذّيها يروي الحديقة كلّها. وإذا انعدمت التقوى، عصفت بها رياح الفناء. وفي بقائها حياة الخلود. ماذا يفيد تشدّق الإنسان بدعوى الإيمان إذا كان لا يخطو نحو اللّه بقدم الصدق؟... اجتنبوا الحسد والضغينة، وتعاطفوا تعاطفا صادقا مع بني نوع الإنسان. عليكم بكلّ سُبل الخير لأنّه لا يُدرى بأيّ السُبُل يُدخلكم اللّه تعالى في زمرة المقبولين. لكم البشرى فميدان التّقرّب إلى اللّه قد خلا. وأقبلت كلّ شعوب الأرض على جيفة الدنيا. وأعرض العالم عن اكتساب رضاء اللّه تعالى. فالذين يريدون أن يدخلوا هذا الباب منكم بكلّ قوّةٍ لهم متّسعٌ من الوقت لإبداء جوهرهم ونيل أفضال اللّه السامية فلا تتصوّروا أن يُضيعكم اللّه تعالى. فأنتم نبتةٌ غرسها ربّكم بيده المقدّسة في الأرض. يقول اللّه تعالى: أنتم هذه البذرة التي ستنمو وتُثمرُ وتتفرّع أغصانها إلى كلّ جانب وتُصبح دوحةً عظيمة. فمباركٌ الذي يوقن بقول اللّه تعالى ولا يخشى مواجهة الابتلاءات القادمة. فلابدّ من الابتلاء، ليعلمَ اللّه الصادقين منكم وليعلمَ الكاذبين... سُدّت أبواب الوصول إليه تعالى إلا باب فتحه القرآن المجيد. ولم تعُد الحاجة لإتّباع النبوّات والكتب السابقة، بسبب أنّ النبوّة المحمّدية احتوتهم جميعا... وليست النبوّة المحمّدية بقاصرة عن الإفاضة الذاتيّة. بل إنّ فيضها يفوق إفاضة سائر النبوّات. وطاعة هذه النبوّة توصلُ المرء إلى اللّه تعالى بأسهل طريق. وبالتأسّي بها يتشرّف المرء بالمحبّة الإلهيّة والمكالمة القُدسيّة أكثر ممّا كان مُتاحا من قبلها. ولا يُقال لهذا التابع الكامل الإتّباع نبيّا، لأنّ في ذلك هتكٌ للنبوّة

المحمّديّة الكاملة. بل يصدُقُ أن يُقال لهذا التابع الكامل الإتّباع (نبيٌّ أمّتيّ) وباجتماع اللّفظين. فلا يعود بعد ذلك هتكٌ لكمال النبوّة المحمّديّة التامة، بل يزيد فيضانها حُسنا ولمعانا).. وهنا وضع حضرته حاشيةً كتب فيها: [ومع ذلك فاذكروا جيّدا أنّ باب النبوّة التشريعيّة بعد الرسول الأعظم قد أُغلِقَ بالكلّية. فلا كتاب بعد القرآن يأتي بأحكام جديدة. ولا ما ينسخ شرعه أو يُعطّل إتّباعه، فهو معمولٌ به إلى يوم القيامة.]. وعلى هذه الصورة يكون كتاب (الوصيّة) من الأهمّية بمكان. وآية من آيات صدق هذا المجدّد الإمام.

ثالثاً - وقد ألقى ميرزا غلام أحمد بمناسبات متعدّدة محاضرات قيّمة أتيت على ذكرها فيما أوردته من أحداث عام ١٩٠٥م. وقد ألقيت ضوءا على مضمون كلّ محاضرة منها في الوقت المناسب.

الفصل العشرون

أحداث عام ١٩٠٦م

نبوءة عن سقوط ملك إيران

ميرزا محمود أحمد ومجلة تشحيذ الأذهان

القسيس أحمد مسيح وهروبه من المباهلة

مرض الطالب عبد الكريم بمرض الكلَب

اكتمال تهيئة مقبرة أهل الجنّة ورئاسة الجماعة

دخل كانون الثاني من عام ١٩٠٦م وقد تلقّى ميرزا غلام أحمد بتاريخ ١٥ منه إلهاما باللّغة الفارسيّة ونصّه: (تزلزل در إيوان كسرى فتاد). ومعناه في اللّغة العربيّة (صدعٌ في عرش كسرى يؤدي إلى سقوطه). وفي تلك الأيام كان نظام الحكم في إيران نظاما ملكيًا. وكان يحكمها الملك مظفّر الدين الذي طالبه شعبه أن يكون حكمه برلمانيا. فوافق على طلب شعبه وأنشأ برلمانا منتخبا. وتوفّاه ربّه عام ١٩٠٧م فتولّى المُلك وليّ عهده ميرزا محمد علي الذي أقرّ ما فعله والده. وبعد تولّيه حدثت بعض الاختلافات بينه وبين أعضاء البرلمان وقد تفاقمت تلك الاختلافات إلى درجة ثار الشعب معها ضدّه. فاضطرّ الملك معها إلى حلّ البرلمان. وهنا عمّت الثورة البلاد كلّها وانضمّ الجيش إليهم ضدّ الملك. الأمر الذي اضطرّ الملك ميرزا محمد علي إلى اللّجوء مع أهله إلى سفارة روسيا لتحميه من شعبه وجيشه. وبذلك سقط النظام الملكيّ في إيران. وتحقّق إلهام ميرزا غلام أحمد الذي ذكرناه حرفيا. ومن ثمّ توالت الإلهامات على ميرزا غلام أحمد. ومن تلك الإلهامات إلهاما تلقّاه بتاريخ ١١ شباط من العام نفسه نشرته صحيفة (بدر) بتاريخ ١٦ شباط ١٩٠٦م وباللّغة الأرديّة وترجمته بالعربيّة: (إنّ القرار الذي صدر

بحقّ البنكال يُلغى ترضية لشعب البنكال)فكيف تحقّق مضمون هذا الإلهام؟ فالذي كان قد حدث في عام ١٩٠٥م أنّ المندوب السامي لحكومة بريطانيا كان قد قسّم البنغال إلى قسمين: قسما شرقيا ضمّ آسام وقسما من البنكال. وبما أنّ أكثريّة سكانه كانت من المسلمين فقد أصبح ذاك القسم يغلب عليه طابع إسلاميّ. والقسم الثاني غرب البنكال ضمّ مقاطعتين سكانها من الهنود. وسعى الهنود بعد ذلك إلى إلغاء هذا القرار الذي ذكرناه على أنّ جميع تلك المقاطعات هنديّة. وحدث نتيجة لذلك شغبٌ كبيرٌ وأحداث تخريب كثيرةلم تُفلح جميعها في إلغاء القرار المذكور. وفي عام ١٩١٠م وبعد تولّي الملك جورج الخامس عرش بريطانيا فقد أصدر المندوب السامي الذي كان سيشرف على احتفال تنصيب الملك في الهند قرارا ألغى فيه قرار تقسيم البنغال. وممّا أورده في قراره المذكور، هو أنّه فعل ذلك إرضاء لشعب البنغال. وتحقّق بذلك مضمون إلهام ميرزا غلام أحمد الذي ذكرناه والذي كان قد تلقّاه بتاريخ ١١ شباط عام ١٩٠٦م حرفا بحرف.

وبتاريخ الأول من شهر آذار عام ١٩٠٦م أصدر الابن الأكبر لميرزا غلام أحمد وهو ميرزا محمود أحمد الذي أصبح فيما بعد الخليفة الثاني لوالده عليه السلام. أقول أصدر رسالة بعنوان (تشحيذ الأذهان) أي شحن الأذهان. وكان من أهدافها تربية الشباب تربية إسلاميّة، والردّ على اعتراضات المعترضين بأجوبة شافية مفصّلة. وأدّت هذه المجلّة دورا مهمّا في نشر تعاليم الإسلام في تلك الفترة من الزمان.

وكان في مدينة دهلي في تلك الفترة من الزمان قسّيس مسيحيّ أعمى اسمه أحمد مسيح. ودخل في مناظرة مع مبايع اسمه مير قاسم علي حول موضوع وفاة المسيح على الصليب أو عدم وفاته عليه. وتمكّن هذا المبايع من إثبات عدم وفاة المسيح على الصليب من الأناجيل نفسها. الأمر الذي دفع هذا القسيس الأعمى

ليعترف أمام الجماهير ويقول: (السادة الحاضرين لا تظنّوا بأنّي انزعجت لتغلّب هذا الأحمديّ في إثبات عدم موت المسيح على الصليب. بل سرّني أنّكم صوّتّم له بلا توقّف. لكن لا ينبغي لكم أن تفرضوا عليّ من خلال تصويتكم له أنّ اعتنق دينه ومُعتقداته. وأنا بدوري أصوّت لفوز هذا السيّد بسبب أنّه استطاع جذب عدد كبير منكم إلى اعتناق عقائد جماعته الأحمديّة).. وبعد اختتام هذه المناظرة أعلن مير قاسم علي بأنّه على استعداد لدخول المباهلة مع هذا القسيس المذكور. فرفض القسيس الدخول معه فيها. وأضاف قائلا: إنّي على استعداد للدخول في مباهلة مع مُرشد هذا الأحمدي وهو الإمام ميرزا غلام أحمد. فلما وصل هذا التحدّي إلى حضرة الإمام، نشر إعلانا بتاريخ ٥ مايس ١٩٠٦م قال فيه: (**إنّ من غير المُجدي الدخول في مباهلة مع إنسان غير معروف. فليسع هذا القسيس لجرّ قساوسة لاهور ومدراس وبمباي ليدخلوا جميعهم في مباهلة معي لتشمل آثار هذه المباهلة الأمّة كلّها. فإن لم يتمكّن من جمعهم سويّة في مكان علنيّ، فمن الممكن إجراء هذه المباهلة بصورة تحريريّة. فإن وصلتني رسائلهم أنشر خبر تلك المباهلة في الصحف اليوميّة. وليُشاع خبر ما تُسفر عنه هذه المباهلة أيضاً. وأفعل ذلك لمجرّد بيان الحقيقة. فإن رفض قساوسة تلك المدن فعل ذلك. فليوكلوا أحدهم ليقوم بمباهلتي بالنيابة عنهم جميعهم. وأنتظر جواب هؤلاء مدة ثلاثة أشهر منذ اليوم**). وقد نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا ثانيا بتاريخ ١١ مايس أضاف على اقتراحه المذكور اقتراحا جديدا قال فيه: (**فإن شاء قساوسة هذه المدن الأربعة عدم ذكر أسمائهم علانيّة. فليصدر عنهم إعلانا يعتبرون فيه هزيمة القسيس أحمد مسيح هزيمة لهم جميعهم. وفي هذه الصورة أكون على استعداد للدخول في مباهلة مع هذا القسيس أحمد مسيح... فإن لم يتمكّنوا من فعل ذلك، فيكفي أن يقوم بهذا قساوسة لاهور وحدهم بالنيابة عنهم**).. فبعد نشر هذين الإعلانين. صمت القسيس الأعمى أحمد مسيح عن الكلام وكأنّه لم يكن قد تحدّى ميرزا غلام أحمد لمباهلته.

وفي هذا العام وبتاريخ ١٦ مايس تمّ زواج ابن ميرزا غلام أحمد وهو ميرزا بشير أحمد على ابنة مولانا غلام حسن خان وهو من سكّان بشاور. وسآتي على ذكر هذا الزواج بالتّفصيل في الفصل المخصّص للكلام عن عائلة ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

كذلك تمّ زواج أخيه ميرزا شريف أحمد بتاريخ ١٥ تشرين الثاني على ابنة نواب محمد علي خان من سكان ماليركوتله الآنسة زينب بيكم. وسآتي على ذكر هذا الزواج بالتّفصيل في الفصل الذي خصّصته للكلام عن عائلة ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

وحدث في عام ١٩٠٦م أنّ طالبا كان قد قدم من مقاطعة حيدر آباد في الهند لتحصيل علمه الدينيّ في قاديان، وكان اسمه عبد الكريم أن عضّه كلبٌ كان مُصابا بمرض الكَلَب. والمعروف في تلك الأيام أنّ الذي يعضّه كلبٌ مريضٌ بالمرض المذكور لا يعيش بعدها إلا أياماً معدودات. فلمّا علم ميرزا غلام أحمد بما حدث للطالب عبد الكريم اضطرب من أجله كثيرا. وأنقل للقارئ ما كتبه حضرته بهذا الخصوص في الملحق بمؤلّفه (حقيقة الوحي). فهو كتب يقول: (أسرعنا فأرسلناه إلى المستشفى في كسولي لمعالجته. فبقي هناك عدّة أيام عاد بعدها إلى قاديان. ولم تمض على عودته عدّة أيام إلا وبدأت تظهر عليه أعراض مرض الكَلَب. ووصل في ذلك إلى حالة خطرة. فاضطربت نفسي من أجل هذا الطالب الغريب عن وطنه. وتوجّهت بالدعاء لشفائه بصورة خاصّة. وفي وقت كان قد اعتقد كلّ من سمع بحادثته أنّه سيموت بعد عدّة أيام. وكانوا قد أخرجوه من سكن الطلبة الأجانب وحجزوه في مكان لوحده. فأرسلنا برقيّة إلى المستشفى في مدينة كسولي سألنا الأطبّاء هناك هل من علاج للطالب المذكور؟ فجاءتنا برقيّة جوابا على برقيّتنا بأنّه لم يعُد هناك من علاج للحالة التي وصل إليها الطالب المذكور. فزاد في اضطرابي مضمون البرقيّة المشار إليها اضطرابا

لصالح هذا الطالب الأجنبيّ البعيد عن وطنه. وبدأ الناس يلحّون عليّ أن أدعو لشفائه، ودفعا لشماتة الأعداء بموته. توجّهت إلى الدعاء بين يديّ الذي خلقني بالدعاء للطالب المذكور على صورة غير اعتياديّة دفعني ربّي إليها من لدُنه جلّ جلاله. وعرفت من خلال هذا التيسير في الدعاء الذي دفعني ربّي إليه أنّه لعلّ اللّه تعالى يريد الإبقاء على الطالب المذكور حيّا. وبلغ دُعائي واضطراب فؤادي ذروته. وكان من أعراض مرض الطالب عبد الكريم أنّه عاد يخشى رؤية الماء ولا يستطيع البقاء تحت أشعّة الضوء. وإذ بالطالب المذكور، وبعد ذاك الدعاء الذي بلغ ذروته تخفّ أعراض مرضه. وتخلّص من خشية النظر إلى الماء. بل وطلب إعطاءه ماءً ليشرب. ومن ثمّ توضّأ وأدّى فريضة الصلاة أيضاً. ونام في تلك اللّيلة نوما عميقا. وشفاه اللّه تعالى من جميع أعراض مرضه خلال عدّة أيام. وهناك ألقى اللّه عز وجلّ في روعي بأنّه سبحانه وتعالى شاء من خلال ما جرى للطالب عبد الكريم أن يُظهر للطالبين رؤية آلاء ربّهم آيةً واضحة وليعترفوا بأنّها الحادثة الوحيدة التي خالفت كلّ ما عرفوه بشأن كلّ من يعضّه كلب كَلِبٌ ويصاب بمرض الكَلَب أيضاً. خصوصا وأنّ البرقيّة التي وردت إلينا من أطباء مستشفى مدينة كسولي قد اعترفوا فيها بأنّه لم يبق لديهم علاج للطالب المذكور. وبقي عليّ هنا أن أذكر بأنّ اللّه تعالى كان قد دفعني في فترات الدّعاء للطالب المذكور إلى إعطائه دواء بعينه. فأعطيته ذاك الدواء على دفعات. فساعد ذلك على شفائه، أو قولوا بأنّه كان ميتا فأحياه خالقه عز وجلّ. ولقد عاش الطالب عبد الكريم المشار إليه بعد تلك الحادثة ٢٨ سنة وتوفّاه ربّه عز وجلّ في أواخر شهر كانون أول من عام ١٩٣٤م. هذا وقد أحدث اللّه عز وجلّ عدّة نماذج شبيهة بحال شفاء الطالب عبد الكريم عن طريق الدعاء له. ومنها ما يتعلّق بسيت عبد الرحمن من سكان مدراس. ومنها ما يتعلّق بنوّاب محمد علي خان رئيس ماليركوتله. ومنها ما يتعلّق بمير محمد إسحاق الأخ الأصغر لزوجة حضرته عليه

السلام، وغيرها من الحالات التي عولجت بدعاء ميرزا غلام أحمد عليه السلام وقد شكّلت تلك الحالات جميعها آيات إحياء على هذا الصعيد ممّا لا حاجة بي لذكرها جميعها في هذا المقام. ويستطيع القارئ مُطالعتها في مؤلّفات ميرزا غلام أحمد الذي اغتنم حضرته في مؤلّفاته المناسبات التي تمتُّ لتلك الحالات التي استعصت على الطبّ وغيره وذكرها هناك بصورة تفصيليّة في حينه. وقد زادت تلك الأحوال المشار إليها المبايعين إيّاه إيمانا على إيمانهم. وكان حضرته يتلقّى في كلّ مرّة إلهاما أو كشفا أو رؤيا صادقة تتعلّق بتلك الحالات يُنبئه ربّه عز وجلّ من خلالها عن استجابة أدعيته بشأن كلّ حالة من تلك الحالات المستعصية.

وفي هذا العام حدثت بعض الحوادث التي زادت الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة قوّةً وتنظيما. ومن تلك الحوادث أنّ مقبرة أهل الجنّة قد اكتمل تنظيم أمور المشرفين عليها وعلى الأموال التي يوقفها الموصون ليُدفنوا فيها. ومن تلك الحوادث أن اكتمل كيان الهيئة الإداريّة لإدارة هذه الجماعة لمساعدة ميرزا غلام أحمد ومن يخلفه من بعده على إدارتها. وأمثال تلك الحوادث المتفرّقة التي لا أرى من حاجة لذكرها في هذا المقام.

وفي هذا العام توالى نزول إلهامات كثيرة على ميرزا غلام أحمد. وأرى أن أطلعَ القارئ على أهمّ ما لاحظته منها. فقد تلقّى حضرته بتاريخ ٢٠ كانون الثاني إلهاما باللّغة العربيّة وهذا نصُّه: (**وقالوا لست مُرسلا. قُل كفى باللّه شهيدا بيني وبينكم ومَن عنده علمُ الكتاب**). وتلقّى إلهاما آخر بتاريخ ٢٥ كانون الثاني لعلّه يُنبئ عمّا سيحدث حين وقوع الزلازل الخمسة القادمة فالإلهام (**تأتي السماء بدخان مبين. يوم تأتي السماء بدخان مبين**). وبينما كان حضرته متفكّرا بتاريخ ٢٦ كانون الثاني بمستقبل جماعته وبالمشكلات التي ستعترض سبيلها، تلقّى حضرته إلهاما طمأنه وهو (**سفينةٌ وسكينة**) وفهم منه بأنّ جماعته ستصبح كسفينة نوح تضمّ الناجين من الناس الأتقياء والمهتدين. وفي الثامن من شهر

شباط شاهد في منامه أنّ جمعا من الناس كانوا يقفون عنده. فجاء حاكم وسأله: ولماذا لا تتفرّق جماعتُك؟ فأجبته بأنّه لا يوجد في جماعتي انقسامات. وكلّ ما في الأمر أنّها جماعة تستزيد من العلم. وحينئذ فهمت بأنّ هذا السائل هو أحد ملائكة اللّه تعالى. ولاحظته وقد نظر إلى السماء وتمتم بكلمات لم أُحط بمضمونها. ومن ثمّ خاطبني وقال (**سلام**) وانصرف من هناك. وتلقّى بتاريخ ١٢ آذار الإلهامات الثلاثة التالية: (**إنّي مع الأفواج آتيك بغتةً. ولنجعل لك سهولةً في كلّ أمر. إنّ ربّك فعّالٌ لما يريد**). وفي الرابع عشر من شهر آذار شاهد حضرته في منامه محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم يقول له: (**أنت سلمانُ ومنّي يا ذا البركات**). وتلقّى حضرته بتاريخ ٣٠ تشرين أول (**يأتيك من كلّ فجٍّ عميق. يأتون من كلّ فجٍّ عميق. يأتيك رجالٌ نوحي إليهم من السماء**). وبعد أن أطلعت القارئ على أهمّ ما تلقّاه حضرته من إلهامات في هذا العام. أتكلّم عما أنجزه حضرته في هذا العام من مؤلّفات:

أولاً - كنت أطلعت القارئ على كتاب (**الوصيّة**) وبعض ما ورد فيه فيما مضى. وقد أضاف ميرزا غلام أحمد في هذا العام على كتاب الوصيّة المذكور شروطا تتعلّق بكلّ من يريد أن يُدفن في مقبرة أهل الجنّة. وقد ساعدت تلك الشروط المضافة على تنظيم أمور تلك القطعة من الأرض التي أُقيمت عليها تلك المقبرة.

ثانياً - وفي هذا العام نشَرت مراكز التبشير المسيحيّة كتابا بعنوان (ينابيع الإسلام). وقد تسبّب هذا الكتاب في زيغ عقول مسلمين كثيرون. حتّى وقد حضر شخص من كرام العائلات المسلمة في يوبي عند ميرزا غلام أحمد يرجوه الردّ على الكتاب المذكور. وقد ردّ حضرته عليه بكتاب اسمه (شَشمة مسيحي) أي ينبوع المسيحيّة وقد نجح حضرته في تفنيد كلّ ما ورد في الكتاب المذكور

بأسلوب علميٍّ وموضوعيّ، أفاد في تصحيح ما أسفر عنه كتاب (ينابيع الإسلام) من آثار سيّئة في عقول المسلمين.

ثالثاً - وفي الخامس عشر من شهر آذار عام ١٩٠٦م بدأ ميرزا غلام أحمد بتأليف كتاب سمّاه (تجلّيات إلهيّة) وقد شاء حضرته إلقاء الضوء على ما تضمّنه النبأ المتعلق بحدوث خمسة زلازل غير عاديّة بعد مماته، والتي تضمّنها إلهام كنت قد أتيت على ذكره ضمن أحداث عام ١٩٠٥م. وبدأ حضرته ببحث فلسفة العذاب الإلهيّ الذي تتضمّنه تلك النبوءات. لكنّ كثرة مشاغل حضرته لم تمكّنه من إكمال تأليف هذا الكتاب المشار إليه. وقد بلغ ما كتبه منه ٣٢ صفحة فقط. طُبعت بعد وفاة حضرته على شكل كُتيّب صغير.

الفصل الحادي والعشرون

أحداث عام ١٩٠٧م

العدو سعد الله وتحقّق الأنباء بحقّه — الصحيفة الآرية في قاديان ومصيرها

الشيخ ثناء الله أمرتسري وتهرّبه من المباهلة

ألكسندر دوئي وتحقّق الأنباء بحقّه وزواله

إلهام (بلاء دمشق. سرّك سرّي) — بعض الأحداث العائليه

الآريون ومؤتمر أديان — ما أنجزه من مؤلّفات

لم تمض ثلاثة أيام من عام ١٩٠٧م إلاّ واطّلع ميرزا غلام آحمد على خبر موت رجلٍ ناصب حضرة هذا المجدّد الأعظم العداء منذ عام ١٩٠٤م. فمن كان هذا العدوّ الذي مات ومصداق ما تلقّاه ميرزا غلام أحمد بحقّ موته من إلهام إلهيّ؟ هذا العدو كان اسمه سعد اللّه ومن سكّان مدينة لُدهيانه. وكان مقرّيا من مشايخ تلك المدينة. وكان طويل اللّسان وتطاول على ميرزا غلام أحمد بأساليب عديدة. منها السبّ والشتم في كلّ مكان حلّ فيه. ومنها أنّه ألّف كتابا بعنوان (شهاب ثاقب بر مسيح كاذب) ومعناه شهاب ثاقب يحلّ بمسيح كاذب. وتنبّأ كاتبه بأنّ اللّه تعالى لابدّ وأن يُنزل عذابه بهذا المدّعي فيقطع وريد عنقه ويُنهي وُجود جماعته من بعد إماتته إيّاه. ولا يدخل هذا التصرّف الإلهي في باب الابتلاء، بل إنّ فيه الدلالة على العذاب. وأنّه سيُحشر في الآخرة إلى عذاب أشدّ. وقد تنبّأ بالإضافة إلى ما ذكرناه وذلك بتاريخ ١٦ أيلول عام ١٨٩٤م بأنّ ميرزا غلام أحمد سيصبح أبتراً يموت أولاده وينقطع نسله. وبما أنّ سعد اللّه المذكور لم تكن له منزلة اجتماعيّة خاصّة، ولا كان شيخا مشهورا، وكان يسعى بأسلوب معاداته حضرة الميرزا لإشهار نفسه ليس إلا. فكان ميرزا غلام أحمد لا يُعطيه شأنا.

وكما فعل مع كثير من أمثاله. وكان حضرته يترك للأيام إثبات بُطلان ما تنبّأ به سعد اللّه من نبوءات بحقّ حضرته. وفي الحقيقة فقد أثبتت الأيام كذب نبوءات سعد اللّه المذكور إذ رزق اللّه تعالى ميرزا غلام أحمد ثلاثة أولاد. على حين انقطع نسل هذا العدوّ اللّدود. وإلى درجة اقترح عليه الشيخ ثناء اللّه أمرتسري أن يتزوّج زوجة ثانية على زوجته التي لم تُنجب له إلا ولدا واحدا اسمه محمود، ولعلّها تُنجب له أولادا. فتزوّج زوجة ثانيةً ولم تُنجب له أولادا. وكان ابنه محمود قد بلغ عمره ٢٩ عاما فقرّر تزويجه ليرى منه نسلا. وقبل أن يتمّ زواج ابنه فقد أُصيب سعد اللّه نفسه بالطاعون. ومات بتاريخ ٣ كانون الثاني عام ١٩٠٧م. وأما ابنه محمود فقد تزوّج ولم تُنجب له زوجته أولادا. ومات فيما بعد وهو في حسرة على الأولاد وذلك بتاريخ ١٢ تموز عام ١٩٢٦م. وعلى هذه الصورة فقد أثبتت الأيّام كذب جميع ما تنبّأ به هذا العدوّ سعد اللّه وانقطع نسله أيضاً. وأثبتت الأيام صحّة النهج الذي انتهجه ميرزا غلام أحمد تجاه عدوّه المشار إليه. فلمّا كتب ميرزا غلام أحمد مؤلّفه (الاستفتاء) وباللّغة العربيّة. فقد أورد حضرته ما فعله سعد اللّه. وما انتهى إليه أمره. وقدّمه كمثال على تأييد اللّه عز وجلّ إياه، وكمثال سيصير إليه كلّ من عاداه. ومن المناسب أن أنقل للقارئ في هذا المقام ما أورده ميرزا غلام أحمد في كتابه الاستفتاء بحقّ سعد اللّه المشار إليه. فهو كتب على الصفحة ٣٦ يقول (وربّ مؤذين ما آذوني إلا ليُظهر اللّه تعالى بهم بعض الآيات. وقد قصَصنا قِصصهم في مؤلّفي (حقيقة الوحي) لتُبصّرَ الطالبين والطالبات. وأقرب القصص من هذا الوقت قصّة رجلٍ مات في ذي القعدة. وكان يلعنني ويسبّني وكان اسمه سعد اللّه، وكان سبّه تصاعديّا. وإذا بلغ شتمه إلى منتهاه، وسبق في الإيذاء كلّ مَن سواه. أوحى إليّ ربّي في أمر موته وخزيه وقطع نسله بما قضاه، وقال: إنّ شانئك هو الأبتر. فأشعت بين الناس ما أوحى ربّي الأكبر. ثمّ بعد ذلك صدّق اللّه إلهامي فأردت أن أفصّله في كلامي، وأشيع ما

صنع الله بذلك الفتّان. وعدوّ عباد الله الرحمن. فمنعني من ذلك محاميّ كان من جماعتي وخوّفني من إرادة إشاعتي، وقال: لو أشعتها لا تأمن مقت الحكّام. ويجرّك القانون إلى الآثام. ولا سبيل إلى الخلاص ولات حين مناص. وتلازمك المصائب حينئذ ملازمة الغريم. والمآل معلوم بعد التعب العظيم. وليست الحكومة تاركة المجرمين. فالخير في إخفاء هذا الوحي كالمحتاطين. فقلت: إني أرى الصواب في تعظيم الإلهام. وإنّ في الإخفاء معصية عندي، ومن سيَر اللئام. وما كان لأحدٍ أن يضرَّ من دون بارئ الأنام. ولا أبالي بعده تهديد الحكّام. وندعو ربّنا الذي هو منبتُ الفضل. وإن لم يستجيب فنرضى بالعيش الرذيل. ووالله إنّه تعالى لا يسلّط عليّ هذا الشرّير، ويُنزل تعالى عليه آفةً ويُنجّي عبده المستجير. فسمع كلامي بعضُ نُخبة المخلِصين، الفاضل الجليل في علم الدين، أعني محبّنا الحكيم نور الدين. فجرى على لسانه حديث رُبَّ أشعث أغبر. واطمأنّت القلوب بقولي وقوله. وخطّؤوا المحذّرَ، واستضعفوا بناء تهويله. ثمّ دعوت على سعد اللّه إلى ثلاثة أيام. وتمنّيت موته من ربٍّ علاّم. فأوحي إليّ: رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّه. يعني أنه تعالى يدفع عنك شرّه. فوالله ما مضى عليّ إلا ليالي حتى جاءني نعيُ موته. فالحمد لله على ضربه العدوّ بسوطه. أيها الناس إني جئت من ربّي بمائدةٍ لأطعمَ البائس الفقير. فهل فيكم مَن يأخذ هذا الخُوان ليأمن الجوع المبيد؟ ومن لم يوافقه هذا الغذاء فهو من قومٍ يُقال لهم أشقياء. ومن أكله فله في هذا أجرٌ كبير. ثمّ وراءها فضلٌ كثير. يريد اللّه ليُحبطَ عنكم الأثقال، ويضع السلاسل والأغلال، وينقلكم من الأرض المُجدبة إلى بلدة النعمة والرفاهة. ويُنجيكم من ظلماتٍ اشتدّت فيها الريح. ويبلّغكم إلى مقصورة أُشعِلَت فيها المصابيح. ويطهّركم من الذنب والزور. لتكونوا كالذي قفلَ من الحجّ المبرور..)..

وكان من أعداء ميرزا غلام أحمد صحفيون آريّون من الذين يعتبرون المسلمين دخلاء مستعمرين دخلوا الهند واستعمروها. وأنّ من واجب الهنود محاربة

الإسلام كدين دخيل على شبه القارة الهنديّة. وكان يحزّ في نفوس أولئك الصحفييّن أن ظهر ميرزا غلام أحمد من بين المسلمين وأفاد في تدعيم أركان الدين الإسلامي في الهند. وبعد تفكير طويلٍ فكّر أولئك الصحفيون في إصدار صحيفة من قاديان نفسها التي يقطنها ميرزا غلام أحمد للتشويش عليه ولتشتيت أفكار الناس البعيدين عن قاديان حوله وحول جماعته. ونجحوا في إصدار تلك الصحيفة وسط الآريّين القاطنين في قاديان وذلك في منتصف عام ١٩٠٦م وبعنوان (شبه بنتك). ورفعت هذه الصحيفة من معنويّات الآريّين القاطنين في قاديان. فالتفّوا حول مؤسّسيها في أيام معدودة بتأثير العقيدة وراحوا يلفّقون معهم قصصا كاذبة لا أصل لها من الواقع وأنّها تحدث في قاديان. كما كانوا يروّجون مختلف الأكاذيب حول شخصيّة ميرزا غلام أحمد. ويكذّبون كلّ ما يُعلن عنه من نبوءات في تلك الفترة من الزمان. وشاركهم في كلّ ما يفعلون وجهاء الآريين القاطنين في قاديان والذين كانوا يشهدون من قبل على ما يتحقّق على أيدي ميرزا غلام أحمد من معجزات. وكانوا يشهدون على صدق ما يُعلن عنه من نبوءات. وبألفاظ أخرى فإنّ وجهاء الآريين المشار إليهم عادوا يُكذّبون ما كانوا يشهدون على صدقه. واطّلع ميرزا غلام أحمد على حال أولئك الوجهاء وعلى ما راح المؤسّسون لتلك الصحيفة يفعلونه في محاربته ومحاربة جماعته. فماذا فعل حضرته في الردّ على أولئك الأعداء القاطنين في قريته قاديان؟ بدأ ميرزا غلام أحمد يؤلّف كتابا بعنوان (نحن وآريوا قاديان). فاستعرض فيه تاريخ الآريّين القاطنين في قاديان. كما استعرض ما بين مسلمي قاديان وما بين الآريّين القاطنين فيها من علاقات. وأورد ذكر حوادث ونبوءات شهد على صدقها فلان وفلان من وجهاء الآريّن أيضاً. ومن ثمّ كتب يقول: **(هذه بعض نماذج مما كنت أنبأت عنه من قبل وإنّي أُقسم بالله العظيم أنّ جميع تلك النبوءات قد تحقّقت صحّتها. فإن كنت كاذبا فيما أقسمت عليه، فإني أدعو الله تعالى أن يُنزل بي عذابه ويُهلكني وأولادي خلال**

عام من الزمان. آمين ولعنة الله على الكاذبين. وإني أطلب من (شرمبت) - وكان هذا أحد الوجهاء الذين يعرفون هذه الحقيقة والضمّ إلى مؤسسي الصحيفة التي ذكرناها- فأنا أطلب منه في مقابل ما أقسمت عليه، أن يُقسم بأني كذبت فيما أقسمت عليه. وأن يعاقبه ربّه خلال عام إن كان كاذبا فيما أقسم عليه، ويُهلكه وأولاده أيضاً. ويُنهي قسمه بكلمة آمين ولعنة الله على الكاذبين).. كذلك أورد ميرزا غلام أحمد في مؤلّفه المذكور بعض تلك الآيات التي تحقّقت على يديه وشاهدها الآري (لاله ملاوامل) وكان من وجهاء الآريين الذين انضمّوا إلى أصحاب الصحيفة التي ذكرناها. فخاطبه حضرته قائلا: **(إني أقسمُ بالله تعالى أنّ ما ذكرته كان صحيحا. فإن كنت كاذبا فيما ذكرته فأدعو الله تعالى أن يُنزل بي عذابه ويُهلكني وجميع أولادي. آمين ولعنة الله على الكاذبين. وإنّ من واجب (لاله ملا وامل)** أن لا يقع في محبّة أيام الدنيا المعدودات، فإن كان يكذّب ما أسلفت بيانه، فليقسم بالله على شاكلة ما **أقسمت أنا من أنّ جميع ما بيّنته هو مجرّد افتراء. أما إذا كانت هذه البيانات صادقة فأدعو أن يُنزل تعالى بي عذابه ويهلك جميع أولادك. آمين ولعنة الله على الكاذبين)**.. فلما نشر ميرزا غلام أحمد مؤلّفه المذكور، ووصل إلى أيدي هذين الوجيهين الآريّين. أطبقا عن الكلام. ولم يعودا ينبتا ببنت شفة ضدّ حضرته. حدث هذا بالرّغم من إلحاح الآريّين عليهم بالردّ على حضرته. ولا ريب أنّ في السكوت إقرار كما يقول المثل. وإنّ في سكوت هذين الرجلين قد جاء مصدّقا لكلّ ما ذكره ميرزا غلام أحمد من نبوءات في كتابه كان قد شهد هذان الوجيهان الآريّان على صدقها في حينه، وهما من ورد ذكر كلّ واحد من هذين الوجيهين الآريين في مؤلّف حضرته المسمّى (ترياق القلوب). وهنا يسأل القارئ عن مصير أصحاب الصحيفة التي تكلّمنا عنها؟ فالذي حدث هو أنّ أصحاب الصحيفة المشار إليها استمرّا في اختلاق الأكاذيب ضدّ حضرته. وإذ بهم يُصابون بالطاعون في وقت واحد. فلجؤوا إلى الحكيم الشيخ عبيد الله بسمل الذي استشار ميرزا غلام أحمد ليأذن له

بوصف علاجٍ لهم. فأذنه ميرزا غلام أحمد أن يصف لهم أيّ علاج شاء. لكنّه أخبره في الوقت نفسه بأنّ الطاعون سيقضي عليهم حتما. وفي الحقيقة فقد قضى الطاعون عليهم وماتوا جميعهم في اللّيلة التي تلت ليلة استشارة الحكيم عبيد اللّه حضرته. فهذا ما حدّث به الحكيم عُبيد اللّه نفسه الناس فيما بعد.

والذي حدث أيضاً في تلك الأيام أنّ حضرة ميرزا غلام أحمد لم يكتف بإرسال نُسخٍ من كتابه (نحن وآريوا قاديان) إلى الوجيهين الآريّين الذين ذكرناهما. بل وأرسل نسخة منه إلى الشيخ ثناء اللّه أمرتسري الذي كنت قد أتيت على ذكره يوم تكلّمت عن دعوة الشيخ الغزنوي إلى المباهلة والذي كان يقطن قريبا منه في منطقة بشاور. والذي بيّنت للقارئ في حينه بأنّ الشيخ ثناء اللّه أمرتسري كان في ريعان عمره على حين كان حضرة الميرزا في السابعة والستين من عمره وكيف أنّ الشيخ الأمرتسري المذكور كان طويل اللّسان ويريد أن يوهم تلاميذه شبه الأمّيين بأنّه يُنازل ميرزا غلام أحمد ويتحدّاه. ويتهرّب في الوقت نفسه من الدخول في مناظرة مع حضرة الميرزا كما يتهرّب من الدخول معه في مباهلة. وكنت ذكرت بأنّ ميرزا غلام أحمد دعاه للدعاء من اللّه تعالى ليهلك الكاذب في حياة الصادق. لكنّ الشيخ ثناء اللّه امتنع عن إجابة طلب حضرته في ذاك الحين.

قلت: إنّ ميرزا غلام أحمد أرسل إلى الشيخ ثناء اللّه أمرتسري نُسخة من كتابه (نحن وآريوا قاديان). وأعلن عن ذلك صاحب جريدة (الحكم) بتاريخ ١٧ آذار عام ١٩٠٧م. إذ كتب صاحب جريدة (الحكم) قائلا: (لقد أُرسلت نسخة من هذا المؤلّف (نحن وآريوا قاديان) الذي دعا فيه حضرته الآريين إلى دعاء المباهلة أرسلها إلى الشيخ ثناء اللّه أمرتسري ليشارك في دعوة المباهلة هذه فيدعو اللّه تعالى ربّه أن يُهلكه إن كان يكذّب تلك النبوءات التي أتى حضرته على ذكرها. والغرض من هذا أن يتبيّن للنّاس الفريق الذي يؤيّده ربّ العالمين، من

الفريق الكاذب الذي لا يرضى عنه الله الخالق أيضاً). فما كان من الشيخ ثناء الله أمرتسري أن ردّ على صاحب جريدة الحكم في مجلّة أهل الحديث بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٠٧م قائلا: (**معشر المرزائيين إن كنتم صادقين فتعالوا وغُباركم إلى ساحة مدينة أمرتسر التي باهلتم فيها الصوفي عبد الحق غزوي وبئتم بذلّة سماويّة. فإن لم يكن في أمرتسر فليكن في بتاله وأمام الناس فيها وعلى شرط أن تأتوا قبل الدخول في شيء بكرشن القادياني مواجهة وهو الذي كان قد دعانا إلى المباهلة من قبل في مؤلّفه [انجام آتهم]**). فالشيخ ثناء الله كتب هذه الكلمات في مجلّة أهل الحديث ليتظاهر باستعداده للدخول في المباهلة أمام أتباعه الأمّيين وغيرهم ليس إلا. وبدليل أنّ ميرزا غلام أحمد عندما علم بما فعله الشيخ المذكور، فقد أمر مفتي محمد صادق أن يُجيب عليه. فأسرع مفتي محمد صادق ونشر في جريدة (بدر) بتاريخ ١٤ نيسان عام ١٩٠٧م، وبعنوان كبير هذا نصُّه (**قبلنا المباهلة مع الشيخ ثناء الله أمرتسري وفق تحدّيه**) وكتب تحت هذا العنوان (كتبنا هذا بأمر المسيح الموعود). وقد أورد المفتي تحت هذا العنوان نصّ ما كتبه الشيخ ثناء الله أمرتسري. وجوابا مفصّلا عليه من جانبه. ذكر فيه كلّ ما سبق للشيخ المذكور من مواقف متناقضة. ودعاه في الوقت نفسه ليأتي معه بعشرة من أتباعه إلى قاديان ليوقعوا جميعهم على شروط المباهلة وليكونوا شهداء عليه).. فبماذا أجاب ثناء الله أمرتسري؟

وقد أجاب الشيخ ثناء الله، وعلى عادته بالتهرّب من المباهلة، أجاب على صفحات مجلّة أهل الحديث بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٠٧م (**أنا لم أدعوكم إلى المباهلة بل دعوتكم للقسم. لكنّكم أسميتموه مباهله مع أنّ المباهله تُطلق على القسم ما بين فريقين. فأنا أردت أن تحلفوا، وليس أن تباهلوا. فالقسم شيء والمباهلة شيء آخر**). وهنا ما كان من ميرزا غلام أحمد إلا أن وجّه كتابا إلى الشيخ ثناء الله أمرتسري بعنوان (الشيخ ثناء الله والكلام الأخير). وممّا أورده حضرته فيه قوله: (**ما زلت تعمد إلى تكذيبي على صفحات مجلّة أهل الحديث. ناعتاً إيّاي بوصفي دجّال مفسدٌ وكذّاب مردود. وتُشهرني**

بأني شخص دجّال وكذّاب ومفتري وأنّ ادّعائي أني المسيح الموعود هو مجرّد افتراء. وعلى هذه الصورة فقد عانيت منك كثيرا، وصبرت على الدوام. أما وأني مأمور بالحق، ولبيان الحقّ، وأنك افتريت عليّ كثيرا لتحول دون رجوع الناس إليّ، وكنت تذكرني تتّهمني باتّهامات وبألفاظ لا يوجد أسوأ منها فيما كنت تنشره في كلّ عدد من أعداد مجلّتك.. لذا فأنا ألتمس من الله القدّوس الرحيم أن يفصل ما بيني وما بين ثناء الله بالحقّ وذلك بأن يُهلك المفسد الكذّاب في حياة الصادق. أو يبتليه بآفّة هي بمثابة الموت. فافعل هذا يا مالكي آمين ثمّ آمين ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين آمين. وألتمس أخيرا من السيّد الشيخ أن ينشر مضمون رسالتي هذه في مجلّته. وأن يكتب تعقيبا عليها ما يشاء وتترك أمر الفصل في ذلك إلى الله عز وجلّ. التوقيع عبد الله الصمد ميرزا غلام أحمد مسيح موعود عافاه الله وأيّد. بتاريخ ١٥ نيسان عام ١٩٠٧م، والأوّل من ربيع الأول عام ١٣٢٥هجري).. فما هو الموقف الذي وقفه الشيخ ثناء الله أمرتسري بعد تسلّمه هذه الرسالة؟ فالذي حدث أنّ الشيخ ثناء الله عوضا من أن يدعو بنفس ما دعا به ميرزا غلام أحمد بعد نشره لرسالته. فقد راح يُلقي بمواعظه المخالفة لمعطيات آيات القرآن الكريم جزافا. وأتبع ذلك بتوجيه الطعن واللّعن إلى حضرته وبأقذع الألفاظ لغوا ومغالطة ممّا ليس من اللّياقة هنا أن ننقله إلى القارئ. وبهذا الأسلوب تهرّب من الدعاء بنفس ما دعا به ميرزا غلام أحمد. فلو أنّه دعا في حينه بنفس الدعاء لكان قد أهلكه الله عز وجلّ في حياة ميرزا غلام أحمد. أمّا وأنّه لم يُقسم بنفس ذاك القسم والدعاء، فقد أحيا الله الشيخ ثناء الله إلى ما بعد وفاة ميرزا غلام أحمد. ليزداد ضلالا وإفسادا وليستحقّ أشدّ العذاب. هذا وإنّ ممّا يقدّمه المشايخ الذين يحاربون ميرزا غلام أحمد ويكذّبونه من أضاليل، دليل أنّ الشيخ ثناء الله أمرتسري قام بمباهلة ميرزا غلام أحمد على أن يُهلك الله تعالى الكاذب في حياة الصادق. ويضيفون قائلين: إنّ ميرزا غلام أحمد قد مات في حياة الشيخ ثناء الله أمرتسري، وثبت كذبه. أما الحقيقة وكما رويت للقارئ، فإنّ

الشيخ ثناء الله كان يتهرّب على الدوام من الدخول بمباهلة مع ميرزا غلام أحمد. ولم يدخل مع حضرته في المرّة الأخيرة أيضاً في دعاء مباهلة، بل إنّه راح يسبّ ويشتم ويضلّل الناس ليس إلا. ومن المناسب أن أذكر للقارئ بهذه المناسبة بأنّ شخصا سأل ميرزا غلام أحمد بعد تلك الواقعة عن حقيقة ما جرى بينه وبين الشيخ ثناء الله؟ فأجابه حضرته: (**أين قلت أنا بأنّ الكاذب يموت في حياة الصادق؟ وكلّ ما قلناه هو أنّ الذي يدخل في مباهلة ويكون كاذبا فإنه يموت في حياة الصادق. وهل هلك كلّ أعداء محمّد رسول الله (ص) في حياته؟ بل ظلّ ألوف من أعدائه أحياء إلى بعد مماته. نعم إنّ الكاذب الذي يدخل في مباهلة يهلك قبل وفاة الصادق الذي يُباهله. وبنفس المعيار فإنّ مخالفينا سيبقون أحياء إلى ما بعد وفاتنا. وإنه لشيء محيّر أن كيف يعمدون إلى تحريف أقوالنا. وإنّهم في باب عمليّة التحريف هذه قد سبقوا اليهود أيضاً**) فهذا الحوار الذي جرى بين هذه الشخص وبين ميرزا غلام أحمد قد نشرته جريدة (الحكَم) بتاريخ ١٠ تشرين أول عام ١٩٠٧م.

وهناك حادثٌ هامٌّ حدث عام ١٩٠٧م. وهو أنّ رجلا أمريكيّا مليونيرا اشتُهر باسم الكسندر دوئي كان قد ادّعى النبوّة في أمريكا قائلا بأنّ الله تعالى أمره أن ينفّذ أتباعه كلّ ما يطلبه منهم. وذلك في الأشهر الأخيرة من عام ١٨٩٩م. وقد أنشأ مدينة على حسابه باسم مدينة (صيهون) وكانت من الحداثة إلى درجة عُدّت معها من أشهر المدن الأمريكيّة. وأصدر مُنشئها صحيفة أيضاً باسم (ليوز أوف هيلنك) أخذت شهرتها من شُهرة مدينة صيهون المشهورة. وأصبح لدوئي الذي ادّعى النبوة أتباعا يُعدّون بمئات الألوف. حتى وصدر كتاب يحكي قصّة ألكسندر دوئي ومؤلّفه يُدعى (بارلان) وقدّم لهذا المؤلّف البروفيسر (فرينكلن جونسون) قائلا: (لم يحدث في الأعوام الإثنتا عشرة الماضية أن ظهرت شخصيّة نالت من الشهرة في الصحافة ما نالته شخصيّة جان أليكسندر دوئي). وكان دوئي المذكور من ألدّ أعداء النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلم. وكان جلّ سعيه

منحصرا في محو الإسلام من على وجه المعمورة. وأقتطف للقارئ شيئا ممّا كتبه في حينه في صحيفته المشار إليها، فهو كتب يقول: (إنّي أحذّر مسيحيي أمريكا وأوروبة من أنّ الإسلام ليس هو بالدين الفاقد حيويّته. بل هو دين عامرٌ بالفعّالية. فمع أنّنا نريد القضاء على الإسلام. ونريد إهلاك أتباع محمّد، لكنّ مهمّة القضاء على الإسلام هذه لا تتحقّق على أيدي المسيحيّين اللاتينيين الذي يؤمنون بالمسيح بالاسم فقط. ويُمضون حياتهم في الملاهي وارتكاب الموبقات والفسق والظلم). نشرت أقواله هذه صحيفته (ليوز أوف هيلمك) بتاريخ ٢٥ آب عام ١٩٠٠م. وفي عام ١٩٠٢م وبعد أن كشف اللّه عز وجلّ على ميرزا غلام أحمد أنّ المسيح الناصري قد مات وأنّه مدفون في سرينكر من كشمير. فقد علم حضرته بهذا المسمّى ألكسندر دوئي فأرسل إليه بتاريخ ٨ آب عام ١٩٠٢م رسالة ذكر له فيها بأنّ المسيح الناصري ميّت وأنه مدفون في ناحية سرينكر. ودعاه في تلك الرسالة إلى المباهلة معه. فممّا ذكره حضرته في رسالته إليه قوله: (إنّ دوئي ما فتئ يقول بأنّ جميع هؤلاء سيهلكون ما عدا الذين يعتقدون بألوهيّة المسيح ورسالة دوئي. لذا فمن واجب جميع المسيحيين في أمريكا وأوروبة أن يؤمنوا بدوئي كي لا يهلكوا.. فإنّنا نقول بكلّ أدب أن لا توجد هناك من حاجة إلى إهلاك جميع المسلمين؟ وهناك وسيلة سهلة نستطيع بواسطتها معرفة أ إله دوئي هو إله حقيقي أو أنّ إلهنا هو الإله الحقيقي. وهذه الوسيلة منحصرة في ترك دوئي التهديد مرّة تلو مرّة لإهلاك المسلمين. وكلّ ما ينبغي عليه أن يفعله هو أن يتصوّرني في ذهنه ويدعو أن يُميت اللّه تعالى الكاذب من بيننا في حياة الآخر). ونشرت هناك رسالة حضرته التي أتينا على ذكرها مجلّة (ريويو أوف ريلجنز) الصادرة في شهر أيلول عام ١٩٠٢م. فبماذا أجاب دوئي على رسالة ميرزا غلام أحمد؟ إنّ دوئي تسلّم الرسالة وبقي صامتا ولم يُجب بكلمة واحدة. واطّلع على تلك الرسالة مندوب جريدة (كونات سان فرنسيسكو). فنشر حولها خبرا بتاريخ

الأول من كانون أول عام ١٩٠٢م ومما ذكره فيه: (**وخلاصة مضمون رسالة الميرزا التي بعث بها إلى دوئي أنّك زعيم طائفة وأنا بدوري لي أتباع كثيرون. فإن أردنا معرفة من هو المرسلُ من طرف الله تعالى فليدع كلّ واحد منّا ربّه إن كان يسمع دعاءه ليُهلك الكاذب في حياة الصادق من بيننا. وإنّ اقتراحه المشار إليه معقول ومنصفٌ يقيناً**). وظلّ ميرزا غلام أحمد في تلك المدّة يأمر بمتابعة هذا الأمر من خلال مطالعة الصحف الأمريكيّة ليعلم صدى وأثر تحدّيه المذكور على ألكسندر دوئي. فتبيّن له من خلالها بأنّ دوئي ازداد بعدها عداوةً للإسلام. وبناء عليه أرسل حضرته رسالة ثانيةً إلى دوئي وبنفس المضمون وذلك عام ١٩٠٣م. وممّا زاده عليها قوله فيها: (**أنا في الستّين من عمري. والذي أعرفه بأنّ دوئي يصرّح بأنّ عمره خمسون عاما. أي أنّه في عزّ شبابه. ومع علمي بذلك فلم أبالي بهذا الفارق الذي هو لصالح دوئي. ومن باب أنّ المباهلة لا تتعلّق بالأعمار. بل تتعلّق بحكم الله تعالى الذي هو أحكم الحاكمين. وعلى كلّ حال فإن تهرّب دوئي من الدخول في هذه المباهلة.. فتيقّنوا بأنّ مصيبة ستحلّ قريبا بمدينة صيحون**).

وقد نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا بتاريخ ٢٣ آب ١٩٠٣م ضمّنه هذا التحدّي الثاني الذي بعث به إلى دوئي في أمريكا. وقد تناقلت ما يزيد عن عشرين صحيفة أمريكيّة تحدّي المباهلة المذكور. علما بأنّ الرسالة الثانية تضمّنت إنذار نبأ مشروط يُنبئ عن مصيبة ستحلّ بالمدينة التي أنشأها دوئي وسمّاها مدينة (صيحون). وبعد انتشار خبر الرسالة الثانية أخذ الصحفيّون وأتباع دوئي يُلحّون عليه للردّ على التحدّي الذي تحدّاه به ميرزا غلام أحمد. ونتيجة لإلحاح أعداد كثيرة على دوئي من الناس الذين اطّلعوا على تحدّي ميرزا غلام أحمد المشار إليه. فقد نشر دوئي في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٠٣م تصريحا للصحافة قال فيه: (**هناك في الهند رجلٌ جاهلٌ زعم بأنّه مسيح محمّديّ وقد دأب على الكتابة لي بأنّ قبر يسّوع المسيح موجود في كشمير. ويسألني الناس لماذا لا أردّ عليه؟ فهل ترون أنّ من المناسب أن أردّ على مَن هم من قبيل الذباب والبعوض، والذين أستطيع في الوقت نفسه أن**

أسحقهم بأقدامي؟). صرّح دوئي بهذا التّصريح المهين في وقت كان يتنقّل فيه ما بين أمريكا وأستراليا وأوروبة ومتباهيا بصحّته وازدياد شهرته بين الناس في تلك الأيام. ودفعت هذه الإهانة ميرزا غلام أحمد ليزداد تضرّعا بين يدي ربّه عز وجلّ ليظهر للناس الحقيقة ويحقّق ما تنبّأ به عن مدينة صيحون. وليصبح ألكسندر دوئي عبرةً لطالبي الحقيقة. فكيف تطوّرت الأحداث بعد تلك الإهانة والاحتقار الذي بدر عن ألكسندر دوئي؟ وفي الحقيقة فقد تابع دوئي إظهار استهتاره بالتحدّي الذي تحدّاه به ميرزا غلام أحمد. وحقّ أن يتحقّق نبأ ميرزا غلام أحمد المتعلّق به وبمدينته صيحون. فكيف تحقّق ذلك؟ تبيّن فيما بعد بأنّ دوئي كان يقترض من أتباعه أموالا كثيرة لتوسيع وتجميل مدينته. وكان يُنفق قسما كبيرا من تلك الأموال على قضاء ملذّاته وشهواته. الأمر الذي أخذ ينكشف شيئا فشيئا. ويقلّ احترامه من قبلِ معارفه وأتباعه وفي عام ١٩٠٥م اقترض أموالا طائلةً بغرض شراء أرض واسعةٍ في المكسيك لاستغلالها هناك وحلّ مشكلات مدينته صيحون من إيراداتها. وفي يوم الأحد الأخير من شهر أيلول عام ١٩٠٥م أعلن عن عقد اجتماع طارئ لِيُعلن فيه عن إرادته هذه. ونترك الآن لقلم الصحفي (نيوكومب) الذي كان يكتب سيرة حياة مستر دوئي ليُتحفنا بما وصف به ما جرى في الاجتماع الطارئ المشار إليه. فهو كتب يقول: (**كان دوئي في ذلك اليوم في ذروة فصاحته. فبعد أن أتمّ وعظه دخل فلبس ثيابا بيضاء ومن ثمّ أطلّ على أتباعه مرّة أخرى. فغنّى أولاً أدعية مستقاة من بعض فقرات العهد القديم. ومن ثمّ أخذ هو ومعاونوه الذين كان لهم لباسهم الخاص يُطعم الحاضرين واحدا بعد آخر من خبزٍ ممزوج بدم المسيح وعلى صورة شراب. وقارب ذاك الاجتماع الطارئ على الانتهاء. ولم تبق إلاّ بضع كلمات يختتم دوئي بها ذاك الاجتماع. وكانت الأنظار كلّها متوجّهةً لسماع ما يختتم به الاجتماع المذكور. وإذ بدوئي ترتجف يده اليمنى فجأة. ويضرب بها على ساعد الكرسيّ ضربة قويّةً غير مُعتادة أثارت حيرة المشاهدين. واصفرّ لون دوئي وكاد أن يسقُط عن كُرسيّه. لولا أن**

سنده النان من أتباعه وأخرجوه خارج القاعة. فبهذه الكلمات وصف كاتب سيرة دوئي ما جرى لدوئي في اللّحظات الأخيرة من الاجتماع الطارئ الذي أشرنا إليه. وتبيّن فيما بعد أنّ دوئي قد أصابه اللّه القادر المنتقم بفالج ليعطّل مشروع شراء أرض في المكسيك. وليستهلك ما بقي بين يديه من أموال اقترضها من أتباعه. وأثّر الفالج على لسانه فلم يعُد قادرا على سبّ وشتم نبي الإسلام محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم. وأخذت صحّته تضمحلّ شيئا فشيئا. فأشار عليه أطبّاؤه ألاّ يسافر إلى المكسيك وأن يسافر بدلا عن ذلك إلى جمايكا للاستجمام. ولمّا كان دوئي لا يأتمن على أحد من أتباعه في مدينته أن يخلفه فيها. فقد أرسل برقيّة إلى (إدوار سير والوا) الذي كان نائبا عنه في الكنيسة في أستراليا ليحضر عنده. وبما أنّ هذا ما كان يستطيع الوصول إلى صيحون بسرعة. فقد انتخب دوئي ثلاثة من أتباعه لتسيير الأمور من بعد سفره إلى حين وصول نائبه المشار إليه. وهنا سافر دوئي فوصل شيكاغو وفي الطريق استأذنه أحد مرافقيه أن يسمح له بالزواج بامرأة من صيحون يعرفها. فلم يأذن له دوئي بالزواج منها. ووصل دوئي جمايكا بتاريخ الأول من شهر كانون الثاني عام ١٩٠٦م. وما أن وصل إلا وأبرق دوئي إلى جماعته في صيحون بإنهاء مهمّة الثلاثة الذين عيّنهم ليخلفوه فيها. وتركت هذه الخطوة أثرا سيّئا على أتباعه الذين لم يصدر عنهم حتى تلك اللّحظة أيّة مخالفة تستدعي من جانب دوئي فعل ذلك. وهنا أشار مدير صحيفته ألاّ يُنشر خبر تلك البرقيّة. فلم يكن من دوئي الذي علم بما جرى إلا أن أرسل مندوبا عنه من مرافقيه لينشر توبيخا موجّها إلى مدير الصحيفة فيها. ووصل حامل ذاك الأمر الذي صدر عن دوئي. فتسلّمه مدير الصحيفة. وقرأه ومزّقه أمام أعين حامله. وألقى به في سلّة المهملات، قائلا لحامل الرسالة: هذا هو جوابي على رسالة دوئي ووصل بتاريخ ١٢ شباط ١٩٠٦م إلى مدينة صيحون نائب دوئي من أستراليا. واطّلع على مُجريات الأمور فيها. فقد أغلقت الصحيفة أبوابها ولم تعُد

تصدر لأسباب ماليّة. وفي تلك الفترة من الزمان فقد شاء دوئي السفر من جمايكا إلى كوبا ومن هناك إلى المكسيك. فأبرق إلى صيحون ليرسلوا له الأموال المطلوبة. فلم يُرسلوا له شيئا من المال. فأبرق دوئي إلى نائبه فيها بعزله من منصبه وذلك بتاريخ ٣١ آذار ١٩٠٦م وأخذت تبدو إثر تلك البرقيّة ظواهر التمرّد على دوئي. وإذ بنائب دوئي يعقد اجتماعا عاما في الأول من شهر نيسان ١٩٠٦م حضره ثلاثة آلاف وخمسمائة من أتباع دوئي. فشرح نائب دوئي مجريات الأمور وسيّئات ما فعله دوئي حتّى تلك اللّحظات. وأطلعهم على حقيقة تلاعُب دوئي بالأموال التي اقترضها منهم. وأعلن بصراحة بأنّ تلك الفضائح التي سردها على مسامعهم تقتضي أن يعزلوا دوئي من قيادته إياهم. فصفّق له جميع الحاضرين بالموافقة على اقتراحه. وكتبوا برقيّة بالاجماع أرسلوها إلى دوئي وهذا نصّها: (إنّ جميع أتباعك المجتمعون يحتجّون على ظلمك وعلى تصرّفك بأموالهم تصرّفا مُشينا. الأمر الذي كشف عن مبالغاتك وكذب بياناتك ونفاقك). فاستلم دوئي برقيّة احتجاج هؤلاء. ولم يعُد يتمالك أعصابه. وفي الوقت نفسه فإنّ نائبه مستر (والوا) أقام على دوئي دعوى قضائيّة. فحكمت له المحكمة بأن ينتخب أتباع دوئي من يريدون أن يكون زعيمهم. فانتخبوا مستر (والوا) بتاريخ ١٨ أيلول بأكثريّة الأصوات. ولم يُصوّت لدوئي أكثر من مائة تابع. وعلى هذه الصورة فقد حلّت بدوئي المصيبة الكبرى التي قدّر الله تعالى أن يجعلها القاضية عليه. فماذا حدث بعد ذلك؟ الذي حدث أن أخذت قوى دوئي تنهار. وأصيب بأمراض كثيرة. وعاد يسقط بين فترة وأخرى دون حراك. وقد مات دوئي بتارخ ٩ آذار عام ١٩٠٧م أي مات في هذا العام الذي أحدّث القارئ عن أهمّ أحداثه. فدفنوه من غير أن تحضر زوجته وأولاده جنازته. وبذلك تحقّقت نبوءة ميرزا غلام أحمد بشأن دوئي وبالمصيبة التي تنزل على مدينته إن هو لم يتراجع عن محاربة الإسلام ورسوله الكريم. وانكشفت بعد موت دوئي فضائحه التي تقشعرّ منها الأبدان. فلقد عثروا في داره على رسائل

عشق وغرام كان يتبادلها مع عشيقاته الأبكار. وأنّه كان يشرب الخمر وينوي الزواج بزوجة ثانية وخلافا لما هو معروف في المسيحيّة المعاصرة. ومن المناسب هنا أن أُطلع القارئ على أمرٍ زاد تلك القصّة أهمّيةً من حيث إثبات صدق مقام المجدّد الذي كان ميرزا غلام أحمد فائزا به. فقد كنت أطلعت القارئ على الرسالة التي كتبها حضرته بعنوان (نحن وآريوا قاديان). فقد أعلن حضرته في تلك الرسالة التي صدرت قبل وفاة دوئي بأسبوعين، **(أنّ الله تعالى قد أخبره بأنّه سيُظهر آية جديدةً تحمل له فتحا عظيما. وتكون آية للناس أجمعين. وبتدبير منه تعالى وأنّ على أعين الناس أن تنتظر ظهور تلك الآية القريبة الظهور. ومبارك كلّ من يستفيد من ظهور تلك الآية في وقت يشتم أكثر الأقوام هذا العاجز)**. صدر الإعلان المذكور بتاريخ ٢٠شباط ١٩٠٧م وبتوقيع ميرزا غلام أحمد المسيح الموعود. ولم تمض على تلك البشارة العظيمة التي أشرت إليها مدّة أسبوعان إلاّ وورد خبر موت ألكسندر دوئي في أمريكا شرّ ميتة. وتحقّقت تلك البشارة العظيمة حرفا بحرف. وأصبحت آية لكلّ طالب حقيقة ويريد أن يعتبر من تلك الأحداث، ومن حادثة دوئي بالذات التي صدّقت مهمّة ميرزا غلام أحمد فيما يتعلّق بكسره للصليب بالحجّة والبرهان. وقد نشرت الصحف الأمريكيّة خبر موت دوئي وخبر فضائحه. وأنّ نبوءة ميرزا غلام أحمد قد تحقّقت بشأن مصيره.

فصحيفة (دونول كِزت) أوردت خبر موت دوئي على صفحاتها. وممّا ورد فيها: (فإن قام أتباع أحمد بالافتخار بتحقّق تلك النبوءة التي لم يمض عليها أشهرٌ كثيرة، فيحقّ لهم الافتخار بذلك.)..

كذلك علّقت صحيفة (هيرالد) قائلة: (بعد موت دوئي أخذ النبيّ الهنديّ يزداد شهرةً. إذ أ وليس صحيحا أنه أنبأ عن موت دوئي بأنّ الكاذب يموت في حيات الصادق، وأنّ موته ترافقه حسرة ومصيبة كبيرة؟ فعلى حين كان عمر

دوئي خمس وخمسون سنة، فقد كان عمر الذي تنبأ عنه يناهز الخمسة وستون سنة)..

كذلك علّقت صحيفة (دونول كزت) قائلةً: (إذا افتخر أحمد وأتباعه المتعلّقين بتحقّق هذه النبوءة التي مضى على تحققها أشهرا، إذا افتخروا بأنّ صحّة أحمد في أحسن حال، فلا يُلامون على ذلك)..

وقد أورد ميرزا غلام أحمد قصّة دوئي وتحدّي حضرته إياه، وإنباؤه عن مصيره المأساوي في الإضافات التي أضافها على مؤلّفه (حقيقة الوحي). ويستطيع القارئ مراجعة ذلك في المؤلّف المذكور. ولربّ أنّ التاريخ يريد أن يُعيد نفسه. فهاهو الرئيس الأمريكي يسير على نهج دوئي وغير معتبرٍ من نهايته المأساويّة. وقد يحدث في الأيام القريبة من كان قد حدث أيام ظهر دوئي إلى ساحة الوجود. فعش رجبا ترى عجبا.

وبعد آن قصصتُ على القارئ أهمَ الأحداث التي حدثت في حياة ميرزا غلام أحمد عام ١٩٠٧م. كان من واجبي أن أذكّر هذا القارئ بأنّ حضرته بعد أن كتب مؤلّف الوصيّة. وأخبر فيه عن دنوّ أجله ووفق ما كان اللّه ربّه قد أطلعه عليه. خصوصا وأنّ شخصيّتين بارزتين من مبايعيه كانوا قد سبقوه إلى عالم الجنّة وكما ذكرت ذلك من قبل. فإنّ هذا كلّه ترك آثاره على أفكار أهله وأفكار مبايعيه. ومن باب أنّهم عادوا إذا تصوّروا رحيل حضرته من بينهم، تتوتّر أعصابهم وتتفجّر عواطفهم لهذا الفراق المرتقب. وكانت آذانهم تُصغي إلى ما كان يُطلعهم حضرته على ما يتلقّاه من إلهامات تشتمل على بشارات. ففي الشهر الأوّل من هذا العام تلقّى حضرته إلهاما باللّغة العربيّة ونصّه: (سأُكرِمُكَ إكراما عجَبا. وكان اللّه على كلّ شيء مقتدرا).. وتلقّى في الأيام الأخيرة من الشهر الأول إلهاما آخر ونصّه (إنّما يريد اللّه ليُذهِبَ عنكمُ الرّجسَ لأهل البيت ويطهِّرَكم تطهيرا) وسمع حضرته بعد تلقّيه هذا الإلهام صوتا يُناديه بكلمة: فتح

فتح وبعد يومين منه تلقّى إلهاما ونصُّه: (إني أنا الرحمن. أصرف عنكَ سوء الأقدار). وبتاريخ ١٨ شباط تلقّى إلهاما ونصّه (كلُّ الفتح بعده. مظهرُ الحقّ والعلاء كأنَّ اللّه نزلَ من السماء). وفهم منه حضرته بأنّ اللّه قدّر ظهور آية توازي جميع ما سلف من فتوحات ويظهر الحقُّ وغلبته بظهورها) ونشرت جريدة (البدر) هذا الإلهام في عددها الثامن وتاريخ ٢١ شباط ١٩٠٧م. وفي ١٢ آذار تلقّى حضرته إلهاما باللّغة الأورديّة ونصُّه (يورب أور دوسرى عيسائي ملكون مين إيك قسم كي طاعون بهيليكي جو بهت سخت هوكي). وترجمته (سينتشر نوعٌ من الطاعون في أوروبة والدول المسيحيّة الأخرى وسيكون وقعه شديدا). ولربّما أشار هذا إلى مرض الإيدز المنتشر بينهم في أيامنا هذه. وبتاريخ الثالث من شهر نيسان تلقّى إلهاما ونصُّه (إنّي مع الرسول أقوم. وألوم من يلوم. وأعطيكَ ما يدوم). وقد تلقّى حضرته بتاريخ ٩ نيسان ١٩٠٧م إلهاما يتعلّق ببلاد الشام وهذا نصُّه (بلاء دمشق. سرُّكَ سرّي) (نشرته جريدة بدر في المجلّد السادس رقم ١٥ بتاريخ ١١ نيسان ص ٤. وجريدة الحكَم المجلّد ١١ رقم ١٢ وبتاريخ ١٠ نيسان ص ٢). وفي شهر تموز تلقى حضرته إلهاما هذا نصّه (إنّي مُهينٌ مَن أراد إهانتك. إني معينٌ مَن أراد إعانتك). وبتاريخ ٢٠ أيلول تلقّى حضرته وهذا نصّه (إني معك ومع أهلِك. لكم البشرى في الحياة الدنيا. إني أُحافظُ كلّ مَن في الدار). وممّا تلقّاه حضرته من إلهامات في شهر كانون أول عام ١٩٠٧م (إني معك ومع أهلك. أحملُ أوزارك. إني معك يا مسرور). ومعلوم أنّ مسرور أصبح الخليفة الخامس له. وتلقّى في الشهر نفسه (ستائيس كو إيك واقعه. خوشيان منائينكى بعد سنة واحدة) ومعناه ستحدث حادثة بعد عام وبتاريخ ٢٧ وسيحتفل أعداؤك).. وتحقّقت هذه الإلهامات الأخيرة حرفا بحرف. إذ أقام مشايخ تلك الديار احتفالا كبيرا بتاريخ ٢٧ مايس عام ١٩٠٨م حين صلّى أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة صلاة الجنازة على نعش ميرزا غلام أحمد بعد موته وفي قاديان. وعلى هذه الصورة فقد كثر

تلّقي حضرته الإلهامات المبشّرة بمستقبل جماعته ومستقبل عائلته وبتحديد اليوم المقرّر لوفاته عليه السلام.

وفي عام ١٩٠٧م حدثت أحداثٌ كثيرة تخصّ عائلة ميرزا غلام أحمد سآتي على ذكرها بالتفصيل في الفصل المخصّص للكلام عن عائلة حضرته. وأذكر تلك الأحداث في هذا المقام باختصار فأقول: أولاً - ففي الرابع من شهر تموز سافرت زوجة حضرته برفقة أولادها وبرفقة مير نواب ناصر نوّاب إلى مدينة لاهور لقضاء بضعة أيام للتّرفيه عن النفس. وعادوا بتاريخ ١٤ تموز. ومن أجل استقبالهم فقد سافر ميرزا غلام أحمد برفقة بعض أتباعه إلى مدينة بتاله لاستقبالهم فيها. التزاما بقول محمد رسول اللّه (ص) في الحديث الشريف (خيركم خيركم لأهله). وسأوافي القارئ بالتفاصيل في الفصل المخصّص لذلك.

ثانيا - وقد أصيب أصغر أبناء حضرته وهو ميرزا مبارك أحمد بحمّى شديدة بتاريخ ٢١ آب وإلى درجة كان يُغمى عليه في بعض الأحيان. وقد توجّه حضرته للدّعاء لشفائه بصورة خاصّة وبإلحاح شديد. فتلقّى حضرته في اليوم السابع من مرض ابنه المذكور إلهاما باللّغة الأرديّة وهو (قبول هوكئي. نو دن كا بخار توت كيا) وترجمته (حظي دُعاءك بالقبول. يشفى من الحمّى في اليوم التاسع) أي بعد تلقّي حضرته هذا الإلهام بيومين. وهكذا كان. وقد شفى اللّه تعالى ميرزا مبارك أحمد بعدها بيومين شفاء كاملا. وقام من سريره يتنقّل هنا وهناك وكأنّه لم يُصب بمرض. وسأوافي القارئ بالتفاصيل في الفصل المخصّص لذلك.

ثالثا - وبتاريخ ٣٠ آب عُقد نكاح ميرزا مبارك أحمد الذي ذكرته أعلاه على ابنة سيّد عبد السّتّار شاه المسمّاة مريم بيكم. وقام بإلقاء خطبة النكاح الحكيم نور الدين بهيروي بعد صلاة عصر ذاك اليوم. كما ألقى حضرته خطبة

ابنه عبد الحيّ على ابنة بير منظور أحمد أيذا. والتفاصيل سأوردها في الفصل المخصّص له.

رابعا - وبعد أن تمّ نكاح ميرزا مبارك أحمد بأسبوعين عاد فمرض بتاريخ ١٤أيلول

وتلقّى والده ميرزا غلام أحمد إلهاما يقول (لا عِلاج ولا يُحفظ). الأمر الذي صدّ حضرة والده عن الدعاء لشفائه احتراما لمشيئة ربّه عز وجلّ. ولم يمض على الإلهام المذكور يومان إلا وتوفّى اللّه عز وجلّ ابن حضرته. وسأوافي القارئ بتفاصيل ما جرى في الفصل المخصّص لذلك. وقد حدثت هذه الأحداث الأربعة ضمن عائلة ميرزا غلام أحمد في عام ١٩٠٧م. وقد رافقها عواطف مختلطة في نفوس أفراد عائلة حضرته ونفوس مبايعيه أيضاً. يقينا من جانبهم بأنّ انتقال إمامهم المجدّد الأعظم بات على الأبواب.

وفي عام ١٩٠٧م عقد الآريون اجتماعا عاما فيما بينهم قرّروا فيه أن ينعقد في شهر كانون أول من العام نفسه مؤتمرا عاما بتاريخ ٢/٣/٤ كانون أول يحضره مندوبون عن مختلف الأديان وليكون موضوع بحثهم (**كيف يصحّ أن يكون الكتاب وحيا سماويا؟**). وأوفد هؤلاء الآريون وفدا من قِبلهم إلى ميرزا غلام أحمد يدعونه لحضور المؤتمر المشار إليه. وتحت إصرار أعضاء الوفد ورجائهم، قبل حضرته الاشتراك في المؤتمر الذي تقرّر أن يخطب فيه ممثّلون عن الهنود والمسيحيّين والبرهمو سماجيين والمسلمين. وتقرّر أيضاً أن يأتي دور خطاب ميرزا غلام أحمد في اليوم الثاني من أيام المؤتمر. فأرسل حضرته الحكيم نور الدين بهيروي ممثّلا عنه لإلقاء خطابه فيه. ولهذا السبب فقد توافد الأحمديون على المؤتمر في اليوم الثاني بكثرة ظاهرة ليستمعوا إلى خطاب إمامهم الهام. ودام الخطاب ساعتان وربع. وقد اقترح حضرته عدّة اقتراحات لتحديد سمة الكتاب الموحى به من جانب اللّه عز وجلّ. فلم يأبه لها الآريون. وألقوا في اليوم الثالث

خطابهم وبدلا من أن يردّوا على تلك الاقتراحات ويناقشوها، فقد تهجّموا على الإسلام وعلى حضرة الميرزا سبّا وشتما. وخلافا لما وعدوا به قبل المؤتمر من أنّهم سيراعون آداب البحث والحوار. فلما وصل ميرزا غلام أحمد خبر ما حدث في اليوم الثالث المشار إليه، أبدى ألمه وانزعاجه، ووجّه اللّوم إلى الأحمديّين الذين استمعوا إلى خطاب الآريين ولم يتركوا قاعة المؤتمر احتجاجا عليهم والتفت ميرزا غلام أحمد بعد ذلك إلى تأليف كتاب بعنوان (جشمه معرفت) ومعناه (ينبوع المعرفة) وصف حضرته في مقدّمته ما صدر عن الآريين في اليوم الثالث للمؤتمر. وكيف أنّهم حملوا فيه على ذات محمّد رسول اللّه (ص). وردّ في الكتاب المذكور على جميع ما صدر عنهم من اعتراضات بالحجج والبراهين الساطعة. ومن ثمّ ضمّن حضرته كتابه مضمون الخطاب الذي ألقاه بالنيابة عنه الحكيم نور الدين.

وفي الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر كانون أول عام ١٩٠٧م عُقد الاجتماع السنويّ في قاديان. وإنّ الذين حضروه كانوا موقنين بنبوءات إمامهم التي أنبأتهم عن أنّ هذا المجدّد الأعظم سيتوفّاه ربّه في العام القادم وأنّهم لن يشاهدوه بعدها في الاجتماع السنويّ القادم. لذلك كانوا مُنشدّين لسماع كلمات حضرته بكلّيتهم والدموع تهطل من أعينهم. فألقى حضرته خطابه المنتظر. وقد ضمّن خطابه على نصائح وتوجيهات وكلمات طيّبات أشعرتهم وكأنّه كان يودّعهم راجيا بقاءهم سائرين على النهج الذي اختطّه لهم في خدمة الإسلام. وبعد أن أطلعت القارئ على أهمّ أحداث عام ١٩٠٧م. أتوجّه الآن لأطلعه على ما أنجزه حضرته من مؤلّفات:

أولاً - والكتاب الأول الذي أنجزه حضرته في هذا العام هو كتاب (نحن وآريوا قاديان). وهو الكتاب الذي أتيت على ذكر مناسبة كتابته وذكر ما

تضمّنه من مضامين حين تكلّمت عن الصحفيين الآريين الذين أسسوا صحيفة في قاديان للتشويش على ميرزا غلام أحمد وعلى نشاطاته فيها.

ثانياً - وفي هذا العام فقد ألحق حضرته تتمّة بمؤلّفه المشهور (حقيقة الوحي). وقد أورد حضرته في هذا الملحق أمورا كثيرةً منها علامات أولياء اللّه تعالى ومقاماتهم. وأورد ما يزيد عن مائتي آية سماويّة تحقّقت على يديه. وردّ في هذا الملحق على اعتراضات المرتدّ الدكتور عبد الحكيم خان بردود نابعة من آيات كتاب اللّه العزيز التي أفحمته ولم يعُد بعدها قادرا على الكلام بشأن حضرته عليه السلام.

ثالثاً - وقد أنجز حضرته مؤلّفه الذي أتيت على ذكره بمناسبة الكلام عن مؤتمر الأديان الذي عقده الآريون والذي استغلّوه للتهجّم فيه في اليوم الثالث الأخير على المصطفى (ص) وعلى الإسلام. وقد ردّ ميرزا غلام أحمد في مؤلّفه المذكور على جميع اعتراضاتهم ردّا موضوعيّا، وهو الكتاب الذي سمّاه (جشمه معرفت).

الفصل الثاني والعشرون

أحداث عام ١٩٠٨م

قدوم وزير الاقتصاد والمحافظ إلى قاديان

قدوم سائحان أمريكيّان إلى قاديان

عالم الحياة البريطاني وأسئلته

المحامي ميان فضل حسين وأسئلته

تصحيحه خبر صحيفة (أخبار عام)

آخر خطاب وآخر نزهة لحضرته

صدمة الوفاة وآثارها

المبايعة وتعميم رئاسة الجماعة

السفر الأخير إلى مدينة لاهور

إعلان ١٥ مايس عام ١٩٠٨م

دعوته وجهاء لاهور ومحاضرته فيهم

آخر إلهام أنذر بقرب وفاة حضرته

حادثة وفاته عليه السلام

نقل الجثمان إلى قاديان

تعليقات الصحف

دخل عام ١٩٠٨م ومن حيث وضع الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة فقد كان في أحسن حال. حيث أنّ عدد المبايعين فيها بلغ أربعمائة ألف تقريبا. وهذه الحقيقة دفعت أعداء الجماعة والحسد يكوي أفئدتهم، دفعتهم إلى تقديم تقارير كاذبة بحقّ الإمام وجماعته في كلّ مكان من منطقة البنجاب خاصة. فلما تراكمت تلك التقارير في مكاتب الحكومة، دفعت الحكومة فيها إلى القيام بحملة تفتيش في قاديان. فأرسلوا وزير الاقتصاد ليقوم بدورة تفتيش شملت قرية قاديان. وفي وقت كانت هذه تُعدُّ قرية صغيرة لا يُعقل أن يقوم بالتفتيش فيها وزير اقتصاد. ووصل خبر هذا المخطَّط إلى علم ميرزا غلام أحمد. فأمر باستقبال وزير الاقتصاد بالمراسيم المناسبة. فأقاموا له خيمة استقبال في المكان المناسب. ووصل الوزير برفقة المحافظ إلى قاديان بتاريخ ٢١ آذار ١٩٠٨م. فاستقبلهم هناك كبار

جماعة المسيح الموعود. ودعوهما إلى طعام العشاء فوافقوا على ذلك شاكرين لكنّهما أبديا في الوقت نفسه رغبتهما بالاجتماع بحضرة الإمام أيضاً إذا كان ذلك لا يُزعجه. فأطلعوا الإمام على تلك الرغبة، فما كان من حضرته إلا أن قال: إنّ هؤلاء ضيوفنا، ولذلك فإني سآتي بنفسي للاجتماع بهم بعد صلاة العصر. وفي الواقع فإنّ ميرزا غلام أحمد توجّه إلى الخيمة التي كانوا فيها حوالي الساعة الخامسة برفقة بعض مرافقيه من علماء الجماعة. فالتقى حضرته بهم واستمرّ الحديث بينهم مدّة ثلاثة أرباع الساعة تقريبا. استفسر الوزير من حضرته عن عدّة أمور تتعلّق بجماعته. فأجاب عليها حضرته بالتفصيل. فلما قام حضرته يريد الانصراف، نهض الوزير والمحافظ لوداع حضرته شاكرين حفاوته بهم وتلبية كلّ طلباتهم. وكانت هناك أعداد كثيرة من الأحمديّين قد اجتمعوا خارج الخيمة متلهّفين لمصافحة إمامهم. الأمر الذي دفع حضرته للوقوف في موقع مناسب وصافح جميع أولئك واحدا واحدا. وكانت دوافع هؤلاء عاطفيّة في أغلبها إذ أنّهم كانوا مطّلعين على أنّ هذا العام سيكون العام الأخير الذي يتشرّفون برؤية إمامهم فيه ومصافحته.

وبتاريخ السابع من نيسان وصل سائحان أمريكيّان وبرفقة سيّدة للاجتماع بميرزا غلام أحمد في قاديان. فاجتمعوا بحضرته موضّحين أنّ المقصد من زيارتهم هذه هو أن يطّلعوا من حضرته شخصيّاً عن المباهلة التي جرت بينه وبين ألكسندر دوئي الذي تحقّق بحقّه كلّ ما كان حضرته قد أنبأ عنه. كما سألوه أسئلة أخرى أجاب حضرته عليها جميعها بإجابات شافية. وممّا صرّح به حضرته لهؤلاء قوله لهم: (إنّ مجيئكم أنتم إلى قاديان يُعدُّ في حدّ ذاته دليلا على صدق دعواي. فقبل خمسة وعشرين عاما حين كانت قريتي هذه غير مشهورة وكنت غير معروف من الناس، فإنّ اللّه تعالى بشّرني قائلا (يأتون من كلّ فجٍّ عميق). وبالرغم من أنّكم لم تطّلعوا على هذه النبوءة فها أنّكم جئتم إلى قاديان

من فجٍّ عميق وحقّقتم بذلك تلك النبوءة التي ذكرتها على مسامعكم. فمن كان يتصوّر حين تنبأت بهذه النبوءة أنّ أمريكييّن سيزورونني في قاديان التي لا يوجد فيها أيّ شيء مشوّقٍ في ذاك التاريخ؟ فإن أنتم أمعنتم نظركم فيما حدث فستعلمون بأنّ هذا الإنباء أعظم ممّا ورد كقصّة في أناجيلكم من أنّ المسيح قام بإحياء الأموات. فتلك القصّة قرأتم عنها ولم تشاهدوها. ولكنّ تحقّق هذه النبوءة قد شاهدتموها بأمّ أعينكم).. وقد أوردت هذا كلّه جريدة (بدر) في المجلّد السابع العدد ١٤ وتاريخ ١٩ نيسان ١٩٠٨م.

وفي تلك الأيام من عام ١٩٠٨م شكت زوجة ميرزا غلام أحمد من أمورٍ بحاجة إلى مشورة طبيبة نسائيّة. وقد أطلعت زوجها على حالتها تلك وتمنّت عليه أن يسافروا إلى مدينة لاهور للعلاج. فتهيّأ حضرته لتلبية رغبتها. وإذ به يتلقّى إلهاما باللّغة الفارسيّة مفاده (إنّ هذه الأيام ليست أيام تفريح). ونزولا عند إلهامه المذكور فقد أرجأ سفره إلى لاهور فترة وسافر برفقة زوجته بعد ذلك إلى لاهور بتاريخ ٢٧ نيسان. فوصلوا مدينة بتاله. وتبيّن لهم فيها عدم إمكانيّة حجز مقاعد للسفر منها إلى لاهور إلا في اليوم التالي. ففكّر حضرته أن يعود إلى قاديان لقضاء تلك اللّيلة. لكنّه أقلع عن إرادته تلك وفكّر في البقاء تلك اللّيلة في بتاله. واستطاعوا أخيرا حجز مقاعد للسفر إلى لاهور وسافروا إليها بتاريخ ٢٩ نيسان. ونزلوا ضيوفا هناك على خواجه كمال الدين الذي أصبح منزله مرجعا للأحمديين وغير الأحمديين من الزائرين. وعلم مشايخ لاهور بقدوم ميرزا غلام أحمد إليها وعلى حين كانوا يناصبونه العداء قبل قدومه. فقد ازدادوا معاداة وتحريضا للناس ضدّه بعد قدومه إلى لاهور. وكانوا يجتمعون خارج الدار التي أقام فيها يسبّونه ويشتمونه ويصخبون وإلى درجة أزعجت الأحمديين الذين أتوا للقاء إمامهم هناك. فجمعهم ميرزا غلام أحمد وأخذ يعظهم وينصحهم بالصبر على كلّ ما يسمعونه وأن يضبطوا أعصابهم، فلا يدعوا غضبهم يهيمن على

تصرّفاتهم. مذكّرا إياهم بقول محمد رسول اللّه الذي وعظ الغضبان أن يتمالك نفسه ليثبت قوّته. وعمل المبايعون على نصائح إمامهم وتمالكوا أنفسهم وواجهوا سوء خُلُق المشايخ بحُسن الخلق الذي يتحلّون به. وبعد أيام وبتاريخ التاسع من شهر مايس ١٩٠٨م تلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما باللّغة العربيّة وهو (الرحيل ثمّ الرحيل. إنّ اللّه يحملُ كلَّ حِمل). وفهم حضرته منه بأنّ اللّه عز وجلّ ينبئه عن قرب موته بالتأكيد عليه وأنّ ربّه عز وجلَّ قد تكفّل بكلّ ما يتعلّق به. ومع ذلك فإنّ ميرزا غلام أحمد لم يفقد توازنه بعد تلقّيه هذا الإلهام. بل ظلّ منهمكا فيما كان يفعله ومن غير إظهار أيّ اضطراب كان من جرّاء تلقّيه ذاك الإلهام. وكلّ ما فعله أنّه شاء أن يفسّر كلمة (الرحيل) بضرورة الانتقال إلى مكان جديد فطلب من مبايعيه نقل إقامته إلى دار الدكتور سيّد محمد حسين شاه وقد كان هذا من أخلص مبايعيه. حيث أصبح هناك يستقبل جموعا كثيرة من الأحمديّين القادمين إلى مدينة لاهور من جميع القرى المحيطة بمدينة لاهور والذين قدموا من أجل التشرّف بلقاء إمامهم وللسلام عليه. وقد صلّى حضرته بالمصلّين في البناء المسمّى (أحمديّه بلدنك) والذي كان مخصّصا في تلك الأيام لأداء صلاة الجمعة.

وخلال فترة إقامة ميرزا غلام أحمد في لاهور وصل إلى تلك المدينة عالم حياة بريطاني مشهور كان قد خدم في أوستراليا مدّة طويلة قبل أن يتقاعد منها. ومن قبيل الصُدف أنّه ألقى محاضرة قريبا من محطّة قطار لاهور. واستمع إلى محاضرته مفتي محمد صادق. الذي اجتمع بهذا المحاضر بعد فراغه من محاضرته، وذكر له اسم ميرزا غلام أحمد وما ادّعاه من ادّعاءات مدعومة بالدلائل والحجج والبراهين. الأمر الذي شوّق عالم الحياة المذكور للاجتماع مع حضرة الميرزا وبالفعل فقد أقدم هذا على زيارة حضرة الميرزا مرّتين برفقة زوجته. ووجّه إليه أهمّ ما واجهه في حياته من أسئلة لم يجد عليها أجوبة شافية. وقد أجاب حضرة الميرزا على جميع أسئلة العالم المذكور، وإلى درجة دفعت هذا إلى

شكر حضرته من أعماق قلبه. وممّا قاله في مواجهة حضرته: (لقد تلقّيت على أسئلتي أجوبة شافية سرّتني كثيرا وأدخلت إلى قلبي كامل الاطمئنان الذي لا يقدر على تحقيقه سوى أنبياء الله عز وجلّ). وقد نشرت صحيفة (بدر) بتاريخ ٢٦ مايس ١٩٠٨م ذاك اللقّاء وتلك الأسئلة. التي أرى من المناسب أن أطلعَ القارئ عليها في هذا المقام. والأسئلة المشار إليها كانت:

اولاً - متى بدأ هذا الكون في الظهور؟

ثانياً - ما هي حقيقة الإثم؟

ثالثاً - وما هو سبب وجود الإثم؟

رابعاً - هل هناك حياة بعد موت الإنسان؟

خامساً -وهل يستطيع الإنسان استحضار الأرواح؟

سادساً -ما هو مفهومك لذات الله وصفاته؟

سابعاً -وهل أنّ الله تعالى يحبّ؟

ثامناً - لماذا يأكل أقوى الحيوانات أضعفَها؟

تاسعاً - ومتى وُجد الإنسان على سطح الكرة الأرضيّة؟

عاشراً - ما هي نظرتك إلى نظريّة داروِن؟

إحدى عشر - هل أنّ للإجرام السماويّة من تأثيرات؟

إثنا عشر - ما هي الأرواح وكم أقسامها؟

ثلاثة عشر - ما هو رأيك بعقيدة الكفّارة؟ هذا وإنّ كلّ من طالع مؤلّفات ميرزا غلام أحمد عليه السلام يعثر على الإجابة على هذه الأسئلة. الأمر الذي يعني أنّ حضرة الميرزا لم يُفاجأ بهذه الأسئلة التي طرحها عليه عالم الحياة المذكور.

وبتاريخ ١٥ مايس ١٩٠٨م نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا بعنوان (**ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين**). وممّا أورده حضرته في الإعلان المذكور قوله: (لقد خطر لي اليوم بتاريخ ١٥ مايس ١٩٠٨م أن أعمد إلى طريق آخر قد يستفيد منه كلّ من يخشى اللّه تعالى، ويغادر سرداب تكفيره إياي. وهذا الطريق الجديد يتلخّص في أن يقوم الذي يكذّبني ويعتبرني كذّابا كافرا بجمع عشرة مشايخ وعشرة أشخاص وجهاء، وأن يأتيني بالنيابة عنهم بمريضين هما في حالة خطر. ولنميز أيّنا صادق وأيّنا كاذب. فنُلقي قُرعةً فيما بيننا ليختصّ كلّ طرف منّا بمريض. ويقوم كلّ فريق بالدعاء من اللّه تعالى لشفاء مريضه. فالمريض الذي يطول عمره عن المريض الآخر يثبت منه أنّ فريقه صادق. والمريض الذي يموت قبل الآخر يكون فريقه كاذبا. ومن باب أنّ اللّه تعالى بيده مقاليد كلّ شيء. وأقول منذ الآن ومتوكّلا على اللّه عز وجلّ أنّ المريض الذي يكون من حصّتي في الدعاء، فإنّ ربّي سيشفيه شفاء كاملا. أو يُطيل عمره على عمر المريض الآخر. ويكون في هذا الواقع دليل صدقي... وعلى شرط أن يتعهّد الفريق الآخر ومعه من وراءه من المشايخ والوجهاء، أن يتعهّدوا الإيمان بصدقي والدخول في جماعتي. وأن يُنشر هذا التعهّد في ثلاثة صحف يوميّة... والفائدة من هذا كلّه أنّ المريض الذي كان في حالة خطرة لا شفاء معه، فسيُعدُّ شفاء اللّه تعالى إيّاه آية تميّز الصادق من الكاذب).. والذي حدث بعد هذا الإعلان أنّ أحدا من الناس لم يتقدّم من حضرة الإمام لينازله وفق المعيار المذكور.

وكان من مشاهير الشخصيّات التي استلمَت في عهد الاستعمار البريطاني مناصب جليلة ولمُدةٍ طويلة المحامي ميان فضل حسين. وقد اشتُهرت شخصيّة هذا المحامي بالعفّة ومحبّته لخدمة جميع المواطنين. وخاصّة منهم إخوانه المسلمين، فقد سعى على الدوام على تحسين أوضاعهم على مختلف مستوياتها. وقد زار هذا

الرجل الجليل حضرته بتاريخ ١٥ مايس ١٩٠٨م وسأله عدّة أسئلة. أجاب عليها حضرة الميرزا إجابات شافيه.

ومن تلك الأسئلة التي وجّهها المحامي فضل الدين إلى ميرزا غلام أحمد وعلى سبيل المثال: (إذا قلنا بكفر جميع المسلمين فهل يبق شيء من الإسلام؟). فأجاب حضرته على هذا السؤال المنشور في صحيفة (بدر) بتاريخ ٢٤ مايس عام ١٩٠٨م: (إننا لا ننظر إلى كلّ من يشهد بأنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله غير مسلم، ما لم يقم هذا الذي ينطق بهذه الكلمة بتكفيرنا، وليبوء هو نفسه بالكفر بفعله المذكور. وقد لا تكون تعلم أنّي بعد أن اشهرت دعواي فإنّ الشيخ محمد حسين البطالوي ساكن بتاله قد بذل كلّ جهده لإصدار فتوى تضمّنت بأنّ هذا الشخص كافر دجّال وضال. ولا يجوز الصلاة على جنازته. وإنّ كلّ من يُلقي عليه السلام أو يصافحه أو ينظر إليه على أنّه مسلم، هو كافرٌ أيضاً. ومن المعلوم أيّها السيّد أنّ من المتفق عليه بين علماء أمّتنا بأنّ كلّ من يتّهم أيّ مؤمن بالكفر يبوء بالكفر. وعليه فكيف لنا أن نُكذّب هذه الحقيقة التي تضمّنتها فتوى محمد صلّى الله عليه وسلّم؟ فأخبرنا أنت بحقّ السماء عن السبيل الذي ينبغي علينا والحال هذه أن نختاره. فنحن لم نُبادر أحدا بإصدار فتوى الكفر ضدّه. والآن فقد عاد كُفر هؤلاء هو من صُنع أيديهم ونتيجة لمبادرتهم بتكفيرنا. وحين شاء أحدهم مباهلتنا، فقلنا له بأنّها لا تجوز المباهلة ما بين مسلمين. فأجاب:إننا نعتقد بأنّك كافر حقيقيّ).. وهنا ردّ المحامي السائل على حضرته وقال: (إذا قاموا بتكفيركم، فأيُّ حرج يمنعكم من السكوت على ذلك؟). فأجاب حضرته قائلا: (إننا لا نُكفّر من لا يكفّرنا. لكننا إذا سكتنا عن الذي يكفّرنا ولم نعتبره كافرا. فإننا نكون قد كذّبنا هذا الحديث الشريف المتفق عليه. وهذا أمر خارج استطاعتنا). فقال المحامي الضيف: (وأيُّ حرجٍ في الصلاة مع الذي لا يكفّركم؟ فأجاب حضرته قائلا: (لا يُلدغُ المؤمن من جُحرٍ مرّتين. فنحن جرّبنا هؤلاء ولاحظنا في تصرّفاتهم النفاق. وقد وصف القرآن الكريم حال هؤلاء قائلا: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ وعليه فإن أعلن

هؤلاء على الناس بأنّهم يعتقدون بأنّ الأحديين مؤمنين. وأنّ من يكفّرهم فهو كافر، فـإنّي سآمر أفراد جماعتي فورا أن يقوموا بأداء فريضة الصلاة معهم. فنحن أبناء الحقّ والحقيقـة. ولا يستطيع أحدٌ إكراهنا لنعملَ خارج أوامر الشريعة الإسلامية فـالقرآن الكـريم يقـول ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ وإنّنا نعتقد بأنّ هذه الأقسام مـن المؤمنين هم من المسلمين..). وفي مساء اليوم التالي أي في ١٦ مايس ١٩٠٨م تلقّى ميرزا غلام أحمد إلهاما باللّغة الفارسيّة معناه (لا تحرص على عمرٍ غير دائم). فلمّا تلقّى حضرته هذا الهام أيقن بأنّ وفاته باتت على الأبواب. ومع ذلك فقد ظلّ حضرته يؤدّي مهمّته الموكلة إليه بكلّ اطمئنان، وبدون أن تبدو عليه أيّة علامة اضطراب.

وطلب ميرزا غلام أحمد من علماء جماعته بعد تيقّنه بدنو أجله، دعوة أشهر وجهاء مدينة لاهور لتناول الطعام على مائدته في اليوم التالي أي بتاريخ ١٧ مايس. وقد أراد بهذا أن يخطو الخطوة التبشيريّة الأخيرة في تلك المدينة كعربون وداع ولإلقاء الحجّة عليهم. فاجتمع المدعوون حيث كان يقيم حضرته أي في دار سيد محمد حسين شاه. وفي المساء، وتحت إصرار المدعوّين قام ميرزا غلام أحمد يُلقي فيهم خطابا فابتدأه بتفنيد ما يورده أعداؤه عليه من اعتراضات باطلة. فقدّم لهم لدحض تلك الاعتراضات الأجوبة الشافية. وانتقل من ذلك فألقى على مخالفيه الحجّة القاطعة بأسلوب علميٍ وأدلّة وبراهين ساطعة. فلمّا دقّت الساعة الحادية عشرة، توقّف حضرته عن الخطابة وقال: ما رأيكم أن أتوقّف عن إتمام خطابي لتتفرّغوا لتناول طعام العشاء؟ فصاح جميع المدعوّين بصوت واحد: هذا طعام نتناوله كلّ حين. لكنّ تناولنا هذا الغذاء الروحاني لا يحدث متى نشاء لذلك نرجوك أن تستمرّ بخطابك. فاستمرّ ميرزا غلام أحمد في إلقاء خطابه، وقد أنهاه في الساعة الواحدة بعد منتصف اللّيل. وقد نشرت جريدة (بدر) هذا الخطاب بتمامه بتاريخ ٢٥ حزيران عام ١٩٠٨م. وبعد أن فرغ حضرته من خطابه أمر

المدعوّين عنده أن يتناولوا طعام العشاء في ساحة دار خواجه كمال الدين الذي كان لا يبعد عن الدار التي ألقى في المدعوّين خطابه إلا بضعة أمتار.

وحدث أنّ ميرزا غلام أحمد عندما ألقى خطابه الذي أشرنا إليه. نفى خلاله أن يكون قد ادّعى النبوّة وعلى حسب ما يزعم أعداؤه. فنقل المدعوّون هذا النفي إلى جميع معارفهم. الأمر الذي دفع أصحاب صحيفة (أخبار عام) أن ينشر صاحبها هذا الخبر الذي لم يكن موفيا موضوع ادّعاء النبوّة حقّه كاملا وذلك بتاريخ ٢٣ مايس. لذلك بعث ميرزا غلام أحمد إلى صاحب جريدة (أخبار عام) يصحّح له ذاك الخبر قال فيه: (لقد نشرت جريدتكم بتاريخ ٢٣ مايس وفي العمود الأول السطر الثاني خبرا ينسب إليّ أني كذّبت ادّعائي النبوّة. وللتّوضيح فأنا قلت في تقريري المشار إليه بأنّي دأبت في مؤلّفاتي على تكذيب اتّهام أعدائي إيّاي بأني ادّعيت نبوّة مستقلّة لم أعد معها بحاجة لأتّبع القرآن الكريم وأنني أتيت بقِبلةٍ جديدةٍ وكلمة جديدة. وهذه هي أمور تُخرجني من الإسلام. وزعموا بأني قمت بنسخ الشريعة الإسلاميّة. وأني أمرت بعدم العمل على أسوة محمد. فأنا نفيت في خطابي بين المدعوّين تلك المزاعم كلّها. وإنّي أصرّح عن طريق بياني هذا بأنّ كلّ من يدّعي هذا النوع من النبوّة فهو كافر في نظري واعتقادي. ولا أقول هذا اليوم فقط، بل دأبت على إعلان اعتقادي هذا في جميع مؤلّفاتي. وإنّها تُهمةٌ يتّهموني بها كذبا وافتراء. فإن قلت أحيانا بأني نبيّ فبمعنى أنيّ متشرّف بكلام الله عز وجلّ وحسب. فالله تعالى يكلّمني بكثرة ويجيب على تساؤلاتي. ويُظهر عليّ أمور غيب بكثرة واضحة. ويكشف عليّ أسرار أزمنة قادمة. ولا تُنال هذه الأفضال الإلهيّة إلاّ إذا اختصّ الله هذا الإنسان بقربه تعالى. وإلا فلا يكشف الله سبحانه وتعالى أسرارا على غير المقرّبين منه. وقد سُمّيت نبيّا بدافع الأمور التي ذكرتها. وعليه فأنا نبيٌّ بأمره تعالى وأكون عاصيا إيّاه سبحانه وتعالى إن أنا كذّبت ذلك. وأنّى لي أن أكذّب هذا الأمر، فأنا ثابتٌ عليه ما دمت أنبض

بالحياة. أمّا أن أكون نبيّا بالمعاني التي اتّهمني بها أعدائي فلم أدّعي النبوّة. فأنا لم أتبرّأ من الإسلام. ولا أنا نسخت أيّ حكم من أحكام شريعته. وإنّي مُعتقدٌ بكلّ ما جاء به القرآن الشريف ومن المستحيل أن يصحّ نسخُ نقطة واحدة من هذا القرآن الشريف... واستنادا إلى ذلك كلّه قد سمّاني اللّه عز وجلّ نبيا. وبمعنى كثرة تلقّي مكالماته، وكثرة إطلاعه إيّاي على علوم غيبه...).. وليراجع القارئ هذا في المجلّد التاسع من كتاب تبليغ الرسالة وعلى الصفحة ١٣٢.

وقد اقترح المقرّبون من ميرزا غلام أحمد عليه أن يُلقي محاضرة في مكان عام يجتمع فيه عوام الناس وذلك بعد أن ألقى محاضرته المذكورة بين المدعوّين من وجهاء المدينة. فوافق حضرته على اقتراحهم هذا. وشرع بكتابة تلك المحاضرة التي جعل عنوانها (دعوةُ صُلح). وبقصد أن يقدم على فتح باب الصّلح ما بين الهنود وما بين المسلمين. وفتح باب الصلح ما بين أصحاب المذاهب الإسلاميّة أيضاً. وطرح حضرته عدّة اقتراحات لتحقيق هذا الصلح. لكنّ حضرته قد وافته المنيّة قبل قيامه بإلقاء هذه المحاضرة المكتوبة.

ومن المناسب هنا أن أُطلعَ القارئ بأنّه خلال كتابة ميرزا غلام أحمد خطابه الموما إليه. وبتاريخ ٢٠ مايس ١٩٠٨م بالذات تلقّى حضرته إلهاما يقول: (**الرحيل ثمّ الرحيل والموت قريب**). وهذا الإلهام منشور في صحيفة (بدر) في المجلّد السابع صفحة ٢٢. ولم يعمد ميرزا غلام أحمد إلى تأويل هذا الإلهام لصراحة ألفاظه الدالّة على قُرب وفاته. وإنّ تواتر هذه الإلهامات قد دفعت زوجة ميرزا غلام أحمد لتقترح على زوجها العودة إلى قاديان. فأجابها حضرته قائلا: (**إنّنا سنعود حين يتوفّانا اللّه عز وجلّ**). - سلسلة أحمديّة صفحة ١٨٢ – وكان ميرزا غلام أحمد حين تلقّيه الإلهام المذكور منصرفا في كتابة محاضرته (دعوة صلح). فازداد سُرعةً في كتابتها. وأكمل كتابتها مساء يوم ٢٥ مايس ١٩٠٨م، وأرسلها فورا

إلى كاتب لكتابتها بخطٍّ واضح وسليم من أجل طباعتها. ولم يضيف حضرته على ذاك الخطاب شيئًا فيما بعد.

وبعد عصر يوم ٢٥ مايس ١٩٠٨م ألقى ميرزا غلام أحمد خطابا مختصرا حول وفاة المسيح عليه السلام. وكان هذا الخطاب آخر خطاب لحضرته. ومن ثمّ خرج خارج الدار التي كان يقيم فيها ليتنزّه على حسب عادته عليه السلام. وأحضروا له عربة يجرّها حصانان بالأجرة. وهناك تقدّم شابّان من أخلص مبايعي ميرزا غلام أحمد وهما بابو غلام محمّد فورمين لاهوري. وميان عبد العزيز مغل إلى سائق العربة وطلبا منه أن يفكّ رباط أحصنة مركبته، ليقوما بنفسيهما بمهمّة جرّ تلك العربة، وفق أعرق تقاليد تلك المنطقة التي كان إذا حضر عندهم زعيم معروف فهكذا يفعلون معه لإظهار حفاوتهم به. فلمّا خرج حضرته من باب الدار سألهم: وأين أحصنة العربة؟ فتقدّم منه الشابان المذكوران قائلين: نحن سنجرّ عربتك نزولا عند تقاليد منطقتنا فقال على الفور: لم يبعثني ربّي لأحوّل الإنسان إلى حيوان. بل بعثني لأحوّل الحيوان إلى إنسان. فكان لهذا الموقف الذي وقفه حضرته في تلك المناسبة تأثيره الإيمانيّ الفعّال في قلوب مبايعيه وكانا يتحدّثان بتلك الواقعة بين إخوانهم من المبايعين في كلّ مكان. وهكذا أعاد السائق الحصانين إلى العربة ليجرّانها. وقد جلس بجانب سائقها ميان شادي خان. كما جلس حضرته في المقعد الخلفيّ وبجانبه وقف بهائي عبد الرحمان قادياني هذا الصحابيّ الجليل الذي كان من الآريين وآمن بميرزا غلام أحمد وأمسى من أخلص مبايعيه. فوقف هذا بجانب ميرزا غلام أحمد كحارسٍ لحضرته. علما بأنّي كاتب هذه السيرة التقيت به مرارا في قاديان واستمعت منه إلى عجائب ما ظهر على أيدي ميرزا غلام أحمد في تلك الأيام. فالتفت حضرته إلى بهائي عبد الرحمان قائلا: قل للسائق بأنّنا نريد أن نتنزّه لمدّة ساعة فقط ونعود إلى هنا. وأنّ عليه ألاّ يذهب بنا بعيدا أكثر من ذلك. وهكذا كان. ولم يكن حضرته خلال

تلك النزهة مريضا أبدا. وكلّ ما كان يُعانيه هو ضعفٌ تسبّب به كتابته لموضوع الخطاب الذي سبق لنا أن ذكرناه. وبعد عودة حضرته فقد أدّى حضرته فريضتي صلاتي المغرب والعشاء. ومن ثمّ تناول شيئا قليلا من الطعام. واضطجع ليأخذ شيئا من الراحة.

وبعد أن وصلت بالقارئ إلى هذه اللّحظات. أتوجّه لإطلاعه على آخر حادثة حدثت لميرزا غلام أحمد في حياته، وهي حادثة وفاته عليه السلام. منقولة تفصيلاتها من كتاب (سلسله أحمديّه) تأليف ميرزا بشير أحمد رحمه اللّه تعالى وعن شاهد عينيّ شاهد تلك الحادثة بأمّ عينيه فهو قال: (كانت الساعة الحادية عشرة، عندما أحسّ ميرزا غلام أحمد بالغائط يدفعه إلى حيث يقضيه فدخل بيت الخلاء وأُصيب بإسهال كان قد لازمه أكثر أيام حياته. فلمّا عاد من بيت الخلاء أيقظ زوجته وأخبرها بالإسهال الذي أُصيب به. وأنّه بات يشعر بضعف شديد. فنهضت على الفور وجلست بجانبه. وأخذت تُدلّك له رجلاه وهو مستلقٍ على سريره. ومن ثمّ اضطرّ إلى الذهاب ثانية إلى بيت الخلاء بسبب الإسهال. فلما عاد من هناك ثانيةً كان حضرته في ذروة ضعفه، وإلى درجة ألقى بنفسه على السرير. فاضطربت زوجته ممّا أصاب حضرة زوجها ميرزا غلام أحمد وهي تقول: آه يا ربّاه ماذا يحدث؟ فأجابها حضرته: إنّه يحدث الذي طالما أخبرتكم عنه. بمعنى أنّ أجله قد حان. وأضاف: ابعثوا وراء الحكيم نور الدين بهيروي الذي كان طبيبا ومن أخلص مبايعيه. كذلك أمر وقال: أيقظوا ابني ميرزا محمود أحمد ومير ناصر نوّاب الذي كان والد زوجة حضرته. فنادوهم جميعهم واجتمعوا من حول ميرزا غلام أحمد. وبعثوا أيضاً وراء الدكتور سيّد محمد حسين شاه صاحب الدار التي كان حضرته مقيما فيها. ووراء الدكتور ميرزا يعقوب بيك. فحاولوا جميعهم معالجة حضرته. لكنّ ضعف جسمه كان يزداد على الدوام. وأخذ نبضه يضعف أيضاً وإلى درجة ما عاد يشعر به أحد من الحاضرين. وجفّ

لُعاب فم حضرته إلى درجة ما عاد يستطيع معها التلفّظ بأيّة كلمة. وكلّ ما سمعه الحاضرون من كلمات أخيرة تخرج من فم حضرته وبصوت خافت سمعه الحاضرون: (يا ألله يا حبيبي الله). وأطبق بعدها ميرزا غلام أحمد عن الكلام وظلّ لا يتكلّم إلى أن أذّن المؤذّن وحان وقت صلاة الصبح. فتحرّك ميرزا غلام أحمد وسألهم: وهل حان وقت الصلاة؟ فأجابوه بنعم. فما كان من ميرزا غلام أحمد إلا وضرب بيديه على الفراش متيمّما ونوى أداء فريضة صلاة الصبح. لكنّه أُصيب بالإغماء. فلمّا عاد إليه إحساسه، سألَ الحاضرين من جديد: هل حان وقت الصلاة؟ فأجابوه بالإيجاب فنوى الصلاة ثانية وأدّى صلاة الصبح وهو مستلقيا على ظهره. ومن ثمّ أصيب بشبه إغماء. فلما عاد منه إلى إحساسه راحت شفتاه تردّد من جديد (يا ألله يا حبيبي الله). وبدأ بعد ذلك يزداد ضعفا، إلى أن حانت الساعة العاشرة فأخذ يُنازع، وتيقّن الحاضرون بأنها حانت ساعة وفاته وفقدوا الأمل بنجاته. وإذ بزوجته تصلي وتدعو ولكن بصبر وثبات ظاهرين. وكلّ ما كان يُسمعُ من دعائها مناجاتها ربّها أن يا ربّاه إنّه قضى حياته في خدمة دينك الحنيف، فهبه ممّا كتبته لي من حياة. فلما تفاقمت حالة نزع زوجها، أخذت تبكي وتقول وهي ساجدة على أعتاب ربّها: يا إلهي إنّه يفارقنا الآن. فلا تدعنا أنت لوحدنا. وفي الساعة العاشرة والنصف لوحظ بأنّ حضرته تنفس بنفسين طويلين. ومن ثم فقد فارقت روحه جسده الترابيّ. والتحق بسيّده الأبديّ. فإنا للّه وإنا إليه راجعون. وكلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام. فهذا ما حدث لميرزا غلام أحمد خلال لحظات عمره الأخيرة والتي شهد بحدوثها شهود كثيرون صادقون فيما يشهدون به على الدوام. وعلى هذه الصورة فقد تحقّقت نبوءة الإلهام الذي تلقّاه ميرزا غلام أحمد في صباه وهو (ثمانين حولا أو قريبا من ذلك أو تزيد عليه سنينا) وهو الإلهام الذي فهم منه حضرته يومئذ بأنّ اللّه تعالى بشّره فيه بما يتعلّق بحياته في دنياه. وفي الحقيقة فقد

عاش ميرزا غلام أحمد ٧٤ سنة بالحساب الشمسيّ وعاش ٧٦ سنة بالحساب الهجريّ. فمن هذه الحقيقة نُدرك بأنّ ميرزا غلام أحمد كان على بصيرة من ربّه طيلة حياته. وهو عندما كان يتحدّى لمباهلة أحدٍ من أعدائه. فقد كان يتحدّاه وهو على يقين في تحدّيه إياه. وهل يخشى هذا المجدّد الأعظم أعداءه وهو الذي ظلّ طيلة حياته يتلقّى من جانب ربّه بشارة تلو بشارة، وعِلْما لَدُنّيا إثر علم لدنّي. وكانت تتفتّح عليه معارف القرآن الكريم بكثرة ظاهرة لم يتلقّاها مجدّد من قبله عليه السلام؟

وبعد أن انتقل ميرزا غلام أحمد عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، أخذ خبر وفاته ينتشر في كلّ مكان انتشار النار في الهشيم. وكان لوفاته وقعٌ على أفراد عائلته وعلى أفراد جماعته يختلف تماما عن وقعه على أعدائه من مشايخ الهند. فعلى صعيد أفراد عائلته عليه السلام فقد كان الدعاء لحضرته وذكر اللّه تعالى على لسان كلّ واحد منهم. وكانوا يتحلّون بالصبر على فراقه. وكانوا يقومون بما كان عليهم من واجب تجاه هذا الذي طالما كانوا ينعمون بنصائحه وبمعارف دينهم التي كانت تصحّح لهم كلّ متوارث عن آبائهم وأجدادهم. ووصل خبر وفاته إلى جميع أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة في لاهور وما جاورها. فأخذوا يتوافدون على البناء المخصّص للصلاة وهو (لاهور بلدنك) الذي سبق لنا أن أتينا على ذكره وهم لا يصدّقون ما سمعوه. بسبب أنّ أغلبهم كان قد استمع لخطبته الأخيرة حول وفاة المسيح الناصري عليه السلام قبل يوم أي بتاريخ ٢٥ مايس حيث كان حضرته بصحّة جيّدة. فلما وصلوا وتيقّنوا من وفاة خاتم خلفاء الأمة الإسلامية الذي اهتدوا على يديه، أخذت دموع أعينهم تذرف على وجنات كلّ واحد منهم وذكر اللّه تعالى لا يفارق أفواههم. ويسألون أهله في الوقت نفسه عمّا هو مطلوبٌ منهم أن يقدّموه من خدمات واجبة عليهم في تلك الدقائق الحساسة من حياتهم. فهذا هو حال أثر صدمة وفاة ميرزا غلام أحمد على أفراد

عائلته وعلى أفراد جماعته. فلم يكن هناك من نواحٍ بصوت عالٍ كما يفعل عامّة المسلمين. ولا كانت هناك ضوضاء ولا فوضى في تصرّفات كلّ واحد منهم. بل كان جميع أولئك يتصرّفون بنظام وهدوء وصبرٍ تامّين على ما واجهوه من مُصاب. وأما على صعيد مشايخ المسلمين المقلّدين والمكفّرين فقد تجمّعوا وأتباعهم في ساحة الكلّية الإسلاميّة في لاهور وأخذوا يحتفلون بوفاة حضرته بكيل السباب والشتائم واللّعن والطعن به عليه السلام. وعلى شاكلة ما كان يفعله في تاريخ البشريّة أعداء رسل اللّه وأنبيائه وأوليائه ومجدّديه. ولا يعني هذا أنّ مدينة لاهور خلت من الشرفاء. بل إنّ شرفاء القوم من مسلميّ لاهور توافدوا هم أيضاً على مركز الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة للعزاء ولتقديم كلّ ما أمكنهم من خدمات.

نعود إلى حال ميرزا غلام أحمد بعد وفاته. فقد كنت ذكرت بأنّ زوجة حضرته عليه السلام عندما سمعت من زوجها الإلهام الذي تلقّاه والذي صرّح بقرب وفاته. ارتأت عليه الرجوع إلى قاديان بلا تأخير. وقد أجاب حضرته عليها وقتئذٍ قائلا (إنّنا سنعود حين يتوفّانا اللّه عز وجلّ) وقد تحقّق قوله المذكور حرفا بحرف، وكأنّه كان قد قرأ ما قدّره ربّه عليه من مصير. ولذلك فقد أخذ أفراد عائلته عليه السلام يستعدّون لتحقيق ذلك. فقاموا ما بين الساعة الثانية ومابين الساعة الثالثة بتغسيل جثّة حضرته وتكفينه. وقام الحكيم نور الدين بهيروي بصلاة الجنازة عليه في صحن دار الدكتور محمد حسين شاه. وبدؤوا بالتفكير بالخطوات التي ينبغي عليهم اتّخاذها لنقل جثمان حضرته عليه السلام إلى قاديان التي كان ربّه عز وجلّ قد بشّره بأنّ مقبرة (أهل الجنّة) قد أعدّها ربّه عز وجلّ من أجله ودفعه لشراء قطعة أرض لجعلها مخصّصة ليدفن فيها جميع من يشترك بعُشر دخله من أجل تحقيق مشروعها. وهنا بدأ أعوان الشيطان من المشايخ بالسعي إلى عرقلة نقل جثمان ميرزا غلام أحمد إلى قريته قاديان. وبغرض إثبات بُطلان كلّ ما كان قد أنبأ عنه بشأن مقبرة أهل الجنّة المذكورة. فماذا فعله

أولئك المشايخ الأعداء في تلك اللحظات الحرجة الإنسانيّة التي يتناسى الشرفاء فيها جميع عداواتهم؟ فالذي فعله أولئك المشايخ الذين كانوا لا يقيمون للإنسانية معنى، والذين راحوا يثبتون بأفعالهم بُعدهم عن معرفة التعاليم الإسلاميّة الحقيقيّة. فقد أسرعوا إلى مدير محطّة القطار في لاهور، وعلى أساس أنّ القطار كان هو الوسيلة الوحيدة في ذاك التاريخ لنقل جثمان حضرته عليه السلام إلى قريته قاديان. فقد أسرع قادة المشايخ إلى مدير المحطّة يزعمون أمامه بأنّ ميرزا غلام أحمد قد أصيب بمرض الهيضة وهو المرض المعروف في زماننا بمرض (الكوليرا)، والذي هو مرضٌ مُعدٍ طبّيا. وحذّروا مدير المحطّة من قبول نقل جثّة حضرته بواسطة القطار الذي يُفترض فيه كمدير لمحطّة القطار المحافظة على نظافة القطار كيلا تتسبّب تلك الجثّة بنقل عدوى الهيضة إلى سواه. وبألفاظ أخرى فقد ارتكب أولئك المشايخ الأعداء الذنوب التالية:

أولاً – فقد ارتكبوا ذنب الكذب والافتراء بأنّ ميرزا غلام أحمد مات بمرض الهيضة وخلافا للحقيقة التي أتيت على بيانها من قبل.

ثانياً – وارتكبوا ذنبا ثانيا وهو سعيهم لإشاعة تلك الكذبة بين الناس من أجل أن يشمت الناس من أتباعهم بموت حضرته.

ثالثاً –وارتكبوا ذنبا ثالثاً وهو محاولتهم إثبات كذب ما كان قد تلقّاه ميرزا غلام أحمد من إلهامات بشأن قرب أجله ودفنه في مقبرة أهل الجنّة. وقد وصلوا في ذنبهم هذا حدّ ارتكاب الإثم ومعاداة اللّه عز وجلّ الذي كان أوحى بتلك الإيحاءات المتوالية إلى هذا المجدّد الذي بعثه ربّه لإحياء الإسلام والتي ثبُت من خلالها للمراقبين بأنّ ميرزا غلام أحمد كان على صلةٍ بربّه الذي بعثه مجدّدا أعظم على رأس القرن الرابع عشر الميلادي. ووفقا لنبوءات محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم. فقد ارتكب أولئك المشايخ تلك الذنوب والآثام إلى جانب أنّ أكاذيبهم تلك قد شاعت في بلادٍ غير بلادهم ونفّرت قلوب الناس من شخصيّة

هذا المجدّد الأعظم الذي انتظر المسلمون العارفون بعثته أربعة عشر قرن من الزمان. وأضرب للقارئ مثالا من بلدنا يثبت مصداقيّة ما ذكرته. فعلى سبيل المثال، أبيّن للقارئ آثار تلك الإشاعات الكاذبة التي بثّها أولئك المشايخ الذين باعوا نعمة الآخرة بدنيا فانية. ففي بلدنا شيخ عالم معروف يطلّ على المشاهدين من شاشة التلفاز كلّ يوم أربعاء ليعظ الناس على قدر علمه ومعرفته. فهذا العالم الجليل كان متأثرا بما أشاعه مشايخ الهند حول شخصيّة ميرزا غلام أحمد وبدليل أنّه أورد في مؤلّفه المشهور (كبرى اليقينيات الكونيّة) أكذوبةً وهي أنّ حضرة الميرزا قد أصيب في آخر أيامه بمرض الهيضة. وكان مرجعه في تلك الأكذوبة ما نقله عن الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة الذي نقل عن الإمام الكشميري في مقدّمة كتاب (الإسلام في حياة عيسى عليه السلام) ومن دون تحقيق فيما نقله ولا مراجعة لما جرى على أرض الواقع بأسلوب موضوعيّ. فماذا أورد عالم بلادنا المشار إليه على الصفحة ٣٣٢ من مؤلّفه (كبرى اليقينيّات الكونيّة)؟ فممّا أورده هناك قوله بحقّ خاتك المجددين ميرزا غلام أحمد عليه السلام: (**ولم يزل على حاله تلك، يدّعي النبوّة ويكذب على الله وأنبيائه، ويضع نفسه للناس موضع المسيح عيسى ابن مريم إلى أن رماه قضاء الله تعالى بالهيضة [داء الكوليرا] ومات في بيت الخلاء ساقطا على وجهه في أتعس حالة وأقبح منظر، وكانت موتتهُ هذه عبرةً لأولي الأبصار. ذلك هو غلام أحمد القادياني الذي ولد عام ١٢٥٢ ومات عام ١٣٢٦.**).. فأين هذا الكلام من حقيقة ما كان قد جرى لحضرته وعلى حسب ما بيّنت مصداقيّته بالدليل العلمي؟ وأصحّح لهذا العالم وأقول: إنّ ميرزا غلام أحمد وُلد بتاريخ ١٤ شوّال عام ١٢٥٠ هجري.

وأعود إلى ما فعله مشايخ الهند وإلى ما أشاعوه من أكاذيب بعد وفاة حضرة الميرزا عليه السلام. فهم أشاعوا كذبا بأنّ حضرته مات بمرض الهيضة من جهة. وحذّروا من جهة ثانية مدير محطة القطار في لاهور من نقل جثمان حضرته كيلا

يخالف القانون وتنتقل عدوى هذا المرض إلى سواه من ركّاب القطار. فوصل خبر ما أقدم عليه المشايخ إلى عائلة حضرته وإلى كبار مبايعيه. فما كان منهم إلا أن بعثوا مندوبا عنهم وهو الأستاذ الفاضل شيخ رحمة الله عند عميد كلّية الطبّ في لاهور الدكتور ميجر سدر ليند، والذي كان يُشرف على صحّة ميرزا غلام أحمد كلما حضر إلى مدينة لاهور وبطلب من عائلة حضرته عليه السلام. فأطلعه شيخ رحمة الله على ما فعله المشايخ. وطلبوا منه فحص جثّة الفقيد وتقديم تقرير طبّي يشرح سبب وفاته عليه السلام. ففحص الدكتور المذكور جثّة حضرته وكتب تقريرا وضّح فيه بأنّ سبب الوفاة ضعفٌ وانهيار في أعصابه وتأثرا بمرض الإسهال الذي كان ميرزا غلام أحمد يشكو منه طوال حياته. وأنه لم يمت بمرض الهيضة كما أشاع أعداؤه. ونقلوا بعد ذلك جثمان حضرته إلى محطّة القطار لنقله فيه إلى قريته قاديان. فطالبهم هناك مدير المحطّة بتقرير ينفي إصابة حضرته بمرض الهيضة بناء على ما أخبره به المشايخ من خبر ذلك. فقدّموا لمدير المحطّة تقرير عميد كلّية الطبّ الدكتور ميجر سدر ليند الذي كان معروفا ومشهورا هناك في لاهور كلّها. وحينئذ أظهر مدير المحطّة تعجّبه من كذب المشايخ الذين أوهموه بما كذبوا عليه. وسمح بنقل جنازة ميرزا غلام أحمد عليه السلام على القطار، وحجزوا في القطار غرفة هي الدرجة الثانية لنقل جثمان حضرته فيها ومن معه من مرافقي جثّته عليه السلام. وخلال مدّة بقاء القطار في محطة لاهور. فوجئ الناس في المحطّة بمظاهرة قام بها المشايخ الذين أتوا بسرير وضعوا عليه رجلا لطّخوا وجهه بالسواد ورفعوه وكانوا يصرخون بصيحات استهزاء هي ويلاه على الميرزا ويلاه على الميرزا. فضجّت المحطّة بصخبهم. ولم يبد من جانب أفراد عائلة ميرزا غلام أحمد وأتباعه إلا التمسّك بأهداب الصبر على ما كان يفعله أولئك المشايخ ومن وراءهم من أتباع بعيدين عن التهذيب وعن التخلّق بأخلاق محمد سيّد المرسلين عليه صلاة الله تعالى وسلامه

وهو الذي ضرب للنّاس بأسوته الحسنة أحسن مثال في الخلق الحسن والتهذيب الإنسانيّ.

وتحرّك القطار من محطّة لاهور في الساعة السادسة إلا ربع. ووصل محطة مدينة بتاله في الساعة العاشرة ليلا. وظلّ أفراد جماعة حضرته عليه السلام يحرسون جثمانه الذي كان موضوعا في صندوق طويل. فلمّا دقّت الساعة الثانية من بعد منتصف اللّيل، أخرجوا جثّة حضرته عليه السلام ووضعوها على سرير ورفعوه على أكتافهم. وساروا وهم يحملونه على أكتافهم من محطة بتاله إلى أن وصلوا قاديان في الساعة الثامنة صباحا. أي أنّهم قطعوا مسافة ١٤ كيلو متر وهم يحملون نعش إمامهم ويهلّلون ويكبّرون ويصلّون على النبي محمّد طوال تلك المسافة. ودموعهم تجري على مآقيهم، وهم يتمنّون أن يطول الطريق وهم على تلك الحال من أجل أن يكسبوا أكبر قدر من ثواب فراق إمامهم الذي اهتدوا على يديه، وأصلحوا ما توارثوه من أفكار ومعتقدات.

فلما وصلوا بجثمان ميرزا غلام أحمد إلى قاديان. توجّهوا فورا إلى الحديقة المحيطة بمقبرة أهل الجنّة هناك. وإذ بوفود من أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة أخذوا يصلون إلى قاديان من جميع مدن وقرى منطقة بنجاب تباعا لإلقاء النظرة الأخيرة على إمامهم الراحل عليه السلام. وبعد أن اجتمع ما يقارب ١٢٠٠ فرد من أولئك المبايعين. وكان يوم ٢٧ مايس ١٩٠٨م. فقد تنادى هؤلاء ومن كان في قاديان وانتخبوا بالإجماع الحكيم نور الدين بهيروي خليفة أوّل للمسيح الموعود عليه السلام. فبايعوه على نفس الشروط العشرة التي كانوا قد بايعوا عليها إمامهم من قبل وتحقّق من خلال كلّ ما جرى ذاك الإلهام الذي كان ميرزا غلام أحمد قد تلقاه من قبل في شهر كانون أول من عام ١٩٠٧م والذي نشرته صحيفة بدر آنذاك في المجلد ٥١ وبتاريخ ٢٤ كانون أول عام ١٩٠٧م ونصّه في اللّغة الأرديّة (ستائيس كو إيك واقعة همارى متعلّق). وترجمته إلى اللّغة العربيّة: (ستحدث

حادثة يوم ٢٧ بشأننا). وها أنّ يوم ٢٧ مايس ١٩٠٨م قد حقّق تلك الحادثة التي أشار إليها الإلهام المذكور صراحة.

وبعد أن بايع كلّ من حضر جنازة ميرزا غلام أحمد في قاديان الخليفة الأول، كتبوا بالإجماع كتابا إلى جميع الجماعات الإسلاميّة الأحمديّة المنتشرة في كل مكان من شبه القارة الهنديّة. وممّا أوردوه في الكتاب المذكور: (**إننا نحن الموقعين ووفقا لما ورد في كتاب الوصيّة للمسيح الموعود عليه السلام فقد اتّفقنا من صميم أفئدتنا على بيعة أوّل المهاجرين الحكيم الحاج نور الدين الذي هو أعلم واحد فينا وأتقى مؤمن من بيننا وصديقنا القديم والذي اعتبره إمامنا أسوة حسنة لنا من خلال ما نظمه من بيتين من الشعر باللّغة الفارسيّة بحقّه. فعلى جميع أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة الموجودين حاليا والذين سيبايعون وينضمون إلى هذه الجماعة في المستقبل أن يطيعوا هذا الخليفة الذي بايعناه كما كانوا يطيعون المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه الصلاة والسلام**).. وأنقل أسماء بعض الذين بايعوا الحكيم نور الدين خليفة أول على سبيل المثال، لا الحصر، بسبب أنّ عددهم زاد عن الألف ومائتي توقيع. فمن المبايعين: (ميرزا محمود أحمد. مفتي محمد صادق. سيّد محمد أحسن أمروهي. المحامي محمد علي مدر مجلّة نقد الأديان. المحامي خواجه كمال الدين. الدكتور ميرزا يعقوب بيك خليفة رشيد الدين. ميرزا خدا بخش. شيخ يعقوب علي عرفاني مدير جريدة الحكم. نواب محمد علي خان رئيس ماليركوتله. ميرزا بشير أحمد مير ناصر نـ ب. مولوي غلام حسن. الدكتور بشارت أحمد. وغيرهم. وقد أسفرت هذه البي المذكورة عن توحيد قلوب أفراد الجماعة الإسلامية الأحمديّة. علما بأنّ جمي أفراد عائلة ميرزا غلام أحمد قد بايعوا الحكيم نور الدين ومسلّمين بخلافته. وبايعه جميع أعضاء رئاسة الجماعة ومنهم المحامي خواجه كمال الدين. وهؤلاء أصدروا تعميما هذا نصّه: (إطّلاع من جانب رئاسة الجماعة: أيها الأخوة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قبل الصلاة على جنازة سيّدنا ومولانا المسيح

الموعود والمهدي المعهود عليه الصلاة والسلام بايعنا صاحب المناقب حاج الحرمين الشريفين الحكيم نور الدين خليفة لحضرته عليه السلام وذلك تنفيذا لما هو وارد في كتابه الوصيّة ووفقا لمشورة رئاسة الجماعة وأقرباء المسيح الموعود وخاصّة منهم زوجته أمّ المؤمنين. وبلغ تعداد المبايعين ما يزيد عن ألف ومائتا أحمدي).. وقد ذُكرت في هذا التّعميم أسماء أبرز الذين بايعوا الخليفة الأول. ونُشر هذا التّعميم في صحيفة الحكم بتاريخ ٢٨ مايس ١٩٠٨م. وفي صحيفة بدر بتاريخ ٢ حزيران ١٩٠٨م. وبعد أن تمّت بيعة الحكيم نور الدين كخليفة أول للمسيح الموعود اجتمع جميع من كانوا من المبايعين وصلّوا صلاة الجنازة على جثمان حضرة ميرزا غلام أحمد وفي ظلّ شجرة مانجو وارفة الظلّ في حديقة حضرته. وكانت الدموع تسيل على وجنات المصلّين من فرط تأثّرهم بوداع إمامهم عليه السلام. وكانوا خلال صلاة الجنازة في حالة عاطفيّة يستحيل أن يُعبّر عنها الإنسان بالألفاظ. وفي الساعة السادسة مساء دفنوا جثمان ميرزا غلام أحمد في مقبرة أهل الجنّة التي كان ربّه عز وجلّ قد بشّره بدفنه فيها. وعلى هذه الصورة فقد غاب جثمان ميرزا غلام أحمد عن أنظار أهله وأفراد جماعته وإلى يوم الدين. هذا الإمام المجدّد الذي كان قد أنبأ عن بعثته جميع الأنبياء من قبل والذي أثبت بصورة ما سبقه إليها أحد إلا سيّده محمّد المصطفى (ص) من أنّ اللّه حيٌّ وقيوم. وأنّ الدين الإسلاميّ هو دين حيٌّ أيضاً وأنّ القرآن المجيد هو كتاب صالح لكلّ زمان ومكان. وبذلك أحدث حضرته عليه السلام انقلابا روحيّا من خلال ذلك كلّه. وأثبت مصداقيّة الدين الإسلاميّ بالأدلّة والحجج والبراهين الساطعة وبما تحقّق على يديه من معجزات وبما تحقّق على يديه من آنباء غيبيّة. وهكذا بدأت تلك النبتة التي غرسها حضرته تنمو وتزداد قوّة وعلاء، وإلى يومنا هذا. هذه النبتة التي أنبأ عنها القرآن المجيد من خلال قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ وبعد الذي بيّنته لابدّ أن يتساءل القارئ عمّا كتبته الصحافة في شبه القارة الهندية بعد انتقال هذا المجدّد الأعظم الذي بعثه الله عز وجلّ مسيحا موعودا ومهديا معهودا؟ وهو سؤال مطروح بسبب أنّ عصرنا هو عصر الصحافة والإعلام. ولن أتطرّق هنا إلى صحف جماعات مشايخ المسلمين بسبب أنّها كانت تمثّل سلاطة ألسنتهم وبذاءة ألفاظهم. وهو أمر كان طبيعيّا جدّا. أما عقلاء المسلمين وغيرهم من أطراف الصراع فكانت الصحافة تعبّر عن عقلانيّة أصحابها وسلامة تصرف كلّ طرف منهم. وعلى سبيل المثال، فهناك:

أولاً - صحيفة (**أمرتسر كي أخبار**) فقد كتب محرّرها يقول بعد وفاة ميرزا غلام أحمد عليه السلام: (إنّ هذا المرحوم كان عظيما وكان قلمه يقطر سحرا وكان لسانه لسان ساحر. وكان له دماغ يمثّل عجائب مجسّمة فنظرته تُفتن وصوته يحشُر. ومن خلال أصابعه تتشكّل خيوط انقلاب. ومن خلال ألفاظه تتولّد بطّاريتان فهو شخص كان خلال ثلاثة عقود من الزمان بالنسبة للأديان بمثابة زلزال وطوفان أيقظ الغافلين على الدوام... وغادر دنيانا... لكنّ رحيل ميرزا غلام أحمد قادياني لم يكن خاليا من العظة والاعتبار. وقلائل هم الذين تُولّد أديانهم وعقولهم تغيّرات. فهم أبناءٌ قلائل ممن يفخر التاريخ بهم ويظهرون إلى عالم الوجود. ويحدث على أيديهم انقلاب. فإلى جانب رفعة مقام ميرزا غلام أحمد واختلافنا معه في بعض معتقداته اختلافا شديدا فإنّ طبقة المثقّفين المسلمين وأصحاب الآراء السامية يشعرون بأنهم فارقوا شخصا عظيما كان من أعظم المدافعين عن الإسلام في مواجهة أعدائه. إذ كان حضرته من أبرز القواد الفاتحين في هذا المجال. الأمر الذي يجبر أحاسيسنا على الاعتراف له بإنجازاته... علما بأنّ مؤلّفات ميرزا غلام أحمد التي فنّدت عقائد المسيحيين والآريين قد نالت قبولا عاما لا حاجة بنا لتعريفه. فنحن نقدّر ونثمّن من صميم أفئدتنا قيمة تلك

المؤلّفات التي أدّى حضرته من خلالها واجبه الروحيّ. ولعلّها لن تظهر في المستقبل المنظور شخصيّة دينيّة في الهند ويكون على مقام حضرته وعلى مستوى عظمة شخصيّته). وقد نشرت الصحيفة نفسها في تلك الأيام الحزينة مقالا آخر أقتطف للقارئ بعض ما ورد فيه. فممّا أورده المقال في مديح ميرزا غلام أحمد بتاريخ ٣٠ مايس عام ١٩٠٨م قوله: (إذا أخذنا موضوع أخلاق ميرزا غلام أحمد بعين اعتبارنا فلا نلاحظ فيه وجود أيّة نقطة سوداء يؤاخذ عليها. فهو أمضى حياة طاهرة وكان تقيًا. والغرض هو أنّ حضرة الميرزا أمضى نصف قرن من حياته في خدمة الدين الإسلامي وكان من حيث عاداته وأخلاقه فريدا في كلّ شيء وعلى مرتبة سامية كان يُحسدُ عليها).. فبهذين المقالين علّقت جريدة أخبار وكيل أمرتسر على وفاة حضرته عليه السلام.

ثانياً -وممن علّق هو محرّر جريدة (**كرزن كزت دهلي**) على وفاته بتاريخ الأول من شهر حزيران عام ١٩٠٨م ما يلي: (إنّ الخدمات الجليلة التي قام بها المرحوم ميرزا غلام أحمد الإسلام في مواجهة المسيحيّة والآريّة هي خدمات تستحقّ الإجلال والمديح. فالمرحوم غيّر أسلوب المناظرة بشكل جذريّ ووضع بذلك أساسا للكتابة في الهند. ليس من حيث كونه أحد المسلمين، بل من حيث أنّه أحد المحقّقين، الأمر الذي لا يمكننا إنكاره. ومن حيث أنّه جعل ألسنة أكابر الآريّن وأعاظم القساوسة عاجزة عن مواجهته. وهو وإن كان من مواطني منطقة بنجاب إلا أنّ قوّة قلمه تجاوزت قوى أقلام منطقته قوّةً بل وأصبح لا يجاري قلمه قلم كاتب في أرجاء الهند كلها.. وإنّ قوّة مؤلّفاته لا يجاريها أحد. وفي الواقع فإنّ الذي يُطالع بعضا من عبارات ما كتب فإنّه تنتابه حالة وجد خاصّة. فالمرحوم قد مهّد طريقه وسط نار مشتعلة من نبوءات تحمل أخبار هلاك أشخاص ومن خلال نقد نقّاده وعداوة أعدائه وبحيث شقّ طريقه إلى ذروة المجد والرقيّ)..

ثالثاً –وكتب صاحب مجلّة (**تهذيب النسوان**) ما يلي: (إنّ المرحوم ميرزا غلام أحمد كان شخصيّة في ذروة القداسة وكان في تقواه قوّة تلين بسببها أقسى القلوب. فهو كان عالما علاّمة. ومصلحا عالي الهمّة. وكانت حياته أسوة في الطهارة والقداسة. وإننا وإن كنا لا نؤمن به مسيحا موعودا إلاّ أننا نقرُّ ونعترف بأنّه كان في واقع أمره مسيح وهادي الأرواح الموتى)..

رابعاً –وأما مُنشي سراج الدين مدير صحيفة (**زميندار**) والذي هو والد الشيخ ظفر علي خان ومؤسّس الصحيفة المذكورة فقد كتب يقول: (إنّ ميرزا غلام أحمد كان موظّفا كاتبا سنة ١٨٦٠ أو سنة ١٨٦١ في منطقة سيالكوت وكان عمره في ذاك الحين ٢٢ أو ٢٣ سنة. ونحن نستطيع أن نشهد بشهادة أعيننا بأنّه كان في تلك الفترة من عمره إنسانا صالحا وتقيّا. وأنّه كان بعد تركه عمله قد انهمك في مطالعة الكتب الدينيّة مما لا نظير له فيه. وفي إحدى ليالي عام ١٨٧٧م كان لنا شرف النزول ضيفا عليه في قريته قاديان. وكان في تلك الأيام مستغرقا أيضاً في العبادة وبحيث قليلا ما يتكلّم مع ضيوفه. ومع أنّي شخصيا لم أكن مشرّفا بتقبّل ما كان يدّعيه ويعتقده، فإنّي أعترف به مسلما حقيقيا)..

خامساً –وممّا أوردته الصحيفة الآريّة المسمّاة (**أخبار نُدر**) بمناسبة وفاة حضرته عليه السلام: (إنّ ميرزا غلام أحمد كان أشبه ما يكون في إحدى صفاته بمحمّد رسول المسلمين. وكان فريدا في هذه الصفة مهما كان المقصد من حياته. فنحن مسرورين بأنّه داوم على صفته هذه إلى آخر يوم من حياته. ولم يستطع ألوف الذين عادوه إزاحته عن الخطّ الذي اختطّه لحياته)..

سادساً –وقد كتب محرّر الصحيفة الآريّة المسمّاة (**أخبار آريه بتركا**) التي كانت تصدر في مدينة لاهور ما يلي:

(إنّ إسلام بقيّة المسلمين هي قابلة للاحتمال أكثر ممّا تُحتمل أفكار ومعتقدات إسلام ميرزا غلام أحمد. وإنّ علاقة المرحوم مع آريه سماج ما كانت في يوم من الأيام علاقة صداقة وإننا عندما نتذكّر الماضي فإنّنا نحسّ فيها بعداوة له)..

سابعاً -وكتب محرّر الصحيفة التي تصدر باللغة الإنكليزيّة والتي يسمّونها (**أخبار بايونير**) والتي كانت تصدر في إله آباد فقد كتبت بتاريخ ٣٠ مايس عام ١٩٠٨م ما يلي: (إنّ المرحوم ميرزا غلام أحمد لم يشكّ يوما من الأيام فيما أعلنه من ادّعاءات فهو كان على يقين كامل بمصداقيّة ما كان ينزل عليه من وحي إلهيّ. وكان يعمل بكلّ صدق وإخلاص كامل وبهذا اليقين، وقد أوتي على هذا الصعيد قوّة خارقة... وهو يشبه في ذلك جميع الذين أحدثوا على الصعيد الدينيّ حركة وتأثيرا... وعلى كلّ حال فإنّ نبيّ قاديان هو من أولئك القلائل الذين لا تُنجب الدنيا أمثالهم)..

فهذه نماذج منتقاة ممّا علّقت به صحُفُ تلك الفترة من الزمان على وفاة ميرزا غلام أحمد عليه السلام. علما بأني قد تغاضيت عن ذكر عشرات التّعليقات التي نشرتها عشرات الصحف في ذاك التاريخ، خشية من أن أطيل على القارئ في هذا المجال. وباستطاعتنا أن نختصر فنقول: إنّ الصحف التي كان يسيطر عليها مشايخ القوم من مختلف الأديان في تلك الفترة من الزمان كانت السباب والشتائم. أما أصحاب الصحف والمجلات الشرفاء فقد لاحظ القارئ ما كتبوه في مديحه.

الباب الثالث

الفصل الأول : أسلوبه في الكتابة وفصاحته

الفصل الثاني: أحوال حضرته العائليّة

الفصل الثالث: أخلاق ميرزا غلام أحمد عليه السلام

الفصل الرابع: إنجازات ميرزا غلام أحمد لصالح الإسلام والعالم

الفصل الأول

أسلوبه في الكتابة وفصاحته

يختلف أسلوب الكتابة من كاتب إلى آخر. فيقال إنّ الكاتب الفلاني يكتب بأسلوب روائي فهو يروي الأشياء وينقلها كالببّغاء دون تدقيق ولا تحقيق وبلغة لا تمتّ إلى الفصاحة بشيء. على حين أنّ الكاتب الآخر يكتب بأسلوب علميٍ وموضوعيٍ وبلغة فصيحة. فهناك نوعان من المؤلّفين والكتّاب في كلّ قوم وفي كلّ مكان من العالم. وإنّ ميرزا غلام أحمد هو من النوع الثاني من الكتّاب والمؤلّفين، وبشهادة كلّ الباحثين والمحقّقين. وتكفي القارئ تلك الفقرات التي قرّظ بها أصحاب صحافة تلك الأيام بأسلوب حضرته في الكتابة وفصاحته وذلك بعد وفاته. ألم يقل صاحب (أخبار أمرتسر كي أخبار) في تعليقه: (**كان قلمه يقطر سحرا. وكان لسانه لسان ساحر... علما بأنّ مؤلّفات ميرزا غلام أحمد التي فنّدت عقائد المسيحيّين والآريّين قد نالت قبولا عاما لا حاجة بنا لتعريفه. فنحن نقدّر ونثمّن من صميم أفئدتنا قيمة تلك المؤلّفات.**)؟ وقال محرّر صحيفة (كرزن كزت دهلي) وهو يعلّق على وفاة حضرته: (**فالمرحوم غيّر أسلوب المناظرة بشكل جذريّ ووضع بذلك أساسا للكتابة في الهند... من حيث أنّه أحد المحقّقين... وأنّ قوّة قلمه تجاوزت قوى أقلام منطقته قوّةً بل وأصبح لا يُجاري قلمَه قلمُ كاتب في أرجاء الهند كلّها.. وإنّ قوّة مؤلّفاته لا يُجاريها أحد.**)؟ فهذه التّعليقات صدرت من جانب الذين اختلفوا مع حضرته في أفكارهم وعقائدهم. ومع ذلك أقرّوا بما صرّحوا به بشأن أسلوب حضرته العلميّ في الكتابة وفصاحته. والفضل ما شهدت به الأعداء.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما هي معالم ذاك الامتياز الذي فاز به ميرزا غلام أحمد فيما يتعلّق بأسلوبه في الكتابة؟ وما هي معالم فصاحته؟ وللإجابة على القسم الأول من هذا السؤال أقول: إنّ من العلوم التي ظهرت في

تاريخ الإسلام علمٌ يسمّونه (**علم الكلام**). وهو علم لابدّ لكلّ داعي إلى الإسلام أن يحيط به علما. وقد لعب المجدّدون الروحيون الذين كان قد بعثهم اللّه عز وجلّ منذ أربعة عشر قرن من الزمان قبل حضرة الميرزا دورا كبيرا في صياغة (علم الكلام) المشار إليه. وخاصّة منهم الإمام المرحوم محمد حامد الغزالي المعروف شرقا وغربا. هذا وإنّ علم الكلام المذكور يُدرّس في مختلف جامعات العالم الإسلاميّ. والذي امتاز به المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد هو أنّه أحدث تبديلا جذريًا في علم الكلام الإسلامي. وبذلك رفع من المقام السامي لهذا العلم المشار إليه ومن أهمّيته. وأرى أن أُطلعَ القارئَ على معالم ذاك التّبديل الذي أدخله حضرته على أُسس علم الكلام الإسلامي. ومعالم التّجديد الذي امتاز به حضرته في هذا المجال.

فمن المعلوم أنّ علم الكلام الإسلامي يتّخذ من عقل الإنسان وسيلة الحوار الذي يقوم به صاحبه. ولذلك لاحظنا ظهور جماعات مسلمة تُعطي العقل المقام الأول فيما تقوم به من خطوات على طريق شرح تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف. لكنّ أحدا من أولئك الذين يسمّون أنفسهم بالعقلانييّن لم يطرح على نفسه سؤالا وهو: هل يصل العقل بالإنسان إلى شاطئ الأمان وهل يهب العقل هذا الإنسان اليقين الكامل؟ والحقيقة هي أنّ أحداً من القدماء والمعاصرين لم يطرح على نفسه هذا السؤال الذي ذكرناه. لكنّ المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد طرح هذا السؤال على نفسه، وناقشه، وقدّم الجواب الشافي عليه. وبذلك صحّح عليه السلام ما توارثناه من مفاهيم. ووضع حجر الأساس الذي يحمل هذا العامود من أعمدة هذا العلم المسمّى علم الكلام الإسلاميّ، وعلى صورة تُعاصر المتغيّرات العلميّة الحادثة في زماننا المعاصر. وأنقل للقارئ ما ناقش به ميرزا غلام أحمد هذا الموضوع وما توصّل إليه. أنقله من الصفحة ٩٠ من مؤلّفه المشهور البراهين الأحمدية. فحضرته كتب يقول: (إنّ العقل يُثبت ضرورة وجود

شيء فقط. لكنّه لا يُثبت وجود هذا الشيء. ومن الظاهر أنّ إثبات ضرورة وجود شيء مختلف عن ثبوت وجود هذا الشيء. وإنّ هذه الحقيقة تعني بألفاظ أخرى أنّ العقل هو بحاجة إلى رفيق مساعد، من أجل ردم هذا النقص الذي أشرنا إليه... لذلك فإنّ اللّه الواسع الرحمة والكريم وفّر للعقل هذا الرفيق المحتاج إليه ليصل العقل بصاحبه إلى أعلى مراتب اليقين. ولم يوفّر اللّه تعالى للعقلِ رفيقا واحدا مساعدا. بل أوجد له عدّة رفقاء تساعده على هذا الطريق. كيلا تُحرمَ النفس البشريّة الموقوفة سعادتها ونجاتها على الوصول إلى اليقين الكامل. وكيلا تظلّ هذه النفس محرومة من السعادة المطلوبة. ولتتجاوز صراط ينبغي الوجود الخطر، ولتتخلّص من الشبهات والشكوك، فتعبر من فوقها جميعها، لتصل إلى قصرها العالي الذي تجد فيه أمنها واطمئنانها. وقد تبيّن لي وجود ثلاثة عوامل مساعدة لهذا العقل تساعده على تجاوز مرحلة ضرورة الوجود، ولتصل به مرحلة الوجود اليقيني وهذه العوامل المساعدة الثلاثة هي:

أولاً - فحكم العقل على المحسوس والمشهود من حوله الذي يُحسُّ به ويشهده في حياته اليوميّة وحكمه على كلّ ما يسمعه أو يشمّ رائحته أو يسعى لمعرفة وزنه. فإنّ حكم العقل في هذا المجال كلّه يستند إلى التجربة الذاتيّة التي تشكّل عاملا مساعدا لهذا العقل. فالتجربة الذاتية توصل عقل الإنسان ليصل بصاحبه إلى مرتبة الحكم الكامل اليقينيّ.

ثانياً - أما إذا أراد العقل الحكم على الأحداث التي وقعت في مختلف الأزمنة ومختلف الأمكنة فإنّ له رفيق ثاني يساعده على الوصول إلى الحكم اليقينيّ على وجود تلك الأحداث. وإنّ هذا العامل المساعد الثاني ينحصر فيما يصله المرء من تواريخ وأخبار ومراسلات ووثائق مكتوبة وآثار تركها الأوّلون. وهذا العامل الثاني للعقل هو شبيه بعامل التجربة الذاتيّة. فإنّه يساعد هذا العقل على أن يحيط بعلم كلّ ما كان كائن مضى، والآن غير موجود. وإن شكّ

الإنسان بعد أخذه بما يوصل إليه هذا العامل الثاني هذا العقل من حقائق، فإنّ عمله هذا يدخله في باب الحمَق والجنون.

ثالثاً – وأما إذا أراد العقل الحكم على ما وراء هذا المحسوس، والذي ليس باستطاعة العين ولا الأذن ولا اليد الوصول إلى معرفته. وهو ما وراء المحسوس الذي لا يساعدنا التاريخ ولا سواه على معرفته معرفة يقينيّةً. فهناك رفيق ثالث يساعد هذا العقل لمعرفة علم المستقبل، هو ما نسمّيه الوحي والإلهام. أي أنّه كما اقتضت القوانين الطبيعيّة تأمين العاملين المساعدين الذين ذكرناهما من قبل، فإنّ القرآن المجيد الذي أوحى به الله عز وجلّ هو المعين على معرفة كلّ ما هو آت في المستقبل).

فبهذا الطرح الفلسفيّ النابع ممّا توصّل إليه العلم الحديث الذي ارتكز علماؤه فيه إلى الملاحظة والتجربة والاستنتاج، يكون المجدّد ميرزا غلام أحمد قد نقل علم الكلام نقلةً عاصر معها كلّ ما أسفرت عنه المتغيّرات المعاصرة من طرح. وغاير بذلك ما هو موروث على هذا الصعيد. ولهذا السبب فقد لاحظنا كيف علّق الصحفيّون على وفاة حضرته عليه السلام وقالوا بصراحة كاملة: (فالمرحوم غيّر أسلوب المناظرة بشكل جذريّ).

ثمّ إنّ الباحث الذي طالع هذا الكمّ الهائل من كتب التراث الموروثة. يصل إلى أنّ أغلب علماء الأمّة القدماء لم يُعطوا القرآن المجيد منزلته الحقيقيّة. فمن جهة كتب بعض علماء الأمة تفاسير للقرآن الكريم بأكمله من دون أن يراعوا وجود منهجيّة للقرآن الكريم وأصول تفسير. ففسّروا آي الذكر الحكيم وفق قواعد خمسة اختلقها العالم ابن تيميّة وتخالف معطيات منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. ومن جهة أخرى عمد بعض علماء الأمة إلى تدوين ما وصلهم من أحاديث منسوبة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم. مع أنّ محمّداً رسول الله نفسه لم يأمر أصحابه بتدوين أحاديثه كيلا تختلط مع الآيات القرآنيّة المدوّنة. ولسبب

أنّ أحاديثه صلّى اللّه عليه وسلّم كانت أحاديث مناسبات. وورد عنه (ص) قوله **(توضع لكم الأحاديث من بعدي فاعرضوها على كتاب اللّه فما وافق خذوه وما خالف ردّوه)**. لكنّ الذي حدث هو أنّ علماء هذه الأمة أوجدوا بعد تدوين الأحاديث علما أسموه علم أصول الحديث. وضربوا بقول محمد رسول اللّه الذي ذكرناه عرض الحائط. وأصيبوا بذلك بما أُصيب به علماء أمّة موسى من قبل. فقام المجدّد ميرزا غلام أحمد بتصحيح هذه الانحرافات التي وقع فيها المسلمون. وأعاد للقرآن الكريم مقامه السامي الذي لا يقف في مقابله شيء من أحاديث شريفة وغيرها من الأمور. وكان إذا فسّر آية قرآنيّة، راعى في تفسيرها أصول تفسير القرآن العظيم. وإذا استدلّ بحديث شريف، فقد لاحظنا أنّه كان يستدلُّ به بما لا يخالف مُعطيات آيات القرآن الكريم. أي أنّ ميرزا غلام أحمد لم يرفض ما تضمّنته كتب الحديث من أحاديث منسوبة إلى محمد (ص). بل عمل على ما أوصى به محمد رسول اللّه نفسه في هذا المجال. كما وضّح لنا حقيقة السنّة النبويّة ومفهومها الحقيقي. وأنقل للقارئ القول الفصل الذي حكم به هذا المجدّد ميرزا غلام أحمد الذي جعله اللّه تعالى حكما عدلا فيما يتعلّق بمفاهيم ومقامات القرآن والسنّة والحديث. وأقتبس ذلك ممّا أورده حضرته في رسالته المؤرّخة بتاريخ ٢٧ تشرين ثاني عام ١٩٠٢م. والتي علّق فيها على اختلاف الشيخ عبد اللّه القاطن في موضع جكرالا قضاء ميانوالي مع الشيخ محمد حسين البطالوي شيخ أهل الحديث. قال حضرته في الرسالة المذكورة: (في الأصل إنّ فريقا من هذين الفريقين قد وقع في مرض التّفريط. والفريق الآخر وقع في مرض الإفراط. ففريق الشيخ البطالوي وإن أصاب في قوله بأنّ الأحاديث المرفوعة المتّصلة لا تدخل في باب اللّغو ولا يجوز رفضها. لكنّه تغاضى في ذلك عن حفظ المراتب. وأعطى الأحاديث مرتبة انتقصت من مرتبة القرآن الكريم. وفي هذا خطأ جسيم وانحراف عن جادّة الصواب. خصوصا وأنّ اللّه عز وجلّ قال في كتابه العزيز:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ وأما الطرف الثاني الذي يمثّله الشيخ عبد اللّه فقد وقع في مرض الإفراط بسبب رفضه هذه الأحاديث النبويّة بالكلّية. ومن باب أنّ اللّه عز وجلّ قال في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. هذا القول الدالّ على أنّ محبّة المؤمن للّه تعالى مرتبطة ارتباطا وثيقا بإتّباع هذا المؤمن محمّدا صلّى اللّه عليه وسلم. وإنّ الأحاديث الشريفة تُعتبر إحدى وسائل البحث عن السيرة النبويّة العمليّة. وعليه فكلّ من يرفض الأحاديث الشريفة يُساهم في ترك السيرة النبويّة) كذلك أورد حضرته عليه السلام يقول في رسالته المذكورة (ومن علامات التزام المؤمن بالصراط المستقيم أن تتوفّر فيه علامات ثلاثة هي:

أولاً - أن يكون متمسّكا بالقرآن الشريف. فهو كلام اللّه القطعيّ واليقينيّ وهو المنزّه عن كلّ شكّ.

ثانياً – وأن يكون متمسّكا بالسنّة النبويّة. علما بأنّ اصطلاحنا للسنّة يختلف عن اصطلاح أهل الحديث للسنّة. فنحن نفرّق ما بين السنّة والحديث النبويّ. ولا ننظر إلى السنّة والحديث على أنّهما شيء واحد كما هو حال رأي أهل الحديث التقليديّين. فالسنّة في نظرنا شيء، والحديث شيء آخر. وإنّ المراد من السنّة فعلُ محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم الذي وصلنا بالتواتر. والذي اقترن ظهوره بظهور هذا القرآن الكريم. والذي يدوم بدوامه. أو قولوا بألفاظ أخرى إنّ القرآن المجيد هو قول اللّه تعالى. وإنّ سنّة رسول اللّه هو فهمه لقول اللّه العمليّ. وإنّ عادة اللّه تعالى منذ القديم أنّ أنبياء اللّه تعالى يوصلون قول اللّه ربّهم إلى البشر. ويفسّرون قول اللّه تعالى بما يُقدمون على فعله ويعملونه. ومن أجل أن لا يشتبه قوله تعالى على البشر. فهم أنفسهم يعملون على قول ربّهم. ويدفعون الناس للعمل عليه وعلى حسب ما فهموه من قول ربّهم وفعلوه.

ثالثاً –ووسيلة الهداية الثالثة هي الحديث النبويّ الشريف. والمراد من الحديث هو تلك الآثار المرويّة عنه بعد البعثة المحمّدية بقرن ونصف وجمعوها بصيغ قصصيّة).

وعلى هذه الصورة فقد عاد واضحا للقارئ بأنّه ومن خلال ما اقتطفته لهذا القارئ من مضمون تلك الرسالة التي ألّفها ميرزا غلام أحمد، تبيّن مفهوم ومقام كلٌ من القرآن الكريم والسنّة والأحاديث النبويّة في نظره عليه السلام. وعاد طرح حضرته المذكور أساسا وعامودا ثانيا من أعمدة علم الكلام في الإسلام. وعادت تلك ميّزةٌ تميّز بها أسلوب ميرزا غلام أحمد في الكتابة والتحليل والحوار. وصبغ ذلك كلّه أسلوب كتابة جميع الذين بايعوه واتّبعوه واعتقدوا بكونه عليه السلام مجدّدا أعظم وحكما عدلا. وبذلك يكون ميرزا غلام أحمد قد أحدث تغييرا جذريا على تلك المفاهيم المتوارثة بما يتعلّق بمقام القرآن الكريم ومفهوم السنّة النبويّة ومقامها. ومفهوم الحديث النبويّ ومقامه في أعين الباحثين والمحاورين والمناظرين في مختلف مواضيع الدين الإسلاميّ الحنيف.

ولمّا كان لكلّ شيء نتائجه الحتميّة. فلقد كان لهذا التجديد الذي قام به ميرزا غلام أحمد نتائجه العظيمة على مستوى فهم تعاليم القرآن الحقيقيّة، وتصحيح المفاهيم والعقائد المتوارثة عن علماء الأمة القدماء. وأختصر للقارئ هذه النتائج فأقول: كان من نتائج تفسير آيات هذا القرآن الكريم بغير منهجيّة وأصول أن وقع المفسّرون القدماء في سقطات نالت من عزّة القرآن وكرامته.

وفتحت لأعداء الإسلام باب التهجّم عليه. فهم فهموا من الآية ١٠٦ من سورة البقرة التي قال الله تعالى فيها: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهموا وُجود آيات منسوخة وآيات ناسخة. حتى وأنّهم عادوا يدرّسون موضوع الناسخ والمنسوخ في المعاهد الإسلامية وكلّيات الشريعة،

وكأنه موضوع إسلامي حقيقي. بينما أثبت ميرزا غلام أحمد واستنادا إلى أصول التفسير النابعة من القرآن الكريم نفسه بأنّ النسخ واقعٌ على الكتب السماويّة ما قبل الإسلام. ولا علاقة لموضوع النسخ الوارد في الآية المذكورة بآيات القرآن العظيم الذي من المستحيل أن تُنسخ منه كلمة أو نقطة أو حرف.

وكان من نتائج هذا التجديد الذي قام به حضرته عليه السلام أن عاد المسلم الذي بايع حضرته والتزم بكلّ ما وعظه به من تعاليم. أقول لقد بات ينظر إلى تعاليم الإسلام على أنها تعاليم أمن وسلام. وأنّ الدخول في قتال مع الذين يختلفون معه في العقيدة هو أمرٌ مخالف لتعاليم الإسلام. ومن باب أنّ الإسلام دين دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وأن لا إكراه في الدين. وأنّ القتال الذي خاضه المسلمون في صدر الإسلام كتبه ربّهم عليهم (**وهو كُرهٌ لهم**). وكان ذاك القتال من نوع القتال الديني المشروط بشروط كثيرة. وأنّه لا يجوز للمسلم أن يقاتل إلا الذي يُقاتله (**وقاتلوا الذين يُقاتلونكم**). فإن جنح هذا إلى السّلم فليجنح لها ويتوكّل على اللّه عز وجلّ. وعليه فإنّ الحرب في الإسلام هي حرب دفاعيّة. والإسلام بريء من كلّ حرب هجوميّة. على حين أنّ علماء الإسلام المعاصرين التّقليديّين ما يزالون يدرّسون هذا الموضوع في معاهدهم وجامعاتهم بخلاف معطيات آيات كتاب اللّه عز وجلّ. وقد قمت بتأليف كتاب أسميته (الإسلام علّم السلام والجهاد والقتال) وشرحت فيه هذه المفاهيم الثلاثة التي تضمّنها هذا العنوان بمنظار ما أتى به هذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

وقد جدّد ميرزا غلام أحمد في أسلوب البحث والحوار والمناظرة مع غير المسلمين. وابتعد عن أساليب البحث والحوار والمناظرة القديمين. ومنطلقا في ذلك من أساسين هامين: فالأساس الأوّل انحصر في أنّ حضرته عليه السلام اشترط على الخصم ألا يورد أدلّته إلا من نصوص هذا الكتاب الذي يقدّسه هو نفسه وأتباع الدين الذي يدين به. وأما الأساس الثاني فهو ضرورة أن تكون أدلّة هذا

الخصم لا تخالف مُعطيات هذه العلوم الحديثة المعاصرة. وهي شروط محاورة فاجأت ممثّلي مختلف الأديان الذين اعتادوا على بحثٍ تقليديّ متوارث يتنافى وهذين الأساسين العلميين المذكورين. فواقع الأديان أنّ كتبها الدينية الممنوحة عندها مرتبة القداسة، سواءً عند الآريين وسواء عند أهل الكتاب، فهي كتبٌ محرّفةٌ ولا تتّصف مضامينها بالصفة العقلانيّة ولا بالصفة العلميّة. ولا تُعين أصحابها على الدفاع عن الدين الذي يدينون به إعانةً حقيقيّة. فأنت إذا حاورت مسيحيٍ على سبيل المثال ليثبت لك صحّة مُعتقداته. فتلاحظ أنّه لا يرجع في دفاعه إلى الأناجيل الأربعة المعروفة بأسلوب علميّ. بل تراه يرجع إلى كلّ ما هو خارج عن تلك الأناجيل ممّا هو منسوب إلى ما يسمّونه أعمال الرسل المشتمل على عدد من رسائل بولس وعلى رسائل غيره ممّن تتناقض أقوالهم مع مُعطيات هذه الأناجيل الأربعة المعروفة. فإن طالبني القارئ في هذا المقام بمثال يثبت مصداقيّة هذا الطرح الذي طرحته عليه. فأطلب منه أن يراجع هذه الأناجيل ليلاحظ بأنّها تنسب إلى المسيح قوله فيها (متى ١٢/٤٦ -٤٩) و(متى ٢٠/٢٧ -٢٨) و(متى ٢٣/٨ -١٢) بأنّه (ابن الإنسان) ولا يستعمل كلمة (ابن مريم). ومن باب أنّ كلمة (الإنسان) اسم جنس. فلو كان المسيح هو ابن اللّه الحقيقي كما يزعمون، فما كان ليصحّ أن يستعمل المسيح مصطلح (ابن الإنسان) المذكور. إلا أن يكون المسيح يقصد من قوله هذا أنّه بشرٌ ولا يختلف عن البشر في شيء. وأنّه كان رسولا نبيّا. على حين أنّ بولس الرسول وغيره من الرسل جعلوا من المسيح شيئا آخر غير ما قصده المسيح من خلال قوله عن نفسه بأنّه (**ابن إنسان**). وهكذا فعندما أدخل ميرزا غلام أحمد هذا الشرط الذي ذكرناه على أسلوب المناظرة وهو ضرورة أن يتقيّد المناظر حين تقديمه أدلّته، أن يقدّمها من ضمن الكتاب الذي يقدّسه وليس من خارجه. يكون ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد قيّد هؤلاء الذين يمثّلون مختلف الأديان بنصوص أساسيّة من صلب كتبهم

المقدّسة، وليس من خلال شروح مضافة من قبل الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عن ذاك الدين. وخلاصة القول هو أنّ المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد امتاز عن جميع ما سبقوه من مجدّدي هذه الأمّة الإسلاميّة في أنّه اختار في الكتابة أسلوبا ما سبقه إليه أحد من قبله في عرض تعاليم الإسلام والدفاع عن معتقداته. ومن خلال تطويره لعلم الكلام وأسلوب المناظرة والمحاورة.

وأما عن فصاحة المجدّد ميرزا غلام أحمد فلم يختلف فيها اثنان من أتباعه ولا من أعدائه. فحضرته عليه السلام كان إذا تكلّم، لا يشعر الذي يسمع كلامه أيّ تعقيدٍ ولا تكلّف فيما قاله. وكانت تأتي فصاحته من سعة علمه وقوّة حجّته وتكلّمه بثلاثة لغات. فاللّغة الأولى هي لغته الأم التي هي اللّغة الأرديّة. واللّغة الثانية التي كان قد تعلّمها هي اللّغة الفارسيّة التي كانت تُدرّس في الهند بصورة عامة لتداخل ألفاظها مع ألفاظ اللّغة الأرديّة. وأما اللّغة الثالثة التي كان حضرته قد تعلّم في صباه مبادئها على أستاذ خصّصه والده لتعليمه إياها، فهي اللّغة العربيّة. ولمّا كان مقدّرا في السماء أن يكون ميرزا غلام أحمد مجدّد زمانه، وفي وقت هو أعجميٌّ ليس من السهل عليه أن يحيط علما بمضامين الآيات القرآنيّة. فقد علّمه ربّه عز وجلّ من لدنه أربعين ألف مادة من مواد اللّغة العربيّة في ليلة واحدة. وعلى صورة عاد معها يكتب ويتكلّم بالعربيّة بلغة فصيحة غير معهودة من رجلٍ أعجميّ. وهي حقيقة دفعت حضرته ليتحدّى العرب الذين استهانوا به وبكونه أعجميًا. كالشيخ رشيد رضا صاحب جريدة المنار المصريّة. فحضرته تحدّى الشيخ رشيد رضا وسواه أن يجلسوا في مقابله ليكتبوا تفسيرا لسورة الفاتحة بلغة عربيّة سليمة ولتبلغ سبعين صفحة على أقلّ تقدير. فاستهان الشيخ رشيد رضا بهذا التحدّي وترفّع عن أن يتنازل وينازل رجلا أعجميا في هذا المجال. وقد كتب حضرة الميرزا على أثر ذلك تفسيرا لسورة الفاتحة وفق ما اشترطه في تحدّيه المذكور. والتفسير المشار إليه مطبوع ومعروف. ولحضرته عدّة

مؤلّفات مكتوبة باللّغة العربيّة أيضاً. وتميّزت فصاحة ميرزا غلام أحمد في أنّه لا يطرح فكرته على وجه واحد، بل كان يعاود طرحها من زوايا مختلفة، وإلى الحدّ الذي يشعر معه أنّ سامعه قد تفهّم ما كان يريده حضرته من مقاله. ولا يكتفي حضرته بهذا كلّه بل كان يضرب للذي يحدّثه الأمثال ويقرن كلامه بمؤيّدات من آي الذكر الحكيم والحديث النبويّ الشريف. ويكفي هذا القارئ أن يعلم بأنّ أحدا ما من خصوم ميرزا غلام أحمد لم يتجرّأ على الانتقاص من فصاحة لسانه وبلاغة كلامه. بل على العكس من ذلك تماما. فإنّ أسلوب وفصاحة كلام حضرته عليه السلام قد انعكست آثارها على الكتّاب وأصحاب القلم في جميع أرجاء الهند، وبشهادة ما اقتبسته للقارئ من تعليقات الصحف الهنديّة بمناسبة موت حضرته وانتقاله إلى جوار ربّه.

الفصل الثاني

أحوال حضرته العائليّة

أولاً: كيف تمّ زواجه؟

لقد عاش ميرزا غلام أحمد في عائلة مسلمةٍ محافظةٍ تؤمن بالزواج المبكّر. لذلك فما أن بلغ حضرته السادسة عشرة من عمره إلا وفرض والده عليه الزواج بابنة عمّه التي كان اسمها (حُرمَت بي بي). فأنجبت له ابنه البكر ميرزا سلطان أحمد عام ١٨٥٣م. كما أنجبت له ابنا آخر وهو ميرزا فضل أحمد وذلك عام ١٨٥٥م. فلم يعش الابن الثاني طويلا ومات من غير أن يترك أبناء له. أما ابنه البكر ميرزا سلطان أحمد فقد عاش عمرا مديدا. درس وحصل على شهادة عالية جامعيّة. وتوظّف في دوائر الدولة ووصل إلى مراتب عالية فيها. وكان كاتبا في الوقت نفسه وترك مؤلّفات كثيرة. ولم يبايع والده في حياته. بل بايع الخليفة الثاني للمسيح الموعود بعد أن أصبح في داره متقاعدا. وكان قد تزوّج وولد له أولاداً. وكان من أبنائه ميرزا عزيز أحمد. الذي نشأ تقيّا منذ نعومة أظفاره. وحصل على شهادة جامعيّة فبايع جدّه ميرزا غلام أحمد في حياته. وتوظّف ووصل مراتب عالية في دوائر الدولة كأبيه. فلما تقاعد وقف نفسه في ظلّ الخليفة الثاني لخدمة الجماعة.

فلما بلغ ميرزا غلام أحمد الثالثة والثلاثين من عمره توفى اللّه عز وجلّ والدته التي كان اسمها (جراغ بي بي) ودفنوها في مقبرة العائلة. وكان حضرته يحبّ والدته حبّا جمّا. وبسبب أنّها كانت ترعاه على الدوام. وتُبدي نحوه عطفا خاصّا لتقواه ولإخلاصه لوالديه وتفانيه في خدمتهما. وكان حضرته كلمّا ذُكرَت والدته بمناسبة من المناسبات، كثيرا ما تدمع عيناه ويتوجّه لها بالدعاء.

أما والد ميرزا غلام أحمد فكان يشكو من ابنه ميرزا غلام أحمد من أنّه لا فائدة دنيوية مرجوّة منه. بسبب أنّ ابنه كان يمضي أكثر أوقاته في المسجد يتعبّد ويطالع القرآن الكريم مرارا وتكرارا. حتّى إذا زار شخصٌ وجيه والدَه وطلب منه أن يعرّفه بابنه. أجاب إنّ ابني شبه مقيم في المسجد وقلّما نراه. لكنّ والد ميرزا غلام أحمد قد مال في آخر أيام عمره إلى الإكثار من التنسّك والعبادة. فلما كان عام ١٨٧٦م أصيب والده بالزحار الشديد ولم يمهله المرض. وتوفّي وفق رؤيا كان ميرزا غلام أحمد قد رآها وعلم منها بأنّ والده مقبلٌ على الوفاة. وهكذا توفّى اللّه عز وجلّ والد حضرته بعد أن بلغ عمره إحدى وأربعون عاما. وبذلك عاد حضرته في السنّ المذكور يتيم

الأبوين. وهنا يحكي حضرته قصّة حياته في حاشية كتابه البريّة صفحة ١٦٣ ويقول: **(فمن جهة فارق والدي الحياة. ومن جهة أخرى توالت عليّ المكالمات الإلهيّة وعلى صورة ما كنت أدري معها ما صدر عنّي من عمل تسبّب في أن يشملني ربّي بعنايته الخاصّة. وكلّ ما كنت أشعر به هو أنّه تعالى فَطرني على الوفاء للّه الذي خلقني وعلى صورة ما كان يستطيع أيُّ شيء الحيلولة دون ذلك)**.. وفي تلك الأيام بدأ ميرزا غلام أحمد في كتابة كتابه المشهور (**البراهين الأحمديّة على حقيقة كتاب اللّه القرآن والنبوّة المحمّدية**) هذا المؤلّف الذي طُبع منه أربعة أجزاء حتّى عام ١٨٨٤م وأتمّ حضرته الجزء الخامس الأخير قبل وفاته بعام تقريبا. علما بأنّ الأخ الأكبر لحضرته واسمه ميرزا غلام قادر قد توفّاه ربّه عام ١٨٨٣م.

وهنا كان من المناسب القول بأنّ زوجة ميرزا غلام أحمد التي زوّجه أبوه بها وهو في السادسة عشر من عمره. كانت صغيرة السنّ وغير متعلّمة. فلمّا بعث اللّه تعالى حضرته مسيحا موعودا ومهديا معهودا ، وهبّ مشايخ زمانه لمحاربته. كان أبناء عمّه وهم إخوة زوجته متأثّرين بأولئك المشايخ لذلك حاربوه في السنوات الأولى لدعوته. فوقعت زوجته (حُرمت بي بي) تحت تأثير إخوتها فحُرمت من

الإيمان بزوجها وانفصلت عنه وسكنت في طابق فوق طابق إخوتها وهي تربّي ولديها اللذين أتينا على ذكر كلّ واحد من هذين من قبل. وكان حضرته يُرسلُ إليها على الدوام من المال ما يكفيها لتربية ولديها.

ومنذ عام ١٨٨١م أخذ ميرزا غلام أحمد يتلقّى إلهاما إثر إلهام. ويبشّره ربّه من خلال تلك الإلهامات بزوجة ثانية تعوّض عليه ما هو واقعٌ فيه، ولتنجب له أولادًا بررةً صالحين. ففي عام ١٨٨١م تلقّى حضرته أوّل إلهام ونصّه **(إنّا نبشّرُك بغلام حسين)** وورد ذكر هذا الإلهام في مؤلّف حضرته (ترياق القلوب) صفحة ٢٤. وفي تلك الأيام تلقّى إلهاما آخر ونصُّه **(اشكر نعمتي رأيت خديجتي)**. وأورد ذكر هذا الإلهام في مؤلّفه (نزول المسيح) صفحة ١٤٦. ومن ثمّ تلقّى إلهاما ثالثا بشأن زواج حضرته الثاني ونصّه **(الحمد لله الذي جعل لكمُ الصّهر والنسب)**. وأورده على الصفحة ٦٤ من مؤلّفه (ترياق القلوب). وألهمه ربّه أخيرا إلهاما باللّغة الأرديّة ونصّه: (ميى نى إراده كيا كه تماري إيك أور شادي كرون. يه سب سامان مين هى خود كرونكا اور تمهين كسي بات كي تكليف نهين هوكي) وترجمته **(أردت تزويجك بزوجة ثانية. وتكفّلت بجميع ما يحتاجه هذا الزواج وأعفيك من كلّ تكليف يخصّه)**. ويحكي ميرزا غلام أحمد على الصفحة ٦٥ من مؤلّفه (ترياق القلوب) قصّة هذه الإلهامات التي تلقّاها في تلك الأيام بشأن تزويج ربّه عز وجلّ إياه بزوجة ثانية. ويقول: **(ولقد صارحني ربّي علاوة على هذه الإلهامات وإلى درجة أنّه قدّر لي الزواج من مدينة دهلي. وكنت قد أطلعت كثيرا ممّن حولي على مضامين تلك الإلهامات.**

ودارت الأيام وتحقّق ذلك كلّه... فتمّ زواجي من فتاة من عائلة مشهورة ووجيهة هناك.. ولمّا كان وعد الله تعالى إليّ بأنّه سيضع أساسا كبيرا لبناء الإسلام من نسلي. وأنّه سيولّد من نسلي ابنا مؤيّدا بروح الله تعالى. لذلك فهو جلّ شأنه اختار لي فتاة من تلك العائلة ليتولّد منها أولاد لينوّروا بالنور الذي قدّره تعالى على يديّ، ولينشروه أكثر فأكثر في جميع بقاع الأرض. ومن العجيب أنّه كما كان أجدادي من السادات، فإنّ زوجتي هذه التي

ستكون في المستقبل أمّا لنسلي فقد كان اسمها (نصرت جهان بيكم) ومعناه ناصرة كلّ العالم. ومن قبيل التفاؤل أقول إنّ في هذه التسمية إشارة إلى أنّ الله تعالى وضع الأساس لتكون عائلتي في المستقبل معينة للعالم كلّه. إذ أنّ من عادة اللّه تعالى أن يضع في الأسماء أحيانا إشارات إلى أنبائه الخفيّة)..

وهنا يتساءل القارئ: وكيف تحقّق هذا الزواج؟ وللإجابة على هذا السؤال أقتطف لهذا السائل مقتطفات ممّا أرّخه المؤرّخون داخل الجماعة حول هذا الزواج الثاني المذكور. فقد ورد بأنّ والد تلك الفتاة كان من أشهر عائلات مدينة دهلي. وكان من ساداتهم المشهورين بتقوى اللّه تعالى أبا عن جدّ. وصدف أن كان والد هذه الفتاة موظّفا كبيرا في قضاء كورداسبور في البنجاب القريب من قاديان. وصدف أيضاً أنّ والد هذه الفتاة كان قد زار قاديان للتعرّف على شخص ميرزا غلام أحمد الذي ذاع صيت علمه وتقواه في تلك الأيام. واحتكّ به وتيقّن من صحّة ما سمعه عنه. ومن ثمّ انتقل والد الفتاة إلى عدّة أمكنة فيما بعد. وانتهى به الأمر إلى مدينة ملتان عام ١٨٨٤م. وفي العام المذكور كانت ابنته قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها. فجاءها من خطبوا يدها شباب كثيرون لوجاهة والدها ومركزه في الدولة. فوقع في نفس والدها أن يكتب إلى ميرزا غلام أحمد ليدعو لزواج ابنته من شابّ يحفظ لها دينها. وكتب إليه. وهنا يروي والد الفتاة بأنّ ميرزا غلام أحمد أجاب على رسالته قائلا: **(إنّ علاقتي بزوجتي شبه مقطوعة. وأريد أن أتزوّج بثانية. وكان ربّي قد بشّرني بأنّه سيزوّجني من فتاة أهلها من السادات على مستوى عائلتي. وأنّه تعالى سيبارك زواجي ويهيّئ من جانبه تعالى الأسباب التي تحقّق ما بشّرني به. ولن يحمّلني أيّ عبء في هذا المجال. فهذا ردّي على رسالتك فأحسن ظنّك بي وزوّجني ابنتك. وأخفي هذا الأمر عن سواك ولا تتعجّل بالردّ عليّ)**.. ويضيف والد الفتاة ويقول: **(عندما قرأت رسالة حضرته استوقفني الفارق في العمر ما بين عمر ابنتي وعمر حضرته. وأنّه غريب عن عائلتي. وأنّه متزوّج وله أبناء. لكنّ معرفتي بشخصيّته وتقواه أمال قلبي نحوه.**

فقرّرت تزويج هذا التقيّ بابنتي. وفي وقت كنت فيه متنفراً من عادات وتقاليد أهل مدينتي دهلي. ولم أفاتح زوجتي بما قرّرت. بسبب أنّها ستحتجّ على الفارق في العمر من جهة، مع معرفتها به حين زرنا قاديان. وبسبب أنّ سكّان دهلي لا يحبّون البنجابيّين).. وهنا أنقل من نفس المصدر ما روته زوجة مير ناصر نواب والدة الفتاة. فهي ذكرت (بأنّ عددا من العائلات طلبت مني يد ابنتي. لكنّ فؤادي لم يطمئنّ إلى أحد منهم. وذات يوم طلبت عائلة من مدينة لدهيانة يد ابنتي. وارتأى زوجي أنّ الشاب مناسب ودفعني للموافقة عليه. لكنّ صدري لم ينشرح لذاك الطلب. وحدث صُدفة أنّ زوجي مير ناصر نوّاب أظهر انزعاجه وقال إنّ ابنتنا أصبحت في الثامنة عشرة من عمرها. وهل نتركها هكذا ونرفض كلّ من يطلب يدها؟ فأجبت زوجي وبدون إرادة وبدون توقّف من جانبي. قلت له: إذا وازنت ما بين هذا وما بين ميرزا غلام أحمد. فهذا الأخير أفضل من هذا بألف مرّة. فلما أنطقها ربّها بهذه الجملة. سارع زوجها وأخرج لها رسالة ميرزا غلام أحمد وأطلعها على مضمونه. وتعجّبت زوجته مما زلّ به لسانها. وهنا أسرع زوجها بالردّ على رسالة ميرزا غلام أحمد بالموافقة على طلبه).. ويروي زوجها مير ناصر نواب ويقول: (فقمت من فوري وأمسكت بالقلم والدواة وكتبت إلى ميرزا غلام أحمد بموافقتنا على زواجه من ابنتنا. فلم يمض على رسالتنا إليه إلا ثمانية أيام. إلا وقد حضر ميرزا غلام أحمد بنفسه إلى دهلي وبرفقته أحد مبايعيه وهو حافظ القرآن حامد علي وثلاثة أشخاص آخرين). فلمّا علم أقرباء مير ناصر نوّاب بأمر هذه الخطوبة أبدوا امتعاضهم من والد الفتاة حيث أنّه يزوّج ابنته برجل بنجابيٍ وكبيرٍ في السنّ أيضاً. خصوصا وأنّهم علموا بأنّ ميرزا غلام أحمد لم يُحضر للفتاة شيئا من الحليّ واللّباس إلا مبلغ مائتان وخمسين روبيَة. لكنّ مير ناصر نواب لم يتراجع عن موافقته. وقد تمّ عقد نكاح العروسين في مسجد خواجه مير درد ما بين صلاتي العصر والمغرب. وقرأ الخطبة الشيخ سيّد نذير حسين محدّث دهلوي على مهر وقدره ألف ومائتا روبيّة، وأقرباء والد الفتاة غير راضين عمّا تمّ. وفي اليوم التالي عاد ميرزا غلام أحمد مع خطيبته إلى قاديان هو

ومن كان معه من مرافقيه. وبذلك تحققت جميع تلك الإلهامات التي كان قد تلقاها حضرته من قبل بشأن هذا الزواج الذي تم بشكلٍ معجزٍ وغير متوقع أيضاً. ذلك أنّ اللّه عز وجلّ الذي يصوّر المولود في الأرحام، كان قد قدّر أن تكون ابنة مير ناصر نوّاب الذي كان أجداده قد ألهمهم ربّهم أن ينتقلوا من بخارا إلى الهند منذ أجيال ليولّد منهم هذه الفتاة التي قدّر تعالى أن ينجب من بطنها أولاداً مباركين يكونون أعلاما في خدمة الإسلام ونشره على العالم. وهنا كان من المناسب أن يعلم القارئ بأنّ (**نصرت جهان بيكم**) عاشت ٨٨ عاما وتوفاها ربّها بتاريخ ٢١ نيسان عام ١٩٥٢م. ومن إخوانها الدكتور مير محمد إسماعيل. والأستاذ مير محمد إسحاق. وقد هاجر والد نصرت جهان بيكم وزوجته إلى قاديان عام ١٨٩٤م. وقد توفيت زوجته عام ١٩٣٢م عن عمرٍ وقدره ثمانون عاما. وفق ما ورد في جريدة الفضل ٢٢ كانون أول عام ١٩٣٢ صفحة ٩ -١٠. علما بأنّ ميرزا غلام أحمد كان في تلك الأيام قد أعلن بأنّ اللّه عز وجلّ قد جعله مجدّد ذاك القرن من الزمان. وإنّ والد زوجة حضرته مير ناصر نوّاب لم يسارع إلى الإيمان بصهره ميرزا غلام أحمد. وظلّ يراقب مجريات الأحداث وكانت تساوره بعض الشكوك والشبهات، إلى أن دخل الإيمان إلى قلبه وحضر الاجتماع السنوي الذي عقده حضرة الميرزا بنفسه عام ١٨٩٢م وهناك بايع صهره ميرزا غلام أحمد على جميع ما سمعه منه من ادّعاءات. وكان قد هاج على ميرزا غلام أحمد أقرباؤه من أبناء عمومته. فأنبأه ربّه عن وفاتهم في المستقبل القريب إن هم لم يؤمنوا واستمرّوا في عداوتهم إيّاه. ودارت الأيام وصدقت نبوءة ميرزا غلام أحمد فيهم جميعهم. فالزواج تمّ عام ١٨٨٤م. وبعد عامين وبتحريك من اللّه تعالى فقد نشر ميرزا غلام أحمد إعلانا بتاريخ ٢٠شباط عام ١٨٨٦م أعلن فيه بأنّ ربّه جلّ شأنه بشّره وقال له (**سأبارك عائلتك وأتمّ عليك نعمتي وسأنجب لك نسلا كثيرا من بعض بناتك التي سأعطيك إياهنّ. وأوسّع في نسلك وأباركهم إلا أنّ بعضهم سيموت في سنّ**

مبكّرة. وأنشر نسلك بكثرة في عدّة اقطار، واقطع فروع شجرة أجدادك واقطع نســلهم وانزل بهم البلاء إن هم لم يتوبوا..). فهذا الإعلان سخر منه مشايخ تلك الفترة من الزمان. وسخر منه أبناء عمومة حضرته الذين كانوا يتلقّون علومهم من أولئك المشايخ الذين عادوا حضرته عليه السلام. ولا شكّ أنّ من كان متأثرا بأفكار الوهّابيين الذين كانوا يسمّون أنفسهم (أهل الحديث) في الهند، والذين يقولون بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعد بعثة محمدّ رسول اللّه (ص) أنّى كان لهم أن يأخذوا ما تضمّنه الإعلان المذكور من وعودٍ إلهيّة ونبوءات على محمل الجدّ؟ لكنّ الأيام دارت وتوالت السنون. وتحقّق كلّ ما تضمّنه الإعلان المذكور من وعود ونبوءات. وأثبتت الأيام بأنّ إله الإسلام حيٌّ قيّومٌ ويكلّم عباده المقرّبين.

وأجد هنا أنّ من المناسب إطلاع القارئ على ما كانت تتحلّى به زوجة ميرزا غلام أحمد هذه التي كانت تُدعى (**نُصرت جهان بيكم**). والتي كان أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة ينادونها بلقب (أمّ المؤمنين). فبالرجوع إلى سيرتها التي كتبها الشيخ محمود أحمد عرفاني مدير جريدة (الحكم)، تبيّن من الكتاب المشار إليه والذي هو مؤلّف من جزء أول وجزء ثاني، أقول تبيّن بأنّ الزوجة المذكورة كانت أشبه بأمٍّ حنونة على كلّ إنسان بايع زوجها المجدّد الأعظم. وكان تعاملها مع زوجها منطلقا دوما من إيمانها بكونه المجدّد الذي ينبغي أن تأخذ بالعمل على كلّ كلمة ينطق بها والعمل على كلّ موعظة تسمعها منه. فكانت تُجري على ما ورثته من عادات وتقاليد رائجة في مدينة دهلي حتّى عادت أسوة حسنة لكلّ فتاة مبايعة تريد أن تكون أسوة لأولادها وصديقاتها. وكانت بسيطة في لباسها وطعامها وبعيدة عن روح التّكلّف المعهودة من جانب النساء. فإذا زارت أو زارتها امرأة تُواجه زائرتها بوجه بشوش وترحاب. وكانت حسّاسة الشعور تُبدي شفقتها على كلّ من احتاج إلى شفقتها. وكانت تحضّ على العمل وتُنفّر من الكسل وترك العمل. وكانت لا تُقدم على شيء إلا بعد

الدعاء. فإذا وعدت إنسانا تفي بوعدها. وتجتنبُ الإسراف في كلّ شيء وتحبّ البساطة والتواضع في جميع أحوالها. فإذا أقدم أحدٌ على خدمتها في أيّ مجال من المجالات تسارع لتقول له جزاكم الله عنّا. وكانت تعظّم شعائر الدين ومضيافة وتُشبع أولأدها محبّة وحنانا. ولا تترك وقتا من أوقات الصلاة يفلت منها إلا وتقوم للصلاة. فإذا خرجت من منزلها تلبس لباسا ذا حشمة وتسير بخطوات متّزنة ولا ترفع صوتها.

وقد حدث أنّ ميرزا غلام أحمد الذي ما كان قد مضى على زواجه سنتان إلا وتوجّه خلال كانون الثاني من عام ١٨٨٦م إلى مدينة هوشيار بور برفقة بعض مبايعيه وهم عبد الله سنوري وشيخ حامد علي وميان فتح خان ليخلو هناك مدّة أربعين يوما. وليتعبّد بعيدا عن الناس ووفقا لعادة جميع من بعثهم الله تعالى من قبله. فنزل في هوشيار بور ضيفا على شيخ مهر علي رئيس الذي استضافه ومن كان معه. فخصّص له غرفة خاصّة في الطابق العلويّ ما تزال حتى يومنا هذا قائمة كأثر من آثار حضرته. وهناك طلب من مضيفه أن يُعلمَ كلَّ من يريد الاجتماع بحضرته أن يزوره بعد أربعين يوما وأنّه سيقيم في هوشياربور عشرين يوما بعد مضي أيّام خلوته لاستقبال زوّاره. ولنستمع إلى السيّد عبد الله سنوري يروي لنا ما جرى في تلك الأيام وهي رواية مندرجة في سيرة المهدي الجزء الأول صفحة ٨٨. قال: (قطنّا في الطابق الأول. وأكّد علينا حضرة إمامنا عليه السلام ألا يحاول أحد من الناس التكلّم مع حضرته. فإن سألنا هو شيئا أن يجيبوه عليه باختصار وألاّ يزيدوا عليه شيئا. وأن يُرسلوا إليه طعامه، ولا ينتظر أحدٌ بإعادة الفوارغ وأنّه سيصلّي وحيدا أللّهمّ إلا يوم الجمعة فقد طلب أن يخصّص مكانا بعيدا عن الناس لصلاة الجمعة فيه. فكنّا نذهب معه يوم الجمعة إلى مسجد صغير مقامٍ في مزرعة فيصلي بنا صلاة الجمعة فيه ويخطب فينا خطبةً مختصرة. ونعود أدراجنا إلى المنزل الذي كنّا نقيم فيه. وذات مرّة صعدت إليه ومعي صينيّة

الطعام. فخاطبني حضرته وقال: (**يا عزيزي عبد الله لقد فتح الله عز وجلّ عليّ في هذه الأيام أبوابا واسعة من فضله وهو تعالى يخاطبني طويلا بحيث لا تكفي رزمة أوراق لتـدوين كلامه جلّ شأنه معي**).. هذا وإنّ الإعلان الذي سبق لي أن نقلت بعض ما ورد فيه والمؤرّخ في ٢٠ شباط عام ١٨٨٦م نشره حضرته بعد قضاء تلك الخلوة التي تكلّمت عنها، والتي أعلن حضرته عليه السلام فيه ما تلقّاه في خلوته من وعود وبشارات ونبوءات. فحضرته بقي في هوشيار بور مدّة عشرين يوما بعد أيام الخلوة الأربعين. استقبل خلالها كلّ من كان يريد زيارته والتعرّف عليه. ومن ثمّ رجع ومن معه إلى قاديان من نفس الطريق الذي جاء منه إلى مدينة هوشياربور. فهذه الرحلة كانت رحلةً تاريخيّة في حياة ميرزا غلام أحمد عليه السلام. وإلى القارئ ما تلقّاه حضرته في هوشياربور من بشارات بشان ما قدّر الله تعالى أن يهب حضرته من أولاد.

ثانياً – أولاده والبشائر بحقّهم

كنت أطلعت القارئ على فقرات من الإعلان الذي نشره ميرزا غلام أحمد بتاريخ ٢٠ شباط ١٨٨٦م تلك الفقرات التي حملت إليه بشارات عامّة بشأن عائلته والنسل الذي قدّر الله تعالى أن تنجبه هذه الزوجة الثانية التي تزوّجها من مدينة دهلي بناء على بشارات سبق لي أن ذكرتها وتحقّقت. والآن ما دمت بدأت الكلام عن أولاد حضرته عليه السلام. أنقل لهذا القارئ ما أورده ميرزا غلام أحمد في الإعلان المشار إليه حول ما بشّره به ربّه بشأن ولادة ابن له عظيم الشأن واشتهرت تلك البشارة بين أفراد جماعته عليه السلام باسم بشارة المصلح الموعود. إذ أنّ ميرزا غلام أحمد أورد في الإعلان المشار إليه بأنّ ربّه خاطبه قائلا: (**فأبشّرك بأني سأعطيك ابنا طاهرا ووجيها ويكون غلاما زكيّا من صُلبك ومنه تكون ذرّيتك. فيكون ضيفك ولدا طاهرا جميلا واسمه بشير الدين وإجابة لدعائك. أوتيَ روحا مقدّسةً ومطهّرا من الرجس. ويكون أحد أنوار الله تعالى. فمباركٌ الآتيّ من السماء، والذي يأتي معـه فضـل،**

ويكون صاحب عظمة ومال. فهو يأتي إلى الدنيا، ويشفي بنفَسه المسيحي وببركة روح الحقّ الذي معه الضّالين من أمراضهم. هو كلمة اللّه، لأنّ رحمة اللّه وغيرته أرسلته ممسوحا بكلمة التمجيد. ويكون ذكيا وفهيما جدّا وحليم القلب، ومملوءً بالعلوم الظاهريّة والباطنيّة. ويجعل الثلاثة أربعة وهنا قال حضرته: "علما بأنّي ما فهمت معنى هذه الفقرة الأخيرة". يوم الاثنين، مبارك يوم الاثنين. ابنٌ عزيزٌ مكرّمٌ وعالم، مظهر الأوّل والآخر، مظهرُ الحقّ والعلا، كأنّ اللّه نزل من السماء. والذي يكون نزوله مباركا جدّا، ومظهرا للجلال الإلهي. نورٌ آت نــور، عطّره اللّه بعطره. سنؤيّده بروحنا، ونتوّج رأسه بظلّ اللّه. ينمو سريعا، ويكون سببا لإطلاق سراح الأسرى. وتبلغ شهرته أقاصي الأرض. فتتبارك منه أقوام. ومن ثمّ تُرفعُ نقطتَه النفسيّة إلى أعلى، وكان أمرا مقضيّا). وبعد تلقّي ميرزا غلام أحمد بشارة (المصلح الموعود) هذه بأيام نشر بتاريخ ٢٢ آذار ١٨٨٦م إعلانا آخر وضّح فيه بأنّ ربّه أخبره بأنّ ربّه بشّره من جديد بأنّ ولادة (المصلح الموعود) المبشّر به الذي ذكرناه سيرزقه به خلال تسعة أعوام. وبالفعل فلم تمض تلك الأعوام التسعة إلا ورزق اللّه عز وجلّ حضرته من زوجته الثانية (نصرت جهان بيكم) بذاك الابن المبشّر به وذلك بتاريخ ١٢ كانون أول عام ١٨٨٩م ومصداق بشارة (المصلح الموعود). وقد سمّاه حضرته عليه السلام وفق البشارة المشار إليها باسم (**ميرزا بشير الدين محمود أحمد**). فالحمد للّه تعالى على ذلك. علما بأنّ اللّه عز وجلّ كان قد رزق المجدّد ميرزا غلام أحمد خلال السنوات التسعة المشار إليها ابنةً بتاريخ ١٥ نيسان عام ١٨٨٦م وسمّيت **عصمت** وتوفّيت عام ١٨٩١م. ومن بعدها رزقه ربّه منها ذكرا ولد بتاريخ ١٧ آب عام ١٨٨٧م وسمّاه والده **بشير الأوّل**. ولم يعش هذا أكثر من سنة وربع. وتوفي بتاريخ الرابع من تشرين ثاني من عام ١٨٨٨م. فشاع خلال تلك المدّة من قبل أعداء حضرته من المشايخ بأنّ نبوءة حضرته حول ولادة المصلح الموعود كاذبة بدليل موت بشير الأول. وإذ بزوجة حضرته تلد **ميرزا بشير الدين محمود أحمد** بتاريخ ١٢ كانون أول عام ١٨٨٩م. وحينئذ أعلن ميرزا غلام أحمد بأنّ هذا هو

المولود المنبأ عن ولادته ضمن التسعة أعوام. وانطلاقا من هذه الحقيقة التي آمن بها حضرته عليه السلام، فقد أعلن في نفس التاريخ المذكور عن البيعة وشروطها العشرة لقبول المبايع في الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة التي كان قد وضع أساسها بأمر من ربّه عز وجلّ. وبالفعل فقد تحقّق نبأ المصلح الموعود بولادته وعلى حسب ما أثبتت الأيام هذه الحقيقة. وانتُخب **ميرزا بشير الدين محمود أحمد** فيما بعد الخليفة الثاني لوالده عليه السلام. علما بأنّ والده زوّجه عام ١٩٠٣م بابنة الدكتور خليفة رشيد الدين واسمها محموده بيكم وعلى مهرٍ مقداره ألف روبيّة.

ومن المناسب هنا التّذكير بأنّ ميرزا غلام أحمد كان قد طلب البيعة ممّن آمنوا بكونه مجدّدا وذلك في الإعلان الذي نشره بتاريخ الأول من كانون أول عام ١٩٨٨م. لكنّه لم ينشر وقتها شروط البيعة المطلوبة. وكان الدافع له لإعلان البيعة وقتئذٍ أنّه تلقّى إلهاما ونصّه: **(إذا عزمت فتوكّل على الله. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا. الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم)**.. أما وقد ولد له المصلح الموعود بعد شهر من تلقّيه الإلهام المشار إليه. فقد سارع حضرته وأعلن بأنّ هذا المولود هو الذي سيكون المصلح الموعود. ونشر في اليوم نفسه شروط البيعة العشرة. ثمّ إنّه بعد وفاة ابنته عصمت عام ١٨٩١م رُزقَ حضرته بابنٌ سمّاه **شوكت** الذي توفّاه ربّه في العام الذي تلاه أي في عام ١٨٩٢م. وبذلك برزت ولادة المصلح الموعود من بين هؤلاء الأبناء الأربعة كآية معجزة. فعاش **ميرزا بشير الدين محمود أحمد** إلى آن أصبح شابا. وبتاريخ الأول من آذار أصدر هذا الشاب **محمود أحمد** مجلّة باسم (تشحيذ الأذهان) كان المقصد منها تربية الشباب المبايعين الذين بايعوا والده وللردّ على اعتراضات المشايخ المعاندين، وكتابة المواضيع التي تساعد على نشر الأفكار الإسلاميّة الحقيقيّة التي كشفها ربّه عز وجلّ على والده. وقد أفاد إصدار تلك المجلّة كثيرا وحقّقت مقاصدها. على حين أنّ **ميرزا بشير الدين محمود أحمد** الذي أصدرها لم يكن قد بلغ وقتئذ الثامنة عشرة من

عمره. وإنّ كلّ من يطالع المواضيع التي كتبها هذا الشاب في مجلّته في تلك الأيام، لابدّ وأن يُدرك عظمة شخصيّته التي كان مقدّرا له معها أن يكون المصلح الموعود والخليفة الثاني لوالده عليه السلام.

وما أن مضت تلك السنوات التي ذكرتها والتي حملت تلك الابتلاءات إلا وقد ولدت زوجة حضرته بتاريخ ٢٠نيسان عام ١٨٩٣م ابنا ذكرا سمّاه والده **ميرزا بشير أحمد**. علما بأنّ ميرزا غلام أحمد كان قد تلقّى إلهاما يبشّره بهذا الابن قبل ولادته بأربعة أشهر. ونصّ الإلهام **(يأتي قمرُ الأنبياء وأمرك يتأتّى. يسُرُّ اللّه وجهكَ وينيرُ بُرهانك. سيولدُ لك الولد ويُدنى منك الفضل. إنّ نوري قريب)**.. فلما ولدت زوجته هذا الابن بشير أحمد اعتنى حضرته بتربيته وخصّص له معلّما أقرأه كامل القرآن الكريم. فلما أتمّ ابنه ختم القرآن الكريم احتفى والده بتلك المناسبة ودعا إلى تلك الحفلة كلّ من استطاع دعوته إليها. ونظم أشعارا بحقّ ابنه هذا. واشتهرَت تلك الأشعار فيما بعد بأشعار تلك المناسبة. فشبّ ميرزا بشير أحمد وبتاريخ ١٢أيلول عام ١٩٠٢م عقدوا نكاحه على ابنة رئيس ديوان حكومي في بشاور مولانا غلام حسن خان وكان اسمها سرور سلطانه. فلما حان تاريخ ١٠ مايس عام ١٩٠٦م سافر مير نواب خان وبشير الدين محمود أحمد والعالم سيّد سرور شاه والمحامي خواجه كمال الدين وبعض مرافقيهم إلى بشاور من أجل أن يأتوا بالعروس من بيت والدها. وقد أقاموا هناك في بيت والد العروس عدّة أيام وعادوا بعدها بتاريخ ١٦ مايس إلى قاديان والعروس برفقتهم. وعاش ميرزا بشير أحمد عمرا مديدا ونال شهادة جامعيّةً وأصبح عالما مشهورا. وترك عدّة مؤلّفات. وبعد ولادته بعامين ولدت زوجة حضرته ابنا ذكرا ثالثا بتاريخ ٢٤ مايس من عام ١٨٩٥م وسمّاه حضرته **ميرزا شريف أحمد**. وكان ميرزا غلام أحمد قد تلقّى إلهاما مبشّرا بحقّه تكرّر تلقّيه إياه مرتان قبل ولادته. ونصّه **(مُعمَّرُ اللّـــه)**. كما كان قد شاهد بحقّه رؤيا مبشّرة. فشبّ هذا وبتاريخ ١٥ تشرين ثاني عام ١٩٠٦م

عقدوا نكاحه على ابنة محمد علي خان رئيس ماليركوتله واسمها زينب بيكم على مهر وقدره ألف روبيّة. وقد تمّ زواج العروسين بعد وفاة ميرزا غلام أحمد وبتاريخ التاسع من شهر مايس عام ١٩٠٩م. وقد عاش ميرزا شريف أحمد عمرا مديدا هو أيضاً. ومن ثمّ ولدت زوجة حضرته الابن السابع وكانت أنثى بتاريخ ٢ آذار عام ١٨٩٧م وسمّاها والدها نوّاب **مباركة بيكم**. وكان ميرزا غلام أحمد قد تلقّى بحقّها إلهاما مبشّرا قبل ولادتها ونصّه **(تنشأ في الحلية)**. وتحقّق مضمون هذا الإلهام بعد أن شبّت وأصبحت شابّة. وتزوّجها نوّاب محمد علي خان الذي كان ثريا وعنده أملاك كثيرة. فلما بلغ عمر هذه أربع سنوات تلقّى والدها ميرزا غلام أحمد إلهاما ونصّه **(نوّاب مباركة بيكم)**. ولم يوضّح حضرته ما فهمه من هذا الإلهام. والذي حدث أنّ زوجة نوّاب محمد على خان رئيس ماليركوتله التي كان اسمها أمة الحميد مرضت خمسة أشهر وتوفّيت عن عمر يناهز عشرين عاما. وذلك بتارخ ٢٧ تشرين ثاني عام ١٩٠٦م. فأخذ هذا يبحث بعد موت زوجته عن زوجة. فطلب من ميرزا غلام أحمد عليه السلام أن يرشّح له زوجة. فحاول حضرته لكنّ كثيرا من العقبات كانت تقف دون من يكتب إليهم في هذا المجال. فقصد حينئذٍ الحاج حكيم نور الدين بهيروي يطلب منه الدعاء وليكتب لمن يشاء يطلب له زوجة. وكان هذا يتذكّر الإلهام الذي تلقّاه ميرزا غلام أحمد بشأن ابنته وهو **(نوّاب مباركة بيكم)**. فلم يتجرّأ على مصارحة نوّاب محمد على خان بما تذكّر. وكلّ ما قاله له: (سأكاتب بشأن زواجك وإن كان هذا خلاف ما يحدّثني به فؤادي وخلافا لِما يتحرّك به لساني). فسكت نواب محمد علي خان وخرج من عنده دون أن يتكلّم بكلمة. وذهب من هناك إلى دار المرحوم الأستاذ عبد الكريم الذي كانت زوجته ما تزال حيّة وتزور زوجة ميرزا غلام أحمد على الدوام. فطلب منها أن تستطلع من جانبها رغبة حضرته فيما يتعلّق بابنته مباركة بيكم ورأي والدتها. فذهبت وقامت بالمهمّة فوافق حضرته عليه

السلام على هذا الزواج ليتمّ بذلك ما كان قد تلقّاه من إلهام بشأنها وهو (**نوّاب مباركة بيكم**). لكنّ حضرته اشترط على نوّاب محمد علي خان أن يدفع مهر ابنته مقدار دخل سنتين من دخله السنوي وهو ٥٦ ألف روبية. فوافق هذا على ما اشترطه عليه والذي حدث أنّه ورث في ذاك العام ما يعادل دخل سنة. وعلى أثر ذلك عقدوا نكاحه على ابنة حضرته (**نوّاب مباركة بيكم**) وذلك بتاريخ ١٧ شباط عام ١٩٠٧م. وفي العام التالي توفّي ميرزا غلام أحمد عليه السلام وتأجّل الزواج. وبعد وفاة حضرته بتسعة أشهر ونصف، أخذت زوجة هذا المجدّد الأعظم بيد ابنتها فقامت بزيارة نواب محمد علي خان في بيته وكان منزله بقرب منزلهم. فلما استقبلها نوّاب محمد علي خان بادرته بقولها: (لقد جئت بهذه اليتيمة لتكون بذمّتك) واغرورقت عيناها بالدموع ولم تستطع أن تزيد على الذي نطقت به بكلمة واحدة، فألقت عليه السلام وانصرفت من عنده. وعلى هذه الصورة تمّ زواج نوّاب محمد علي خان **بنوّاب مباركة بيكم** التي كان بشّر ربّها والدها بهذا اللّقب (نوّاب) والتي كانت ما تزال في الرابعة من عمرها. وتمّ الزواج بتاريخ ١٤ آذار عام ١٩٠٩م وبدون القيام بأيّ شكلٍ من أشكال الاحتفال بهذا الزواج. فعاشت هذه الابنة عمرا مديدا وبرزت كشاعرة مفوّهة. وإنّ أشعارها ما يزال المنشدون يردّدونها. وكان لها قصيدة ردّت من خلالها على قصيدة للشاعر محمد إقبال. وبعد ولادة مباركة بيكم كانت زوجة ميرزا غلام أحمد قد رزقت بابن ذكر بتاريخ ١٤ حزيران عام ١٨٩٩م سمّاه والده **ميرزا مبارك أحمد**. وكان ميرزا غلام أحمد قد تلقّى قبل ولادة ابنه المذكور إلهاما ونصّه: (**إنّي أسقُطُ من اللّه وأصيبُه**). وأوّل حضرته هذا الإلهام بأنّ اللّه تعالى بشّره بأنّ هذا الغلام سيكون تقيًا جدًا لكنّ ربّه سيتوفّاه في سنّ مبكّرة ولا يعيش طويلا. فعاش هذا الابن الذي كان الأخير من بين إخوته أقول عاش ثمانية أعوام وعدّة أشهر في ظلّ والده. وتوفّاه ربّه قبل وفاة والده بعام أي بتاريخ ١٦ أيلول عام ١٩٠٧م. وكان حضرته

يحبّه كثيرا ولمّا مرض كان يشرف عليه ليلا ونهارا. فلما توفّاه ربّه وفق ما كان قد أنبأ والده عن قِصَرِ عمره، أبدى ميرزا غلام أحمد صبرا ورضاء بقضاء ربّه بشكلٍ أدهش من كان يعرف محبّته لهذا الابن. وقد نظم حضرته بعض الأشعار وأمر أن تُكتب هذه الأشعار على شاهدة قبر ابنه المذكور. وترجمة البيت الأول: (**لقد فارقنا اليوم هذا الذي كان قطعة من أكبادنا وهو جميل الصورة فأحزننا**). وترجمة البيت الثاني: (**كان عمره ثمانية أعوام وعدّة أشهر عندما ناداه ربّه، هذا المنادي الذي نحبّه أكثر من كلّ شيء وفداه أرواحنا**). كما ولدت زوجة حضرته بتاريخ ٢٨ كانون ثاني عام ١٩٠٣م ابنة سماها والدها (**أمة النصير بيكم**). وتلقّى ميرزا غلام أحمد بحقّ هذه المولودة إلهاما ونصُّه: (**غاسق الله**). فقام حضرته على أثر تلقّيه هذا الإلهام بالسجود على أعتاب ربّه عز وجلّ والدعاء ليتلطّف بزوجته. وإذ بهذه المولودة قد توفّيت في نفس العام الذي ولدت فيه وبعد عدّة أشهرٍ من ولادتها وبتاريخ ٣ كانون أول ١٩٠٣م. ومن ثمّ كانت ولادة الابن العاشر وكانت أنثى وسمّيت (**أمة الحفيظ بيكم**) وذلك بتاريخ ٢٥ حزيران عام ١٩٠٤م. وكان حضرته عليه السلام قد تلقّى إلهاما بحقّ ولادة هذه الابنة ونصّه (**دُخت كرام**) ومعناه (**أخت الكرام**). علما بأنّها عاشت عمرا مديدا. وقد خطبها الشاب نواب عبد اللّه خان ابن نواب محمد علي خان رئيس ماليركوتله وكان ما يزال عمرها إحدى عشر سنة وبتاريخ ٧ حزيران عام ١٩١٥م وعلى مهر ١٥ ألف روبيّة. وتمّ الزواج بتاريخ ٢٢شباط عام ١٩١٧م وعلى هذه الصورة يكون ميرزا غلام أحمد قد رزقه ربّه عشرة أبناء من زوجته الثانية التي كان ربّه قد بشّره بها وبنسلها. فمات منهم خمسة أبناء وعاش منهم خمسة أيضاً. وهؤلاء الخمسة أصبحوا فيما بعد النسل الأساس في دوام ذرّيته عليه السلام. وذكر حضرته عليه السلام هذه الحقيقة فيما بعد في أحد أشعاره وترجمته: (**إنّ هؤلاء الخمسة من أبناء السيّدة نصرت جهان عليهم بالذات سيقوم بناء نسلنا**). وكان حضرته يهتمّ بتربية أبنائه

كثيرا ويخصّص لهم من يُقرئهم القرآن الكريم. فلمّا ختَمتَ هذه الابنة القرآن الكريم احتفل حضرته بتلك المناسبة وبختم أخوها ميرزا بشير أحمد وأخوها ميرزا شريف أحمد اللّذان كانا قد ختما هما أيضاً القرآن الكريم. فاحتفل حضرته بمناسبة ختم هؤلاء الثلاثة القرآن الكريم ونظم قصيدة حول تلك المناسبة. وإليكم ترجمة الأبيات الأخيرة الثلاثة من تلك القصيدة: (**أذكر أفضالك يا ربّي الذي بشّرتني بهؤلاء الأبناء. وإنك بشّرتني بأنّهم سيعمّرون كحدائق غنّاء. فهذه بشارات ربّي الهادي فسبحان الذي أخزى الأعادي**).. وقد سأل نواب محمّد علي خان الذي أصبح فيما بعد زوج مباركة بيكم ابنة ميرزا غلام أحمد، سأل حضرته عن حقيقة ذاك الاحتفال الذي أقامه بمناسبة ختم أولاده للقرآن الكريم أهو احتفال تقليديّ متعارف عليه أو هو شيء آخر؟ فأجاب حضرته عليه السلام عليه بقوله (**إني عندما أُقدم على خطوة من الخطوات، تكون نيّتي إظهار جلال اللّه تعالى وعظمته. وإنّ هذا الاحتفال يدخل فيه. ولما كان كلّ واحد من هؤلاء الأولاد الثلاثة يعتبر آية على وجود اللّه تعالى الذي بشّرني بولادقم وأصبحوا آية على مصداقيّة تحقّق تلك البشائر، فقد عاد فرضا علينا أن نحتفل بختمهم القرآن الكريم. من منطلق أنّ هذا الاحتفال يُعدُّ في حدّ ذاته الدليل على وجود اللّه تعالى وعلى صدق نبوّة محمد رسول اللّه (ص) وصدق القرآن الكريم الذي أنزله ربّه عليه. وإنّ ما كتبته من أشعار بهذه المناسبة فقد اقتضى نظمها شكر ربّي على فضله وكرمه. ولذلك فإنّ هذا النوع من الاحتفال يُعتبر مباركٌ في نظري**).. فمن خلال هذه الكلمات الواضحة الدلالات التي أجاب ميرزا غلام أحمد بها على سائله نُدرك بأنّ حضرته عليه السلام كان على يقين كامل من أنّ ربّه عز وجلّ قد بشّره بهؤلاء الأبناء قبل ولادتهم ليكونوا أساس استمرار ذرّيته. والأساس في توطيد أركان الإسلام ونشره على العالم كلّه. ومن هذه النظرة التي كان ينظر منها حضرته عليه السلام ينبغي علينا كمبايعين لهذا المجدّد الأعظم أن نوقن بأنّ كلّ ما يحدث بعد وفاة حضرته عليه

السلام يدخل في باب تجلّي الآيات السماويّة لتأييد تلك البشائر التي كان قد تلقّاها ميرزا غلام أحمد بشأن زواجه من (**نصرت جهان بيكم**) وبشأن أولاده منها. وأنا وبعد أن أطلعت القارئ على أحوال زواجه الثاني وعلى ما ولدت له من أولاد ووفق ما كان يتلقّاه حضرته عليه السلام من إلهامات بشأنهم وقبل ولادتهم. أرى أن أُعطي هذا القارئ فكرة ولو بسيطة عن عظمة تحقّق نبوءة (**المصلح الموعود**) في شخص ابن حضرته وهو **ميرزا بشير الدين محمود أحمد** الذي عشت أنا المؤلف في ظلاله مدّة ستّة سنوات رحمه اللّه تعالى وأسكنه واسع جنانه.

فأوّل ما ينبغي أن يفكّر المرء به هو: لماذا ورد مصطلح (**المصلح الموعود**) المتعلّق بحقّ الابن الأكبر (ميرزا محمود أحمد)؟ فأقول إنّ هذا الاصطلاح أورده ميرزا غلام أحمد نفسه في إعلان تكميل التبليغ الوارد في الجزء الأول من (تبليغ الرسالة) صفحة ١٤٧ وإلى ١٤٩ وفي الحاشية عام ١٨٨٦م. وإنّ كلمة (المصلح) ترد في اللّغة العربيّة ضدّ كلمة (المفسد). واستنباطا من دلالة كلمة (المصلح) نفهم بأنّ هناك فتنةٌ آتيةٌ على الجماعة التي أسّسها هذا المجدّد وتحتاج هذه الجماعة في ذاك الحين إلى (**مصلح**) ينقذها من تلك الفتنة. والذي حدث في حياة هذا المجدّد الأعظم أنّه عندما انتشر الطاعون في الهند وأعلن حضرته بأنّ ربّه وعده بأنّه سيحافظ كلّ من بالدار. واجتمع في بيته أكابر أفراد جماعته وطلب من الحكومة ألاّ تقوم بتلقيح كلّ من كان في داره خاصة بسبب إيمانه بأنّهم في حفظ ربّهم عز وجلّ. فقد كان من جملة أولئك محامي بارز واسمه محمد علي. وأتيت على ذكره في مناسبات عديدة. فهذا المحامي وإن كان بارزا في مهمّة المحاماة. لكنّه أثار حول شخصه شبهةً حين أصبح هناك في دار حضرته في يوم من الأيام مريضا ومحموما وظنّ بأنّه أصيب بالطاعون. فهدّأ ميرزا غلام أحمد من اضطرابه ورفع من معنويّاته وعالجه فشفاه اللّه تعالى. فهذا المحامي قام بفتنة كبيرة بعد وفاة الخليفة الأول الحاج الحكيم نور الدين بهيروي، وهي فتنةٌ

عُرفت في تاريخ الجماعة بفتنة المنشقّين اللاهوريّين. وقد حقّق اللّه عز وجلّ المحافظة على جماعة هذا المجدّد على أيدي ابنه الأكبر الذي كان ما يزال شابا في الخامسة والعشرين من عمره. فقد شاهد عددٌ من أبرز أتقياء الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة وتجاوز عددهم الثلاثمائة شاهدوا رؤىً صالحة في منامهم وقبل وفاة الخليفة الأول دفعهم ربّهم في تلك الرؤى إلى انتخاب هذا الابن الأكبر ليصبح الخليفة من بعده مع أنّهم ما كانوا في مكان واحد. فلما توفّي الخليفة الأول سارعوا إلى قاديان وأعلنوا مشاهداتهم في رؤاهم تلك وبايعوه. وفوجئ المحامي محمد علي وثبت أنّه كان يسعى للسيطرة على الجماعة. علما بأنّ اللّه عز وجلّ وعد في كتابه العزيز وقال في سورة النور الآية رقم ٥٥ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.. فوفقا لهذا الوعد الإلهي تدخّل اللّه تعالى وتجلّى على أبرز أتقياء الجماعة بتلك الرؤى الصالحة التي وجّههم من خلالها لانتخاب هذا الابن الأكبر المبشّر بولادته قبل ولادته بتسعة أعوام وعلى حسب ما كنت قد أتيت على ذكره في حينه. علما بأنّ ظاهرة مشاهدة عشرات الرؤى الصالحة المبشّرة بخليفة جديد حدثت حين انتخبوا الخليفة الثالث أيضاً. وحين انتخبوا الخليفة الرابع أيضاً على حسب معرفتي الشخصيّة. وإنّ هذه الظاهرة نفسها تشكّل الدليل على صدق هذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد الذي كان القرآن الكريم قد أنبأ عن ظهوره زمن فساد المسلمين. وكان محمد رسول اللّه (ص) قد أنبأ عن بعثته هو أيضاً في أحاديثه الشريفة من أنّه يُعيد الخلافة على منهاج النبوّة. وها أنّ الخلافة الإسلاميّة قد عادت ونحن اليوم في ظلّ الخليفة الخامس لميرزا غلام أحمد عليه السلام الذي أظهره اللّه تعالى على أمور الغيب بكثرةٍ ظاهرة وجعله من المحدَّثين.

الفصل الثالث

أخلاق ميرزا غلام أحمد عليه السلام

وبعد أن فرغت من بيان سيرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام. أرغب في التحدث قليلا عن أخلاقه الفاضلة وعن شمائله التي شهد بنبلها وسموّها وكرمها كلّ إنسان عاش بقربه وتعامل معه، وذلك قبل وبعد أن بعثه ربّه عز وجلّ مجددا أعظم لكسر الصليب وقتل الخنزير ووضع الأساس للقضاء على المسيح الدجّال ومن والاه من اليهود. ففي صباه كنت بيّنت كيف أنّ والده ما كان يرجو من ولده هذا خيرا دنيويا بسبب ملاحظته أنّ ابنه ميرزا غلام أحمد كان يُمضي أكثر أوقاته في المساجد يصلّي ويتدبّر آيات القرآن الكريم وهو يسعى لتدبّر آيات كتاب الله العزيز وباستغراق نادر الحدوث. وفي تلك الفترة من سنوات الصبا ما كان ميرزا غلام أحمد يتصرّف كتصرّف الشباب. بل تركت تقواه بآثارها العميقة على تصرّفاته في سنّ صباه. تلك الآثار التي كان يتلمّسها كلّ من كان يعرفه وخاصةً منهم والدته التي كانت تحبّه أكثر من بقيّة أبنائها فترعاه وتدافع عنه بسبب ورعه وتقواه. وبسبب ما كان يُسِرُّ لها من مشاهداته من الرؤى الصالحة التي كان يشاهدها، وما كان يتلقاه من بشارات ربّه وما كان يُستجاب له من أدعية. وكان حضرته يبادلها هذه المحبّة حتى أنّه وبعد وفاتها كان كلّما ورد ذكرها أمامه بمناسبة من المناسبات، تدمع عيناه ويرفع يديه بالدعاء لها دعاء كثيرا. فلمّا بعث الله عز وجلّ ميرزا غلام أحمد مجدّدا عاد يتبنّى في كلّ حركة من حركاته وفي كلّ ما كان يفعله ما انطوت عليه الأسوة المحمَديّة من ملامح وإلى درجة أنّ كلّ من كان قد طالع السيرة المحمديّة وراح في الوقت نفسه يراقب حركات وتصرّفات ميرزا غلام أحمد عليه السلام، يعود يقطع بأنّ ميرزا غلام أحمد عاد يشكّل ظلا حقيقياً للمصطفى صلّى الله

عليه وسلّم. وأبدأ بإطلاع القارئ أوّل ما أطالعه على وجه التعامل الحقيقي لتعامل ميرزا غلام أحمد مع زوجته وأولاده وعلى نصائحه التي كان ينصح بها مريديه في هذا المجال. ومقتبسا هذه المعلومات ممّا كتبه العالم الجليل الأستاذ عبد الكريم سيالكوتي الذي كان يُعتبر من أقرب المقرّبين إلى حضرته عليه السلام. والذي كان ميرزا غلام أحمد يقدّمه ليؤمّ المصلين في أكثر أوقات حين أداء فريضة الصلاة. علما بأنّ زوجة الأستاذ عبد الكريم كانت على تماسّ مع زوجة حضرته عليه السلام. فهذا الأستاذ المذكور الذي كان ضليعا باللّغة الفارسيّة، كان قد طلب منه بعض أصدقائه أن يكتب لهم معلوماته حول سلوك ميرزا غلام أحمد مع زوجته وتعامله معها، وعلى حسب ما وصله من أخبار ذلك عن طريق زوجته. خصوصا وأنّه كان قد أمضى عشرة سنوات يسكن بجوار حضرته فاستجاب لهم الأستاذ عبد الكريم، وكتب رسالة في موضوع سيرة سيّده. وطُبعت رسالته هذه بتاريخ العاشر من تموز عام ١٩٩٩م. فممّا ورد في رسالته تلك قوله: (إنني راقبت طيلة عشر سنوات كيف يتعامل ميرزا غلام أحمد مع زوجته وأساليب حضرته في تعامله مع زوجته، فتوصّلت إثر تلك المراقبة الطويلة إلى نتيجة واضحة المعالم وهي أنّ اللّه عز وجلّ قد فطر إمامنا على جبلّةٍ لم يقربها الشيطان بشكلٍ من الأشكال. وكان حكمي في الموضوع قياسا على نفسي وعلى العشرات من معارفي. فكلّ واحد منّا كان ينقد زوجته على أبسط الأمور التي تصدر عنها، ويبدأ بالأخذ والردّ معها إلى أن يبلغ النقد أقصاه... كنّا نفعل هذا ومتناسين في الوقت نفسه بأنّ اللّه عز وجلّ حين يتكلّم عن دار السلام الأخرويّ يقول في كتابه العزيز ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.. هذا الإخبار الذي يريد اللّه عز وجلّ من ورائه تفهيمنا بأنّ الذي يريد أن يكون من أصحاب الجنّة فإنّ من واجبه اتّقاء وتجنّب نقد زوجته والتلاسن معها

ونزع كلّ غلٍّ نحوها. هذا وكنّا نسمعُ من إمام زماننا في مناسبات عدة يعظنا ويقول: (**علينا أن نحتمل كلّ ما يصدر عن زوجاتنا من نقائص وسوء تدبير إلا أن تصدر عنها فحشاء**). وكان يقول لنا أيضاً: (**من بالغ قلّة الحياء أن يتشاجر الزوج مع زوجته. فاللّه عز وجلّ وقد خلقه رجلا كان من واجب شكر ربّه عليه أن يُبادر زوجته باللّين والملاطفة**). وحدث مرّة أن أخبرناه عن صديق يسيء معاملة زوجته. فأبدى حضرته غضبه وامتعاضه وقال: (**لا ينبغي أن يتّصف أحبابي بهذه الصفة**)... وحدث أن كان بيننا بعض تلاميذ الصوفي الغزنوي. فدار بيننا وبينهم أحاديث حول أمور جنسيّة. فارتأى أحدهم على ميرزا غلام أحمد أن يعامل زوجته بنوع خشونة ليطوّعها. فنظر إليّ ميرزا غلام أحمد متبسّما وقال: (**إنّ على أحبّائنا أن يتجنّبوا هذا النوع من السلوك**)... وقد وعظنا ميرزا غلام أحمد ذات مرّة في موضوع معاشرة النساء وقال (حدث أن **رفع حضرته صوته ذات مرّة على زوجته. فلاحظ انزعاجها منه. لكنّها لم تردّ عليه بكلمة واحدة. فأضاف قائلا بأنّه جلس بعد هذا الذي صدر عنه يستغفر ربّه كثيرا ويصلّي نوافل كثيرة خاشعا بين يدي ربّه جلّ وعلا كيلا يكتب عند ربّه مذنبا عاصيا**)..

وهنا تساءل عبد الكريم أن ما هو السببُ في أنّ حضرته كان يحتاط كلّ هذا الاحتياط؟ وأجاب على هذا السؤال وقال: كان ميرزا غلام أحمد يحتاط كلّ هذا الاحتياط لسببٍ رئيسيٍّ وهو أنّ حضرته كان يردّد أحيانا ويقول: (**إنّ اللّه عز وجلّ هو الذي زوّجني من هذه الزوجة. وهو الذي بشّرني بأولادي منها أولئك الذين سيكونون خدّاما لدين الإسلام ولنشره على العالم. لذلك أعتبر زوجتي هذه شعيرة من شعائر اللّه تعالى الأمر الذي يدفعني لأداريها إلى أبعد حدّ**).. وهنا يقول الأستاذ عبد الكريم: (من المخجل أن يتّهم أيّ إنسانٍ ميرزا غلام أحمد، بعد معرفته بمستوى تعامله مع زوجته وبعد سماعه هذه المواعظ كلّها التي ذكرتها والتي تبيّن له مدى تقوى حضرته عليه السلام ومدى خشيته من ربّه ومدى معرفته بدقائق علوم تقوى اللّه تعالى، من المخجل أن يتجرأ إنسان والحال هذه ليتّهمه بما يتجرأ مخالفيه على

اتّهامه به من اتّهامات. فتقوى ميرزا غلام أحمد وخشيته غير العاديّة من اللّه تعالى وعلى هذه الصورة التي ذكرتها تكفي للتّدليل على أنّه مبعوث من قبل ربّه عز وجلّ. فها كم دقّقوا في سلوك جميع الذين يدّعون التصوّف والخشية من ربّهم مع زوجاتهم داخل بيوتهم، فإنّكم لن تعثروا على واحدٍ منهم يتّصف بصفات إمام زماننا في تعامله مع زوجته داخل داره).. وممّا أورده الأستاذ عبد الكريم في رسالته فيما يتعلّق بالجوّ الذي كان يقوم فيه ميرزا غلام أحمد داخل داره بتأليف وكتابة تلك المؤلّفات العظيمة في اللّغات العربية والفارسية والأرديّة التي كان يكتبها وغالبا ما يكون على سريره. فهو قال: (كنت أعلم بواسطة زوجتي أنّ جوّ دار ميرزا غلام أحمد كجوّ باقي البيوت عندنا، ولا يختلف عنها في شيء. فالزوجة وصديقاتها وضيفاتها كنّ يتحادثن داخل غرفة الاستقبال بصوت مرتفعٍ ويتمازحن أحيانا. وكان أطفال حضرته يلهون ويلعبون مع أطفال الضيوف ويتنقّلون من غرفة إلى أخرى وهم يتراكضون كما يحدث في بيتنا. فكان هذا يحدث من جهة، وفي وقت يكون ميرزا غلام أحمد نفسه جالسا في غرفته وفوق سريره يكتب بسرعة عجيبة. فسألته ذات مرّة عن جوّ داره المشار إليه وقلت أ فلا يزعجك ما يحدث وهل لا يؤثّر ذلك الجوّ المضطرب على سلسلة أفكارك؟ فابتسم حضرته وأجابني (**إنّي لا أسمع شيئا حين أكتب ولا يحدث فيما أفكّر فيه وفيما أتلقّاه من جانب ربّي عز وجلّ أيّ تشويش، فلماذا أنزعج؟** وأضاف عبد الكريم يقول: لقد حدث ذات مرّة أنّ ميرزا غلام أحمد عليه السلام كان يؤلّف كتابا. وكان كلما أنهى كتابة ورقة وضعها بجانبه. وكان ابنه محمود وقتئذٍ في الرابعة من عمره يلهو ويلعب مع الأطفال الضيوف في جميع أرجاء الدار. ولا ندري ما الذي دفع ابنه محمود ليجمع تلك الورقات الموضوعة بجانب والده وليذهب بها خارج الغرفة ليحرقها مع بقيّة الأطفال الذين كانوا يضحكون ويصفّقون له. فأسرعت النساء حينئذ وأطفأت الحريق ولكنّ بعد أن كانت النار قد جعلت تلك الأوراق

رمادا. وفي تلك اللّحظات شاء حضرة إمام زماننا مراجعة بعض ما كتبه، فالتفت إلى جنبه لكنّه لم يجد أوراقه المكتوبة. فأخذ يسأل عن تلك الأوراق وعمّن أخذها؟ ولم يجرؤ أحد من الحاضرين على إخباره عمّا حدث. وإذ بطفل من أولئك الأطفال تقدّم منه وقال له: نحن أحرقنا تلك الأوراق. وهنا توجّهت أنظار جميع الحاضرين نحو حضرته ومتخيّلين أنّ حضرة ميرزا غلام أحمد سيغضب على الأطفال وعلى أمّهاتهم اللّواتي تركن أبناءهنّ يُقدمون على ما فعلوه، ولم يراقبن أولادهن ماذا يفعلون. لكنّ الدهشة تملّكتهنّ جميعهنّ حين شاهدن ميرزا غلام أحمد وقد ابتسم من فوره وأخذ يخفّف من وطء ما حدث عليهنّ قائلا (**حسنا ما حدث. ولابدّ أن يكون للّه تعالى فيما حدث حكمة مخفيّة لا نحيط بها علما. وإنّ ربّي يريد أن يفهّمني من لدنه شيئا أهمّ ممّا احترق**). ذكر عبد الكريم هذه الحادثة وخاطب قرّاء رسالته قائلا: فقارنوا أنتم بأنفسكم ما بين هذا الموقف الذي وقفه إمامنا في تلك اللحظات العصيبة، وما بين ما هو معروف من عادات جميع الناس الذين يعاصروننا من مسلمين وغير مسلمين. وفكّروا: هل تتصوّرون أن يقف إنسان غيره هذا الموقف الذي صدر عنه؟ ثمّ أ فلا يدلّ هذا الحادث على يقين حضرته بربّه ويقينه برعايته إياه؟ وروى الأستاذ عبد الكريم حادثة أخرى تشبه الحادثة الأخيرة التي ذكرتها. فقال: ناول إمامنا ذات مرّة أوراقا إلى يد الحكيم نور الدين بهيروي ليعطيني إياها لأترجمها إلى الفارسيّة. وخرجت والحكيم نور الدين نتنزّه. وفي الطريق سقطت الأوراق من جيب نور الدين دون أن يدري. فلما رجعنا عائدين إلى دورنا وأراد هناك الحكيم نور الدين إعطائي تلك الأوراق لأقوم بترجمتها إلى الفارسيّة وحسبما طلبه منه ميرزا غلام أحمد. فقد تبيّن لنور الدين بأنّه أضاع تلك الأوراق فبحث كثيرا، لكنّه لم يجدها. فذهب فورا إلى دار حضرة الإمام وهو خجلان والحياء ظاهر على قسمات وجهه ممّا بدر من جانبه من إهمال وأخبره الخبر. فلم يُبدي ميرزا غلام أحمد أيّ انزعاج ممّا سمعه منه. وعلى العكس من

ذلك فقد أخذ يهدّئ الإمام من اضطراب نور الدين وهو يقول له مبتسما: (**أعتقد بأنّ الله عز وجلّ شاء أن يستكتبني أفضل مما كتبته في تلك الأوراق الضائعة**).. وهنا يعقّب عبد الكريم على هذا الحادث ويقول: وهل تجدون كاتبا يحدث معه ما حدث مع ميرزا غلام أحمد، ومع ذلك لا يغضب. ويقوم فوق ذلك بتهدئة خاطر من أضاع له ما كان قد ألفه وكتبه؟ فلماذا نلاحظ وجود هذا الفارق الذي أشرت إليه، إلاّ أن يكون ميرزا غلام أحمد لا يكتب ما يكتبه إلا بتعليم وتأييد من لدن ربّه جلّ وعلا الإله الذي بعثه مجدّدا ومهديّا وظلاً حقيقيّا لسيّده محمد المصطفى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟وهنا وقبل الانتقال إلى الحديث عن موضوع اعتناء ميرزا غلام أحمد بتربية أبنائه ورعايتهم بالرغم من كلّ مشاغله. أرى أن أُعطي القارئ فكرة عن ملامح شخصيّة ميرزا غلام أحمد وتلك المعلومات مستقاة من مؤلّفات الذي شاهدوه عن قرب وتعاملوا معه. فقد أورد ابن حضرته ميرزا بشير أحمد في مؤلّفه (سلسلة أحمديّة) أنّ لون والده كان **أبيض مائلا إلى لون القمح**. وهذه الحقيقة عبّر عنها الدكتور مير محمد اسماعيل وهو الأخ الأكبر لزوجة ميرزا غلام أحمد، عبّر عنها بألفاظ أخرى وقال كان لون حضرته يشبه **لون أعلى أنواع القمح فكانت تشعّ منه نورانيّة تميل إلى الحمرة**. فتعطي وجه ميرزا غلام أحمد إشراقاً دائما لا تغيب معالمه في أيّ حالة كان يمرّ منها. فكانت البسمة لا تفارق ثغره في داره وخارج داره. الأمر الذي كان يوحي للناظر باطمئنان قلب دائمٍ كان يعمر فؤاد حضرته بما يقع وبما هو آتي في المستقبل. وهي ظاهرة من المستحيل أن تتوفّر في وجه مفتري كذّاب. ووصف ميرزا بشير أحمد جسم أبيه بقوله **كان يملك شخصيّة على أعلى أنواع الرجولة. وكان شكله شكل وجيه فيه جاذبيّة تؤثّر في الذي يراه بشكل تلقائيّ. وكانت أعضاء وجهه فيها تناسبٌ عجيب. وكان شعره ناعما ومسبلا وذو لحيةٍ كثيفةٍ ومتوازنة. مليء الجسم وعريض المنكبين. إذا مشى يمشي بخطوات سريعة**

ومتوازنة ودام على هذه الحال إلى وفاته عن عمر يناهز خمسا وسبعين عاما. على حين أن الدكتور راح يصف شخصيّة حضرته عليه السلام بتفصيل أكثر قائلا لم يكن حضرته سمينا ولا كان غير سمين بل كان متناسق الجسم ورَبوعا عريض الأكتاف ورافع الرأس على الدوام. فلم يكن في جسمه ما يُعيبه. ولا ظهرت على جلده حبوب. وكانت بشرته ناعمة، لكنّها ليست بنعومة بشرة النساء. وظلّت أسنانه صالحة حتى نهاية عمره إلا بعض الأسنان فقد أصابها السوس بالرغم من أنّه كان يستعمل السواك على الدوام. وكان حضرته يصبغ لحيته بالحنّاء المائلة إلى اللّون الأحمر. ويمسحها بزيت في أغلب الأحيان. وكان يشذّب لحيته بحيث لا تكون قصيرة ولا تكون طويلة. وكان إذا قصّ شواربه لا يقصّهم كالوهّابيّن ولكنّه يُبقي طبقة لا تتجاوز شفتيه. وكان وجهه يشعّ نورا بعيدا عن معالم الرعونة والاستكبار وظلّت جبهته بلا تجاعيد حتّى نهاية عمره. عيناه كبيرتان وبؤبؤها أسود رقراقا. وكان حضرته لا يُبَحلِق في ناظره عند التلاقي على وجه العموم ولكنّه كان ينظر إلى أسفل وتتصف أعينه بصفة غضّ البصر. ولم يضع على عينيه نظّارة في يوم من الأيام. وكان أنفه جميلا جدّا وموزونا ومتناسبا مع ملامح وجهه. وظلّ محافظا على قوّة إبصاره إلى آخر عمره. وكانت جبهته عالية وعريضة وتوحي بذكاء وفراسة كبيرين. وكان رأسه كبيرا وجميلا فيه بعض الطول ومستديرا من أعلاه ممّا يدلّ على كمال عقله. ولم تكن شفتاه رقيقتان ولا سميكتان، بل كانتا وسطا بين هذا وذاك. وكان يلبس عمامة وثيابا ولا يشمّ الإنسان لعرقه رائحة. وكانت رقبته متوسّطة الطول والحجم. وكان يغتسل يوم الجمعة ويحلق ويصفّف شعره ولكن حسب الطريق المسنون. وكان يلبس لباسا بسيطا ولا يتكلّف فيه. وفي السنوات الأخيرة من عمره كان الشيخ رحمة الله لاهوري يهديه في كلّ عيد ثيابا جديدة، فيلبسها حضرته. لذا كان قلّما يشتري ثيابا جديدة. وكان بعض أحبّته يهدونه ثيابا

جديدة ويطلبون منه ثيابه القديمة ليحتفظوا بها تبرّكا. وكان حضرته لا يحبّ الثياب الضيّقة الملاصقة لجسمه، بل كان يحبّها عريضة فضفاضة. وكان يترك أزرار لباسه مفتوحة ويقول (ما أنا من المتكلّفين) وكان لا يخلع معطفه خارج داره. لكنّه كان يخلعه داخل الدار. وكان لا يبدّل ثيابه يوميّا، ولكنّه كان يبدّلها حين تعود بحاجة إلى غسلها وتنظيفها. وكان يحتفظ بمحرمة كبيرة الحجم داخل جيوب ثيابه للضرورة. وكان يبدو على الدوام نظيف الوجه واليدين والثياب. وكان لعمامته شكل خاصّ به وكان يلبس في قدميه جرابا في الشتاء ويمسح عليها حين الوضوء أيضاً. وكان يلبس حذاء عاديا ولم يحدث أن لبس حذاء أجنبيّا. وكان إذا خرج من داره يمسك بعصا ولمجرّد حملها وليس للاستناد إليها. وكان يأكل قليلا داخل داره وخارجه في المآدب والحفلات. وكان يكتفي صباحا بكوبٍ من الشاي أو غيره. وكان قليلا ما يتناول طعامه وحيدا. لكنّه كثيرا ما كان يتناول طعامه مع زوجته وأولاده. وكنت إذا حضرت عندهم أتناول الطعام معهم أيضاً. أما إذا كان مدعوّا عند أحد، فما كان يتعجّل في تناول الطعام إلاّ بعد أن يبدأ جميع الحاضرين بتناول الطّعام. وكان يمضغ طعامه جيّدا. ويتحدّث مع مضيفيه أثناء تناوله الطعام. وكان يأكل ما يُلائمه. وما يراه مفيدا له. وكان إذا مرض يخفّف من الطعام كثيرا. وكان يميل إلى تناول لحم الطيور أكثر من تناول لحم البقر وغيره. لكنّه ترك أكل لحم الطيور بعد انتشار الطاعون. وكان يشرب الحليب. ويشرب كأسا منه قبل أن ينام. وكان لا ينام إلا بعد أن يتفقّد أحوال ضيوفه ولتأمين حاجاتهم الضروريّة. وكان لم يعتاد عادةً بعينها. وكان يحارب شرب النرجيلة والدخان. وكان يغسل يديه قبل وبعد تناول الطعام. وكان قد درس الطبّ على أيدي والده الذي كان طبيب عائلته. وكان يحبّ المسك والعنبر. وكان كثيرا ما يأتي إلى المسجد متبسّما يجمع كبار المقرّبين منه ويقول هيا انظروا قد تحقّقت النبوءة الفلانيّة... وعلى كلٍّ فقد

قدّم حضرته خلال جميع الابتلاءات التي مرّ بها، وفي جميع المباحثات التي قام بها، أعلى أنموذج وأسوةٍ حسنةٍ في موضوع اطمئنان الفؤاد، الأمر الذي جذب إليه أرواحا سعيدةً كثيرة.

وكان ميرزا غلام أحمد بالرّغم من جميع مشاغله، فلا يُهملُ تربيةَ أبنائه ورعايتهم. ومن هذا المنطلق فقد كان يخصّص لكلّ ابن وابنة من أبنائه معلّما ليُقرئه القرآن الكريم وليختمه على يديه. فكان إذا علم بختم أحد أبنائه القرآن الكريم يحتفل بكلّ سرور بتلك المناسبة. فيجمع الأهل كلّهم ليشاركوا في ذاك الاحتفال. ويؤلّف أحيانا أشعارا تخصّ تلك المناسبة أيضاً. وبذلك كان يُدخل السرور إلى أفئدة كلّ المجتمعين من حوله ويغرس بالتالي في أفئدتهم أهمية ختم القرآن المجيد. وكان ميرزا غلام أحمد لا يفرّق في أمر تعليم أبنائه ما بين ذكر وأنثى، بل كان يحضّهم جميعهم على طلب العلم ولنيل أعلى الشهادات العلمية أيضاً. وكان جوّ داره جوّا روحانيا فلا يسمع أبناء حضرته من فمه إلا مواعظ ومعارف ونصائح وتفسيرات لآياتٍ من آيات القرآن العظيم. وكان أبناؤه يسمعون من والدهم تلك البشائر التي كان قد تلقّاها بشأن مستقبلهم. وتتوالى الأيام ويثبت لهم بأنّ والدهم كان مُلهما وأنّ ما بشّرهم به تتّضح معالمه صباح كلّ يوم. وعلى صورة يدفعهم أنفسهم ليقلّدوا أباهم في جميع أفكاره وحركاته. وعلى هذه الصورة شبّ أبناء هذا المجدّد الأعظم في حقيقة أمرهم في جوّ مدرسة روحيّة لا ينقطع عطاؤها مدى حياتهم. وأنا عندما قلت بأنّ جوّ دار ميرزا غلام أحمد كان جوّ مدرسة روحيّة. فقد قصدت ما تفيده تلك الألفاظ بكامل مُعطياتها. كيف لا تكون داره كذلك وفي وقت كان كلّ من في داره من زوجة وأبناء يلاحظون هيام حضرة والدهم بمحبّة اللّه تعالى ومحبّة هذا القرآن العظيم الذي أنزله ربّه على حبيبه محمد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم؟ فميرزا غلام أحمد كان على يقين بوجود ربّه وبأفضاله عليه وعلى مستوى شكّلت في نفس جميع

معارفه مصداقيّة هذه الحقيقة. فحبّ المجدّد ميرزا غلام أحمد للّه تعالى كان لا يُضاهيه حبٌّ لسواه. فكان حضرته وكأنّه يعيش في حضن ربّه عز وجلّ ويستظلّ بظلّه في كلّ حين. وكان اسم اللّه تعالى لا يفارق شفتيه. وكان جلّ همّه أن يُعرِّف الناس على ربّهم عز وجلّ من أجل أن يكونوا له عبادا ربّانيين. وليس أن يكونوا عبادا تقليديين ينكبّون على القشور ويبتعدون عن لُباب حقائق الأشياء. فالأستاذ عبد الكريم سيالكوتي يروي لنا في رسالته التي ذكرناها بعض الحوادث التي جعلته يوقن بحبّ ميرزا غلام أحمد لربّه عز وجلّ حبًا لا يعادله حبّ. فقد روى بأنّ هذا المجدّد أُصيب في يوم من الأيام بألمٍ كبيرٍ في رأسه، وكان كلّ من كان حوله يتحدّثون بصوت مرتفع. وكنت أجلس بجانبه. فملت عليه وسألته: هل تتألّم كثيرا من هذا الضجيج؟ ولماذا لا تنهاهم عنه؟ فأجابني بأنّه لا يستطيع أن يقوم بذلك. فلما ذهب عنه صداع رأسه نظر إليّ مبتسما وقائلا: الآن حلّ فضل اللّه تعالى عليّ، وكأني كنت في نزهة طويلة وعُدتُ منها للتوّ. أي أنّ حضرته كان يتساوى عنده حال مرضه وحال صحّته. فقد كان يعيش في حضن ربّه جلّ شأنه في كلا الحالتين. ولا يغيب عن ذكر ربّه في جميع الأحوال. وكالعاشق فكان كلّ همّه أن يواصله حبيبه. ويؤكّد قول الأستاذ عبد الكريم هذا ما أورده ميرزا غلام أحمد في كتابه (البرية) حيث قال هناك موضّحا هذه الحالة التي كانت تتملّكه على الدوام. قال: (**لقد كفلني ربّي كفالةً لا أتصوّر أن تحدث من جانب والدي ولا من جانب أحد من أقاربي. وكانت مِننُ ربّي عليّ من الكثرة بحيث يستحيل عليّ أن أحصيها**).. وقال ميرزا غلام أحمد في (الخزائن الروحانيّة ج١٩) معبّرا عن معرفته بربّه عز وجلّ: قال (**ما أشقى الإنسان الذي لا يعرف بأنّ له إلها قادرا على كلّ شيء. ألا إنّ إلهنا هو فردوسنا، وإنّ أعظم ملذّاتنا نتلمسُها في وجود ربّنا فنحن رأيناه ووجدنا فيه كمال الحُسن. فهو الكنز الجدير أن يُقتنى وأن يفتديه الإنسان في حياته. وإنّه لجوهرةٌ حريٌّ بالإنسان أن يحصل عليها ولو ضحّى هذا الإنسان في**

طلبها بكلّ وجوده. أيّها المحرومون.. هلمّوا سراعا إلى هذا النبع الدّافق لترووا عطشـكم.. إنّ إلهنا ينبوع حياتنا وفيه نجاتنا. ماذا أفعل وكيف أزفّ هذه البشرى إلى نفوس الناس؟ وبأيّ دفّ أنادي في الأسواق لأعرّف الناس على إلههم؟ وبأيّ دواء أعالجهم من أجل أن تتفتّح آذان هؤلاء الناس ليسمعوا ما أقوله لهم؟) فهذه الحقيقة التي وقرت في نفس المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد حقّرت كلّ شيء دنيويّ في عينيه في مقابل هذه النعمة الكبرى التي منّ الله تعالى بها عليه وغرست بالتالي حُبَّ ربّه تعالى في نفسه إلى درجة العشق. وإنّ دليلنا القاطع على حبّ ميرزا غلام أحمد ربّه إلى هذه الدرجة التي ذكرتها هو أنّه مع أنّ ربّه جلّ شأنه أخذ ينبّه ذهنه في السنوات الأخيرة من سني عمره إلى أنّ موته أمسى قريبا. وذلك من خلال ما شاهده في منامه في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٠٥م من أنّ بيده إناء مستدير من فخّار ولم يبق في أسفله إلا عدّة رشفات من الماء الزلال. وأُلهِمَ في منامه أيضاً بتأويل ذلك من أنّ معنى ذلك أنّه **لم يبق من عمرك إلا بعدد هذه الرشفات الثلاثة من المـاء** أي لم يبق من عمرك إلا ثلاثة سنوات. ومع أنّ حضرته تلقّى بتاريخ ٢٩ تشرين ثاني عام ١٩٠٥م نفسه إلهاما ونصُّه **(قَرُبَ أجلُكَ المقدّر ولا نُبقي لك من المُخزيات ذكرا)** (راجع جريدة الحكَم المجلّد التاسع صفحة ٤٢ من نفس العام). ومع أنّ حضرته تلقّى إلهاما آخر بتاريخ ١٤ كانون أول من العام نفسه وباللّغة العربيّة الفصحى ونصُّه: **(جاء وقتُك ونُبقي لك الآيات باهرات. تموت وأنا راضٍ منـك)**. (راجع صحيفة بدر المجلّد الأول صفحة ٣٩).. ومع أنّ حضرته تلقّى إلهاما غيره وبتاريخ ١٨ كانون أول من العام نفسه باللغة العربيّة الفصحى أيضاً ونصّه **(قلّ ميعاد ربّك)** وإلهاما باللّغة الأردية ما معناه **(سيخيّم الحزن على الجميع). وكان حضرته ينشر جميع ما يتلقّاه مـن إلهامـات في الوسائل الإعلامية التي كانت متوفّرة عنه.** (راجع كتاب التذكرة). فمع تلقّي حضرته جميع هذه الإلهامات الدالّة على دنوّ أجل حضرته. هذه الإلهامات التي دفعت حضرته بعدها إلى كتابة رسالة (الوصيّة) التي آكّد لنا حضرته فيها بأنّه أيقن

بقرب وفاته عليه السلام. وكتب حضرته فيها يقول: **(إنّ تلقيّ لهذه الإلهامات هزّت نفسي من أعماقها وبردت فيّ الحياة)**. فميرزا غلام أحمد الذي تلقّى من جانب ربّه عز وجلّ تلك الإلهامات التي فهم منها أنه لن تمض عليه إلا ثلاثة سنوات ويفارق بعدها الحياة الدنيويّة. ما بدا عليه الحزن والاضطراب في تصرّفاته. ولم يلاحظ أحدٌ ممَن حوله أنّه راح يبكي على أعتاب ربّه ويدعوه ليمُدّ في عمره. بل لاحظ كلّ إنسان من الذين كانوا حوله بأنّ حضرته ازداد انهماكاً في أداء مهمّته السماوية وكما اعتاد أن يفعل. وثابر على هذا الاتّزان إلى أن ألهمه ربّه عز وجلّ صباح يوم ٢٦ نيسان عام ١٩٠٨م وباللّغة الفارسية ما معناه **(إنّ هذه الأيام ليست هي أيّام تفريح)**. وبواسطة هذا الإلهام يكون اللّه عز وجلّ قد امتحنه في موضوع تعامله مع زوجته. إذ حدث أنّ زوجته طلبت منه أن يرافقها إلى مدينة لاهور لتُعالج ما تشكو منه من مرض نسائيٍ فيها. فلم يرفض حضرته طلبها، ولم يحتجَ أمامها ويعتذر أمامها بما تلقّاه من إلهام تلقّاه صباح ذاك اليوم. فهو لم يرفض طلبها وسافر معها بتاريخ ٢٧ نيسان إلى مدينة لاهور. وتحمّل عَناء تلك الرحلة وذلك كما كنت قد وضّحت ذلك في حينه من قبل. وهناك في مدينة لاهور أخذ يقوم بأداء مهمّة التجديد وبدون أن يُشعرَ أحداً بأنّه دنى أجله. وتلقّى حضرته هناك في لاهور بتاريخ ٩ مايس إلهاما جديدا ونصّه **(الرحيل ثمّ الرحيل. إنّ اللّه يحملُ كلّ حمل)**. فكلمة (الرحيل) مصدر واسم لارتحال القوم. ومشتقّ من فعل رحَل بمعنى سار. لكنّ الكلمة وردت هنا معرّفةً بأداة التعريف التي تفيد الرحيل المعهود من دنيانا إلى عالم الآخرة. ومع أنّ هذا الإلهام دفع حضرته ليوقن بأنّ ساعة موته باتت على الأبواب في لاهور. فلم يفقد توازنه ولم يسعَ للعودة إلى قاديان. بل ظلّ منهمكا هناك في أداء مهمّته السماويّة، وكأنّ شيئا لن يحدُث. وبتاريخ ٢٠ مايس ١٩٠٨م تلقى حضرته إلهاما آخر ونصّه **(الرحيل ثمّ الرحيل والموت قريب)**. (راجع صحيفة بدر المجلّد السابع صفحة ٢٢). وكان هذا الإلهام في منتهى الصراحة بأنّ عمر

حضرته عليه السلام قد انتهى تقريبا. وسمعت زوجة حضرته من فم زوجها نصّ هذا الإلهام الأخير فأشارت عليه بأن يعودا فورا إلى قاديان، لكنّه أجابها بإجابة دلّت على مدى مراعاته شعورها وعلى إصراره على تلبية جميع حاجاتها. فأجاب زوجته (**إننا سنعود حين يتوفّانا الله عز وجلّ**). (راجع سلسلة أحمدية صفحة ١٨٢).
ولم يُشعِرها حضرته بأيّ اضطرب بسبب تلقّيه هذا الإلهام الأخير الذي أنبأه عن قرب موته. وظلّ يؤدّي مهمّته السماويّة بدون أيّ خللٍ واضطراب. وهنا كان على القارئ أن يتساءل عن هذا الصبر والجلد الذي أظهره ميرزا غلام أحمد في تلك الساعات الحرجة وعن السبب الكامن وراء هذه الظاهرة؟ ولا نجد إجابة شافيةً إلا في الاعتقاد بأنّ هذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام كان يتصرّف كعاشق لله تعالى ومتقبّلا كلّ شيء يأتيه من قبله عز وجلّ ولو كان فيه الإنباء عن دنوّ أجله. فهذا دليل قاطعٌ على مبلغ ذاك العشق الكامن في نفس حضرته لربّه واستقيناه من صميم واقع تصرّف حضرته في تلك الساعات الحرجة التي شهد بها كلّ من كان حوله من أهل بيته ومن أكابر مبايعيه. فتصرّفات حضرته طيلة تلك السنوات الثلاثة الأخيرة من عمره تحمل لنا البرهان القاطع على عظمة محبّة حضرته عليه السلام لله تعالى. وأنّه كان يتصرّف في موضوع تنفيذ أوامره كالعاشق الولهان يقينا. ويكفي ما كتبه حضرته في ضميمة مؤلّفه المسمّى (ترياق القلوب) حيث قال: (ألا إنّ روحي يا إلهي لتوّاقةٌ إليك كما تسعى الطيور للعودة إلى أعشاشها). وإنّ هذه المحبّة التي كان يُبديها حضرته لربّه عز وجلّ تجلّت آثارها من خلال تلقّي حضرته من جانب ربّه إلهاما يخاطبه فيه ربّه ويقول: (**أنت منّي بمنزلة توحيدي وتفريدي. أنت منّي بمنزلة ولَدي. إني معك يا ابن رسول الله**).. (راجع كتاب التذكرة). ومعناه أنّ الله عز وجلّ كان يخشى على هذا المجدّد ويدافع عنه على قدر ما يخشاه تعالى على إظهار توحُّده في هذا العالم، وعلى قدر دفاعه عن كونه الإله الذي لا إله غيره. وفيه الإشارة أيضاً إلى أنّ ميرزا

غلام أحمد كان يشكّل ظلاً حقيقيّا لمحمّد رسول اللّه (ص) ولا نُخطئ إن قُلنا بأن حضرته كان الابن الروحي لمحمد.

وتعال يا قارئي العزيز لأحدّثك عن حبّ وعشق هذا المجدّد ميرزا غلام أحمد محمّدا المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم. وهو المجدّد الذي حاول مشايخ زمانه تصويره في أعين أتباعهم على أنّه كان ينقض ما جاء به محمد المصطفى (ص). فقد لخّص ميرزا غلام أحمد جميع الأفضال الإلهيّة التي تفضّل بها ربّه عليه من خلال إلهام تلقّاه من جانب ربّه عز وجلّ والذي يخاطبه تعالى فيه ويقول: (**كلُّ بركة من محمّد (ص)فتبارك مَن علّم وتعلّم**). فهذا هو المعنى الذي فهمه حضرته من هذا الإلهام. وإنّ هذا الإلهام قد غرس في نفس ميرزا غلام أحمد محبّته الشديدة لسيّده محمد المصطفى والتي لا حظها كلّ من كان من حوله داخل داره وخارجها معالم تلك المحبّة لسيّده المصطفى (ص). وأنقل شهادة من داخل دار حضرته عليه السلام. وهي شهادة ابنه ميرزا بشير أحمد الذي شهد الأعداء بعلوّ مقامه العلميّ وتقواه. فميرزا بشير أحمد أورد في كتابه (سيرة المهديّ) يقول: (**لقد وُلدتُ في بيته عليه السلام وكانت هذه نعمة كُبرى من اللّه عز وجلّ عليّ لا أملك ما أشكره عليها حقّ الشكر. وإنّي لأشهد ربّي الذي إليه مصيري وأقول: لم يحدث ولا مرّةً واحدةً أن ذَكر والدي محمدًا رسول اللّه (ص) أو حتّى إذا ذكر أحدٌ أمامه اسم محمد (ص) إلا ولاحظناه وقد اغرورقت عيناه بالدموع. وهذا يدفعني لأشهد بأنّ قلب والدي وعقله وكلّ ذرّة في كيانه كانت عامرةً بحبّ محمد رسول اللّه (ص) ونابضة بعشقه إيّاه**).. وأروي للقارئ رواية أخرى عن شاهد من خارج دار حضرته عليه السلام. فقد روى أحد كبار صحابة ميرزا غلام أحمد أنّه دخلَ مرّةً صحن المسجد المبارك الذي كان ملاصقا لدار حضرته عليه السلام. فشاهد ميرزا غلام أحمد يُتمتمُ بكلمات غير مسموعة والدموع تجري على خدوده فظنّ أنّ حادثا مؤلما قد تعرّض لحضرته ودفعه إلى تلك الحالة من البكاء. فأسرع إليه فورا يسأله عمّا حدث؟ فازداد ميرزا غلام أحمد

إجهاشا في البكاء وهو يردّد بيتين من الشعر كان حسّان بن ثابت قد وقف يرثي بهما محمّدا رسول اللّه (ص) بعد وفاته:

كُنت السوادَ لناظري فعَميَ عليك الناظرُ
مَن شاء بعدكَ فليمُت فعليك كُنت أحاذرُ

وهنا التفت ميرزا غلام أحمد نحو هذا الصحابي وهو يقول له: آه لقد تمنّيت أن أكون هناك حيث كان الشاعر حسّان. وأن أكون أنا قائل هذه الأبيات الشعريّة في رثاء محمد الذي أحببته من صميم فؤادي. وأضاف حضرته عليه السلام فارتجل شعرا بلغته الأرديّة ومعناه: (آه إنّي لنشوان بعشق محمّد من بعد عشقي لربّي جلّ شأنه. فإن كان عشق محمّد يدخلُ في باب الكفر فأنا أوّل الكافرين يقينا). وبالإضافة إلى هاتين الروايتين فإنّ الباحث يجد فيما تركه ميرزا غلام أحمد من تراث أشعارا كثيرةً في مديح سيّده محمد المصطفى (ص). وأنقل للقارئ بعضا من تلك الأشعار. وأختار من قصيدة طويلة يمدح فيها النبيّ العربيّ المختار، قائلا:

يا عين فيضِ اللّه والعرفـــــان ... يسعى إليك الخلقُ كالظمـآنِ
يا شمس مُلك الحُسن والإحسان ... نوّرت وجه البرّ والعُمـــــرانِ
هو فخرُ كلِّ مُطهّرٍ ومُقـــدّسٍ ... وبه يُباهي العسكرُ الروحاني
هو خيرُ كلّ مُقرَّبٍ متقـــــدّمٍ ... والفضلُ بالخيرات لا بزمـــانِ
جسمي يطيرُ إليك من شوقٍ علا ... يا ليت كانت قوّة الطيــــرانِ

وهنا أناشد كلّ من طالع ما مدح الأدباء والشعراء به محمدا المصطفى (ص)، فهل شعر من خلال جميع ما قرأه قبل ذلك من مديح يوازي ما تضمّنته هذه الأبيات من أحاسيس محبّة عبّر عنها ميرزا غلام أحمد نحو محمد رسول اللّه وهو الذي كان هائما بعشقه؟ وأنا حين قدّمت للقارئ ما قدّمته له للتدليل على عشق ميرزا غلام أحمد لسيّده محمد المصطفى يُعتبر قطرةً من فيضٍ منثورٍ في كتبه

وتراثه عليه السلام. وأسرد بهذه المناسبة حادثة عرضت لميرزا غلام أحمد يثبت من خلالها بأنّ محبّة وعشق حضرته لسيّده محمد المصطفى كان حقيقة واقعة. فقد اتّفق أن كان حضرته في محطّةٍ ينتظر القطار. وكان خلال ذلك يتوضّأ أيضاً. فمرَّ بجانبه عدوّ الإسلام الهندوكي ليكهرام الذي أتيت على ذكر قصّته في هذه السيرة من قبل. فتقدّم ليكهرام من ميرزا غلام أحمد وحيّاه. لكنّ حضرته عليه السلام أعرض عنه ولم يردّ على تحيّته بتحيّةٍ مثلُها. وأعاد ليكهرام التحيّة، ومع ذلك ظلَّ حضرته مُعرضا بوجهه عنه. وإذ بأحد أصحاب ميرزا غلام أحمد يتقدّم منه ويُلفت نظره إلى أنّ ليكهرام حيّاه مرّتين وظنّا من جانب هذا أنّ حضرته لم يسمع تحيّة ليكهرام. وهنا تغيّر وجه ميرزا غلام أحمد وقال لهذا الصحابي: إنّ ليكهرام يسبّ سيّدنا محمدا (ص) بأقذع الألفاظ، وتريد منّي أن أردّ على تحيّته؟ فالمؤمن يردّ تحيّة بمثلها بل وبأحسن منها على إنسان لا يُعادي هذا الرسول الكريم.

وتعال يا قارئي العزيز لأعطيك فكرة ولو موجزة عن عشق ميرزا غلام أحمد عليه السلام لهذا القرآن الكريم الذي تحدّى اللّه عز وجلّ به الجنّ والإنس، والصالح لكلّ زمان ومكان. يقول ميرزا غلام أحمد وهو يتحدّث عن عظمة شأن هذا الكتاب الفرقان، يقول: (إنّ تعاليم هذا القرآن تُطهِّرُ الصدور، وتُلقي فيها النور، وتري المؤمن السرور الروحاني والحبور. وإنّ كلّ عامل على تعاليمه يجد نورا وَجدَهُ النبيّون. ولن يلقَ أنوارَه إلا الناس الذين لا يُريدون علوّا في الأرض ولا فسادا. ويأتون تعاليمه وهم راغبين في أنواره. فأمثال هؤلاء تتفتّح بصائرهم، وتُزكّى أنفُسهم بتعاليمه، فإذا هم مُبصرون. وإنا بفضل اللّه تعالى من الذين أُعطوا من أنوار الفرقان. وأصابهم حظٌّ من أتمّ حظوظ القرآن. فأنار اللّه قلبي بنور تعاليم القرآن ووجدت نفسي هُداها بتلك الوسيلة وعلى شاكلة ما يجده الواصلون. ثمّ بعد ذلك أرسلني ربّي لدعوة الخَلق. وآتاني من الآيات البيّنات لأدعوَ

خلقه إلى دينه الحنيف. فطوبى للذين يقبلونني فيتذكرون الموت حقّ. ويحقّقون عن صدقي وبعد رؤية الآيات يؤمنون) (راجع كتاب مرآة كمالات الإسلام صفحة ٥٣١ -٥٣٢). وهكذا عُدتَ تُدرك يا قارئي العزيز كيف أنّ المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد أحبّ هذا القرآن حبّا جمّا. وأنّه تلقّى من لدُن ربّه عز وجلّ فُصوصَ حِكَمِ تعاليم القرآن المجيد ومكّنه ذلك من الدفاع عن القرآن الكريم وعن هذا الدين الإسلاميّ المتين. وأثبت من خلال عشقه إيّاه وعمله على تعاليمه بأنّ هذا القرآن إنّما هو كتاب كريم في كتاب مكنون لا يمسَّه إلا المطهّرون. ألا إنّ وصول ميرزا غلام أحمد إلى فهم تعاليم الإسلام الحقيقيّة بنتيجة محبّته لله ولرسوله ولكتابه العزيز، عاد يلاحظه كلّ من تعامل معه أنّه كان ينهى أفراد جماعته عن استعمال أساليب قاسية مع أبنائهم الصغار. ويعظهم بالابتعاد عن أساليب التربية الموروثة لدى الناس. إذ يروي الأستاذ عبد الكريم سيالكوتي أنموذجا من تطبيق ما كان يعظنا به حضرته. فهو روى أنّه دخل دار حضرته وفي وقت كانت زوجته غير موجودة في الدار. وكان حضرته مُنهمكا في الكتابة. ولسببٍ ما أخذ ابن حضرته محمود يبكي وكان في الثالثة من عمره. فترك حضرته الكتابة وأخذ يهدّئ ابنه، لكنّ محمود ظلّ يبكي. فحمله والده وأخذ يدور به في الغرفة ويحاول ترضيته. ومع ذلك فلم يترك محمود البكاء. وهنا عمد والد محمود لفت انتباه ابنه وقال له: أنظر إلى ذاك الكوكب يا محمود كيف يُضيء. فالتفت محمود نحو السماء وسكت قليلا وهو يُحملق في السماء. وبعد ثوان عاود البكاء وهو يقول: يا أبتاه لقد غاب الكوكب من السماء. وبعد دقائق أطبق محمود عن البكاء من نفسه. وهنا أضاف الأستاذ عبد الكريم يقول: راقبت ما يجري وعجبت من رؤية إمامنا وهو يتحمّل كلّ ما صدر عن ابنه. فلم يوبّخه بكلمة واحدة ولم يزجره. بعكس ما كان يجري في بيوتنا جميعا. لذا استفسرت منه عن موقفه المخالف لأعراف الناس. أجابني حضرته بأنّ

ضرب الوالدين لأبنائهم هو في نظري وحسبما أفهمه من تعاليم الإسلام يدخل في باب الشرك الخفيّ. فكأنّ هذا الذي يضرب ابنه يشارك اللّه عز وجلّ في ربوبيّته تعالى لكلّ شيء. إنّ القرآن الكريم علّمنا أن نحاول تغيير قناعة غيرنا بوسيلة الحجّة والبرهان. وأنّ علينا أن نحاول تغيير أوضاع أبنائنا بمختلف أساليب الإقناع، وليس بالزجر والضرب والشتائم. فهذا الطفل الذي تضربه، وإن تراه يتراجع بوسيلة هذا العُنف عن موقفه. لكنّ استمرار ضربه على كلّ ما يبدر عنه سيجعله عدوّا لمن يضربه في يوم من الأيام. وتُصبح طبيعته طبيعة عُدوانيّة أثناء تعامله مع سواه. وإنّ من واجب الوالدين عوضا عن أن يعمدا إلى استعمال وسيلة العُنف مع أبنائهم، أن يعمدوا إلى تخصيص نوافل للدعاء من اللّه ربّ العالمين ليُصلحَ لهم أبناءهم. وإنّ هذا النوع من الدعاء للأبناء مستجاب في السماء. وأضاف حضرته وقال: إنني مُلتزمٌ بالدعاء يوميّا لنفسي ليوفّقني ربّي لكلّ ما يُظهرُ عزّته وجلاله. وأدعو لكلّ مَن في داري أن يجعلهم ربّي قُرّة عين لي وليوفّقهم لكلّ ما يُرضيه سبحانه. وأدعو لأبنائي ليجعلهم ربّي خُدّاما لدينه الحنيف. وأدعو لأحبّائي لكلّ واحد منهم باسمه. وأدعو لكلّ من بايع وانتسب إلى جماعتي سواء أكنت أعرفه أم كنت لا أعرفه. وأضاف: إنّ التربية الحقيقية هي شأن من شؤون اللّه تعالى. فإكراه أحد من الأبناء وغيرهم على شيء والإصرار على تغييره تعني بألفاظ أخرى بأننا وكأننا أصبحنا المالكين لزمام أمور التربية والهداية الحقيقيين. ومن هنا يتسرّب الشرك الخفيّ. فلنعتمد الدعاء ونبتعد عن وسائل الزّجر والعنف في تصرّفاتنا مع أبنائنا ومع غيرنا. وأضاف: انتبهوا إلى المعلّمين في المدرسة ونبّهوهم أن يمتنعوا عن ضرب التلاميذ. فإن خالف معلّمٌ ما أقوله أوقفوه عن التعليم إنّ مسؤوليّتنا تجاه أبنائنا تقف عند وعظهم وتعليمهم قواعد وآداب السلوك وحسب وليتّكل أحدنا في كلّ أمرٍ على اللّه تعالى. ولندع ما صوّره اللّه تعالى في بطون الأمّهات ينبت ويُزهر ويخضرّ بشكلٍ طبيعيّ.

وبعد أن نقل لنا الأستاذ عبد الكريم هذا الدرس العظيم الذي تلقّاه عن المجدّد ميرزا غلام أحمد في موضوع تربية أبنائنا. توجّه إلى إخوانه من أفراد جماعتنا يعظهم ويقول: اعلموا بأنّ أرقى أساليب تربية الأولاد التي أتى بها علماء التربية في زماننا لم تصل إلى هذا المستوى الذي نقلَنا إليه إمام زماننا والنابع من عقيدة التوحيد. ولذلك آمل من كلّ أخ من إخواننا أن يُجري تبديلا جذريًا في أسلوب تربيته لأبنائه، أسلوبا نابعا من هذا الوعظ والتّعليم. وقد راح الأستاذ عبد الكريم يروي لنا مدى شفقة ميرزا غلام أحمد على أبنائه الصغار. قال: إنّ ابن حضرته محمود خبّأ ذات يومٍ في جيب معطف والده قطعة آجرٍ صغيرة كان يلعب بها. ودون علمٍ من والده. وكان ميرزا غلام أحمد يلبس معطفه ويخرج للقاء مبايعيه. وأحيانا يضطجع أمامهم على جنبه الموجود في جيبه تلك القطعة ومن غير أن يتحسّس حضرته ما في جيبه. وذات يوم توجّه حضرته نحو حامد علي جندر وقال له:أشعر بألم في أضلاعي وكأنّ شيئا مُلتصقٌ بها. فمسح هذا على خاصرة حضرته فلم يجد شيئا مُلتصقا بها. ومدّ يده داخل جيب معطف حضرته فوجد فيه تلك القطعة المخبّأة فأخرجها أمامه وهو يقول لحضرته: هذه القطعة هي التي تسببّت لك بما تشعرُ به من ألم. فابتسم حضرته وهو يقول لحامد علي: لابدّ أن يكون محمود هو الذي خبّأها في جيب مِعطفي. وحذارِ أن تُخرجها من جيب المعطف، فسألاعبه بها. وأضاف عبد الكريم يقول: إنّ هذه الحادثة فيها الإشارة إلى أنّ حضرة إمامنا لم يكن يعتني بلباسه ومظهره الخارجي، بل كان يلبس لمجرّد السُترة. فكان في منتهى البساطة فيما يلبس. وكان حين يعظنا، يعظ وهو مُستغرق في التّفكير إلى درجة لم يكن يشعر معها بشيء يؤذي جسده. وكان يراعي مشاعر أبنائه إلى درجة لا يحاول خدش إحساسهم في شيء. فهذه حقيقة كان يتلمّسها كلّ مَن كان في تماس دائم مع حضرته عليه السلام. وكان حضرته في نهاية التواضع مع كلّ إنسان تعامل معه. وكان يجلس على الأرض

كما يجلس الذين معه. وما سعى يوما ليجلس على كُرسيٍّ وفي وقت يكون الجالسون معه جالسين على الأرض. وذات يومٍ كانت زوجته وأولاده في زيارة في لدهيانه، فدخلت عليه وكان يروح ويجيء حضرته وهو يكتب. وكان شهر حزيران. فاضطجعت أنا على سرير من خشب هناك واستولى عليّ النوم، فنمت دون أن أشعر بأني نمت. فلما فتحت أعيني فجأة وجدت حضرته مضطجعا بجانب السرير على الأرض. فنهضت مُسرعا والخجل يتملّكني. وإذ بحضرة إمامنا يقول لي بكلّ محبّةٍ لماذا تركت النوم على السرير؟ فقلت له وكيف أنام أنا على السرير وتنام أنت على الأرض؟ فتبسّم وقال: لِمَ تتعجّب، فأنا كنت أحرسك من ضجيج الأولاد فلا أدع أحدا منهم يدخل كيلا يفسدوا عليك نومك. وهنا راح عبد الكريم يعظ ويقول: وهل باستطاعة أحد أن يدلّنا على شيخ أو على رجل متصوّف يفعلُ ما فعله هذا المجدّد العظيم مع أحد أعوانه؟ وأضاف: وهذه البساطة وذاك التواضع ما حدث معي وحدي. بل كنت كلّما تحادثت مع أخ من أفراد جماعتنا في مثل هذا الموضوع، ألاحظ بأنه يضرب لي أمثلة حدثت معه هو أيضاً حين كان على تماس مع حضرته عليه السلام. فتصوّروا أنّ حضرة إمامنا كان يُقدّمني لإمامة الصلاة، ويذهب هو يقف في آخر الصفّ الأول. فإذا انتهت الصلاة يبقى هناك في الزاوية اليمنى من المسجد جالسا ومستغرقا في تفكيره. ويدخل زائر داخل المسجد وهو يتّجه نحو الجالس في المحراب. ونستقبله نحن بلطف ونأخذ بيده إلى زاوية المسجد حيث كان إمامنا يجلس هناك. وكُنّا نلاحظ بأن إمامنا كان يقف فجأة خطيبا بيننا، وينقد الأديان الباطلة ويقدّم الدليل تلو الدليل على بُطلانها وبأسلوب يشعر معه كلّ من يسمع خطابه وكأنّ حضرته كان يشنّ حربا حقيقيّة. فإذا فرغ من خطابه يجلس بيننا وكأنّه واحدٌ منّا فلا يُشعرُنا بميّزة لشخصه عليه السلام. وكأنّه لم يكن خطيبا مفوّها فيما ألقاه علينا ونوّرنا به من معارف وعلوم. وقد حضر هذا المجلس يوما زائرٌ عاديٌّ من المتصوّفين، وشاهد

كيف أنّ حضرته عليه السلام ما إن فرغ من خطابه إلا وكان يتقدّم منه كلّ واحد ويتبادل الحديث معه ببساطة ودون أيّ تكلّف. وإذ بهذا الزائر الصوفيّ يقول لحضرته عليه السلام:لا أرى أنّ تلاميذك يتأدّبون في حضرتك. فابتسم حضرته وقال له أنت تقيس مجلسنا هذا بمقياس ما هو متعارفٌ عليه في مجالس المشايخ من المتصوّفين وغيرهم الذين يبسطون هيبتهم على تلاميذهم. أما أنا فلا أرى بيني وبين هؤلاء الجالسين من حولي من فارق بيننا يدفعني لأستعلي عليهم. فجميعنا عباد الله وإخوانا. ونعتقد بأنّ الكبرياء للّه تعالى الذي نعبده. وإنّ كلّ من يستعلي ويتكبّر على غيره لا يكون في حقيقة أمره عبدا للّه تعالى بل يكون عابدا لنفسه. وأنا لا أُرجّح نفسي على أحد من عباد اللّه تعالى الذي أعبده. وهنا أضاف عبد الكريم يقول: ما لاحظت أنا وغيري أنّ حضرة إمامنا قد عاملنا باستعلاء بل كان يُعاملنا جميعا بكلّ احترام في حال وجودنا وفي حال غيابنا أيضاً ، وحين كان يتكلّم مع زوجته فإنّه لا يأتي بذكر اسم أحد منّا على لسانه إلا ويقرنه بكلمة احترام. وعلى عكس المشايخ والمتصوّفة يُعطون أنفسهم مقاما أعلى من مقام أتباعهم. وإذا خاطبوا أحدا يُنادونه وكأنّه تابع وخادم من خدّامهم. وبدليل هذا المتصوّف الذي زار المسجد والذي تعجّب من حال تعامل إمامنا مع أفراد جماعته. وأضاف يعظ إخوانه ويقول: آسف على كلّ من يتغافل عن هذا التعليم الذي يُعلّمنا إياه إمامنا. فالأدب واحترام الآخرين يزكّي النفس ويطهّرها من الغلّ. ويعود بنتيجة ذلك أشبه ما يكون بأصحاب جنّة النعيم. وهي الحقيقة التي أشار إليها قول محمّد رسول اللّه (ص) من أنّ المؤمنين سواسية كأسنان المشط. وهنا ذكر الأستاذ عبد الكريم بأنّ ميرزا غلام أحمد كان يداوم على الصلاة جماعةً في المسجد. إلا أن يكون مريضا على فراشه. وكان حضرته يقول بأنّه كان أيام مرضه يتألّم على فراق صلاة الجماعة أكثر ممّا كان يتألّم بسبب مرضه. وكثيرا ما كان يتناول طعامه مع المصلّين بعد فراغه من الصلاة. فإذا استجدّ

أمرٌ ما يتوجّه للوعظ والخطابة في ذاك الموضوع ولو اضطرّ حضرته لترك ما كان يتناوله من طعام. وكان حضرته يقول لنا :أُشهد اللّه تعالى الذي دفعني دفعا لترك حياة العُزلة والنأي عن مخالطة أيّ واحد من عباده. فلولا أن أخرجني ربّي من عُزلتي لأقوم بمهمّة التجديد لكنت الآن منزويا في خلوة أتعبّد اللّه تعالى وأتلذّذ بذكراه. وقد أمضيت رُبع قرن من سنوات عمري منزويا عن الخلق، وما خطر خلالها في نفسي ضرورة معاشرة الناس وطلب الشهرة بينهم. وهنا روى الأستاذ عبد الكريم أنّه حدث مرّة أن زار رجلٌ آريّ حضرته وكان يجلس بيننا. فأخذ هذا الآريّ يخاطب حضرة إمامنا بألفاظ غير متأدّبة وكان يقول لحضرته من آن لآخر أنت كاذب فيما تدّعيه. وأنا كشفت عددا من المكّارين أمثالك. وكنّا ننظر إلى وجه إمامنا لنشاهد أثر تهجّم ذاك الآريّ على شخص حضرته. فكنّا نراه صامتا ويسمع بكلّ اطمئنان كلام هذا الآريّ. فإذا جاء دوره في الكلام فلا نلاحظه يُظهر أيّ نفورٍ أو اشمئزاز من زائره فلما غادر ذاك الآريّ مجلسه، وأخذ كلَ واحد منّا يطعن فيما فعله الآريّ. لاحظنا بأنّ ميرزا غلام أحمد كان ينهانا عن أن نطعن بذاك الآريّ. ويذكّرنا بقول محمد رسول اللّه (ص) القائل: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. وأنّه لا ينبغي التعليق على ما يصدر عن أمثال هذا الضيف الذي كان حاضرا مجلسنا هذا. وإنّ محبّتنا للّه تعالى تقتضي منّا أن نحترمه وندعو له في غيابه أيضاً. فلعلّ اللّه تعالى يشمله برحمته. وأن نتصرف بهذا التّصرّف وتكون نيّتنا على الدوام جذب محبّة ربّنا عز وجلّ إلينا. وإنما الأعمال بالنيّات. وممّا حدّثنا به الأستاذ عبد الكريم عن صفات ميرزا غلام أحمد أنّه كان إذا صادقه أحدٌ من الناس، لا يعود حضرته يفصم عُروة الصداقة مع هذا الصديق إلا أن يبادر هو لقطع عُروة تلك الصداقة معه. وكان يُعطي الصداقة منزلة العهد الذي يربط بين اثنين من الناس. وخذوا مثالا على ذلك تعامله مع محمد حسين البطالوي. فقد كانت تربط حضرته بالشيخ المذكور في شبابه

صداقةٌ قويّة وتعلمون كيف قطع الشيخ البطالوي عُرى تلك الصداقة مع حضرته بعد أن بعثه ربّه عز وجلّ مجددا لهذه الأمة. فقد أصبح الشيخ البطالوي العدوّ الأول لحضرته. وكان يحرّض الناس ضدّه في كلّ مكان حلّ فيه. ومع نكث هذا الشيخ لعرى الصداقة مع ميرزا غلام أحمد. فإنّ حضرة ميرزا غلام أحمد نظم بعض الأشعار خاطب فيها الشيخ البطالوي يذكره بما كان بين هذين الاثنين من صداقة قويّة تربط الواحد إلى الآخر. وأورد هنا للقارئ بيتا من تلك الأبيات الشعرية المشار إليها. فممّا قاله حضرته فيها ومخاطبا الشيخ البطالوي:

قَطعتَ وِداداً قد غرسناه في الصبا وليس فؤادي في الوداد يُقصّرُ

وكان حضرته يشجّع أفراد جماعته لزيارة قاديان والبقاء فيها. وكان إذا لاحظ حضرته أنّ الزائرين قلائل، يعظ ويقول إنّ كلّ من يخطر بباله أنّه إذا جاء هنا قد يكلّف حضرته مالا يطيقه. فليعلم بأنّ هذا النوع من التفكير يكون وسوسة شيطان. وليعلم بأنّه لو جاء جميع الناس عندنا فإنّ اللّه تعالى يتكفل بإعالة كلّ واحد منهم. وروى الحكيم نور الدين بهيروي أنّه لاحظ بأنّه أمضى عدّة أيام ومن دون أن يكلّفه إمامنا بقضاء مهمّة. فتقدّم نور الدين من حضرته واستأذنه أن يسمح له بالسفر إلى قريته بهيرة كيلا يكون عبئا على حضرته. فقال له حضرته إيّاك أن يستولي عليك مثل هذا التّفكير، واعلم بأنّ بقاءك عندنا جهاد ولو ظللت عاطلا عن أداء أيّة مهمّة كانت. وذكّره بقول المنافقين وهو ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾. وذكّره بقوله تعالى الذي كذّبهم وقال ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾ وأضاف قائلا: إنّني لا أجد ألفاظا أستطيع التّعبير بواسطتها عن الفوائد التي تحصلون عليها ببقائكم هنا بجانبي. فعلمُ الدين الحقيقيّ والعقائد الصحيحة لا تتيسّر لكم إلا من خلال بقائكم هنا لتحصدوا هذه البركات. وبهذا الأسلوب كان حضرته يدفعنا لمراقبة تصرّفات حضرته في حياته اليوميّة، لنُدرك الكيفيّة التي كانت للأسوة المحمّديّة التي بعث اللّه تعالى هذا المجدّد العظيم لإحيائها

بصورة عمليّة من خلال ما يُقدمُ عليه في تصرّفاته اليومية أمام أعين كلّ من كان بجانبه من الذين بايعوه إماما مهديّا موعودا ومثيلا لعيسى لابن مريم. ويقول بهذه المناسبة ابن حضرته ميرزا بشير أحمد: كانت حياة المسيح الموعود عبارة عن عبادةٍ مجسّمة، في كلّ ما كان يقوم به من قول وعمل ومن خلال أدائه لحقوق نفسه عليه وحقوق الآخرين عليه. ومن خلال تصرّفه مع أقربائه وأصدقائه وضيوفه وجيرانه. وكانت نيّته في ذلك كلّه كسب رضاء ربّه عز وجلّ وإطاعة محمّد رسوله في كلّ ما ورد عنه. وكان شغوفا في مُطالعة آيات القرآن الكريم إلى حدٍّ تكاد تقول بأنّه لا يستطيع الحياة بدون تلاوة ومطالعة آيات هذا القرآن الكريم. وكان ممّا نظمه من شعرٍ بهذا الخصوص كتبه باللّغة الأرديّة وترجمته: (**إنّ قلبي يدفعني على الدوام لأقبّل كلّ صحيفة من القرآن الكريم. وأن أدور حول هذا الكتاب المقدّس وكأنّه الكعبة التي أطوف حولها وترافقني على الدوام**). وكان حضرته في موضوع عبادته يمثّل قمّة تقوى اللّه تعالى في إطاعته لربّه ولرسوله الكريم. وحين كان يؤدي أو يقوم بشيء، فقد كان يقوم به ويؤدّيه بصورة طبيعيّة بعيدة عن التصنُّع ومراعاة التقاليد الاجتماعية الموروثة. فكان بسيطا في لباسه وفي تناوله لطعامه، وفي نومه وفي سفره. وكان في ذلك كلّه وكأنّه طائرٌ محلّقٌ فوقنا ولا صلة له بالبيئة الأرضيّة. وكان يأكل كلَّ ما وُضع أمامه من طعام. ولم يعترض على طعام في المنزل أو في خارجه في يوم من الأيام. وذكر لي خادمٌ رافق والدي في سفره أنّه وبينما كانا مسافرين وحان وقت تناول الطعام فإنّ حضرته أعطى خادمه أربعة آنات ليشتري بها طعامه. على حين أنّه أعطاه آنةً واحدةً فقط ثمن ما طلبه لنفسه من طعامٍ. وكان وجود حضرته بيننا يذكّرنا على الدوام بقول ربّنا عز وجلّ بحقّ رسوله الأكرم محمد المصطفى صلى اللّه عليه وسلّم وذلك في الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فالذي كُنا نلاحظه في وجود ميرزا غلام أحمد عليه السلام بأنّه كان ظلاً لسيّده محمد المصطفى في هذا

المجال. فكان حضرته رحمةً للإسلام في زمن تخلّف فيه المسلمون وتفرّقوا وأضاعوا عمل الصالحات. وكان رحمةً في موضوع المهمّة التي بعثه ربّه عز وجلّ لتحقيقها. وكان رحمة لهذه القرية التي ولد وترعرع فيها. ورحمةً للذين بعثه ربّه لتصحيح انحرافات عقائدهم ولهدايتهم إلى صراط اللّه المستقيم. ورحمة لأهله وزوجته وأولاده. ورحمةً لأصدقائه وحتّى لأعدائه الذين ناصبوه العداء طوال سنيّ دعوته. فكان ميرزا غلام أحمد لا يعادي أحدا من أولئك الأعداء بحيثيّته الذاتيّة، ولكنّه كان يُعادي أفكاره ومعتقداته وحسب. ويتحاشى أن يصله بسوءٍ بدافع من جانب حضرته عليه السلام. وهناك أمثلة كثيرة تُثبتُ مصداقيّة هذه الحقيقة. فتصوّروا أنّ حضرته بعد أن بلغه خبر مقتل الآريّ ليكهرام وتحقّقت بحقّه نبوءة حضرته. وقف حضرته بيننا قائلا العجيب بأنني أعيش في هذه اللّحظة بحركتي تضادّ في نفسي. فأنا مسرور بسبب تحقّق ما أنبأني ربّي بحقّ ليكهرام. وأنا حزين على موت ليكهرام قبل أن تتبيّن له الحقيقة ويصبح مؤمنا. وخذوا مثالا على ذلك موقفه من الشيخ محمد حسين البطالوي حين شهد الشيخ ضدّه شهادة زور. وأراد محامي حضرته أن يطعن بنسب الشيخ البطالوي ويجرح في شهادته. فقد صاح ميرزا غلام أحمد في محاميه ونهاه عن سلوك سبيل هذه الفضائح التي تعرّي هذا الشاهد. وخذوا مثالا من سلوكه تجاه أبناء عمّه الذين بنوا جدارا في طريق الذين يأتون للصلاة في المسجد الذي يصلّي فيه حضرته. علما بأنّي كنت أتيت على شرح هذه القصة في حينه. فلما حكمت المحكمة بهدم ذاك الجدار. قام محامي حضرته بإقامة دعوى على الذين أقاموا الجدار من أبناء عمّه وطالبهم بنفقات تلك الدعوى. ومع أنّ ابن عمّه كان قد أعاد أعضاء الوفد الذين أرسلهم ميرزا غلام أحمد إليه ليفاوضه في أمر الجدار وقائلا: لماذا لم يحضر هو بنفسه للقيام بهذه المهمّة واضطرّ من جراء موقفه هذا حضرته لتجشّم عناء تغيير طريقه والمرور من طريق حيِّ الآريّين أعداءه طوال أيام المحاكمة التي دامت أشهُرا. فإنّ أبناء عمّه

جاؤوا عنده يرجونه أن يعفيهم من النفقات الماليّة التي يطالب بها محامي حضرته. فإنّ ميرزا غلام أحمد قد تغاضى عن جميع ما صدر ضدّه من جانبهم. ونادى محاميه، فلما حضر قال له لماذا لم تستأذنّي في موضوع رفعك دعوى دفع نفقات المحاكمة؟ وذلك ليُشعرهم بأنّه ما كان على علم بتلك الدعوى المذكورة. وهنا طلب من محاميه شطب دعوى النفقات التي ستُثقل كاهل أبناء عمّه. وأقدّم مثالا آخر يُثبت وجه الرحمة التي مثّلها ميرزا غلام أحمد في مواقفه تجاه أعدائه. وهو أنّه كان هناك رجل آريٌّ من أشدّ أعداء حضرته يقطن قريته قاديان وكان اسمه (شرمبت). وقد حدث مرّةً أن مرض هذا الرجل مرضا شديدا. وظهر على سطح بطنه دُمّلٌ كبير. ولم يجد من يُعالجه. فأرسل مندوبا عنه إلى ميرزا غلام أحمد يخبره بخبره ويرجوه معالجته. فحضر حضرته على الفور إلى بيت هذا العدوّ ورفع من معنويّاته، وبدأ بمعالجته. وكان يحضر إلى دار هذا الآريّ يوميا ليتفقّده. فإذا عاد حضرته إلى منزله يصلّي نفلا ويدعو لشفاء هذا من مرضه. وداوم على ذلك إلى أن تعافى ذاك الآريُّ وكتب الله تعالى له الشفاء. وقد أثبت ميرزا غلام أحمد من خلال جميع تلك الأمثلة التي لم أذكر إلا بعضا منها. أقول بأنّ حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد أثبت من خلال تعامله مع أعدائه بأنّه كان يعي أبعاد قول الله العزيز في كتابه المجيد وذلك في الآية الثامنة من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾..

وأرى أن أزوّد القارئ بشهادة شهد بها الدكتور مير محمد إسماعيل وموثّقةً بالقسم المغلّظ على صدق ما وصف به صهره ميرزا غلام أحمد من صفات وعن قُرب وتعاملٍ معه.

قال: لقد وجدت حضرته على مستوى رفيع في أخلاقه عليه السلام. فكان حضرته رءوفا، رحيما، وكريما. وكان في شجاعته كالأسد وفي وقت كانت تحني فيه ظهورَ الناس أعاصير الابتلاءات. فكان عفوّا، ومتسامحا وكريما وأمينا ومتواضعا وصبورا وشكورا ومستغنيا عن غير الله تعالى. وكان يتّسم بالحياء وغضّ البصر والعفّة والجهد المضني والقناعة والوفاء وعدم التكلّف والبساطة والشفقة وتعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله المصطفى واحترام الأولياء. وكان يميل إلى الصلح والوسطيّة في كلّ شيء وإلى أداء الحقوق والوفاء بالعهد والمواساة والنشاط في نشر تعاليم الدين بين الناس والاهتمام بتربيتهم وحسن معاشرتهم. وكان نبيها ووقورا وطاهرا ومرحا وحافظ الأسرار وغيّورا ومحسنا ويراعي مرتبة غيره ويُحسن الظنّ بهم. وكانت همّته عالية ومن أولي العزم في محاربة المُنكر طلق الوجه كاظم الغيظ لا يؤذي أحدا لا بلسانه ولا بشيء آخر. وكان يؤثر غيره على نفسه ولا يترك وقتا يفوته وكان مدبّرا حكيما ينشر العلم والمعرفة وحبّ الله تعالى وعشق رسوله الكريم. وكان يتفانى في إطاعة رسوله (ص). وكان لطلعته جاذبيّة خاصّة. وكان مرهوب الجانب ومباركا على جيرانه. وتلاحظه أنيسا يفعلُ في القلوب المجدبة فعل الغيث فيرجع كلّ من كان حوله نقيّ النفس وطاهر الفؤاد. وكان مستجاب الدّعاء. وأقول باختصار إنّ ميرزا غلام أحمد قدّم للعالم مُعجزة أخلاقيّة. فإن جاز لنا تشبيهه، فلا نشبّهه إلا بسيّده محمّد المصطفى (ص). وقد أضاف الدكتور مير محمد إسماعيل وهو يضيف على ما ذكره قائلا: إنّني إذ وصفته بهذه الصفات وصفت من مُنطلقِ كوني شاهد عيان. علما بأنّي رأيته لأوّل مرة وكان عمري سنتان. فلما توفّى اللّه عز وجلّ حضرته عليه السلام كنت قد أصبحت في السابع والعشرين من عمري. وإني أُقسم باللّه العظيم أنّي لم أشاهد أحسن منه خُلُقاًولاً أغزر منه خيرا ولا أسمى روحانيّة. وأكتفي إلى هنا بما أطلعت القارئ عليه مما كان متحلّيا به ميرزا غلام

أحمد من أخلاق وشمائل تتّفق ومقام مهمّة التجديد التي بعثه ربّه لأدائها والقيام بها علما بأنّ مشايخ زمانه قد كفّروه وحاربوه ظلما وعُدوانا ومن دون النظر إلى ما كان يتحلّى به ميرزا غلام أحمد من أخلاق إسلاميّة حقيقيّة. وبدافع عقولهم التقليديّة المتحجّرة.

الفصل الرابع

إنجازات ميرزا غلام أحمد لصالح الإسلام والعالم

إنّ كلّ من طالع سيرة هذا المجدّد الأعظم يتساءل تلقائيًا: ما هي الإنجازات الملموسة التي تحقّقت على أيدي هذا المجدّد. يتساءل هذا في حديث نفسه هذا التساؤل ليتمكّن من الموازنة ما بين ادّعاءات المجدّد ميرزا غلام أحمد التي أعلنها بمختلف الوسائل والأساليب وما بين ما حقّقه من إنجازات تثبتُ مصداقيّتها. وعليه وجدت بعد الفراغ من بيان سيرته عليه السلام أن أُطلِعَ القارئ على تلك الإنجازات التي تحقّقت على أيدي المجدّد ميرزا غلام أحمد. وليحيط هذا القارئ بعظمة أبعاد تلك الإنجازات العظيمة التي هي:

أولاً - إذ كان من أهمّ تلك الإنجازات إعادة ميرزا غلام أحمد **نظام الخلافة الإسلاميّة** على منهاج النبوّة وعلى شاكلة ما كان قد حدث زمن بعثة محمد رسول الله (ص).

وهذا الإنجاز لا يكفي طرحه بدون مقدّمات، بل هو بحاجة إلى مقدّمة في هذا المجال وإلقاء الضوء على موضوع نظام الخلافة الإسلاميّ نفسه.

فكلّ باحثٍ يُلقي نظرة سريعة على ما أصاب العالم الإسلامي من أحداث وتشتتٍ وانقسامات بعد زوال الحكم التركيّ أوائل القرن العشرين. يُلاحظ نشوء أكثر من جمعيّة وحزب إسلاميّ داخل مجتمعات الأقطار الإسلامية. وقد جعلت تلك التنظيمات الإسلاميّة جُلَّ همّهما في تلك الفترة الزمنية إعادة (الخلافة الإسلاميّة) ليُشكّل تنظيم الخلافة مرجعيَّة للمسلمين تجمعُ شَتاتهم من جديد وذلك بعد زوال الحكم التركيّ الذي كان يمثّلُ في حقيقته إمبراطوريّةً كان أكثريّة سكّانها من المسلمين. وكان على رأس تلك الجمعيّات والأحزاب التي سعت لتحقيق ذاك الهدف الذي ذكرناه، كانت (جمعيّة الأخوان المسلمين) التي

أسّسها المرحوم حسن البنّا، وهو الذي كتب في رسالته المختصرة جدّا وكان لا يتجاوز عددُ صفحاتها ١٧ صفحة فقط، وكان لا يحقّ لأحدٍ الإطّلاع عليها إلا من كان قيادياً في أفراد الجمعيّة المذكورة، وهي تلك الرسالة التي استندت إليها المحكمة التي حاكمت التنظيم المذكور في مصر زمن المرحوم جمال عبد الناصر وعلى أساسٍ مما ورد في الرسالة المشار إليها وكان اسمها (رسالة التّعاليم). فجمعيّة (الإخوان المسلمين) وحزب (التحرير الإسلامي) الذي كان مؤسّسه المرحوم النبهاني في المملكة الهاشميّة في الأردن، وغيرها من التنظيمات والتي بدأت تُطلُّ برأسها هنا وهناك داخل المجتمعات الإسلاميّة التي شتّتها زوالُ الحكم التركيّ من جهة وقيام الحرب العالميّة الأولى من جهة ثانية. الأمر الذي قسّم العالم الإسلاميّ إلى مجموعة من الأقطار على حين كانت أكثريّته موحّدَةً تحت لواء الحكم العثماني. وكان آخر المطالبين بالخلافة حكومة طالبان في أفغانستان. تلك التي نصّبت عليها خليفة اسمه عمر وأصبح في خبر كان بعد اجتياح أمريكا أفغانستان. هذا الخليفة الذي أصبح في خبر كان وذلك بعد زوال حكم طالبان في أفغانستان. فهذه الحقائق جميعها تطرح على الباحث عدّة اسئلة لابدّ من طرحها والإجابة عليها بإجابات موضوعيّة موثّقة. وهذه الأسئلة:

١ -ما هي حقيقة الخلافة بمنظار الدين الإسلامي؟

٢ -هل أنّ الخلافة هي منصبٌ روحانيٌّ أم هي منصبٌ سياسيٌّ؟

٣ - وهل يحتاج المسلمون في عصرنا هذا إلى الخلافة؟

وأجيب على السؤال الأوّل فأقول: لنحاول بادئ ذي بدء معرفة كلمة (خليفة). فكلمة خليفة كما ورد في معاجم اللّغة العربيّة اشتُقّ من فعل خلَف. تقول خلفه ربُّه في أهلِه معناه جعله خليفةً عليهم. من هذا نُدرك أنّ كلمة خليفة تفترضُ وُجود طرفين. فالطرف الأوّل هو الذي جعل فلانا خليفة على فئة معينة. والطرف الثاني هم أفراد الفئة المستخلَف عليهم من جانب هذا المستخلِف. فإن نحن راجعنا

استعمال آيات القرآن الكريم لكلمة (خليفة) فقد لاحظنا بأنّ اللّه عز وجلّ أورد هذه الكلمة خليفة في كتابه العزيز بدلالتها اللّغويّة. حيث قال تعالى في الآية ٣٠ من سورة البقرة بخصوص بعثة أوّل نبيٍّ في تاريخ البشر، قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. فلم يقل تعالى هنا (إنّي خالق) كذلك لم يقل (في السماء) بل أورد تعالى فعل جعلَ بمعنى انتخب وصيّر. وأورد في الوقت نفسه كلمة الأرض إشارة إلى كرتنا الأرضيّة التي نعيش فوق أديمها. وما دامت كلمة خليفة قد اقتضت وجود طرفين هما المستخلِف، والمُستخلَفُ عليه. فيستنتج من ذلك أنّ البشر كان موجودا على سطح هذه الأرض وشاء خالق البشر اصطفاء رجلٍ من البشر أنفسهم ليُصبح خليفة اللّه عليهم. يبلّغهم رسالة ربّهم وتعاليمه وأحكامه. واستنادا إلى ما توصّلنا إليه فقد قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. -آل عمران ٣٣. فعمليّة استخلاف اللّه تعالى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران إذن قد تمّت بطريق الاصطفاء، ولذلك نقول معبّرين عن هذه الحقيقة: محمّد المصطفى رسول اللّه (ص) كذلك خاطب اللّه تعالى نبيّه داوود قائلا ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾. واستنادا إلى جميع ما ذكرناه تعود حقيقة الخلافة بمنظار الدين الإسلاميّ الحنيف هي عبارة عن عمليّة اصطفاء يقوم اللّه جلّ شأنه بها عند اصطفائه أحدا من خلقه ليصبح رسولا مبعوثا إلى قومه ليُنذرهم وليبشّرهم بما أمره به ربّه الذي اصطفاه للقيام بهذه المهمّة السماويّة. فهذا هو جواب السؤال الأول.

وأجيب على السؤال الثاني فأقول: إنّ الخلافة هي منصبٌ روحيٌّ في أصل وضعه على وجه العموم. وقد يُضيفُ اللّه الذي استخلفه إلى مهمّته الروحيّة أحيانا مهمّةً سياسيّة إذا حمّل اللّه هذا المُرسل شريعة سماويّة. فمثال القسم الثاني ما

حدث مع محمد صلوات اللّه عليه وسلامه. وما حدث مع موسى عليه السلام من قبله. فقد جعل اللّه تعالى محمدا خليفةً روحيًا في الدور المكّي. وخاضعا لحكومة غير إسلاميّة ولذلك لم تنزل عليه (ص) الأحكام الشرعيّة خلال الدور المكّي والعائد تطبيقها إلى المنصب السياسي. ومن ثمّ أضاف اللّه تعالى إلى محمدّ رسول اللّه سلطة سياسيّة في الدور المدنيّ ليقيم فيها أحكام الشريعة المنزلة عليه. وليصبح أسوة حسنة على المستويين الروحي والسياسيّ المذكورين. ثم إنّ مثال القسم الأول ممّن بعثهم اللّه تعالى خلفاء روحيين وسياسيّين ما حدث مع موسى من قبل فقد استخلف على قومه يوشع من بعده. ومثال القسم الثاني ممّن بعثهم ربّهم خلفاء روحييّن فقط، المسيح الناصري الذي قال (ما جئت لأنقض الناموس..).. والذي ما تزال سلسلة الذي خلفوه باقية إلى يومنا هذا. وكان السؤال الثالث والأخير: هل يحتاج المسلمون في عصرنا الحاضر إلى الخلافة؟ فأقول لا ينبغي لأيٍ كان أن يتصدّى للإجابة على هذا السؤال باجتهاد من عنده. ومن منُطلق أنّ للدين ربّا يحميه. واللّه هو الذي أجاب على هذا السؤال في كتابه العزيز وذلك في الآيات ٥٤/٥٥/٥٦ من سورة النور التي قال اللّه عز وجلّ فيها آخذا باعتباره ما نريد الإجابة عليه، قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾..

فلنتدبّر هذه الآيات القرآنيّة ولنتبصّر ما اشتملت عليه من أسسٍ وحلول تُساعد على الإجابة على السؤال الثالث المطروح. فقد أورد تعالى يقول في الآية الأولى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. فوضّح الله عز وجلّ لنا من خلالها بأنّ من واجب أفراد هذه الأمّة الإسلاميّة المؤمنة التي تأسّست زمن البعثة المحمدية أن تُثابر بجميع أفرادها على إطاعة (اللّه) وهو اسمه تعالى المعرّف بأداة التعريف لتفيد معنى إلهنا الذي لا إله إلا هو الذي أمر فئة المؤمنين بالعمل على تعاليم هذا القرآن الكريم كما أمرهم أن يُقرنوا إيمانهم بعمل الصالحات. وأن يُثابر جميع أفراد هذه الأمة الإسلاميّة على إطاعة (الرّسول) وهو محمد الأمين الذي أشارت إليه أداة التّعريف أيضاً. ومفاد هذا الأمر أن يقرن المؤمن عمله على تعاليم القرآن الكريم بانضباطه بسنّة محمد المصطفى المستمرّ وجودها بطريق التواتر جيلا بعد جيل. فهذا هو معنى قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. ومن ثمّ آتى اللّه جلّ شأنه بفاء الاستئناف وقال ﴿فَإِن تَوَلَّوا﴾ والكلام ما يزال يدور حول جماعة المؤمنين الإسلاميّة. وإنّ فعل (تولّى) عن الشيء معناه أعرض عنه وتركه. ويكون معنى ﴿فَإِن تَوَلَّوا﴾ فحرف (إن) يكون للجزاء وتوقعُ الثاني من أجل وقوع الأوّل فتجزم فعلين شرطا وجوابه. ويصبح المعنى أنّه إن ترك أفراد هذه الجماعة المؤمنة في المستقبل أمر تقييد أنفسهم بالإيمان وعمل الصالحات فإنّ لهذا التّرك نتائجه. وقد أتى اللّه عز وجلّ بفاء الاستئناف من جديد ليوضّح لهؤلاء تلك النتائج المترتّبة على تركهم تقييد أنفسهم بالإيمان وعمل الصالحات المشار إليه وقال ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾. وتقدير هذا القول أنّ مسؤوليّة (الرسول) حينئذ تقتصر

على ﴿مَا حُمِّلَ﴾ أي على قدر ما حمّله ربّه من مسؤوليّة. وأنّ مسؤولية جماعة المؤمنين تقتصر على ﴿مَّا حُمِّلۡتُمۡ﴾. أي تكون على قدر إهمالكم العمل على ما أمركم به ربّكم. وقد راح اللّه تعالى يبيّن ماهيّة نتائج الترك المشار إليه وقال ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾. أي أنّ اللّه تعالى قد حدّد النتائج التي تترتّبُ على إطاعة اللّه ورسوله من خلال قوله ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ أي أنّكم تحصلون على (**الهداية**) بنتيجة إطاعتكم لما أتاكم به هذا الرسول. وهنا حذف تعالى إطاعة (**اللّه**) من باب أنّه تعالى قال في الآية ٨٠ من سورة النساء ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾. ثمّ إنّ عكس قوله ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ هو (إن تولّيتم عن إطاعته تضلّوا). وهذا من باب أنّ كلمة ضلال هي عكس كلمة هداية. وقد حدّد اللّه تعالى مهمّة محمّد رسول اللّه (ص) وذلك من خلال قوله ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾. فحصر تعالى مهمّة رسوله في (**البلاغ المبين**). ولذلك لاحظ صحابة رسول اللّه أنّه وبعد أن أدّى محمد صلّى اللّه عليه وسلم ما عليه من واجب التّبليغ كان يقول (ألا هل بلّغت فاشهد يا رب). فهذه هي خلاصة مضمون الآية الأولى من هذه الآيات الثلاثة.

وفي الآية الثانية قال اللّه تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾. ولنتدبّر هذه الآية الثانية بمنهجيّةٍ وأصول أيضاً. فالملاحظ هو أنّ اللّه عز وجلّ قد صرّح في مُستهلّ هذه الآية الثانية (**بوعدٍ إلهيٍّ**) مؤكّدٍ بلام التوكيد.

علما بأنّ اللّه إذا وعَدَ فهو (**لا يُخلِفُ وعده**). وماذا وعدَ اللّه عزّ وجلّ به جماعة المؤمنين الذين يعملون الصالحات؟ قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. والمقصود أن يا فئة الذين آمنوا منكم باللّه وبرسوله محمّد ومن يأتي بعده ويسير على نهجه، إنّ اللّه ربُّكم وعدكم (**ليستخلفنّهم في الأرض**). وهنا سؤال يطرحُ نفسه وهو ما معنى قوله تعالى (**ليستخلفنّهم في الأرض**)؟ فاللام للتوكيد وفعل يستخلفنّهم معناه يجعل لهم خلفاء من بعد انتقال محمد رسول اللّه إلى الرّفيق الأعلى. ويعود معنى (**ليستخلفنّهم**) أنّ اللّه تعالى وعد فئة المؤمنين المشار إليهم وعدا مؤكّدا بأنّه إذا مات محمد رسول اللّه الذي هو خليفته فيكم، فقد وعد اللّه عز وجلّ أن يوجد لمحمّد خلفاء من بينكم ومن أجل أن يقوم أولئك الخلفاء مقامه وليتمّوا المقاصد التي كان مرجوّا أن يحقّقُها هذا الرسول. وإنّ قوله تعالى (**في الأرض**) أي في الأرض التي تسكنها هذه الفئة المؤمنة. وليس خليفةً على أرض سواهم من الناس. ونستنتج من هذا المعنى الذي توصّلنا إليه والذي تضمّنه قول اللّه تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. بأنّ وُجود سلسلة من خلفاء محمّد رسول اللّه (ص) هو وعدٌ إلهيٌّ أكّدته هذه الآية من سورة النور باستمرار نظام الخلافة الإسلامي في الإسلام علما بأنّ اللّه تعالى من أسمائه الحسنى أنّه لا يُخلف وُعوده. ومن مُنطلَق هذا الفهم فقد انتخب الصحابة بعد موت محمد رسول اللّه خليفة من بعده وهو أبو بكر الصدّيق. وبناء على مُعطيات هذا الفهم القرآني فقد سُمّي أبو بكر الصدّيق (رضي) الخليفة الأول لرسول اللّه وذلك مصداقا للوعد الإلهيّ المذكور في هذه الآية من سورة النور. وبالتالي تكون إطاعة فئة المؤمنين لخليفة رسول اللّه مُلزِمةً إياهم بنفس الشروط التي كان محمد رسول اللّه (ص) يتمتّعُ بها كخليفةٍ للّه في الأرض. ودلّ على هذا المعنى قول أبي بكر الصديق حين امتنع

المرتدون عن إرسال زكاتهم إلى بيت المال، قوله **(والله إذا منعوني عقالا كانوا يؤدّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه)**.

وهنا يتساءل المرء عن حكمة وضرورة وجود خليفة على الفئة المؤمنة من بعد وفاة الرسول الذي آمنوا على يديه وبواسطته؟ والجواب هو أنّ بعثة أيّ نبيٍّ كانت تعني بألفاظ أخرى أنّ اللّه الذي أرسل هذا النبيّ قد أراد إحداث تغييرٍ جذريٍّ فيمن أرسله اللّه تعالى إليهم. وبما أنّ سنوات عمر هذا النبيّ لا تكفي لتحقيق التّغيير المرجو إحداثه بجميع أبعاده. فهذه الحقيقة اقتضت أن يعِد اللّه تعالى الفئة المؤمنة التي تشكّلت على أيدي هذا النبي أن يستخلفنّهم اللّه ربّهم بمعنى أن يجعل فيهم خلفاء للنبيّ الراحل، وذلك من أجل أن يُكمل خلفاءُ هذا النبيّ ما جاء النبيّ لإحداثه من تغيير. وعليه فهذا قانون قدَريّ قد ظهرت فعّاليته في كلّ زمان كان قد بعث اللّه تعالى فيه نبيّا. فموسى عليه السلام استخلف اللّه تعالى من بعده على بني إسرائيل يوشع. وعيسى بن مريم قد استخلفَ اللّه تعالى على أتباعه بطرس أيضاً. وتؤكّد هذه الحقيقة التي أتينا على ذكرها أنَ اللّه تعالى قال في الآيتين من سورة التوبة ٣٢ -٣٣ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.. فقوله تعالى ﴿وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ فيه الإشارة إلى أنّ دين الإسلام لم يظهر على جميع الأديان زمن وفاة محمد رسول اللّه وحتّى وقتنا هذا. وأنّ هذه الحقيقة قد اقتضت من جانب اللّه تعالى أن يعد المؤمنين بالوعد الذي استهلّ تعالى به هذه الآية الكريمة من أجل أن يتحقّق هذا المقصد شيئا فشيئا على أيدي من يستخلفهم اللّه في الأرض وليتمّ عن طريق خلفاء الرسول نوره الذي جاء به رسوله الكريم. ولم يكتف اللّه تعالى بما وعد به المؤمنين الذين يعملون الصالحات من وعد بل إنّه تعالى أضاف وعدا ثانيا وقال ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾. فما

هو معنى قوله ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾؟ تقول مكُن الشيء معناه قوي ومتُن. والمُكنة تعني القوّة والشدّة. بمعنى أنّ اللّه تعالى سيؤيّد خلفاء الرسول الذين يأتون من بعده ويرسّخ أركان الدين الذي جاء به هذا الرسول وهو الدين الذي ارتضاه لهم ربّهم جلّ شأنه. وقد لاحظ كلّ من طالع تاريخ الإسلام كيف أنّ الفتوحات الإسلاميّة قد تحقّقت على أيدي الخلفاء الذين انتُخبوا من بعد وفاة رسول اللّه تعالى وسُمّوا بأقلام المؤرّخين (**الخلفاء الراشدون**). ومن ثمّ وعد اللّه عز وجلّ وعدا ثالثا في هذه الآية من سورة النور وقال ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾. وقد لاحظ كلّ من طالع تاريخ الإسلام أيضاً كيف أنّه بعد وفاة رسول اللّه (ص) ارتدّت بعض القبائل عن دفع الزكاة في بيت مال المسلمين الذي كانت المدينة المنوّرة مركزه. وظهرت فتنة مسيلمة الكذّاب وسجاح العبسي. وكيف أنّ اللّه تعالى حقّق على أيدي أبو بكر الصدّيق القضاء على تلك الفتن، وعن طريق ذاك الخليفة الراشد بدّل اللّه تعالى المؤمنين من بعد خوفهم أمنا.

وبعد أن فرغ اللّه عز وجلّ من قطع هذه العهود للمؤمنين الذين يعملون الصالحات. فقد راح تعالى يشترط عليهم شرطا إضافيّا ويقول ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾. وهو شرط يبدو في ظاهره ينهى عن عبادة الأصنام التي كان العرب يعبدونها في الجاهليّة. وهو معنى متبادرٌ لذهن القارئ. وكنت قد بيّنت في مؤلّفي منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره بأنّه من عظمة إعجاز القرآن الكريم أنّ ما يتبادر من مثل هذه الآيات لذهن القارئ لا يكون هو المعنى الحقيقيّ المقصود. إذ لا يُعقلُ أن يقوم المؤمن باللّه الواحد القهّار أن يعود إلى عبادة الأصنام والشرك باللّه تعالى. وهذه قرينة تنقلُ معنى ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ من دلالة حقيقيّة إلى دلالة مجازيّة. وبذا تدلّ هذه الفقرة من الآية على (**الشرك الخفيّ**) وليس على (**الشرك**

الجليّ). وقد وضّح اللّه تعالى أقسام الشرك الخفيّ في آيات وردت بمختلف المناسبات. وعلى سبيل المثال فقد قال اللّه تعالى في الآية ٣١ من سورة التوبة بحق أهل الكتاب ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.. علما بأنّ بعض الذين آمنوا من أهل الكتاب سألوا محمّدا رسول اللّه عن معنى هذه الآية الكريمة. فأجابهم بأنّكم كنتم ترجعون إلى أحباركم ورهبانكم في كلّ أمرٍ دينيّ، وتأخذون بأقوالهم دون أيّة مراجعة من جانبكم لأقوالهم. فكنتم تتعاملون معهم وكأنّهم لا يُخطئون. وبذلك صحّ قول اللّه تعالى بحقّكم من أنّكم من خلال سلوككم هذا قد اتّخذتموهم من دون اللّه آلهة، وأصبحتم في نظر اللّه مشركين باللّه الواحد الأحد الذي لا يُخطئ ولا يُردُّ له أمر. وتضمّن هذا الجواب أحد الأمثلة الدالة على الشرك الخفيّ. وإنّ الاستنجاد بقبور الأولياء هو من قبيل الشرك الخفيّ. وإنّ إتّباع الشهوات النفسيّة وميولها بدون ضابطٍ لها هو من قبيل الشرك الخفيّ. وعليه توجد أنواع كثيرة تُعدّ من الشرك الخفيّ. وبألفاظ أخرى فقد اشترط اللّه تعالى على المؤمنين الذين يعملون الصالحات اجتناب الوُقوع في الشرك الخفيّ الذي يُفسد إيمانهم ويُبعدهم عن إلههم الحقيقيّ. وقد أتى اللّه تعالى بعد ذلك بواو العطف وأضاف يقول ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فأنت تقول فسق فلان معناه أنّه ترك أمر اللّهٰ وعصاه وخرج عن طريق الحقّ معجم (محيط المحيط)

وعليه فلا يكفي المؤمنين أن يكتفوا بعمل الصالحات. بل وإنّ من واجبهم الابتعاد أيضاً عن جميع أنواع الشرك الخفيّ، ليستحقّوا من جانب ربّهم أن يستخلفهم في الأرض ويمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا.

وقد أوجز اللّه تعالى جميع ما أورده في هاتين الآيتين من أمور وقال في الآية الثالثة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . وموضّحا سبحانه وتعالى أركان العمل الصالح من خلال مُعطيات مضمون هذه الآية الثالثة. وكأنّه تعالى أعاد أذهاننا إلى قوله تعالى في الآيات الأولى من سورة البقرة تلك التي وضّحت حقيقة المؤمنين المتّقين وقال تعالى فيها ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. -راجع مؤلّفي (نبوءات قرآنيّة على طريق الإصلاح) لتطّلع على المعاني والدلالات الحقيقيّة لهذه الآيات التي أوردناها -.

فمن خلال هذه الآيات وبهذه المعاني أجاب اللّه عز وجلّ على السؤال الثالث وهو هل يحتاج المسلمون في عصرنا هذا إلى نظام الخلافة؟ فهذه الآيات وضّحت لنا بأنّ نظام الخلافة هو في الأصل نظامٌ روحيٌّ وعد اللّه عز وجلّ به جميع الجماعات المؤمنة التي تأسّست على أيدي كلّ نبيٍّ بعثه اللّه تعالى لإحداث تغيير جذريٍّ في حال القوم المبعوث إليهم هذا النبيّ. والقصد من نظام الاستخلاف المذكور هو ليتمّ اللّه نوره على أيدي خلفاء هذا النبي وليحقّق المقاصد الكبيرة التي بعثه ربُّه لتحقيقها. وقد اشترط اللّه عز وجلّ على جماعة المؤمنين أن يثابروا على تقييد أنفسهم بالعمل على تعاليم ربّهم بتقوى اللّه تعالى. فإن ثابروا على العمل على ما اشترط اللّه ربّهم عليهم فإنّه تعالى قد وعدهم بأن يُديم عليهم نظام الخلافة الموعودين به. أمّا إذا تولّوا وابتعدوا عن هذا الالتزام فإنّ اللّه تعالى يحرمهم من بركات نظام الخلافة المشار إليه. ويتركهم لأنفسهم. وهذا ما أصاب هذه الأمّة الإسلاميّة فقد حدث ما حدث زمن الخليفة الرابع الراشد وانتهت تلك

الأحداث بزوال نظام الخلافة الراشدة من بينهم. وانقلب نظام الخلافة إلى نظام ملكيّ وكما هو معروف.

وقد لاحظ كلّ باحثٍ مدقّقٍ في تاريخ هذه الأمة الإسلاميّة كيف أنّ المسلمين قد سلبهم الله تعالى بعد زوال نظام الخلافة ما نصّ عليه قوله تعالى في الآيات الثلاثة التي كنت قد أوردتها وهو ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾. قد سلب مجتمعاتهم تمكينهم في دينهم وبدّلهم من بعد أمنهم خوفاً مسيطراً عليهم في كلّ مكان وقد ظلّ حال السوء هذا يزيد بُعدهم عما وعد به هذا النصّ القرآنيّ إلى أن وصل حال المسلمين إلى ما وصلوا إليه في هذا الزمان من ضعفٍ في الإيمان وتولٍّ عن الالتزام بعمل الصالحات. حتّى وأنّهم أصبحوا بسبب ما هم عليه من جهلٍ وتخلّفٍ منقسمين إلى مذاهب وشيع وأقطارا. وعادوا مع كثرتهم كغُثاء السيل. وأخذت تظهر بينهم تنظيمات جمعيّات وأحزاب لا روح فيها، وهي أشبه ما تكون بما حولها من تنظيمات سياسيّة تسعى للوصول إلى كرسيّ الحكم. وعلى هذه الصورة فقد أصاب المسلمين ما كان قد أصاب اليهود بعد أن تولّوا عن الالتزام بتعاليم نبيّهم موسى عليه السلام. أولئك اليهود الذين شُتّتوا تحت كلّ كوكبٍ. وأخذوا يفعلون ما يفعله هؤلاء المسلمون المعاصرون. إذ قام اليهود وقتئذٍ بتأسيس جمعيّات وأحزاب لا روح فيها، وتُشبه ما كان سائدا من تنظيمات في تلك الفترة من الزمان وكان آخر تلك التنظيمات التي ألّفها هؤلاء اليهود هو تنظيم اشتهر (بالصهيونيّة) المعروف ونسبة إلى جبل صهيون، وهو التنظيم الذي عمل أصحابه الصهاينة على استغلال القوى الفاعلة في العالم ليقيموا عن طريقها هذه الدولة (الصهيونيّة) التي اغتصب أصحابها ما اغتصبوه من أرض فلسطين العربيّة. وظنّا من جانبهم بأنّ هذه الدولة جاءت مصداق وعد الله لموسى. ومتناسين أنّ موسى أنبأهم عن زوالهم

إن هم خالفوا تعاليمه. وتناسوا أنّ موسى أنبأ عن بعثة يوحنا المعمدان وعن المسيح ابن مريم أيضاً. ومتناسين أنّ اللّه تعالى أنبأ عن بعثة محمّد بن عبد اللّه في أرض فاران التي هي أرض الحجاز. وأنّ بعثة محمد رسول اللّه تكون الدليل القاطع على أنّ اللّه تعالى قد غضب على اليهود إلى يوم الدين وقطع نسلهم الروحيّ، وأنّ هذه الدويلة التي أقاموها قد أنبأ القرآن الكريم عن ظهورها في آخر الزمان أيام انحطاط المسلمين وتخلّفهم وتشتّتهم وتفرقّهم إلى مذاهب وشيعا. وهذه النبوءة القرآنيّة بحقّ اليهود أوردها اللّه تعالى في الآيات ١٠٣ -١٠٦من سورة الإسراء ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً ۞ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ۞ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾.. ففي الآية الأولى وضّح تعالى نيّة فرعون التي بيّتها لإزعاج بني إسرائيل وإزالتهم من مُلكه، فلم يمكّن اللّه تعالى فرعون من تحقيق ما نواه وأغرقه ومَن كان معه. وفي الآية الثانية ذكر تعالى بأنّه نجّى بني إسرائيل مما كان يكيده لهم فرعون وأمرهم أن يسكنوا الأرض التي وعدهم بها على لسان نبيّهم موسى عليه السلام. وأتى بفاء الاستئناف وقال فيها ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.. فمن خلال فاء الاستئناف هذه انتقل سبحانه وتعالى لينبّه أذهان اليهود والمسلمين في وقت واحد إلى (**وعد الآخرة**) وهو وعد متعلّق بما شاع تسميته بين المسلمين وعد آخر الزمان الذي يظهر فيه المهديّ. وهو في حقيقته وعدٌ قرآنيٌّ تضمّنه قوله تعالى في سورة الضحى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾. وهو يومٌ يتخلّف فيه المسلمون ويبتعدوا فيه عن عمل الصالحات ويعودوا وقتئذ بحاجة إلى بعثة مجدّدٍ أعظم يكون مثيل عيسى ابن مريم الذي بعثه ربّه بعد موسى بأربعة عشر قرن من الزمان لإحياء تعاليم

موسى عليه السلام. ثمّ إنّ وعد الآخرة المتعلّق باليهود ففيه الإنباء عن الحلقة الأخيرة المتعلّقة بمصير بني إسرائيل. الحلقة التي أشار تعالى إليها في نصّ الآية ٩٩ من سورة الإسراء حيث قال ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً﴾. فيُنبئ اللّه تعالى عن اليهود الذين كانوا قد شُتّتوا تحت كلّ كوكب من قبلُ ويقول ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾. أي عندما نحقّق وعد الآخرة التي وعدنا به المسلمين. نتوجّه وقتئذ لتحقيق الحلقة الأخيرة المتعلّقة بمصيركم فنأتي بكم (**الفيفا**) وكلمة لفيفا تعني لغةً ما اجتمع من الناس من جنسيّات مختلفة (معجم محيط المحيط). وعليه فاللّه يُنبئ بأنّه سيعمل على تهيئة الأسباب التي تدفع اليهود المشتّتين تحت كلّ كوكبٍ والذين أصبحوا منتسبين إلى جنسيات مختلفة، سيدفعهم ليعودوا إلى أرض كنعان التي كانوا قد سُبوا منها من قبل على أيدي بخت نصّر والرومان. ولتكون نهايتهم فيها.

وبألفاظ أخرى فإنّ المسلمين المعاصرين الذين تولّوا وهجروا تعاليم القرآن الكريم يتّبعون خطوات اليهود ويصدُق عليهم ما أنبأ به محمد رسول اللّه (ص) عن مسلمي آخر الزمان حين قال (**لتتّبعُنّ مَن قبلكم شبرا بشبرٍ وذراعا بذراع فلو دخلوا جحرا لدخلتموه**). فإنهم يقومون بتأسيس الأحزاب والجمعيات الدينية ليساعدهم هذا على تجميع صفوفهم وإعادة كيان مرجعيّتهم الدينيّة. وهؤلاء المسلمون يفعلون ما يفعلونه متناسين (**وعد الآخرة**) الذي صرّحت به سورة الضحى. والمتعلّق بظهور المهديّ الذي يُعيد الخلافة على منهاج النبوّة.

وبعد أن قدّمت للإجابة على السؤال الثالث هذا التّقديم أقول: إنّ مؤلّفي (نبوءات على طريق الإصلاح) قد وضّحتُ فيه بأنّ القرآن الكريم قد أنبأ في مواضع كثيرةٍ عن مصير المسلمين المحزن الذي صاروا إليه في عصرنا هذا. وبيّن لنا اللّه عز وجلّ من خلال النبوءات التي ذكرتها والتي وضحت لنا طريق العودة

إلى ديننا والعودة بصياغة بلاغيّة مُعجزةٍ أتيت على توضيحها في مؤلّفي المشار إليه بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. فليراجع القارئ المؤلّف المذكور ليطّلع بالتّفصيل على الطريق الذي كان قد اختطّه ربّنا عز وجل لإعادة الخلافة الإسلاميّة ولجمع المؤمنين الذين يعملون الصالحات تحت لواء الخلافة من جديد. هذه الخلافة الناشئة والتي ستبقى قائمة في مجتمع هذه البعثة الثانية للإسلام إلى يوم الدين. وعليه أختصر وأقول: إنّ المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد أعاد الله تعالى بواسطته الخلافة المفقودة الموعودين بها في الآيات الثلاثة التي كنت أوردتها من سورة النور. وهذا إنجاز تاريخيٌّ تحقّق على أيدي ميرزا غلام أحمد. ولا يُكذّبه إلا كلّ من جعل الله تعالى على عينيه غشاوة وجعله أعمى في هذه الدنيا، وليحشره ربّه أعمى أيضاً في الحياة الآخرة. علما بأنّ جماعة المؤمنين بايعت بعد وفاة ميرزا غلام أحمد خلفاء من بعده. ونحن اليوم من الذين بايعوا الخليفة الخامس من بعده. فنظام الخلافة الإسلاميّ قائمٌ في أيّامنا هذه. ولن يستطيع العالم الإسلاميّ إعادة الخلافة التي كانت على منهاج النبوّة، ولو سعوا إلى تحقيق ذلك إلى يوم الدين.

ثانيا - **والإنجاز الثاني العظيم** الذي تحقّق على أيدي ميرزا غلام أحمد هو **إعادة اللّحمة التي تربط بين العبد وبين ربّه**. تلك اللّحمة التي قطعها الذين زعموا انقطاع نزول الوحي السماوي بعد بعثة محمّد صلوات الله وسلامه عليه. وخاصّة منهم أتباع ما يُعرف بالمذهب الوهّابي. وهذا الإنجاز الثاني هو بحاجة إلى تقديم أيضاً ليتمكّن القارئ من فهم أبعاده. فمن المعروف هو أنّ الله تعالى كان يُكلّمُ مَن شاء من عباده البشر بطرقٍ ثلاثة نصّت عليها الآية ٥١ من سورة الشورى التي قال الله تعالى فيها ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾. ونلاحظ بأنّ الله عز وجلّ لم يربط في

هذه الآية كلامه بالأنبياء والرسل ويختصّهم بكلامه من دون باقي البشر. بل ربط اللّه تعالى موضوع كلامه بالبشر بصورة عامّة. لكنّه قيّده هنا بتقوى اللّه وخشيته. وذلك من خلال إيراده كلمة (لبشرٍ) منوّنة وليشير هذا التّنوين إلى البشر العظماء الأتقياء السائرين على درب التّقرّب منه سبحانه. وإنّ ما يؤكّد هذه الحقيقة التي ذكرتها هو أنّه تعالى قال في الآية السابعة من سورة القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.. والجميع يعلم بأنّ أمّ موسى لم تكن على مرتبة النبوّة. كذلك قال تعالى في الآية ١١١ من سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.. والحواريّون لم يكونوا أنبياء. وقد قال اللّه تعالى في الوقت نفسه بأنّه كان قد كلّم مختلف أنبيائه ورسله بدليل قوله تعالى في الآية ١٦٣ من سورة النساء ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾.. فمن خلال مُعطيات هذه الآيات جميعها يتبيّن بأنّ من أسماء اللّه الحسنى أنّه اللّه (**المتكلّم**) يكلّمُ عباده سواء أكانوا أنبياء أو كانوا غير أنبياء. ومعلوم أيضاً أنّ أسماء اللّه الحسنى لا تتوقّف عن العطاء في يوم من الأيام. وأسماؤه تتّصف كذات اللّه تعالى بصفة الأزليّة والأبديّة. وما دام اللّه تعالى كان يكلّم البشر قبل بعثة محمّد المصطفى (ص) فمن الأجدر أن يكلّم عباده المؤمنين المقرّبين بعد بعثته عليه الصلاة والسلام. خصوصا وأنّ اللّه عزّ وجلّ قد بشّر المؤمنين المتّقين من أفراد أمّة خير المرسلين وذلك في الآيات ٦٢/٦٣/٦٤ من سورة يونس وقال ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ

يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

فالمؤمنون المتّقون سمّاهم الله تعالى في هذه الآيات الكريمة باسم (أولياء الله). وبمعنى أنّ المؤمنين الذين يطيعون ربّهم إطاعة حقيقيّةً يُصبحون من أحبّاء الله ومقرّبيه ويؤيّدهم ربّهم في جميع شؤون حياتهم. ولذلك ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى أنّهم لا يخشون ممّا يأتي به المستقبل. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بمعنى أنّهم لا يحزنون على ما فاتهم من قبل. وقد حدّد الله معالم أوليائه حين قال في الآية الثانية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. واستهلّ الله تعالى الآية الثالثة بقوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بمعنى أنّهم يستحقّون أن ينالوا البشرى. وإنّ كلمة (البشرى) اسمٌ لخبر صادق يُغيّرُ سماعه بشرة الوجه سارا أو كان مُحزنا، وغلب على هذه الكلمة معنى الخبر السار (معجم محيط المحيط). وعليه فإنّ أولياء الله يتميّزون عن سواهم من المؤمنين بأنّهم يتلقّون من جانب الله ربّهم أخبارا سارة عن طريق كلامه معهم بطرق كلامه تعالى الثلاثة التي نصّت عليها الآية ٥١ من سورة الشورى. وهذا ما فهمه ابن كثير حين تفسيره لهذه الآيات حيث أورد عن عبادة بن الصامت بأنّه سأل رسول الله (ص) عن البشرى الدنيويّة المقصودة في هذه الآية فأجابه عليه الصلاة والسلام: (**هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له، وهي جزء من أربعة وأربعين جزء أو سبعين جزء من النبوّة**). وإنّ الرؤيا الصالحة هي وحي من وراء حجاب. وإنّ الله تعالى أكّد في الآية الثالثة بأنّه تعالى دأب على مكالمته عباده منذ وُجِد الإنسان. وقال (**لا تبديل لكلمات الله**). بمعنى أنّ الله تعالى لم يبدّل أسلوبه في كلامه مع البشر بعد بعثة محمّد رسول الله (ص). فالذين قالوا بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعد البعثة المحمّدية، قد قطعوا من خلال اعتقادهم هذا اللّحمة الكائنة ما بين الله وعباده المتّقين. ويكونون قد تجاهلوا مضمون هذه الآيات الثلاثة وحرموا أنفسهم

وأتباعهم من بركات ما بشّرت به هذه الآيات وهم لا يشعرون. وإنّ عقيدة انقطاع نزول الوحي السماويّ هذه التي أشاعها هؤلاء الذين لم يتدبّروا آيات اللّه القرآنيّة حقّ تدبّرها ، قد نتج عن اعتقادهم المذكور النتائج التالية:

أولاً – قد فسّروا آيات القرآن الكريم تفسيرا غير صحيح.

ثانياً – وقد حرموا أنفسهم وأتباعهم من بركات الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى يكلّم عباده المؤمنين بعد نزول القرآن الكريم.

ثالثاً – وأسفرت عقيدتهم غير الصحيحة هذه عن محاربة أتباعهم كلّ وليٍّ ظهر وكلّ مجدّدٍ بعثه اللّه تعالى لتجديد هذا الدين الحنيف.

رابعاً – وإنّ عقيدتهم هذه قلّلت من شأن الأمة الإسلاميّة وعرضتها وكأنّها أقلّ مرتبة من مرتبة الأمم السابقة وخاصّة منهم أهل الكتاب. الذين كلّم اللّه تعالى منهم أمّ موسى وأوحى إلى حواريّ المسيح أيضاً. فقد أنتجت عقيدة الذين قالوا بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعد البعثة المحمّدية جميع هذه النتائج الخطيرة. فلمّا بعث اللّه تعالى ميرزا غلام أحمد عليه السلام مجدّدا أعظم ومصداق ما كان قد أنبأ عنه محمّد رسول اللّه (ص) عنه من نبوءات فوصفته بأنه سيكون (المهديّ) الذي يمثّل الأسوة المحمّدية من خلال فهمه واعتقاده. وأنّه سيكون (المسيح الموعود) أي مثيل ابن مريم من حيث مشابهة زمن ظهوره بزمن ظهور المسيح ابن مريم. كما وصفته تلك الأحاديث بأنّ مهمّته (يكسر الصليب) بمعنى يُبطلُ عقيدة التّثليث بالحجّة والبرهان. حيث تكون غلبة الأمم المسيحيّة على سواهم من الأمم زمن بعثته عليه السلام. أقول إنّ الاعتقاد بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعد البعثة المحمّدية دفع أصحاب هذه العقيدة التي لا أساس لها في كتاب اللّه القرآن إلى محاربة المجدّد ميرزا غلام أحمد بجميع الطرق والوسائل المتوفّرة لديهم. وأشاعوا ما افتروا عليه من أكاذيب بين علماء الأمة الإسلاميّة خارج شبه القارة الهنديّة. حتى عاد ينظر كلّ من يسمع باسم ميرزا غلام أحمد يتصوّر أنّه

رجلٌ مفتري كذّاب. على حين أني كتبت سيرته هذه لعلّها تُصحّح تلك الافتراءات والنظرة الخطأ. وتصحّح للقارئ عقيدته وتدفعه لمبايعة خلفاء هذا المجدّد الأعظم ليُكتبوا عند الله تعالى من أتباع البعثة الإسلاميّة الثانية الموعودة. وعلى هذه الصورة فقد كان من إنجازات المجدّد ميرزا غلام أحمد العظيمة تصحيح هذه العقيدة المخالفة لمعطيات آيات القرآن الكريم. وبذلك يكون حضرته قد أعاد اللّحمة ما بين المؤمن برسالة الإسلام وما بين الله الذي بعث محمّدا رسول الله بهذا الدين الإسلاميّ الحنيف. ويكفي أن أُعلنُ وأقول بأني تلقّيت كثيرا من بركات تصحيح هذه العقيدة. وفضّل الله عز وجلّ على شخصي الضعيف بعشرات بل بمئات البشائر السماوية التي رسّخت في فؤادي عظمة الله تعالى وما له من قدُرات وعُدت مؤمنا إيمانا لا يتزعزع بأنّ الله الذي أنزل هذا القرآن المجيد هو الإله الحيّ القيّوم الذي لا إله إلا هو، ويكلّم عباده المتّقين أيضاً. ألا إنّ أكثريّة المسلمين المعاصرين قد باتوا بسبب اعتقادهم بانقطاع نزول الوحي الإلهيّ بعد البعثة المحمّدية، قد باتوا أمواتا روحانيّين وعُميانا عن التّعرّف على ربّهم الحقيقي. وقد هجرهم ربّهم وما عاد يستجيب أدعيتهم. وكيف يستجيب الله تعالى للّذي اعتقد بأنّ إلهه ما عاد يكلّم عباده ولا عاد يوحي إلى أحدٍ منهم. ولذلك فلن يبعث الله تعالى بعد اليوم من بين هؤلاء المسلمين مجدّدا ولن يظهر من بينهم أولياء روحانيين. إلا إذا كان هذا المسلم قد آمن بهذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام.

وليعلم القارئ بأنّ هذا الإنجاز الذي تحقّق بواسطة ميرزا غلام أحمد هو إنجاز أعاد الحياة الروحيّة إلى الأمة الإسلاميّة. تلك الحياة الروحيّة التي يتميّز بها كلّ دين حيٍّ على باقي الأديان السماويّة الأخرى. ويكفي القارئ أن يعلم بأنّ المجدّد ميرزا غلام أحمد قد تحدّى أتباع جميع الأديان من غير المسلمين في هذا المجال وتغلّب عليهم وأثبت بصورة عمليّة بأنّ الإسلام دين حيٌّ وأنّ سواه من الأديان

أمواتنا. وإنّ أحداث سيرته عليه السلام أكبر شاهد للتّدليل على مصداقيّة ما نبّهت إليه. وإنّ على القارئ أن يُطالع مؤلّفي (ماذا تعرف عن عقل الإنسان؟) وخاصّة منه الفصول الثلاثة الأخيرة ليحيط علما بإطار عمل عقل الإنسان. وكيف أنّ الوحي السماوي هو عامل مساعد يُساعد هذا الإنسان على مستوى الزمن المستقبل. وبدون تلقّي عقل هذا الإنسان وحي السماء وما يحمله من معارف وعلوم. يُحرمُ هذا الإنسان من معرفة ما وراء هذا الكون من حقائق وأسرار. ويعود عقل الإنسان يدور في دائرة مُفرغةٍ. فإن هو حاكم ما حوله من أشياء قد يصل إلى حدّ يقول معه ينبغي أن يكون كذا وكذا. لكنّه لا يستطيع أن يجزم ويقول إنّ هذا الذي توصّل إليه عقلي هو كائن حقّا وبصورة يقينيّة. وشتّانٍ ما بين ينبغي أن يكون وما بين ما هو كائن حقّا. هذا وإنّ جميع ما ظهر من فلاسفة معروفين إلى يومنا هذا ظلّوا يدورون في هذه الحلقة المفرغة بسبب أنّهم اعتمدوا على عقولهم كوسيلة وحيدةٍ لمعرفة ما وراء هذا الكون. وقد حجبهم هذا عن معرفة المقصد الأسمى من خلق هذا الإنسان على وجه هذه الأرض المسخّرة جميع أشيائها لصالحه. فظلّ الفلاسفة يدورون في تلك الحلقة المفرغة لسببٍ جوهريٍّ وهو بُعد تحليلاتهم العقلانيّة عن الاستعانة بوحي السماء في كلّ ما حاكموه بعقولهم المجرّدة.

ثالثاً - **والإنجاز الثالث** للمجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام تجلّى في تحقيقه مهمّته الأساسيّة وهي (**كسر الصليب**) بمعنى إبطال عقائد الدين المسيحي بوسيلة الحجّة والبرهان، وليس بوسيلة العُنف واستعمال السنان. وهنا يطرح سؤال نفسه وهو:ما معنى أن تكون مهمّة هذا المجدّد الأعظم (كسر الصليب) وهو شعار المسيحيّة في عالمنا المعاصر على التّخصيص، وليس كسر شعار أيّ دينٍ آخر من الأديان الباطلة المعروفة؟ فهذا سؤال هو من الأهمّية بمكان. وتُعين معرفته والإجابة عليه على ما كان مطلوبا من المجدّد الأعظم

ميرزا غلام أحمد القيام به على وجه اليقين. وفي الحقيقة فإنّه ليس باستطاعة أحد الإجابة على هذا السؤال إلا مَن كان محيطا بمُعطيات آيات سورة الكهف بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وكان قد اطّلع من خلال مُعطيات آياتها على ما أخبرتنا به عن تاريخ نشوء هذه المسيحيّة المعاصرة وعلى ما كان مقدّرا للمسيحيين من نهضةٍ ثانيةٍ من بعد ظهور الإسلام وقضائه على ما كانوا قد بنوه من حضارة رومانيّة قديمة. وتسخير اللّه عز وجلّ هذا المجدّد ليكون مثيل ابن مريم من أجل معالجة هذا الخطر الكبير المُحدق بالدين الإسلاميّ الحنيف في الزمان والمكان المناسب لتلك المعالجة. فما هي معالم ذلك الخطر المتوقّع حدوثه والذي كانت قد أنبأت عنه آيات سورة الكهف بشأن ظهور هذا الخطر المسيحيّ الذي يهدّد كيان الإسلام في زمننا المعاصر؟ فأنا كنت قد بيّنت خلال تفسيري لسورة الكهف بأنّ اللّه تعالى حين قال في الآيتين ١١/١٢ من سورة الكهف ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾. بأنّه سبحانه أشار هنا في الآية الأولى إلى مدّة ثلاثمائة سنة وتسعا التي بقي فيها المسيحيّون الأوائل في كهوف روما مضطهدين كما أشار تعالى في الآية الثانية إلى المسيحيّة التي اعتنقها قسطنطين كدين رسميٍّ لمملكته ووصلته مزيجا من الشرك والتوحيد على أيدي بولس الرسول وبقايا عهد الوثنيّة التي كانت مسيطرة على روما. وقد راح اللّه جلّ شأنه في الآية ١٨ يبيّن حال المسيحيّة الرومانيّة التي أعقبت دور تخفّي المسيحيين الأوائل في كهوف روما. فقسّم تاريخهم بعد اعتناق قسطنطين المسيحيّة إلى دورين متمايزين. فلخّص تعالى دور المسيحيّة الوسيط من خلال قول اللّه تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ فاختصر بذلك دور المسيحيّة الوسيط ما بين نشوء المسيحيّة وما بين نشوئها في الزمن الذي نحن فيه. ووصف

الدور الوسيط بوصفٍ بلاغيٍّ مُعجزٍ وضّح من خلاله حال الأمم المسيحيّة بعد اعتناقها المسيحيّة وكيف كانت تتناحر وتتقاتل فيما بينها. ومن ثمّ أتمّ تعالى الآية ليحدّثنا باختصار وببلاغة معجزة أيضاً عن الدور الثالث للمسيحيّة والذي نعاصره وراح تعالى يقول ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾.. فأعطى تعالى وجهَ مهابةٍ على دور المسيحيّة الثالث المعاصر وذلك من خلال مخاطبته المسلم وقائلا ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في دورهم الثالث الذي يصيرون إليه ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾.. فمن خلال قوله اللّه تعالى ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾ يكون قد صوّر درجة الجبروت والتقدّم الحضاريّ والتقنيّ التي ستبلغها المسيحيّة في دورها الثالث المعاصر المخيف والمُهيب. وإنّ قوله (مُلِئت) بمعنى لَشُحِنت رُعبا وخوفا منهم وفزعا. وعليه عُدنا نعلمُ بأنّ المفسّرين القدماء قد صوّروا آيات سورة الكهف من خلال تفسيرهم لها على أنّها سورة المعجزات والأعاجيب، وأضلّوا بذلك قرّاء تفاسيرهم. على حين أنّ آيات سورة الكهف قد لخّصت أدوار المسيحيّة الثلاثة التي أتيت على ذكرها وقد لخّصتها تلك الآيات تلخيصا بلاغيا مُعجزا يعسُر فهمه من خلال ما يتبادر من آياتها لذهن القارئ لأوّل وهلة. ولا تُفهمُ مضامين آيات سورة الكهف إلا من خلال تدبُّرها بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره التي كانت غائبةً عن أذهان المفسّرين القدماء رحمهم اللّه تعالى. وهكذا يكون اللّه عز وجلّ قد حذّر الأمّة الإسلاميّة في سورة الكهف من مستوى القوة الرهيبة التي سيبلغها العالم المسيحيّ خلال دور نهضته الثالثة. ولم يكتف اللّه عز وجلّ بهذا التّحذير بل إنّه سبحانه وتعالى وبعد أن فرغ من إعطاء المسلم فكرةً عن الخطوات التي سيمرّ منها هؤلاء خلال تقدّمهم ونهضتهم المشار إليها، أنهى الآية ٢٢ بقوله تعالى ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ

أَحَداً﴾. بمعنى لا تجادل في موضوع عدد هؤلاء كما يفعلُ من فهم هذه الآيات على ما تبادر منها لأذهانهم. ومعتقدا بأنّ هذه الآيات قد وردت تحتمل التأويل والتّخصيص. وأنّ فهم معاني تلك الآيات لا يتحقّقُ إلا عن طريق البحث التاريخيّ وبأسلوبٍ علميّ. ومن ثمّ نهى اللّه عز وجلّ المسلمين عن مقاومة أصحاب النهضة المسيحيّة المشار إليها بطريق السلاح والعنف بدليل قوله تعالى في الآيتين ٢٣/٢٤ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً ۞ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً﴾.. ويكون اللّه جلّ شأنه ومن خلال مضمون هاتين الآيتين قد هدى المسلمين إلى طريق الخلاص من سلطان وهيمنة هؤلاء المسيحيين في الزمن البعيد المتكلّم عنه. وذلك من خلال ترك أمر القضاء عليهم ومعالجته للمشيئة الإلهيّة، ودفعَهم إلى الدعاء وقتئذٍ من اللّه تعالى ليحقّق ما كان قد توعّد هؤلاء به من عذاب في الآيات الأولى من سورة الكهف حين توعّدهم وقال ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ۞ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾ إلى أن قال ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.. فهذا هو الوعيد الإلهي المتوعّد به اللذين اتّخذوا للّه ولدا. والذين أطلق عليهم الحديث النبويّ مصطلح (فتنة المسيح الدجّال). وبدليل وجود الحديث النبويّ القائل (**مَن حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِمَ من الدجّال**).. والحديث (**مَن قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجّال**). - روى هذين الحديثين الشريفين مسلم والنسائي والترمذي. وأورد ابن كثير هذين الحديثين في تفسيره للسورة -. وبعد أن أحطنا القارئ علما وبصورة مختصرة عمّا أنبأتنا به آيات سورة الكهف عن النهضة المسيحيّة المعاصرة وعن المستوى المُرعبُ الذي ستصلُ إليه قوّتها وجبروتها. وكيف أنّ اللّه عز وجلّ قد نهى المسلمين عن مواجهتها بالقوّة. وأنّ من الواجب عليهم

يومئذٍ ترك التّصدي لأصحابها للّه تعالى ومشيئته والاعتماد على الدعاء في تلك الفترة من الزمان ليحقّق اللّه تعالى وعيده بهم. يسألنا القارئ هنا تلقائيّا عمّا قدّره اللّه تعالى لمعالجة خطر النهضة الثالثة المسيحيّة على الإسلام؟ فنقول في الجواب: إنّ اللّه تعالى قد قدّر أن يبعث مجدّدا أعظم يكون مثيل ابن مريم وتكون مهمّته أن (**يكسرَ الصليب**).

وقد أنبأ اللّه تعالى عن ظهوره في الآيات الأواخر من سورة الكهف وذلك ابتداء من الآية ٨٣ وانتهاء بالآية ١٠١. تلك الآية التي قال تعالى بعدها ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ۞ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ۞ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ فأشار تعالى من خلال هذه الآيات إلى الأمم المسيحيّة المعاصرة فأنبأ بشأنها وقال ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ فأنبأ عن خسارتهم في نهاية المطاف. وممّا أنبأ عنهم أيضاً قوله ﴿**فحبطت أعمالهم فلا نُقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزاؤهم جهنّم بما كفروا واتّخذوا آياتي ورسلي هزُوا**﴾..

وعليه وبناء على ما ذكرناه يعود القارئ يوقن بأهمّية نبوءة (**كسر الصليب**) على أيدي المجدّد مثيل ابن مريم والذي سُمّي في سورة الكهف باسم (**ذو القرنين**). ويطرح في الوقت نفسه سؤالا جديدا وهو ما هي معالم إنجاز مهمّة (**كسر الصليب**) المشار إليها على أيدي ميرزا غلام أحمد؟ فأقول في الإجابة على هذا السؤال الأخير إنّ المجدّد ميرزا غلام أحمد عليه السلام أنجز مهمّته المذكورة بطرق عديدة. **فالطريق الأول** الذي اتّخذه وسيلة على هذا الطريق هو

أنّه تصدّى للهجمة التبشيريّة التي رافقت استعمار الإنكليز لشبه القارة الهنديّة. فتحقّق على يديه إعادة حوالي نصف مليون مسلم إلى حوزة الإسلام الذين كانوا قد تنصّروا بواسطة قساوسة التبشير المسيحي. فهؤلاء حضروا مناظرات كثيرة ناظر فيها ميرزا غلام أحمد قساوسة المراكز المسيحيّة، وتغلّب عليهم. وقُضيَ على أولئك القساوسة وماتوا مبكّرا وفق ما أنبأ به حضرته بشأن عاقبتهم بعد المناظرة معهم. وهي حقيقة أتيت على بيانها من خلال إيراد ما حدث من أحداث في حياة ميرزا غلام أحمد ممّا لا حاجة بي لإعادته في هذا المقام. ولم يكتف ميرزا غلام أحمد بالتصدي للمراكز التبشيريّة في الهند. بل تصدّى للمسيحيّة خارج الهند سواء على صعيد أمريكا وسواء على صعيد أوروبة. وهذه حقيقةٌ أتيتُ على ذكرها خلال بيان الأحداث الهامة التي واجهت حضرته في هذه السيرة أيضاً ولا جدوى من إعادة ما ذكرناه. وقد ترك ميرزا غلام أحمد تراثا عظيما يشكّل لكلّ مسلمٍ الأداة التبشيريّة له في مواجهة خطر طُغيان هيمنة الصليب على العالم الإسلامي. ثمّ إنّ <u>الطريق الثاني</u> الذي سلكه ميرزا غلام أحمد على طريق أدائه مهمّته فيما اصطلح الحديث النبويّ على تسميته باسم (**كسر الصليب**) هو أنّه وبناء على ما وجّهه به اللّه عز وجلّ من أنّ القرآن الكريم قال بموت المسيح الناصري، وأنّه تعالى لم يرفع المسيح الناصري إلى السماء بجسده العنصري. فقد توجّه حضرته إلى المسلمين على وجه الخصوص يوعّيهم من الخطأ الذي وقع فيه المفسّرون القدماء الذين فهموا من الآيات المتعلّقة بقصّة المسيح الناصري بأنَّ اللّه عز وجلّ قد أنقذه من أيدي اليهود ورفعه إلى السماء بجسده العُنصريّ. فصحّح ميرزا غلام أحمد المعنى الخطأ الذي تبادر لأذهان المفسّرين القدماء. وبيّن بأنّ المسيح الناصري هو نبيّ وقد مات كما مات جميع من قبله وبعده من أنبياء اللّه ومُرسليه وبسبب أنّه بشرٌ مثل جميع من سبقه من أنبياء اللّه تعالى ومرسليه. ولكنّ حضرته عانى كثيرا وهو يقوم بتوعية المسلمين من هذا الفهم الخطأ

المتوارث، بسبب وقوف مشايخ زمانه المقلّدين الجامدين في طريقه وبسبب تضليلهم أتباعهم في هذا المجال وغيره من المجالات. وقد خاطب ميرزا غلام أحمد المسلمين وهو يوعّيهم. خاطبهم بقول حضرته إن كنتم تريدون زوال المسيحيّة من طريق الإسلام، فإنّ اللّه تعالى يأمركم أن تقولوا بأنّ المسيح عيسى ابن مريم قد مات. وبموته تموت عقيدة التثليث. وتموت عقيدة المخلّص. ولا يعود للمسيحيّين من إله لهم إلا ذلك الإله الواحد الذي دعا لعبادته موسى عليه السلام. وهو الإله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو الذي دعا لعبادته هذا القرآن المجيد. فهذا هو طريق الخلاص من المسيحيّة. وليس الخلاص من المسيحيّة مقرونا بقتالهم وسفك دمائهم وكما يفعل المغفّلون. وعليه فهذه هي معالم الإنجاز الثالث الذي تحقّقَ على أيدي المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام الذي قام بإبطال عقائد المسيحيّة بمعونة اللّه الذي أيّده في كلّ خطوةٍ أقدمَ عليها على هذا الطريق.

والإنجاز الرابع العظيم الذي تحقّق على أيدي ميرزا غلام أحمد عليه السلام هو **إيجاده الأرضية لتوحيد صفوف الأمة الإسلامية من خلال هذه** الجماعة التي أسّسها ولينضمّ كلّ مبايع تحت لواء هذه الجماعة الواحدة ذات منهاج عمل واحد وخطّة عملٍ واحدة. وذلك من خلال هذه الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة التي أسّسها بأمر من ربّه عز وجلّ وعلى حسب ما وضّحت ذلك في سيرته عليه السلام. وهنا يتساءل القارئ عن هذا الذي سمعه ويطالبني أن أوضّح له معالم هذا الإنجاز الرابع العظيم، وبيان كيف جسّد قيام هذه الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة وحدة أمّة إسلاميّة بصورة عمليّة؟ فأقول: إذا ألقيت يا قارئي نظرة سريعة على حال المسلمين اليوم تلاحظ بأنّهم بالإضافة إلى جهلهم بأفكار الإسلام الحقيقيّة، فإنّ هؤلاء يشكون جميعهم من فقدان الوحدة التي تربطهم ببعضهم جميعا. كما يشكون من فقدان الرابطة السياسيّة التي تعمل على توحيد كلّ مسعى يُبذل في سبيل إعلاء شأن الإسلام من أجل تحقيق المقاصد

التي نصّت عليها آيات هذا القرآن المجيد. ويشكون أيضاً من فقدان مرجعيّة يرجعون إليها جميعهم في أمور دينهم. فالمسلمون المعاصرون يشكون من فقدان كلّ ما ذكرناه. إلى جانب أنّهم يحنّون إلى الزمن الذي كانوا فيه مرهوبيّ الجانب من الأوربيين ويرون كيف أنّ اليهوديّة اغتصبت الآن من أراضي فلسطين أكثر ممّا نصّ عليه وعد بلفور الشؤم. فأما على صعيد جهل هؤلاء المسلمين المعاصرين بتعاليم الإسلام الحقيقيّة. فالباحث يلاحظ بأنّه غلب عليهم الاعتقاد بأنّ الإسلام **دينٌ ودولة**. ومن باب أنّ آيات القرآن الكريم قد بحثت جميع نواحي الحياة ومن جميع جوانبها. وإنّ ميرزا غلام أحمد لم يُكذّب الاعتقاد بأنّ الإسلام قد جاءت جميع تعاليمه شاملة جميع نواحي الحياة. لكنّه نبّه إلى أنّ تعاليم الإسلام هي في أصلها تعاليم روحيّة وأنّ تلك التعاليم لم تُطالب المسلمين بالسعي للوصول إلى كرسيّ الحكم. بل إنّ كلّ ما طالبتهم به هو العمل على تطبيق فرائض هذا الدين من منطلق أنّها تساعدهم على إصلاح أنفسهم وتؤهّلهم للفوز بقرب اللّه تعالى والفوز بمحبّته ونيل رضوانه. وأن يتركوا للّه تعالى أمر الوصول بهم إلى كرسيّ الحكم وليس أن يسعوا إليه بأنفسهم. وكان دليل حضرته على مصداقيّة ذلك أنّ اللّه عز وجلّ مرّر محمّدا المصطفى من خلال دورين اثنين: **فالدور الأوّل** أمضاه محمد في مكّة المكرّمة وكان خلال ثلاثة عشرة سنة أمضاها فيها خاضعا لنظام غير إسلاميّ ولا يتمرّد على قوانينه وكان كلّ ما يصدر عنه أنه يشهد بوجود اللّه تعالى وعلى أنّه اللّه الذي لا إله إلا هو. ولا يحقّ لامرئ والحال هذه أن يزعم بأنّ إيمان الرسول وأصحابه في هذا الدور المكّي كان ناقصا ولم يكن كاملا. وعليه يكون محمّد رسول اللّه قد أعطى هذا المسلم درسا وضّح من خلال سلوكه تحت نظام غير إسلاميّ وكيف أنّ تعاليم الإسلام هي في أصل وضعها تعاليم روحيّة. وأنّ الدين الإسلاميّ هو دين دعوة إلى سبيل اللّه وبالحكمة والموعظة الحسنة. وإنّ **الدور الثاني** أمضاه (ص) في المدينة

المنوّرة فأصبح فيها حاكما وليس محكوما. وأمضى في دوره الثاني هذا عشرة أعوام أعطى هذا المسلم درسا جديدا! وضّح من خلال سلوكه كحاكم يملك السلطتين الروحيّة والسياسيّة كيف باستطاعة المسلم أن يعمل على جميع ما ورد في كتاب اللّه العزيز من أحكام شرعيّة وفي وقتٍ يكون فيه داعيا مسلما إلى سبيل اللّه عز وجلّ. وبناء على هذا المنطلق من الفهم لتعاليم الإسلام فقد عاد باستطاعة المسلم الذي بايع هذا المجدّد الأعظم أن يعيش في أيّة دولة كانت. وأن يُطيع قوانينها بدافعٍ دينيّ وأن يتجنّب وضع يده في أيدي سياسييّن يسعون فيها لقلب نظام الحكم. وأن يقوم في الوقت نفسه بدعوة كلّ من يكونون حوله لتقبّل الإسلام دينا بالحكمة والموعظة الحسنة وبكلّ ما توفّر لديه من حججٍ وبراهين وليس بالعنف والتآمر وسفك الدماء. فبهذا الفهم صحّح ميرزا غلام أحمد ما هو سائد بين المسلمين من معتقد بأنّ الإسلام **دينٌ ودولة**. هذا الاعتقاد الخطأ الذي بثّته بينهم التفاسير المتوارثة ومنشورات تنظيم الإخوان المسلمين في أوائل أيام ظهورهم إلى ساحة العمل السياسيّ. وعلى هذه الصورة وبهذا الفهم ومن خلال تأسيس حضرته الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة فقد وضع ميرزا غلام أحمد حجر الأساس لإعادة الوحدة الإسلامية ولتشكّل هذه الجماعة أساس وحدةٍ إسلاميّةٍ من جديد وبنفس روح الوحدة الإسلامية التي كانت سائدة في صدر الإسلام وعلى منهاج النبوّة المحمّدية. فالجماعة الإسلاميّة الأحمديّة نظّمت أفرادها في سلكٍ واحدٍ وفكرٍ ومُعتقدٍ واحدٍ، وبعيدا عن التفرّق بداعي مذهبٍ معيّنٍ أو تشيّعٍ إلى فلان وفلان. وميّزتهم عن باقي الجماعات الإسلاميّة من حيث أنّها سلّحتهم بأسلحة أخلاقيّة وأسلحة روحانيّة إلى جانب هذا التراث العلميّ الذي ورثوه عن المجدّد الأعظم الذي ترك من ورائه عشرات المؤلّفات وعشرات المحاضرات والمناظرات ومجالس الوعظ الذي تحقّقت على يديه. وإنّ كلّ باحث يجول في جميع أقطار عالمنا المعاصر سيلاحظ بأنّ جميع حكومات مختلف الدول

المتحضّرة في هذا العالم تحترم هذه الجماعة الإسلامية الأحمديّة وتُثني على أفرادها المسالمين وأصحاب الخلق الحسن في تعاملهم مع جميع من كان من حولهم ولأيّ دين كان منتسباً ومديناً به. وإنّ مبشّري الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة يحملون شُعلة الإسلام ليضيئوا بها جميع جوانب هذه الكرة الأرضيّة، بأسلوب الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبسلاح الحجّة والبرهان. وإنّ كلّ من يراجع تاريخ هذه الجماعة حيثما وُجدوا يُلاحظ بأنّ تاريخهم نظيفٌ من كلّ ما يُشينهم أو يُسيء سمعتهم. بالرغم من أنّه قد مضى على تأسيس هذه الجماعة أكثر من قرن وربع قرن من الزمان. فهذه الجماعة قد أصبح لها مراكز في أكثر دول الأرض وتجاوز عدد أفرادها المائة وسبعين مليونا من الأفراد. وتعمل بعيدا عن السياسة وبخصائص متميّزة ومستقلّة. وبخطّة عملٍ واضحة المعالم وبميزانيّة قائمة على تبرّعات أفرادها من زكاة وصدقات وغيرها. ولا يدخل ميزانيّتها أيُّ مبلغ مساعدة ماليّة من أيّة جهة كانت. وبذلك تكون هذه الجماعة التي أسّسها المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد أوجدت وحدةً إسلاميّة متينة الجانب وتكون قد سدّت هذا الفراغ الذي يسعى الذين أسّسوا هذه الجمعيات والأحزاب لسدّ هذا الفراغ. علما بأنّ جميع هؤلاء يُعتبرون في نظر ربّهم مُنتحلين صفةً ليست لهم. ولتناسيهم بأنّ للإسلام ربّا يحميه وأنّه أرسل في الوقت المناسب المجدّد الموعود ببعثته في القرآن المجيد وفي الأحاديث النبويّة. وأنّه عندما بعثه ربّه أعلن ذلك وقدّم الأدلّة والبراهين على مصداقيّة ما ادّعاه. وليس من المعقول أن تنجح جماعة هذا المجدّد إن كان مفتريا وكاذبا. بدليل الآية ٢١ من سورة الأنعام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.. علما بأنّ نشوء الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة قد حدث وفقا لما أنبأ به القرآن الكريم عن نشوئها في آخر الزمان. وعلى حسب ما وضّحته في الفصل الثالث من مؤلّفي (نبوءات قرآنية على طريق الإصلاح). ومن منطلق أنّ للإسلام بعثتان الأولى

حدثت على أيدي محمّد بن عبد اللّه (ص) وأنّ البعثة الثانية تحدث على أيدي مثيل ابن مريم في آخر الزمان. ففي **البعثة الأولى** للإسلام نشأ الإسلام من خلال رجلٍ واحدٍ اسمه محمد بن عبد اللّه الذي دعا قومه إلى اللّه تعالى وأعلمهم بأنّ ربّه أرسله إليهم ليهديهم إلى صراط اللّه المستقيم ولينقذهم من ضلالة جاهليّتهم. فآمنت به زوجته خديجة وابن عمّه عليّ بن أبي طالب ومن ثمّ آمن به أبو بكر الصدّيق. وأخذت أعداد الذين بايعوا محمّدا (ص) يتزايدون. وشكّلوا بذلك جماعة معروفة من أعداء محمّد وكان الأعداء يشيرون إلى كلّ واحد أسلم على يديه (ص) على أنّه أصبح من جماعته عليه السلام. وفي هذه **البعثة الثانية** للإسلام يحدُث نفس ما حدث في صدر الإسلام ووفق ما أنبأت عنه آيات سورة الفتح ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.. هذه النبوءة التي أشارت إليها الآيتان الأخيرتان من سورة (ص) وهما قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.. أي أنّ قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾. يحمل للمسلمين نبأً متعلّقا بزمن بعيد عن زمن البعثة الإسلاميّة الأولى التي ظهر فيها هذا الدين الإسلاميّ الحنيف على أيدي محمّد الرسول الأمين. لكنّ المؤسف أنّ المسلمين المعاصرين الذين تفرّقوا إلى مذاهب وتشيّعوا إلى فلان وفلان وأهملوا عمل الصالحات وتفرّق شملهم وفقدوا مرجعيّتهم والكيان الذي كان يجمعهم. إنّ هؤلاء ما يزالون غارقين في مُستنقع التقليد الأعمى وبعيدا عن تدبّر آيات القرآن المجيد فإذا سألت أحدهم: ماذا أنبأ القرآن عن زماننا هذا؟ تراه يقف حيران لا يحير جوابا.

والإنجاز الخامس العظيم الذي تحقّق على أيدي ميرزا غلام أحمد عليه السلام هو **قيامه بإحياء الدعوة إلى سبيل اللّه** بصورة منظّمة وراسخة الجذور

ومستندة إلى تراثٍ كبير يساعد هذا الداعي إلى الله ليكون هو الأعلى في كلّ شيء يدعو له. وقد تحقّق هذا الإنجاز العظيم على يديه عليه السلام في وقتٍ كان المسلمون قد أغفلوا تنظيم الدعوة لنشر الإسلام في جميع أنحاء المعمورة منذ قرون عديدة وحسبما يدلّ عليه تاريخهم الذي اهتزّ من جذوره بعد سقوط الحكم التركيّ. وقد نبّه المجدّد ميرزا غلام أحمد عقولنا إلى أنّ الإسلام هو في حقيقته دين دعوة، بدليل الآية ٤٥ -٤٨ من سورة الأحزاب التي خاطب الله تعالى رسوله قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾.. وبهذا الخطاب الإلهيّ يكون الله تعالى قد وضع أساسا متينا للتبشير بالإسلام والدعوة إلى الله تعالى. وفي الآية ١٠٨ من سورة يوسف قد فرض الله تعالى على كلّ من يصبح مسلما أن يقوم هو بالتبشير بالإسلام والدعوة إلى الله تعالى أيضاً. فهو تعالى أمرنا في هذه الآية وقال ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.. فإشارة الوقف الواردة ضمن الفقرة الأولى من الآية القصد منها تذكير هذا القارئ بأنّ الأصل في الدين الإسلامي أنّه دين دعوة إلى الله تعالى. فمن خلال قوله تعالى ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فقد أشرك تعالى كلّ مسلمٍ في مسؤوليّة حمل هذه الفريضة الملقاة على كتف رسوله الكريم وليصبح المسلم مبشّرا بالإسلام وداعيا إلى الله تعالى أيضاً. ولمّا كان من الضروري أن يُبيّن الله وسيلة الدعوة أهي القيام بإكراه الناس على تقبّل الإسلام دينا أو بوسيلة الحجّة والإقناع. فإنّ هذه المسألة دعته تعالى ليُعبّر عن الوسيلة المطلوبة بأسلوب إنشائيٍّ مُعجزٍ وقال ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ويتبادر من هذه الفقرة أنّ الله تعالى ينفي عن رسوله الشرك بالله تعالى. مع أنّ

هذا المعنى المتبادر للذهن من هذه الفقرة خطأ ولا صلة له بسياق هذا الكلام. فرسول الله هو موحّدٌ ورسول التّوحيد. ولا محلّ لنفي الشرك عنه. وعليه فالقصد من قوله تعالى هنا ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هو أنّ المسلم لا يعمد في نشر الإسلام أصلا إلى العنف والإكراه وسفك الدماء ومن باب أنّه مُعتقد أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. أمّا هؤلاء المشركون الذين كانوا من أهل مكة الأصليّين فهم يعمدون إلى وسيلة العنف وإكراه الناس في الدين. فهذا هو المعنى المقصود هنا من قوله تعالى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. والمهمّ في الأمر هو أنّ ميرزا غلام أحمد قد أثبت من خلال هاتين الآيتين أنّ الدين الإسلاميّ هو في أصل حقيقته هو دين دعوة وليس هو بدينٍ يحضُّ على محاولة الوصول إلى سدّة الحكم. وبناء على هذا الفهم القرآنيّ السليم فقد ذكّر حضرته عقولنا بأنّ محمّدا (ص) دعا إلى الله في مكة المكرّمة بمختلف الطرق السلميّة والأساليب المشروعة. وتحمّل ما تحمّل من أذى ولم يُبدّل أسلوبه في الدعوة خلال ثلاثة عشرة سنة. أما وقد أصبح محمّد (ص) حاكما في المدينة المنوّرة فلم يستغلّ سلطانه والقوّة التي حصل عليها لنشر دينه بالعنف والإكراه. بل عمد إلى توسيع رُقعة تبشيره والدعوة إلى سبيل الله تعالى من خلال رسائل أرسلها إلى مُلوك الأقطار من حوله. فبشّرهم في تلك الرسائل بوجود الله الأحد ودعاهم إلى الإسلام ليَسلموا ممّا هو مقدّرٌ حدوثه على يديه في حياته كرسول من جانب خالق السماء والأرض وعلى أيدي الذين أسلموا على يديه صلّى الله عليه وسلّم. وهكذا أثبت محمد رسول الله بأنّ دين الإسلام هو دين دعوة عمليا فدعّم بذلك مضمون الآيتين المذكورتين. ومن هذا المُنطلق فقد وضّح لنا ميرزا غلام أحمد أساس تنظيم التبشير بالإسلام بالحجّة والبرهان وبوسيلة التحاور والإقناع وبعيدا عن وسائل العنف والإكراه وسفك الدماء. وبهذا الإنجاز فقد أعاد ميرزا غلام أحمد للإسلام حيويّته كدين دعوةٍ إلى سبيل الله. وأبعد

مبايعيه عن محاولة التدخّل في سياسة الأقطار التي يعيشون فيها. علما بأنه قد شحنهم بروح تقديم مصلحة دينهم الإسلام على أيّة مصلحة أخرى. واشترط في البند الثامن من بنود مبايعته (**أنّه يكون الدين وعزّه ومواساة الإسلام أعزّ عنده من نفسه وماله وأولاده وكلّ ما هو عزيزٌ عليه**). ومن خلال شرط البيعة المذكور فقد عاد كلّ فردٍ من أفراد الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة يقدّم دينه على دنياه ويبذل الغالي والرخيص في سبيل نشر هذا الدين الإسلاميّ الحنيف في العالم ولإظهاره على الدين كلّه.

وهنا وبعد أن علمَ القارئ بهذا الإنجاز العظيم الذي حقّقه ميرزا غلام أحمد لصالح الإسلام. قد يسأل: وما الحاجة لتأسيس جماعة جديدة فكان ينبغي أن يكتفي بهذه المؤسّسة التبشيرية لتحقيق ما يسعى لتحقيقه. فأجيب على هذا الخاطر إذا خطر ببال القارئ وأقول: يصحّ هذا الخاطر إذا كان المجتمع الإسلاميّ بخير. فلو كان بخيرٍ لما كانت هناك من ضرورة لبعثة مجدّدٍ لهذا الدين. علما بأنّ تنظيم مؤسّسة تبشيرية ليست بأمر يُمكن تحقيقه إذا لم يكن هذا مدعّما بمجتمعٍ يكون همّ جميع أفراده خدمة دينهم والتضحية في سبيله. فالقائد على سبيل المثال لا يستطيع أن يبعث لمحاربة العدوّ إلا الذين تجنّدوا ، ولا سُلطان له على الذين لم ينخرطوا في صفوف الجيش بعد. من هنا تأتي أهمّية تأسيس جماعة يكون جميع أعضائها ينتظرون بفارغ الصبر أن يُطالبهم المجدّد وخلفاءه من بعده بما هو ضروريّ بذله لخدمة هذا الدين الإسلاميّ الحنيف. وعليه فإن خطر للقارئ مثل هذا الخاطر فليردّه وليعلم بأنّه تأتّى عن قلّه تدبّر أمور الدين. ومن هنا كان من واجب القارئ أن يتيقّن بأنّ اللّه تعالى عندما أمر المجدّد ميرزا غلام أحمد بإنشاء جماعته التي نتكلّم عنها. يكون اللّه تعالى قد أثبت من خلال أمره هذا أنّه الإله العليم الحكيم. العليم بمتطلّبات التبشير بالإسلام. والحكيم فيما أمر به أن يُؤسّس ويظهر إلى حيّز الوجود. هذا وإنّ تزايد أفراد

جماعة المهديّ يوما بعد يوم يرافق تقدّم عمليّة التبشير بالإسلام ويؤمّن لها لوازمها المستندة إلى بذل تضحيات ماليّة وإيثار الدين على الدنيا. ألا إنّ لبنة هذه الجماعة الإسلاميّة التي بذرتها المشيئة الإلهيّة تقوى وتشتدّ يوما بعد يوم. بدليل ما قامت به وتقوم المؤسّسة التبشيرية الإسلامية التي أسّسها المجدّد ميرزا غلام أحمد عليه السلام من جهود تبشيرية وبذلك فقد بات يوم ظهور الإسلام على الدين كلّه قد بات قريبا. يوم يتحقّق قول اللّه عز وجلّ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ بشكلٍ مُعجزٍ لا يستطيع الكفر بعده أن يصول ويجول في وجه الإسلام لفوات أوان تلك المواجهة.

وبعد أن أقنعت القارئ بما أردت إقناعه به من حقيقة هذا الإنجاز العظيم الذي حقّقه ميرزا غلام أحمد على صعيد التبشير بالإسلام. أرى أن أطلِعَ هذا القارئ على ما حقّقته هذه المؤسّسة التبشيرية من خدمات على طريق نشر الإسلام في العالم. ألا فليعلم القارئ بأنّ هذه المؤسّسة التبشيريّة التي تؤدّي عملها بإشراف من هذه الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة وبقيادة خلفاء هذا المجدّد المهدي مثيل ابن مريم الذين يقودونها قد تحقّقت ترجمة القرآن الكريم إلى أكثر من خمسين لغة من لغات العالم المعروفة من أجلِ توفير ما يتضمّنه هذا القرآن الكريم من تعاليم ومعارف وأحكام بلغة كلّ قوم توجّهوا لتبشير أبنائه. وإنّ هذه الترجمات تطلّبت بذل الوقت والعلم والمال. وهذه الأمور كلّها قد تحقّقت بسبب ما قدّمه أفراد الجماعة الإسلاميّة من أموال وتضحيات. على حين أنّ العالم الإسلامي لم يستطع إلى يومنا هذا إنجاز مثل هذا العدد من ترجمات القرآن المجيد إلى اللّغات الحيّة. وبالإضافة إلى هذا الإنجاز فقد تمكّنت هذه المؤسّسة التبشيرية من تأسيس مراكز في أكثر من مئة وخمسين دولة من دول العالم. وتقوم هذه المراكز بالتبشير بالإسلام بسلاح الحوار والحجّة والبرهان في تلك الدول بواسطة مبشّرين مسلمين تبعث بهم تلك المؤسّسة التبشيريّة بشكل منظّم وبموافقة حكّام تلك

البلاد التي تبعثهم إليها. وإنّ كلّ مبشّرٍ إسلاميّ يقوم بالتبشير يكون مثقّفا وجامعيا ومتخصّصا في علوم الأديان. والملفتُ لنظر الباحث هو أنّ هناك أعداد كبيرة من أتباع مختلف الأديان المعروفة قد تقبّلت الإسلام دينا على أيدي هؤلاء المبشّرين الإسلاميين. بسبب تقديمهم الإسلام بأسلوبٍ علميّ وبالمفاهيم التي طرحها المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد عليه السلام. ثمّ إنّ المؤسّسة التبشيريّة لم تكتف بفتح مراكز تبشيريّة للتبشير بالإسلام. ولم تكتفي بترجمة القرآن المجيد إلى مختلف لغات العالم. بل سعت لتعمير مساجد للّه تعالى تُقام فيها الصلوات الخمس في كلّ مكان أقامت لها مراكز فيه. وقد تجاوز عدد المساجد التي شيّدتها هذه المؤسّسة التبشيرية حتى اليوم الألف مسجد في جميع أنحاء العالم. مساجد منها الصغيرة ومنها الكبيرة وحسب احتياج كلّ منطقة من تلك المناطق بصورة خاصّة. وأتبعت كلّ مسجدٍ بمكتبةٍ تحتوي على الكتب الدينيّة وكلّ ما يتّصل بالإسلام بصلة وليتمكّن الشباب الذين يُصلّون مطالعة تلك الكتب براحة كبيرة والتبحّر بما يزيد ثقافتهم الدينيّة. كما أتبعت كلّ مسجد بمنزل يقطنه كلّ مبشّرٍ يُعيّن في تلك المنطقة. إلى جانب دار ضيافة وقاعةٍ لإلقاء المحاضرات. وأوجدت هذه الجماعة مطابع لطبع جميع ما تركه المجدّد ميرزا غلام أحمد من مؤلّفات ومحاضرات مكتوبة وموثّقة. ولطبع جميع ما ألّفه خلفاؤه من مؤلّفات دينيّة قيّمة ولطبع كلّ ما تحتاجه من منشورات على طريق التبشير بهذا الدين الإسلاميّ. كذلك سعت المؤسّسة التبشيريّة لتعمير مستشفيات في القارة الأفريقيّة بصورة خاصة وفي بعض القارات بصورة عامة وعلى قدر استطاعتها. وقد عيّنت فيها أطبّاء وقفوا أنفسهم لخدمة الدين الإسلاميّ الحنيف ولخدمة الإنسان المحتاج في تلك المناطق المقامة فيها ولمساعدة كلّ من ليس باستطاعة حكومته معالجته داخل المستشفيات العامة. وإنّ هذه المستشفيات تعمل ليل نهار وتؤدّي كلّ ما يُطلبُ منها من خدمات إنسانيّة. كذلك كان من

الإنجازات التي تحقّقت على أيدي الخليفة الرابع للمجدّد ميرزا غلام أحمد إنشاء محطةٍ فضائيّة خاصّة بالجماعة الإسلامية الأحمدية وتمتاز هذه المحطّة الفضائيّة عن سواها من المحطّات الفضائية في أنّها لا تُدخلُ في برامجها أشياء تتنافى مع تعاليم الدين الإسلاميّ. ومن أجل أن تكون هذه المحطّة الفضائيّة في الوقت نفسه مِنبرا عظيما لطرح حقائق الإسلام ومعارفه وليشاهد الناس ما تقوم به هذه الجماعة التي أسّسها المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد قبل قرن وربعٍ بأسلوب مهذّبٍ وحضاريّ. وقد قامت هذه المحطّة بتبرّعات الأفراد الأحمديين أنفسهم وليس بمساعدة أحدٍ من خارج هذه الجماعة. وإنّ جميع العاملين في هذه المحطّة الفضائيّة هم من الذين وقفوا أنفسهم لخدمة هذا الدين الذي كتب اللّه تعالى له أن يظهر على الدين كلّه. علما بأنّ خُطب الجمعة تُنقلُ على المحطة الفضائية مباشرة وتتُرجم إلى عدة لُغات في وقت واحد.

وأكتفي هنا بما أعلمت القارئ به من إنجازات خمسة عظيمة تحقّقت على أيدي هذا المجدّد الأعظم المهديّ المعهود ومثيل ابن مريم الموعود والتي أوردتها بالتوالي وهي:

١ -إعادة نظام الخلافة على منهاج النبوّة.

٢ - إعادة اللّحمة ما بين العبد وربّه.

٣ -كسر الصليب بالحجّة والبرهان.

٤ - تأسيس جماعة شكّلت أرضيّة لتوحيد المسلمين وعلى أساس مبايعتهم لهذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد.

٥ - إحياء فريضة الدعوة إلى الإسلام بصورة منظّمة وعلى أُسسٍ راسخة. وأنا ذكرت أهمّ الإنجازات التي تحقّقت على يديه وليس كلّ الإنجازات. فهناك إنجازات كثيرة حقّقها ميرزا غلام أحمد لصالح الإسلام أرى أن اختصرها للقارئ بكلمات موجزة. فاعلم يا من تحبّ الإسلام ويؤلمك ما يمسّ الإسلام بسوء.

أنّ التفاسير القديمة التي هي بين أيدي المسلمين لم تقُم على أساس منهجيّة واضحة المعالم ولا قامت على أصولٍ نابعةٍ من مُعطيات آيات هذا القرآن العظيم المعجز الذي تحدّى اللّه تعالى به الجنّ والإنس وأنزله صالحا لكلّ زمان ومكان. ويكفي ميرزا غلام أحمد أنّه نبّهنا إلى منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وأخذ بأيدينا لنفهم آيات هذا القرآن العظيم بفهم معاصرٍ وعلميٍّ وبما أفحم بمعطياته كلّ معارض للإسلام ويعاديه. وهذا بحثٌ هو بحاجة لوحده إلى مؤلّف متعدّد الأجزاء. وبالإضافة إلى هذا الإنجاز فإنّ ميرزا غلام أحمد قد فصل في كلّ ما اختلفت فيه الأمة الإسلاميّة حتى وقتنا الحاضر من قضايا وأمور فقهيّة. وكان بذلك (**حكَما عدلا**) وِفق ما أنبأت عنه أحاديث محمّد رسول اللّه (ص). ومن خلال هذا الإنجاز فقد أُعيد النظر في الفقه القديم بمختلف مذاهبه. وظهر فقه جديد قائم على أساس الفهم القرآنيّ النابع من فهم مُعطيات الحقائق الإسلاميّة بلباسها الزاهي الجديد. وبما أنّ الأحاديث الشريفة أوردت لهذا المجدّد اسم (**المهدي**). فكان من واجب كلّ مسلمٍ أن يحيط علما بدلالة هذا اللّفظ ومعرفة الحكمة من إطلاقه كاسم لمجدّد آخر الزمان. فكلمة مهدي اشتقّت من فعل هدى اللّه فلانا فأصبح هذا مهديًا من قبل اللّه تعالى مباشرة. وإنّ حال الأمة المعاصرة اقتضى أن يتوجّه اللّه عز وجلّ إلى شخص بعينه ويصطفيه ليكون مهديا من لدنه وليكون بالتالي إنسانا يهتدي الذين يبايعونه بما تلقّاه هذا المهديّ من هداية من ربّه عز وجل. بمعنى أن يصير أنموذجا عمليا يجسّد الأسوة الحسنة التي جاء بها محمّد رسول اللّه (ص) من قبل. وبسبب أنّ هذا المهديّ يسير على نهج تلك الأسوة الحسنة ويستقي أنواره من أنوار المصطفى صلّى اللّه عليه وسلم. وعليه فالهداية أمست مفقودةً بين المسلمين. وقد بعث اللّه تعالى (المهديّ) ليقودهم إلى برّ الأمان. فهل من لبيب؟

وكلمة أخيرة أقولها وهي أنّ حال المسلمين المعاصرين ونظرة العالم المتحضّر إليهم وتشتّتهم وتفرّقهم إلى مذاهب وشيعا، وقلّة حيلتهم، وفقدان العمل الصالح وتقوى اللّه من صدورهم وتكالبهم على جيفة الدنيا كتكالُب اليهود عليها. فحال المسلمين هذه هي في حدّ ذاتها الدليل على أنّ الزمان هو زمان ظهور المخلّص المُنبأ عنه في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. فمن كان أعمى عمّا هو كائن من هذه الحالة فلن يهديه اللّه الهادي إلى سواء السبيل أما الذي أيقن بحقيقة ما صار إليه حال الإسلام والمسلمين فهو الشخص الذي كتبت أنا سيرة هذا المجدّد العظيم من أجل هدايته بمشيئة اللّه تعالى ومعونته. فيا طالبيّ الحقيقة ويا من أيقنتم بوجود اللّه تعالى الذي أنزل هذا الدين الحنيف ليُظهره على الدين كلّه سارعوا إلى قراءة هذه السيرة المطهّرة لهذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد الذي بعثه اللّه عز وجلّ مهديا ومثيلا لابن مريم عليه السلام ومصداق هذه النبوءات القرآنيّة التي أطلعتكم عليها في مؤلّفي (نبوءات قرآنيّة على طريق الإصلاح). فطالعوا هذه السيرة المطهّرة بفكرٍ حياديٍّ بعيدٍ عمّا دسّه في عقولكم أعداء هذا المجدّد من مشايخ زمانه الذين ورد في الحديث الشريف بحقّهم أنّهم أشرّ من تحت أديم السماء هؤلاء الذين ترونهم قد انتحلوا صفة المدافع عن الدين وفرضوا أنفسهم على المسلمين في كلّ مكان وُجدوا فيه. وتذكّروا بأنّ وعود اللّه تعالى المقطوعة لهذه الأمّة مشروطة بوجود الإيمان الصادق والعمل الصالح. فمن كان هذا حاله فليعمد إلى الصلاة ركعتين نفلا قبل أن يذهب إلى فراشه للنوم. وليدعو ربّه ويستخيره ليكشف له حقيقة ميرزا غلام أحمد أ هو كاذب أم هو صادق فيما ادّعاه. فالاستخارة شيء مسنون. واللّه سميعٌ ومجيبُ الدعاء. واعلموا أنّ الملايين قد هداهم اللّه تعالى لمعرفة إمام زمانهم عن طريق الاستخارة وبعد التحقيق والتمحيص والتفكير فيما وصلهم من أخبار هذا المخلّص المبعوث رمزا من رموز الإسلام البارزين. فاستيقظوا قبل فوات الأوان؟ ألا إني ناديت ولست بقادر على إسماع من هم في القبور. وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

كلمة أخيرة

وبعد أن فرغت من كتابة سيرة المجدّد ميرزا غلام أحمد عليه السلام. وجدت أنّ من الضروري تنبيه ذهن قارئ هذه السيرة إلى ناحيةٍ مهمّةٍ أوردتها الآيات من سورة (المؤمن) والتي تُسمّى سورة (غافر). فاللّه العزيز استهلّ هذه السورة بقوله تعالى ﴿حم ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي أنّ اللّه الحميد المجيد هو (العليم). ونلاحظ بأنه تعالى قد أورد صفة عليم معرّفةً بأداة التّعريف التي تفيد الاستغراق. بمعنى أنّه تعالى ليس هو بعالمٍ مختصّ علمه بموضوع معيّن. بل إنّه جلّ شأنه محيط بعلمٍ كلّ شيء في هذا الوجود وإنّ هذا الكتاب الذي أنزله على قلب محمّد رسول اللّه (ص) يشكّل أكبر دليل على مصداقيّة هذا الادّعاء. ومن هنا أتى إعجاز القرآن الكريم. وبعد أن قدّم اللّه تعالى هذا التّقديم قال وهو يُطلعُ عباده على نفسه ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.. وبمعنى أنّ اللّه العزيز العليم يغفر الذنوب ويقبل توبة عبده المذنب لذلك فإنّه مستحقّ الحمد لكنّه إذا عاقب فهو شديد العقاب ثمّ إنّه ذو فضل وذو عطاء وسعةٍ وغنى وهو يتفرّد في هذا الكون في هذه الأوصاف. لذلك فإنّ من يحيط علما بأسماء اللّه الحسنى فلا يعود له محبوب سواه. علما بأنّ كلّ شيء يصير إليه في نهاية المطاف. ومن ثمّ فقد راح تعالى يغمز جانب الذين يكفرون بوجوده تعالى وبما يحمله من أسماء حسنى وقال ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾.. أي أنّه لا يجادلُ ويخاصم فيما يبعثه اللّه تعالى من أنبياء ورسل وفيما يُظهره اللّه تعالى من آيات دالّة على ما يتّصف به من صفات إلا الذين كفروا بوجود اللّه العزيز العليم. ومع ذلك فإنّ هؤلاء لا يتناهَون عن منكرٍ فعلوه ويكثرون من ارتكاب مختلف أنواع السيّئات. وهنا يخاطب اللّه تعالى رسوله

الكريم ويقول له انطلاقا من فهم هذه الحقيقة فلا ينبغي أن يخدعك تقلّب هؤلاء الكفار في مختلف أقطار الأرض ومحاولتهم المتاجرة لتكديس الأموال. فكثرة أموالهم وسعة تجارتهم مع الناس لن تُجديهم نفعا وتجعلهم من الذين يستحقّون العذاب في نهاية المطاف. وقد راح الله تعالى يضرب الأمثال التي تُثبت مصداقيّة ما بيّنه تعالى من حقائق، إلى أن لفت أنظارنا إلى حقيقة ينبغي ألاّ تغيب عن أذهاننا وذلك في الآية ٢٨ ﴿قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ويكون الله عز وجلّ ومن خلال قول هذا المؤمن الذي كان يكتم إيمانه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ يكون تعالى قد أوجب علينا الإيمان بكلّ داعٍ يدعونا إلى الله تعالى خشية أننا إذا كذّبناه قد يُصبنا بعض ما أنبأ عن وقوعه فيصيبنا ما وعدنا بسوء إلا أن يكون هذا الداعي ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أي شرط ألا يكون هذا المدّعي قد اشتهر بسوء خلقه وعدم اعتداله فيما يُقدمُ عليه ويفعلُه وثبوت تناقضه في أقواله. وبناء على هذه الحقيقة التي نبّه الله تعالى أذهاننا إليها في هذه الآية ٢٨ من سورة غافر. فأناشد كلّ من اطّلع على سيرة ميرزا غلام أحمد أن يزينه بميزان هذه الآية سالفة الذكر. فلا يُصغي إلى أقوال أعدائه من مشايخ آخر الزمان. وأن يضعُ في اعتباره ما تضمّنته هذه السيرة الطاهرة من حقائق ناصعة البياض. فيؤمن به من أجل أن يُجنّب نفسه من سوء العذاب الذي أنذر به ميرزا غلام أحمد الذين كذّبوه. فنحن آمنّا به وبايعناه وأرانا ربّنا عز وجلّ صدق هذا المجدّد بمختلف الطرق والأساليب. وما عاد يساورنا شكٌّ بعد اليوم في مصداقيّة جميع ما ادّعاه عليه السلام. ويكفي أنّ ميرزا غلام أحمد قد حقّق ما ذكرته لهذا القارئ من

إنجازات هي في صالح الإسلام. وفي وقتٍ ما استطاع فيه جميع مسلمي الأرض تحقيق عُشر مِعشار ما تحقّق على يديه من إنجازات. ودعوا عنكم أكاذيب مشايخكم وتحريفهم أقوال ميرزا غلام أحمد وزعمهم بأنّه عليه السلام أحدث في الإسلام ما ليس فيه. بل تفحصّوا شروط البيعة العشرة التي تبايعونه عليها، فهي الدليل القاطع على أنّ ميرزا غلام أحمد مسلمٌ صادقٌ ويدعوا المؤمن ليلتزم بكلّ ما أمرته به آيات هذا القرآن المجيد من تعاليم وأحكام. بل ويكفي أنّه طالبنا في البند العاشر أن نعقد معه (**عهد الأخوّة خالصا لوجه الله تعالى على أن يطيعني في كلّ ما آمره به من المعروف**) أي أن نبايعه ونطيعه على المعروف من تعاليم هذا القرآن المجيد ولم يطالبنا بإطاعته طاعة عمياء. وخلاصة ما ذكرته هو أنّ الله تعالى قد وضّح في هذه الآية من سورة غافر وقال ﴿وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. وبالتالي فإن أخذ القارئ بعين اعتباره طهارة سيرة ميرزا غلام أحمد من جهة. وتقييد البنود العشرة للبيعة هذا المبايع بتعاليم الإسلام وليس بتعاليم جديدة. يعود من واجبه الاستخارة والتوكّل على الله تعالى ومبايعته عليه السلام ليحصد من هذه البركات التي اقترنت ببعثته عليه السلام.

وأتناول هذا الأمر من جهة ثانيةٍ لا تقلّ عن الأولى أهمّية. وهي أنّ القرآن المجيد قد وضع لنا معيارا لنفرّق على أساسه ما بين المدّعي الكاذب وما بين المدّعي الصادق. وذلك في الآيتين ١٧/١٦ من سورة يونس قال تعالى مخاطبا محمّدا رسوله الكريم وآمرا إيّاه أن يُلفت نظر قومه إلى هذا المعيار الذي يفرّق ما بين الكاذب والصادق قال ﴿قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾.. فالآية الأولى لفتت أذهاننا إلى حقيقتين هامّتين، فالحقيقة الأولى نبّهت إلى أنّ المتغيّرات تقتضي إعادة النظر في المتوارث عند هذا الإنسان من أجل أن يتلاءم مع هذا المتغيّر الجديد. والحقيقة الثانية عبرت عنها الفقرة: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾.. وقد تضمّنت هذه الحقيقة الثانية مِعيارا من معايير تمييز المدّعي الكاذب من المدّعي الصادق. ومُستندا هذا المعيار إلى قانون التطوّر الطبيعيّ المعروف. فمحمّد يخاطب قومه ويقول بأنّه أمضى سنوات عمره التي سبقت ادّعاءه النبوّة بين قومه الذين راقبوه طوال أربعين سنة وأطلقوا عليه بسبب سيرته الطاهرة بينهم لقب (الصادق الأمين). وأنّ الذي يُمضي أربعين سنة على منهجٍ واحد من السلوك النظيف فلا يُعقلُ أن يُصبح بين عشيّة وضحاها مُفتريا على الله تعالى كاذبا. فهذه نظرة تُخالف قانون التطوّر الطبيعيّ. وعلى العكس من ذلك فإنّ الذي يُمضي أربعين سنة في عمل الخير والصلاح يستحقّ من الله تعالى أن يجزيه ويكافئه وليس أن يدعه ألعوبة بيد الشيطان الذي يدفعه ليفتري على الله كذبا بأنّه نبيٌّ ومُرسل. وعليه فإنّ سيرة الإنسان الطاهرة فترة تزيد عن الأربعين سنة تفرض على الإنسان الذي يعرفه أن يتجنّب سوء الظنّ بهذا المدّعي. فمن هذا المُنطلقِ الذي لفتت نظرنا إليه هذه الفقرة الأخيرة من الآية ١٦ من سورة يونس يتوجّب على القارئ الذي أطلعته على سيرة ميرزا غلام أحمد الطاهرة قبل ادّعائه بأنّ ربّه بعثه مجدّدا مهديا ومثيلا لابن مريم عليه السلام ومن أجل تجديد المتوارث من الدين وإعادة روح التعاليم الإسلاميّة الحقيقيّة إلى مَعرض الوجود، يتوجّب على هذا القارئ والحال هذه تجاوز مرحلة سوء الظنّ به عليه السلام ولو كذّبه مشايخ الأرض جميعا. خصوصا وأنّ الله عز وجلّ قد أنهى هذه الفقرة الأخيرة بصيغة الاستفهام الإنكاري من خلال قوله تعالى ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾؟

أي أنّ تكذيب صاحب السيرة الحسنة وسوء الظنّ به يُخالف مُعطيات العقل السليم. وإنّ ميرزا غلام أحمد قد قدّم هذا المعيار نفسه للذين كذّبوه وعادوه. وليتذكّر القارئ بهذه المناسبة قول خديجة بنت خويلد زوجة محمد رسول اللّه (ص) التي قالته حين عاد من الغار وهو يقول (زمّلوني زمّلوني). فهي أقبلت عليه تهدّئ من اضطرابه وتقول (**كلا واللّه لا يُخزيك اللّه أبدا إنّك لتصلُ الرّحم وتحمل الكلّ وتُكسب المعدوم وتقري الضيف وتُعين على نوائب الحقّ** – راجع البخاري باب بدء الوحي -. فخديجة رضي اللّه عنها أشارت إلى معيار تمييز الكاذب من الصادق بصورة فطريّة وطبيعيّة. فإن تدبّر القارئ قصص الأمم الخالية يُلاحظ بأنّ كلّ نبيّ كان يقدّم هذا المعيار الطبيعيّ كدليل على صدق ما ادّعاه. وعليه أرجو القارئ عدم نُسيان هاتين الحقيقتين اللتين تضمّنتهما الآية ١٦ من سورة يونس عليه السلام. ونتناول الآية ١٧ من السورة نفسها فسنلاحظ بأنّ هذه الآية الثانية قد نبّهتنا إلى حقيقتين جديدتين أيضاً. فالحقيقة الأولى تضمّنتها الفقرة الأولى وهي ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾. تقول افترى على اللّه كذبا وتعني أنّ هذا قد اختلق من عند نفسه شيئا ونسبه إليه سبحانه. ويصبح معنى قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أنّ الظلم درجات وأعظم درجة من درجات الظلم أن يقوم الإنسان باختلاق شيء وينسبه إلى اللّه تعالى كذبا. وقد أتى تعالى بحرف العطف (أو) فعطف على ما ذكره وقال ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾. بمعنى أنّ من أعظم درجات الظلم أيضاً أن يقوم المرء بتكذيب ما أنزله تعالى من آيات. وبما أنّ الإنسان يتساءل بداهةً عن علامة العقاب الذي يُنزله اللّه تعالى بكلّ من يفتري على اللّه كذبا أو يكذّب بآياته في هذه الحياة الدنيا. فقد حدّد اللّه سبحانه علامة ذاك العقاب المقدّر وقال في الفقرة الثانية ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾. فأورد فعل أفلح منفيا. تقول أفلح الرجل إذا فاز وظفر بما طلب. فإذا نفيت الفلاح

فتعني أنّ كلّ من يفتري على اللّه كذبا أو يكذّب آيات اللّه تعالى من المستحيل أن يفوز ويظفر بما سعى إلى تحقيقه من خلال الافتراء على اللّه أو الإقدام على تكذيب آياته. وعليه فإنّ من واجب القارئ أن يعتبر كلّ مدّعي قد فاز وظفر في تحقيق كلّ ما سعى لتحقيقه من خلال ما ادّعاه ونسبه إلى اللّه تعالى، فإنّ على القارئ أن ينظُرَ إلى هذا المدّعي على أنّه كان صادقا فيما ادّعاه. وبناء عليه فإني أدعو القارئ أن يزين ادّعاءات ميرزا غلام أحمد ومقاصده بهذا الميزان الذي دلّتنا عليه هاتان الآيتان من سورة يونس عليه السلام.

فالمجدّد ميرزا غلام أحمد كان صاحب سيرة طاهرة في صباه قبل أن يُصبح مجدّدا وعلى حسب ما بيّنته في هذا الكتاب. فلما ادّعى حضرته بأنّ اللّه تعالى بعثه مجدّدا مهديا ومثيل ابن مريم وأعاد بواسطته الخلافة الإسلاميّة المفقودة على منهاج النبوّة وحسم أمور الاختلافات التي وقع فيها المسلمون من قبل وفرّقتهم إلى مذاهب وشيعا فجمع المؤمنين من جديد في جماعة إسلاميّة واحدة ودلّهم على منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. ونجح في هذه المقاصد جميعها بالرغم من مضيّ قرنٍ وربعٍ على وفاته عليه السلام. فإنّ هذا الفوز والظفر فيما قام به ميرزا غلام أحمد وأقدم عليه يُعتبر بميزان هاتين الآيتين المذكورتين مدّعيا صادقا وجب الإيمان به ومبايعته والانضمام إلى جماعته ليتجنّب هذا المؤمن أن يُصيبه تعالى ببعضِ ما توعّد به اللّه المكذّبين من عذاب وسوء مصير. فهذا دليل زوّدت به القارئ ليعينه على الفصل في موضوع هذا المجدّد الأعظم ميرزا غلام أحمد. وليدلّه على صدق ما ادّعاه عليه السلام.

وأتناول هذا الموضوع من جهة ثالثة فأقول: إذا راجعت يا قارئي العزيز مؤلّفي (نبوءات قرآنيّة على طريق الإصلاح) توقن بأنّ تلك النبوءات أنبأتنا عن ظهور مجدّد يكون مثيل ابن مريم ويحدث على يديه ما يحدث. وأهمّ ما يحدث هو أنّ أتباع هذا المجدّد سيتكاثرون شيئا فشيئا إلى أن يُصبح عددُهم أكثر من عدد المسلمين الذي كذّبوه وقاوموه. وكما حدث مع أتباع المسيح الناصري فقد

تكاثروا شيئا فشيئا إلى أن أصبح عدد الذين كذّبوه من اليهود وقاوموه لا يساوي شيئا يُذكر في مقابل أتباع المسيح الناصري وعلى حسب ما هو معروف في زماننا الحاضر. فإن شئت يا عزيزي القارئ أن تكون إلى جانب الفئة المكذّبة فهذا خيارك الذاتي وأنت تجني حصاده ولكنّك ستندم بعد فوات الأوان. فمن المعلوم أنّ اللّه عز وجلّ قد بشّر المسيح الناصري في الآيات ٥٤/٥٥/٥٦/٥٧ من سورة آل عمران وقال ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۞ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾..

فاللّه عز وجلّ قد نظر إلى حال عبده المسيح الناصري الذي كذّبه قومه وقاوموه نظرة المحبّة والعطف عليه لكونه تعالى هو الذي أرسله لتصحيح أوضاع بني إسرائيل. بشّره عدّة بشارات في آن واحد.

١ - بشّره بأنّ هؤلاء اليهود الذين يمكرون بك ليقتلوك لن أتركهم يفلحوا في مقصدهم هذا، بل سأتوفّاك وفاة طبيعيّة. وهي بشارة تُشبه ما بشّربه اللّه تعالى محمّدا وقال ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

٢ - وبشّره بعاقبته من خلال قوله ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فالرفع إذا ورد بعده حرف الجرّ (إلى) فلا يكون معناه إلا معنى التّقريب والإعزاز (محيط المحيط).

٣ - وبشّره ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي سأنزّه اسمك من جميع ما اتّهمك به هؤلاء اليهود من أباطيل.

٤ - وبشّره بشارة رابعة وهي ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وإنّ عصرنا يشهد على مصداقيّة هذه البشارة الرابعة فاليهود عادوا أقليّة صغيرة جدّا في مقابل الذين ربطوا اسمهم بالمسيح الناصري وعاد اليهود عالةً على المسيحيين. وبعد أن فرغ الله تعالى من إعلان هذه البشائر الأربعة التي بشّر بها المسيح الناصري. فقد توجّه تعالى وأنذر اليهود الذين كفروا به وقال متوعّدا إيّاهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ونفّذ الله تعالى وعيده هذا فشتّت اليهود تحت كلّ كوكبٍ وأعاد جمعهم في عصرنا هذا في فلسطين ليضربهم الضربة القاضية ووفق ما أنبأت به سورة الإسراء ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً * وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾. ومن ثمّ توجّه الله تعالى نحو الذين بايعوا المسيح الناصري وآمنوا بكلّ ما ادّعاه وقال مبشّراً إياهم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ آل عمران : ١٥٧﴾. فاشترط تعالى على الذين آمنوا بالمسيح الناصري الدأب على إقران الإيمان بالعمل الصالح ليستحقّ من جانبه تعالى أن يوفّيه ربّه بأجر وثواب ما عمله طيلة حياته. وأنهى هذه البشارة التي نصّت عليها هذه الآية قائلا ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. وكأنّه جلّ شأنه قد اختصر تعاليم الدين بصورة عامة وتعاليم المسيح بصورة خاصّة وبيّن أنّها جميعها تعاليم روحيّة في أصل وضعها وتدور حول موضوع السعي لجذب محبّة الله عز وجلّ. فمن فرّط في واحدة من تلك التعاليم يصبح في نظر ربّه ظالما ويُحرمُ من جذب محبّة ربّه إليه. فهذا هو المعنى الذي يفيده سياق الكلام في هذا المقام. وبعد أن ذكّرتك يا قارئي العزيز بكلام ربّك فاختر أتريد أن تتشبّه باليهود أم بالذين آمنوا به فتدبّر؟

الفهرس